دار الكتب المصرية

القسم الأدبى

كتاب الأغانى

تأليف

أبى الفرج الاصفهانى

الجزء الحادى عشر

القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م

UAR. 1312
(Vol. 11)

893.7 Zs1
031
v. 11

الطبعة الأولى بمطبعـة دار الكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الحادى عشر
من كتاب الأغانى

أخبار النابغة ونسبه

١٦٢
٩

نسب النابغة

النابغة اسمه زِيادُ بن معاوية بن ضِبَاب بن جَنَاب[1] بن يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرَّةَ ابن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفانَ بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلانَ بن مُضَر. ويُكْنَى أبا أُمامة[2]. وذكر أهل الرِّواية أنه إنما لُقِّب النَّابغةَ لقوله:

* فقد نَبَغتْ لهم منّا شؤونُ *

من الطبقة الأولى

وهو أحد الأشراف الذين غَضّ الشعرُ منهم. وهو من الطبقة الأولى المقدَّمين على سائر الشعراء.

سأل عمر بن الخطاب عن شعر فلما أخبر أنه له قال إنه أشعر العرب

أخبرنا احمد بن عبد العزيز الجوهرى وحَبيب بن نَصْر المُهَلَّبى قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو نُعَيْم قال حدّثنا شَرِيكٌ عن مُجَاهِد عن الشَّعْبى عن رِبْعِى ابن حِرَاش قال:

---

(١) فى شرح التبريزى للمعلقات العشر: «جابر بن يربوع» بدل «جناب بن يربوع».

(٢) ويكنى أيضا: «أبا ثمامة». كنى بابنتيه أمامة وثمامة. (راجع شرح المعلقات العشر للتبريزى وكتاب الشعر والشعراء).

قال عمر : يامعشر غَطَفانَ، مَنِ الّذى يقول :

أتيتُـك عارياً خَلَقاً ثيـابِى * على خَوْفٍ تُظَنُّ بِىَ الظُّنونُ

قلنا : النابغة . قال : ذاك أشعرُ شعرائكم .

أخبرنى أحمد وحبيب قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عُبَيْـد بن جَنّاد قال حدّثنا مَعْن بن عبـد الرحمن عن عيسى بن عبـد الرحمن السُّلَمىّ عن جدّه عن الشَّـعبِىّ قال : قال عمر : مَنْ أشـعرُ الناس؟ قالوا : أنت أعلمُ يا أمير المؤمنين . قال : مَنِ الّذى يقول :

إلّا سـليمانَ إذ قال الإلٰه له (١) * قُمْ فى البَرِيّة فَاْحْدُدْها عن الفَنَدِ (٢)

وخَيِّسِ (٣) الجِنَّ أنّى قد أذِنتُ لهم * يبنون تَدْمُرَ (٤) بالصُّفَّاح (٥) والعمدِ

قالوا : النابغة . قال : فمن الذى يقول :

أتيتُـك عارياً خَلَقاً ثيـابى * على خوفٍ تُظَنُّ بِىَ الظنونُ

قالوا : النابغة . قال : فمَنِ الذى يقول :

حلفتُ فلم أترُكْ لنفسك رِيبةً * وليس وراءَ اللهِ للمرء مَذْهَبُ

لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنّى خيانةً * لَمُبْلِغُك الواشى أغَشُّ وأكْذَبُ

---

(١) ويروى : « إذ قال المليـك » . (والروايات المشار اليها هنا وفيما يأتى عن شرح التبريزى للعلقات العشر) . (٢) فاحددها : فامنعها . ويروى : «فازجرها» . والفند : الخطأ .

(٣) فى جـ وديوانه وشرح التبريزى : « وخيس الجن إنى الخ » أى ذللهم . (٤) تدمر : مدينة قديمة مشهورة كانت ببرية الشام . وكانوا يزعمون أنها مما بنته الجن لسليمان عليه السلام .

(٥) الصفاح (بالضم) : حجارة دقاق عراض، واحدها صفاحة . والعمد (بفتحتين وبضمتين) : جمع عمود .

ولستَ بمُستَبقٍ أخًا لا تَلُمُّهُ(١) * على شَعَثٍ أىُّ الرجالِ المُهَذَّبُ

قالوا : النابغة . قال : فهو أشعر العرب .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدّثنا عمر بن أبى زائدة عن الشَّعبىّ قال : ذُكِر الشِّعْرُ عند عمر، ثم ذكَر مثلَه .

سئل ابن عباس عن أشعر الناس فأمر أبا الاسود بالجواب فذكره

٥ أخبرنى أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنى علىّ بن محمد عن المدائنىّ عن عبد الله بن الحسن عن عمر بن الحُبَاب عن أبى المؤمّل قال :

قام رجلٌ الى ابن عبّاس فقال : أىُّ الناس أشعر ؟ فقال ابن عباس : أخْبِرْه يا أبا الأسود الدُّؤَلىّ، قال الذى يقول :

فإنّكَ كالليلِ الذى هو مُدْرِكى * وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأَى(٢) عنك واسعُ

حوار فى شعر له فى مجلس الجنيد ابن عبد الرحمن

١٠ أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبى عن جرير بن شَرِيك ابن جَرِير بن عبد الله البَجَلىّ قال : كنّا عند الجُنَيْد بن عبد الرحمن بخُرَاسان وعنده بنو مُرّة وجلساؤه من الناس، فتذاكروا شعرَ النابغة حتى أنشدوا قوله :

فإنّك كالليل الذى هو مدركى * وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسع

١٦٣ / ٩

فقال شيخٌ من بنى مُرّة : ما الّذى رأى فى النُّعْمان حيث يقول له هذا! وهل كان النُّعمان إلا على مَنْظَرةٍ من مَنَاظر الحِيرة ! وقالت ذلك القيسيّةُ فأكثروا . فنظر إلىّ ١٥

(١) استبق الصاحب : عفا عن زلله فاستبق مودّته . ولم الأمر : جمعه وأصلحه . والشعث (بالفتح وبالتحريك) : انتشار الأمر وفساده؛ يقال : لم الله شعثه يلمه لما أى جمع ما تفرّق من أموره وأصلحه . وقوله «أى الرجال المهذب» يقول : وأى الناس لا تكون فيه خصلة غير مرضية .

(٢) المنتأى : اسم مكان من انتأى اذا بعد .

الجُنَيْد وقال : يا أبا خالد ! لا يَهُولنّك قولُ هؤلاء الأعاريض[1] ! فأقسم بالله أنْ لو عاينوا من النُّعمان ماعاين صاحبهُم لقالوا أكثر مما قال ، ولكنهم قالوا ماتسمع وهم آمنون .

كان يجلس للشعراء بعكاظ فمدح شعر الخنساء وحواره مع حسان

أخبرنى حبيب بن نَصْر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو بكر العُلَيْمى قال حدّثنى عبد الملك بن قُرَيب[2] قال :

كان يُضْرَب للنابغة قُبّةٌ من أَدَمٍ بسوق عُكَاظ ، فتأتيه الشعراء فتَعْرِض عليه أشعارَها . قال : وأوّل من أنشده الأعشى ثم حسّانُ بن ثابت ثم أنشدتْه الشعراء، ثم أنشدتْه الخَنْساءُ بنت عمرو بن الشَّرِيد :

وإنّ صخرًا لَتَأْتَمُّ الهُداةُ به * كأنّه عَلَمٌ فى رأسه نارُ

فقال : والله لولا أنّ أبا بَصِير أنشدنى آنِفًا لقلتُ إنكِ أشعر الجنّ والإنس . فقام حسّان فقال : والله لأنا أشعرُ منكَ ومن أبيك ! . فقال له النابغة : يآبنَ أخى، أنت لا تُحسن أن تقول :

فإنّكَ كالليل الذى هو مُدْرِكى * وإن خِلتُ أنّ المنتأى عنك واسع

خَطاطِيفُ[3] حُجْنٌ فى حِبالٍ مَتِينةٍ * تَمُدّ بها أيدٍ إليك نَوازِعُ

قال : فخَنَس[4] حسّان لقوله .

---

(١) كذا فى الأصول . ولعلها : « هؤلاء الأعاريب » .

(٢) عبد الملك بن قريب : هو اسم الأصمعى الراوية المشهور . (٣) الخطاطيف : جمع خطاف (بالضم) . وخطاف البئر: حديدة حجناء تستخرج بها الدلاء وغيرها . وحجن : معوجة ، واحدها أحجن والأنثى حجناء . ونوازع : جواذب . يقول : لك خطاطيف هذه صفتها أجرّبها اليك . وهذا تمثيل . يريد أنه فى قبضة يده وأنه لا مفرّ له منه . (٤) خنس : انقبض ، أو رجع وتنحى .

تذاكر قوم الشعر وهم فى الصحراء فاذا هم بجنى يقول إنه أشعر الناس

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وحبيب بن نَصْر المهلّبى قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا الأصمعى قال حدّثنا أبو عمرو بن العَلَاء قال قال فلان لرجل سمّاه فأنسيتُه :

بينا نحن نسير بين أَنْقَاءٍ(١) من الأرض تذاكرنا الشعرَ، فاذا راكبُ أُطَيْلِس(٢) يقول: أشعرُ الناسِ زِياد بن معَاوية؛ ثم تملّس(٣) فلم نَرَه .

فضله أبو عمرو على زهير

أخبرنى أحمد قال حدّثنا عمر قال حدثنا الأصمعى قال سمعتُ أبا عمرو يقول: ما كان ينبغى للنابغة إلا أن يكون زُهَيْرٌ أجيراً له .

سأل عبد الملك عن شعره فى اعتذاره للنعمان وقال إنه أشعر العرب

أخبرنى أحمد قال حدّثنا عمر قال عمرو بن المُنْتَشِر المُرَادى :

وفَدْنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه ، فقام رجلٌ فاعتذر من أمرٍ وحلف عليه . فقال له عبد الملك : ما كنتَ حَرِيًّا أن تفعل ولا تعتذر . ثم أقبل على أهل الشأم فقال : أيُّكم يَروى من اعتذار النابغة الى النُّعمان :

حلفتُ فلم أترك لنفسك رِيبةً * وليس وراء الله للمرء مذهبُ

فلم يجد فيهم من يَرْوِيه؛ فأقبل علىّ فقال : أتَرْوِيه ؟ قلت نعم! فأنشدتُه القصيدةَ كلَّها؛ فقال : هذا أشعر العرب .

سئل حماد بم تقدّم النابغة فأجاب

أخبرنا حَبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال : قال معاوية بن بكر الباهلى قلتُ لحمّاد الراوية : بِمَ تَقَدّم النابغةُ ؟ قال : باكتفائك بالبيت الواحد من شعره ، لا بل بنصف بيت ، لا بل بربع بيت ، مثل قوله :

---

(١) الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل تنقاد محدودبة . و يقال فى تثنيته نقوان ونقيان .
(٢) أطيلس : تصغير أطلس ، وهو ما فى لونه غبرة الى السواد . (٣) تملس : تملص وأفلت .

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً * وليس وراء الله للمرء مذهب

[كُلُّ نصفٍ يُغنيك عن صاحبه، وقولِه : " أىّ الرجال المهذَّبُ " ربع بيت يُغنيك عن غيره][1] .

وهذه القصيدة العينيّة[2] يقولها فى النُّعْمان بن المُنْذِر يعتذر اليه بها وبعِدّة قصائد قالها فيه تُذْكَرُ فى مواضعها . ولقد اختلفت الرُّواة فى السبب الذى دعاه الى ذلك . ٥

كان أثيرا عند النعمان فدخل على زوجته المتجردة فوصفها

فأخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة عن أبى عُبَيْدة وغيره من علمائهم :

١٦٤ / ٩

أنّ النابغة كان كبيرا[3] عند النُّعْمان خاصًّا به وكان من نُدَمائه وأهل أُنْسه ؛ فرأى زوجته المتجرِّدة يوماً وغَشِيها تشبيهاً[4] بالفُجَاءة ، فسقط نَصِيفُها واستترت بيدها وذراعها ، فكادت ذراعُها تستر وجهها لعَبَالتها وغِلَظها ؛ فقال قصيدتَه التى أوّلها : ١٠

أمِنَ آلِ مَيّةَ رائحٌ[5] أو مُغْتَدِى * عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزَوَّدِ

زعَم البوارحُ أنّ رِحْلَتَنا غدًا * وبذاك تَنْعابُ الغُرابِ الأسودِ

لا مرحبًا بغدٍ ولا أهلًا به * إن كان تفريقُ الأحبّةِ فى غدِ

أزِفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أنّ رِكابَنا * لمّا تَزُلْ برِحالنا وكأنْ قدِ

فى إثْرِ غانيةٍ رمتْك بسَهْمِها * فأصاب قلبَك غيرَ أنْ لم تُقْصِدِ[6] ١٥

بالدُّرّ والياقوتِ زُيِّنَ نحرُها * ومُفَصَّلٍ من لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدِ

---

(١) التكملة عن شرح الديوان للوزير أبى بكر عاصم بن أيوب البطليوسى . (٢) هى قصيدته التى مطلعها :

عفا ذو حسا من فرتنى فالفوارع * فجنبا أريك فالتلاع الدوافع

(٣) فى جـ ، ا : «كثيرا» . ولعل صوابه : «كان أثيرا عند النعمان ... الخ» .

(٤) لعله «شبيها بالفجاءة» أى غشيها غشيانا شبيها بالمفاجأة . (٥) رائح : خبر لمحذوف ، والتقدير : أمن آل مية أنت رائح ، كما قال الأصمعى . ٢٠

(٦) تقصد : تقتل ؛ يقال : أقصد الشىء إذا ضربه أو رماه فمات مكانه .

عروضه من الكامل . وغنّاه أبو كاملٍ من رواية حَبَش ثقيلًا أول بالبنصر . وغنّاه الغَرِيض من روايته ثانى ثقيلٍ بالوسطى . وغنّاه آبن سُرَيْج من رواية إسحاق ثقيلًا أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى .

قوله : أمن آل ميّة : يخاطب نفسه كالمُسْتَثْبِت . وعجلان : من العجلة، نصبه على الحال . والزاد فى هـذا الموضع : ماكان من تسليم وردّ تحيّـة . والبوارح : ما جاء من مَيَامِنِك إلى مَيَاسِرك فولّاك مَيَاسِره . والسانح ما جاء من مياسرك فولّاك ميامنه ؛ حكى ذلك أبو عُبَيْـدة عن رُؤْبة وقد سأله يونس عنـه . وأهل نَجْدٍ يتشاءمون بالبوارح، وغيرُهم من العرب تتشاءم بالسانح وتتيمّن بالبارح؛ ومنهم من لا يرى ذلك شيئا؛ قال بعضهم (١) :

ولقد غدوتُ وكنتُ لا * أَغـدو على واقٍ وحاتِمْ (٢)

فإذا الأشائمُ كالأيا * مِنِ والأَيامنُ كالأشائمْ

وتنعابُ الغراب : صياحه؛ يقال : نَعَب الغراب يَنْعَب نَعِيباً ونَعَبَاناً، والتنعاب تَفْعالٌ من هذا . وكان النابغة قال فى هـذا البيت : "وبذاك خبّرنا الغُرَابُ الأسـودُ" ثم ورد يَثْرِبَ فسمعه يُغَنّى فيه، فبان له الإقواءُ، فغيّره فى مواضع من شعره .

---

(١) هو مرقش السدوسى، وقيل : إنه لخزز (بضم ففتح) بن لوزان . (عن لسان العرب) .

(٢) الواق (وزان القاضى) هنا : الصرد (بضم ففتح) وهو طائر فوق العصفور كانت العرب تتطير بصوته . والحاتم هنا : الغراب الأسود . وقبل البيتين :

لا يمنعنك من بغا * ء الخير تعقاد التمائم

وبعدهما :

وكذاك لا خير ولا * شر على أحد بدائم

قد خط ذلك فى الزبو * ر الأوّليات القدائم

الزبور : الكتب، واحدها زبر (بالكسر) . (راجع لسان العرب مادتى وقى وحتم) .

كان يقوى فلما ذهب الى يثرب تبين له هذا العيب فأصلحه

وأخبرنا الحسين بن يحيي قال قال حماد بن إسحاق قرأتُ على أبى :

قال أبو عُبَيْدة : كان فَحْلانِ من الشعراء يُقْوِيان : النابغةُ وبِشْرُ بن أبى خَازِم. فأمّا النابغةُ فدخل يَثْرِبَ فهابُوه أن يقولوا له لحنتَ وأكفأتَ[(1)]، فدَعَوْا قَيْنةً وأمروها أن تغنِّىَ فى شعره ففعلتْ. فلمّا سمِع الغناء و"غير مزوَّد" و"الغرابُ الأسودُ" و بان له ذلك فى اللحن فَطِنَ لموضع الخطأ فلم يَعُـدْ . وأمّا بِشْر بن أبى خَازِم فقال له أخوه سَوَادةُ : إنّك تُقْوِى . قال : وما ذاك ؟ قال : قولُك :

* ويُنْسِى مثلَ ما نُسِيتْ جُذَامُ[(2)] *

ثم قلت بعده "إلى البلد الشآمِ" . ففطن فلم يَعُدْ .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنـا عمر بن شَبّة قال حدّثنـا خَلّاد الأرقط وغيرُه من علمائنا قالوا :

كان النابغةُ يقول : إنّ فى شعرى لعاهةً ما أَقِفُ عليها . فلمّا قدِم المدينة غُنِّىَ فى شعره، فلمّا سمِـع قولَه : "واتّقتْنا باليد" و "يكاد من اللَّطافةِ يُعْقَدُ" تبيّن له لمّـا مُدّتْ "باليد" فصارت الكسرة ياء ومُدّتْ "يُعْقَدُ" فصارت الضمّة كالواو، ففطِن فغيّره وجعله :

* عَنَمٌ على أغصانِه لم يُعْقَدِ *

(١) الإكفاء فى الشعر عنـد العرب : الفساد فى قوافيـه باختلاف الحركات أو الحروف القريبة المخارج بأن يكون روىّ القافية ميما ثم يجئ الروىّ فى بعض القصيدة نونا . والإكفاء عند أهل العروض : اختلاف إعراب القوافى . (٢) فى الأصول : * أمن الأحلام إذ صحبى نيام * والتصويب من خزانة الأدب (ج ٢ ص ٢٦٢) ؛ فان الشطر الأوّل فى الأصول من الرمل، والثانى من الوافر . وتمام البيت الأوّل :

ألم تر أن طول الدهر يسلى * وينسى مثل ما نسيت جذام

وتمام البيت الثانى :

وكانوا قومنا فبغوا علينا * فسقناهم الى البـلد الشآم

١٦٥ / ٩

وكان يقول : وردتُ يَثْرِبَ وفى شعرى بعضُ العاهة، فصدَرتُ عنها وأنا أشْعَرُ الناس. وقوله لا مَرْحَبًا : لا سعةً؛ ونصبُه هاهنا شبيهُ بالمصدر، كأنه قال لا رَحُبَ رُحْبًا ولا أهَلَ أهْلًا . وأَزِفَ : قَرُبَ .

قال : وقال فى قصيدته هذه يذكر ما نظر إليه من المتجرِّدة وسَتْرِها وجهَها بذراعها :

٥

صوت

سقط النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه * فتناولتْه واتّقتْنا باليَدِ

بمُخضَّب رَخْصٍ كأنّ بَنَانَه * عَنَمٌ على أغصانِه لم يُعْقَدِ

ويفاحِمٍ رَجْلٍ أَثِيثٍ نبتُه * كالكَرْمِ مالَ على الدِّعامِ المُسْنَدِ

نظرتْ إليك بحاجةٍ لم تَقْضِها * نَظَرَ السَّقيمِ إلى وُجوه العُوَّدِ

١٠

غنّاه ابن سُرَيْج، ولحنُه من خفيفِ الثّقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو. والنَّصيف : الخِمار، والجمع أَنْصِفةٌ ونُصُفٌ . والعَنَم، فيما ذكر أبو عُبَيْدة ، يَساريعُ[1] حُمْرٌ تكون فى البقل فى الربيع . وقال الأصمعىّ : العنم : شجر يَحْمَرّ ويَنْعَم[2] نبتُه. والفاحم : الشديد السواد . والرَّجْل : الذى ليس بجَعْد . والأَثِيث : المتكاثِف؛ قال امرؤ القيس :

* أَثِيثٍ كقِنْوِ النخلة المُتَعَثْكِلِ[3] *

١٥

ويقال : شَعْرٌ رَجْلٌ ورَجِلٌ . ويُرْوَى :

* ورنتْ إلىّ بمقلتَىْ مكحولةٍ *

(١) اليساريع : جمع يسروع (بضم الياء وفتحها ، و يقال فيها أسروع بضم الهمزة وفتحها) وهى دودة حمراء تكون فى البقل، تشبه بها الأصابع . (٢) نعم العود (من باب فرح) : اخضرّ ونضر .

٢٠

(٣) صدر البيت : * وفرع يغشى المتن أسود فاحم *

والفرع : الشعر الطويل . والمتن : الظهر . والقنو : العذق (وهو من النخل كالعنقود من العنب) . والمتعثكل : ذو العثاكيل (الشماريخ) .

والمكحولة : البقرة . وقوله : لم تَقْضِها : يعنى المرأة أى لم تقدر على الكلام من مخافة أهلها، فهى كالسَّقيم الذى ينظر إلى من يعوده .

غنّاه ٱبن سُرَيْج خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة .

٥ وأخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا الخليل بن أَسَد قال حدّثنا العُمَرِىّ قال :

قال صالح بن حسان إنه كان مخنثا

قال الهَيْثم بن عَدِىّ قال لى صالح بن حَسّان : كان والله النابغةُ مُخَنَّثا . قلت: وما عِلْمُك به؟ أرأيتَه قط ؟ قال : لا والله !. قلت : أفَأُخْبِرتَ عنه؟ قال لا . قلت : فما عِلْمُك به ؟ قال : أمَا سمعتَ قولَه :

١٠ سَقط النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه * فتناولتْه واتَّقتْنا باليدِ

لا والله ما أحسنَ هذه الإشارة ولا هذا القولَ إلا مُخَنَّثٌ .

هروبه من النعمان الى ملوك غسان واختلاف الرواة فى سببه

قال : فأنشدها النابغةُ مُرَّةَ بنَ سعد القُرَيْعِىّ، فأنشدها مُرّةُ النُّعمانَ ، فامتلأ غضبًا فأوعد النابغةَ وتهدده ، فهرَب منه فأتى قومَه ، ثم شخص إلى ملوك غَسّان بالشأم فٱمتدحهم . وقيل: إنّ عِصَام بن شَهْبَرٍ الجَرْمِىّ حاجبَ النُّعمان أنذره(1) وعرّفه

١٥ ما يُريده النُّعمان، وكان صديقَه، فهرَب . وعِصَامٌ الذى يقول فيه الراجز:

نَفْسُ عِصامٍ سَوّدتْ عِصامَا * وَعلّمتْه الكَرَّ والإقدامَا

* وجعلته مَلِكًا هُمَامَا *

---

(1) أنذره : أعلمه .

وقال مَنْ رويتُ عنه خبرَ النابغة : إنّ السببَ فى هَرَبه من النُّعمان أنّ عبد القيس بن خُفَاف التَّميمىّ ومُرّة بن سَعْد (١) بن قُرَيْع السَّعْدِىّ عملا هجاءً فى النُّعمان على لسانه، وأنشدا النّعمانَ منه أبياتًا يقال فيها :

مَلِكٌ يُلاعِبُ أُمَّه وقَطِينَه * رِخْوُ المَفَاصِلِ أَيْرُه كالمِرْوَدِ

٥ ومنه :

قَبَّح اللهُ ثم ثَنَّى بِلَعْنٍ * وارثَ الصائغ الجَبَانَ الجَهُولا

مَنْ يَضُرُّ الأدنَى ويَعْجِزُ عن ضَرِّ الأَقاصِى ومَنْ يَخُون الخليلا

يجمع الجيشَ ذا الألوفِ ويغزو * ثم لا يَرْزَأُ العَدُوَّ فَتِيلا

١٦٦ / ٩

يعنى بوارث الصائغ النُّعمانَ؛ وكان جدُّه لأمّه صائغا بفَدَك (٢) يقال له عطيّة . وأمّ النُّعمان سَلْمى بنت عَطيّة .

١٠

فأخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنى عمّى عُبَيد الله عن ابن حَبِيب عن ابن الأعرابىّ عن المفضَّل : أنّ مُرّة بن سَعْد القُرَيعىّ الذى وشَى بالنابغة كان له سيفٌ قاطع يقال له ذوالرِّيقة من كثرة فِرِنْده وجوهره، فذكره النابغةُ للنعمان ، فأخذه . فآضطغن ذلك القُرَيعىّ حتى وشَى به الى النُّعمان وحرّضه عليه .

١٥ وأخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سَلّام عن يونس ابن حَبيب عن أبى عمرو بن العَلَاء، وأخبرنا إبراهيم بن أيُّوب عن آبن قُتَيْبة ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شَبّة، قالوا جميعا :

---

(١) فى خزانة الأدب (ج ١ ص ٣٧١ و ٤٢٧) وشرح لديوانه : «ابن ربيعة» بدل «ابن سعد» .

(٢) فدك : قرية بالحجاز من نواحى خيبر .

إنّ الذى من أجله هرب النابغةُ من النُّعمان أنه كان والمُنخَّل بن عُبَيْد بن عامر اليَشْكُرىّ جالسين عنده ، وكان النُّعمان دميماً أَبْرَش(١) قبيح المَنْظَر، وكان المنخّل بن عُبَيْد من أجمل العرب، وكان يُرْمَى بالمتجرِّدة زوجةِ النعمان، ويتحدّث العربُ أنّ ابنى النعمان منها كانا من المنخّل . فقال النُّعمان للنابغة : يا أبا أمامةَ، صِفِ المتجرِّدة فى شعرك ؛ فقال قصيدتَه التى وصَفها فيها ووصَف بطنَها وروادفها وفَرْجَها . فلحِقتِ المنخّلَ من ذلك غَيْرةٌ، فقال للنُّعمان : ما يستطيع أن يقول هذا الشعرَ إلّا مَنْ جرّبه . فوقَر ذلك فى نفس النُّعْمان . وبلغ النابغةَ نخافه فهرَب فصار فى غسّان .

كان المنخل اليشكرى يهوى هندا بنت عمرو ابن هند فتغزل فيها فقتله

قالوا : وكان المنخّل يهوَى هندًا بنت عَمْرو بن هند، وفيها يقول :

صــوت

ولقد دخلتُ على الفتا * ةِ الخِدْرَ فى اليومِ المَطِير

الكاعبِ الحسناءِ تَرْ * فُلُ فى الدِّمَقْسِ وفى الحرير

فدفعتُها(٢) فتدافعتْ * مَشْىَ القَطَاةِ الى الغَدير

ولَثِمتُها فتنفّستْ * كتنفُّس الظَّبْىِ البَهِير(٣)

— غنّاه إبراهيم المَوْصِلىّ من رواية عمرو بن بانة ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى على مذهب إسحاق —

(١) الأبرش : الذى فى لونه اختلاف بأن تكون نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو نحو ذلك .

(٢) فى الأغانى فى ترجمة المنخل اليشكرى (ج ١٨ ص ١٥٤ طبعة بلاق) : « دافعتها » . وفى رواية هذه القصيدة هنا وفى ترجمة المنخل فيما سيأتى فى الأغانى وفى كتاب الشعر والشعراء اختلاف فى بعض الكلمات سنشير الى بعضه هاهنا .

(٣) البهير : الذى تتابع نفسه من الإعياء والتعب ؛ يقال : انبهر وبهر (مبنيا للمجهول) فهو مبهور وبهير . ورواية البيت فى كتاب الشعر والشعراء :

وعطفتها فتعطفت * كتعطف الظبى الغرير

وَبَدَتْ[1] وقالت يا مُنَخَّـ * ـلُ ما بجسمك من فُتورِ؟

ما مَسَّ جِسْمِى غيرُ حُبِّـ * ـكِ فاهْدَئى عنِّى وسِيرِى[2]

ولقد شَرِبتُ من المُدَا * مةِ بالكبيرِ وبالصغيرِ

فإذا سَكِرتُ فإنَّنى * رَبُّ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ[3]

٥ وإذا صحوتُ فإنَّنى * ربُّ الشُّوَيْهةِ والبعيرِ

ياهِنْدُ هل من نائلٍ * ياهندُ للعانِى الأسيرِ

وأُحِبُّها وتُحِبُّنى * وتُحِبُّ[4] ناقتُها بعيرى

ـــ وقال حمّاد بن إسحاق عن أبيه فى كتاب أغانى ٱبن مِسْحَج: فى هذا الصوت لمالك ومَعْبَدٍ وٱبنِ سُرَيج وٱبن مُحْرِز والغَرِيض وٱبن مِسْحَج لكلهم فيه ألحانٌ ـــ قال:

١٠ فبلغ عمرًا خبرُ المنخّل فأخذه فقتله. وقال المنخل قبل أن يقتله وهو محبوس فى يده يَحُضّ قومه على طلب الثأر به:

طُلَّ وَسْطَ العِرَاقِ قَتْلِى بِلَا جُرْ * مٍ وقَوْمِى يُنَتِّجون السِّخالَا

١٦٧/٩

رجع الخبر الى سِياقه. قالوا جميعا: فلمّا صار النابغة الى غَسّانَ نزل بعمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبى شَمِرٍ[5] ـــ وأمّ الحارث

١٥ الأعرج مَارِيَةُ بنت ظالم بن وَهْب بن الحارث بن مُعَاوِيَةَ بن ثَوْر بن مُرتِع[6] الكِنْدِيّة

(١) فى ترجمة المنخل: «ورنت». وفى كتاب الشعر والشعراء: «فترت». (٢) كذا فى ح، أ، وترجمة المنخل فيما يأتى وكتاب الشعر والشعراء. وفى سائر الأصول هنا: «فاعزبى». (٣) الخورنق والسدير: قصران، وقيل: هما نهران. (٤) فى ترجمة المنخل وكتاب الشعر والشعراء: «ويحب». (٥) يقال فيه أيضا شمر (بكسر أوله وسكون ثانيه). (راجع

٢٠ خزانة الأدب ج ١ ص ٣٧١). (٦) ضبطه الحافظ فى التبصير كمحسن، وضبطه الصاغانى فى العباب كمحدّث. (عن القاموس وشرحه).

وهى ذات القُرْطين اللّذين يُضْرب بهما المثل فيقال لِما يُغْلَى به الثمن «[خُذْه[1] ولو] بقُرْطَىْ مَارِيَةَ» . وأُختها هند الهنود امرأة حُجْرٍ آكِلِ المُرار . وإيّاها عَنَى حسّان بقوله فى جَبَلة بن الأَيْهم :

أولادُ جَفْنَةَ حَـولَ قبرِ أبيهمُ * قبرِ ابن مَارِيَةَ الجَوَادِ المُفْضِلِ

مدح عمرو بن الحارث الأصغر الغسانى وأخاه النعمان

ولذلك خبر يأتى فى موضعه — فمدحه النابغةُ ومدح أخاه النُّعْمان . ولم يزل مقيماً مع عمرو حتى مات، وملك أخوه النُّعْمان؛ فصار معه الى أن استطلعه[2] النُّعمان فعاد اليه . فممّا مدح به عمرًا قولُه :

صـــوت

كِلِينِى لِهَـمٍّ يا أُمَيْمَـةَ[3] نَاصِبِ * ولَيْلٍ أُقَاسِـيه بَطِىء الكواكبِ
وصَـدْرٍ أراحَ الليلُ عازِبَ هَمِّه * تضاعفَ فيه الحُزْنُ من كلّ جانب
تَقَاعَسَ حتى قلتُ ليس بمُنْقَضٍ * وليس الذى يَهْدِى النجومَ بآئبِ
علىّ لِعَمْرٍو نِعْمـةٌ بعـد نعمةٍ * لوالده ليست بذاتِ عَقَـارِبِ

عروضه من الطويل . غنّى فى البيتين الأوّلين ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو . وغنّى فيه الأَبْجَـر من رواية حَبَش ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى . وغنّى مالكٌ فى البيت الرابع ثانىَ ثقيلٍ بالسبابة فى مجرى الوسـطى من رواية هارونَ بنِ محمد بن عبـد الملك الزيّات . وغنى فى الأربعةِ الأبياتِ عبد الله ابن العبّاس الرَّبيعىّ ماخُـورِيًّا عن حَبَش ، وغنّى فيهـا طُوَيْس رَمَلًا بالوسـطى بحكايتين عن حَبَش .

---

(١) التكملة عن كتب الأمثال . (٢) استطلعه : طلب طلوعه اليه . يريد : استقدمه اليه .
(٣) أميمة : تصغير أمامة وهى بنته . وأقاسيه : أكابده وأعالج طوله .

هكذا رُوِى قولُه "يا أُمَيْمَةَ" مفتوح الهاء . قال الخليل : من عادة العرب أن
تنادى المؤنّث بالترخيم فتقول يا أُمَيْمَ ويا عَزّ ويا سَلْمَ؛ فلمّا لم يُرَخّم لحاجته الى
الترخيم[1] أجراها على لفظها مُرَخّمةً[2] وأتى بها بالفتح . وكِليني أى دَعِينى . ووَكَلْتُه الى
كذا أَكِلُه[3] وَكالة . وناصب[4] : مُتْعِب . و بطىء الكواكب أى قد طال حتى إن كواكبه
لا تجرى ولا تَغُور . أراح : ردّ . يقال أراح الرجلُ إبلَه أى ردّها . فيقول : ردّ
هذا الليلُ إلىّ ما عزَب من هَمّى بالنهار ؛ لأنه يتعلّل نهارًا بمحادثة الناس والتشاغل
بغير الفكر ، فإذا خلا بالليل راح اليه همُّه . وتقاعس تأخّر ؛ وأصلُ التقاعس
الرجوعُ الى خَلْفِ القَهْقَرى ، فشبّه اللّيلَ فى طُوله بالمُتقاعِس . والذى يَهْدى
النجومَ أوّلُها ، شبهها بهواديها[5] . وقوله "ليست بذات عقارب" أى لا يكدّرها
ولا يَمُنُّها .

(١) لعل صوابه : «لحاجته الى ترك الترخيم» لأن الترخيم هنا يفسد وزن الشعر .

(٢) هذا رأى الجمهور ، قالوا : إن أميمة مرخم ، والأصل يا أميم ، ثم دخلت الهاء غير معتد بها ، وفتحت لأنها وقعت موقع ما يستحق الفتح وهو ما قبل هاء التأنيث . وفيه آراء أخرى مبسوطة فى كتب النحو . (٣) الذى فى كتب اللغة أنه يقال : وكل الأمر إليه يكله وكلا ووكولا إذا سلمه إليه وتركه، ووكله إلى نفسه وكلا ووكولا . والوكالة (بالفتح وبالكسر أيضا) : اسم من التوكيل .

(٤) أى فناصب بمعنى منصب من النصب (بالتحريك) وهو التعب جىء به على طرح الزوائد . وحمله سيبويه على النسب أى ذو نصب ، كما يقال : طريق خائف أى ذو خوف . وقال أبو عمرو : همّ ناصب من قولك نصب به الهم أى حل . وقال ابن الأعرابى : نصب له الهم إذا كان لا يفارقه . (راجع خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٣٧٠ ، وشروح ديوان النابغة) . (٥) فى هذه الجملة غموض ، قد يرجع الى سهو النساخ عن بعض الكلام . ومعنى « وليس الذى يهدى النجوم بآئب » ، كما فى شروح الديوان ، أن الذى يهدى النجوم ما يتقدّمها ؛ اذ هادى كل شىء ما يتقدّمه . فقيل المراد به أوّل النجوم ، ومعنى كونه غير آئب : غير راجع الى مسقطه ومغيبه . وقيل المراد بهادى النجوم الشمس لأنها تتقدّم النجوم فى المغيب ، ومعنى كونها غير آئبة : غير راجعة الى مشرقها ؛ فكأنه ليل لا نهار بعده . ويروى : « وليس الذى يرعى النجوم ... » .

ومما يُغَنَّى فيه من هذه القصيدة :

حلفتُ يمينًا غيرَ ذى مَثْنَوِيَّةٍ (١) * ولا عِلْمَ إلّا حسنَ ظَنِّى بصاحبِ (٢)

لئن كان للقبرَيْنِ قبرٍ بجِلَّقٍ (٣) * وقبرٍ بصَيْدَاءَ الذى عند حاربِ

وللحارثِ الجَفْنِىِّ (٤) سَيِّدِ قومه * لَيَلْتَمِسَنْ بالجيش دارَ المُحارِبِ

— غنّاه إسحاقُ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهبه من رواية عمرو بن بانةَ عنه ومن رواية حَبَش . وغنّاه ابن سُرَيْج ثانىَ ثقيلٍ بالبنصر . يقول : ليس لى علمٌ بما يكون من صاحبى إلا أنى أُحسِن الظنَّ به . وقوله "لئن كان للقبرين" يعنى لئن كان عمرُو ابنًا للمدفونَيْن فى هذين القبرين، يعنى قبر أبيه وجدّه وهما الحارث الأكبر والحارث الأعرج ، لَيَلْتَمِسَنَّ جيشُه دارَ المُحارِب له ؛ يحرّضه بذلك . ويُرْوى "أرضَ المحارب" —

١٦٨
٩

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سيوفَهم * بهنّ فُلُولٌ (٥) من قِرَاع الكتائبِ

إذا استُنْزِلوا (٦) عنهنّ للطعن أَرْقَلوا * الى الموت إرقالَ الجمال المَصاعِبِ

(١) غير ذى مثنوية : حال من فاعل حلفت أى لم أستثن فيها . (٢) رواية ديوان النابغة وشروحه : «إلا حسن ظن» بتنكير الظن . (٣) جلق (بكسر الجيم وتشديد اللام مكسورة أو مفتوحة) : موضع بالشام، قيل : هو اسم مدينة دمشق نفسها، وقيل : اسم لكورة الغوطة كلها ، وقيل موضع بقرية من قرى دمشق . وصيداء : مدينة على ساحل بحر الشام شرقى صور بينهما ستة فراسخ . وحارب : موضع . (٤) الحارث الجفنى : هو الحارث بن أبى شمر الجفنى الغسانى .

(٥) فلول : ثلوم . والقراع : المجالدة ، يقال : قارعه مقارعة وقراعا . والكتيبة : الجيش أو القطعة منه . وهذا الضرب من الاستثناء يسميه أصحاب البديع تأكيد المدح بما يشبه الذم، ومثله :

فتى كملت أخلاقه غير أنه * جواد فما يبقى من المال باقيا

(٦) الضمير فى «عنهن» للخيل فى قوله :

* على عارفات للطعان عوابس *

وهو وارد فى الديوان قبل هذا البيت مباشرة .

صوت

لهم شِيمةٌ لم يُعْطِها اللهُ غيرَهم * من النّاسِ والأحلامُ غيرُ عَوَازب

على عارفاتٍ للطِّعانِ عَوَابِسٍ * بهنّ كلومٌ بين دامٍ وجالبِ

ولا عيبَ فيهم غير أنّ سيوفهم * بهن فلولٌ من قِراع الكتائب

٥ اذا استُنْزِلوا عنهنّ للطعن أَرْقَلوا * إلى الموت إرقالَ الجمال المصاعب

حَبَوْتُ بها غسّانَ إذ كنتُ لاحقًا * بقومى وإذْ أعيتْ علىّ مَذَاهبى

وجدت فى كتاب لهارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات فى البيتين والثالث والرابع لحنًا منسوبا الى مَعْبَد من خفيف الرمل بالوسطى . وأحسبه من لحن يحيى المكّىّ[1]. الشِّيمة: الطبيعة، وجمعها شِيَمٌ . غير عوازب أى لا تعزُب أحلامهم فتنفُذ ١٠ عنهم . وعارفات للطعان أى صابرات عليه قد عُوِّدت أن يُحَارَب عليها . وعوابس كوالح . وجالب أى عليه جُلْبة وهى قِشْرة تكون على الجرح ؛ يقال جَلَب الجرحُ يَجْلِب جلوباً وأجلب إجلابا . والإرقال: مشىٌ يُشبه الخَبَبَ سريعٌ . والمصاعب واحدها مُصْعَبٌ وهو الفحل الذى لم يَمْسَسْه الحبل وإنما يُقْتَنَى للفِحْلة، ويقال له قَرْمٌ ومُقْرَمٌ . وقوله "حبوت بها" يعنى بالقصيدة . وروى أبو عُبيدة "إذ كنت ١٥ لاحقًا بقومٍ" وقال: يعنى إذ كنت لاحقًا بغيركم أى بقوم آخرين ، فكنتم أحقّ بالمدح منهم .

قالوا: فنظر الى النعمان بن الحارث أخى عمرو وهو يومئذ غلامٌ فقال:

هذا غلامٌ حَسَنٌ وجهُه * مُقتبِلُ الخيرِ سريعُ التَّمام

للحارث الأكبرِ والحارثِ الْـ * ـأصغرِ والأَعْرَجِ خيرِ الأنام[2]

(١) كذا فى الأصول (؟) . (٢) كذا فى كتاب الشعر والشعراء وخزانة الأدب . ٢٠ وفى الأصول هنا وفيما يأتى: « والحارث خير الأنام » .

ثم لِهندٍ ولهندٍ فقد * أسرع فى الخيرات منه إمام[1]
خمسةُ آباءٍ وهُمْ ما هُمُ * هُمْ خيرُ من يشرب صوبَ الغمام[2]

غنّاه حُنَيْنٌ خفيفَ رملٍ بالبنصر عن حَبَش .

فضله الشعبى على الأخطل فى مواجهته فى مجلس عبد الملك

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا هارون بن عبد الله الزُّبَيرى قال حدّثنا شيخ يُكْنَى أبا داود عن الشعبى قال : ٥

دخلت على عبد الملك بن مَرْوانَ وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه . فقلتُ حين دخلتُ : عامرُ بن شَرَاحيل الشَّعْبى . فقال[3] : على علمٍ ما أذِنّا لك . فقلت فى نفسى : خذ واحدةً على وافد أهل العراق . فسأل عبد الملك الأخطلَ : مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين . فقلت لعبد الملك : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ فتبسّم وقال : هذا الأخطل . فقلت فى نفسى : خُذْها ثِنْتين على وافد أهل العراق ، فقلت : أشعرُ منك الذى يقول : ١٠

١٦٩ / ٩

هذا غلامٌ حسنٌ وجهه * مُسْتَقْبِلُ الخيرِ سريع التَّمامْ
للحارثِ الأكبرِ والحارث الْ * ـأصغرِ والأعرج خير الأنام
خمسةُ آباءٍ وهُمْ ما هُمُ * هم خير من يشرب ماء الغمام

— والشعر للنابغة — فقال الأخطل : إنّ أمير المؤمنين إنما سألنى عن أشعر أهل زمانه ، ولو سألنى عن أشعر أهل الجاهلية لكنتُ حَرِيًّا أن أقول كما قلتَ أو شبيهًا به . فقلت فى نفسى : خذها ثلاثًا على وافد أهل العراق . (يعنى أنه أخطأ ثلاث مرات) . ونسخت هذا الخبر من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز ولم أسمعه من ١٥

---

(١) فى كتاب الشعر والشعراء وخزانة الأدب :

... ... وقد * ينجع فى الروضات ماء الغمام ٢٠

(٢) فى هذين المصدرين : « يشرب صفو المدام » . (٣) أى الأخطل .

أحد، ووجدته أتمّ مما رأيتُ فى كل موضع، فأتيتُ به فى هذا الموضع و إن لم يكن من خاصّ خبر النابغة لأنه أليقُ به . قال أحمد بن الحارث الخرّاز حدّثنى المدائنىّ عن عبد الملك بن مسلم قال :

كتب عبدُ الملك الى الحجّاج : إنه ليس شىءٌ من لَذّة الدنيا إلّا وقد أصبتُ منه، ولم يكن عندى شىء أَلَذُّه إلا مناقلة الإخوان للحديث . وقِبَلَك عامرُ الشَّعْبىّ، فٱبعَثْ به إلىّ يحدّثُنى . فدعا الحجّاجُ الشعبىَّ فجهّزه و بعث به إليه وقرّظه وأطراه فى كتابه . فخرج الشعبىّ، حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب: استأذِنْ لى . قال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا عامر الشعبىّ . قال : حيّاك الله ! ثم نَهض فأجلسنى على كرسيّه . فلم يلبث أن خرج إلىّ فقال : ادخُلْ يرحمُك الله . فدخلت، فإذا عبد الملك جالس على كرسىّ و بين يديه رجل أبيض الرأس واللّحية على كرسىّ، فسلّمتُ فردّ علىّ السلام، ثم أومأ إلىّ بقضيبه فقعدتُ عن يساره، ثم أقبل على الذى بين يديه فقال : وَيْحَك ! مَن أشعرُ الناس؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين . قال الشعبىّ : فأظلم علىّ ما بينى و بين عبد الملك، فلم أصبِر أن قلتُ : ومَنْ هذا يا أمير المؤمنين الذى يزعم أنه أشعر الناس؟ ! — قال : فعجِب عبد الملك من عَجَلتى قبل أن يسألنى عن حالى — قال : هذا الأخطل . فقلت : يا أخطل ! أشعرُ واللهِ منك الذى يقول :

هذا غلامٌ حسنٌ وجهُهُ * مستقبِلُ الخير سريع التَّمامْ

للحارثِ الأكبرِ والحارثِ ال * ـأصغر والأعرج خيرِ الأنام

ثم لهندٍ ولهندٍ فقد * أسرع فى الخيرات منه إمام

خمسة آباءٍ وهُمْ ما هُمُ * هُمْ خيرُ من يشرب صوبَ الغَمام

فردّدتها حتى حفظها عبد الملك . فقال الأخطل : مَنْ هـذا يا أمير المؤمنين؟ قال : هذا الشعبىّ . قال فقال : صدَق واللهِ يا أمير المؤمنين ، النابغةُ واللهِ أشعرُ منّى . فقال الشعبىّ : ثم أَقبل علىّ فقال : كيف أنت ياشعبىّ؟ قلت : بخير يا أمير المؤمنين فلا زلتَ به . ثم ذهبتُ لأضَعَ مَعَاذِيرِى لما كان من [١] خِلافِى على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأَشْعث ؛ فقال : مَهْ [٢] ! إنّا لا نحتاج إلى هـذا المنطق ولا تراه منّا فى قول ولا فعل حتى تُفارِقَنا . ثم أقبل علىّ فقال : ما تقول فى النابغة؟ قال قلت : يا أمير المؤمنين ، قد فضّله عمرُ بن الخَطّاب فى غير موطن على الشعراء أجمعين ، وببابه وفدُ غَطَفَانَ فقال : يا معشر غطفان ، أىُّ شعرائكم الذى يقول :

حَلَفتُ فلم أترك لنفسك رِيبةً * وليس وراء الله للمرء مَذْهَبُ
لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عنّى خِيانةً * لَمبْلِغُكَ الواشى أغَشُّ وأكْذَبُ
ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخًا لا تَلُمُّه * على شَعَثٍ أىُّ الرجالِ المهذَّب

قالوا : النابغةُ يا أمير المؤمنين . قال : فأيُّكم الذى يقول :

فإنكَ كالليل الذى هو مُدْرِكى * وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسعُ
خَطَاطِيفُ حُجْنٌ فى حبالٍ متينةٍ * تُمَدّ بها أيدٍ إليك نوازع

قالوا : النابغةُ . قال : فأيُّكم الذى يقول :

الى ٱبن مُحَرِّقٍ أعملتُ نفسى * وراحلتى وقد هَدَتِ [٣] العيونُ
أتيتك عاريًا خَلَقًا ثيابى * على خوفٍ تُظَنُّ بِىَ الظُّنونُ
فألفيتُ الأمانةَ لم تَخُنْها * كذلك كان نُوحٌ لا يخون

(١) كذا فى أمالى السيد المرتضى (ج ٣ ص ١٠٢ الطبعة الأولى بمطبعة السعادة بالقاهرة) . وفى الأصول : « ... خلافى عن الحجاج » . (٢) مه : اسم فعل بمعنى اكفف .
(٣) أصله « هدأت » بالهمز ، فسهلت الهمزة ثم حذفت لالتقاء الساكنين .

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : هـذا أشعر شعرائكم . قال : ثم أقبل على الأخطلِ فقال : أتُحِبّ أنّ لك قِيَاضًا(١) بشعرك شعرَ أحدٍ من العرب أو تحبّ(٢) أنك قلته ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، إلّا أنى وَدِدْتُ أنْ كنتُ قلتُ أبياتًا قالها رجل منّا ، كان والله ما علمتُ مُغْدِفَ(٣) القِناع قليل السَّماع قصيرَ الذِّراع . قال : وما قال ؟ فأنشد قصيدته :

إنّا مُحَيُّوكَ فاسْلَمْ أيُّها الطَّلَلُ * وإنْ بَلِيتَ وإن طالت بكَ الطِّيَلُ(٤)

ليس الجديدُ به تبقَى بَشَاشتُه(٥) * إلا قليلًا ولا ذو خُلَّةٍ يصِلُ

والعيشُ لا عيشَ إلّا ما تَقَرُّ به * عينٌ ولا حالَ إلّا سوف تنتقل

إن تَرْجِعى من أبى عثمانَ مُنْجِحةً(٦) * فقد يَهُون على المُسْتَنْجِح العمل

والناسُ مَنْ يَلْقَ خيرًا قائلون له * ما يشتهى ولِأُمِّ المخطئ الهَبَلُ

قد يُدْرِكُ المُتَأنِّى بعضَ حاجتِه * وقد يكون مع المستعجِلِ الزلل

حتى أتى على آخرها . قال الشعبىّ : فقلت : قد قال القَطَامىّ أفضلَ من هذا . قال : وما قال ؟ قلت قال :

طَرَقتْ جَنُوبُ رِحالَنا من مَطْرَقِ * ما كنت أحسَبها قريبَ المُعْنَقِ(٧)

(١) كذا فى جـ وأمالى السيد المرتضى . وفى سائر الأصول : « نياطا » وهو تحريف .
(٢) كذا فى أمالى السيد المرتضى . وفى الأصول : « أم تحب » .
(٣) كذا فى أمالى السيد المرتضى . وقد وردت هـذه الكلمة فى الأصول محـرفة ؛ ففى بعضها : « مفـرق القناع » ، وفى بعضها : « مغرف القناع » . وإغداف القناع : ارساله على الوجه .
(٤) الطلل : ما شخص من آثار الديار . والطيل : جمع طيلة وهى الدهر . (٥) الضمير فى « به » للدهر فى بيت قبل هذا البيت وهو :

كانت منازل منا قد نحل بها * حتى تغـير دهر خائن خبل

(٦) الخطاب لناقته . ومنجحة : ظافرة . والمستنجح : طالب النجاح .
(٧) فى الأصول : « قريب المعتق » . والتصويب من ديوان القطامى وأمالى السيد المرتضى ولسان العرب . والمعنق : المكان الذى أعنقت منه . يقول : لم أظن أنها تقدر على أن تعنق وتسرع من هذا المكان . والعنق : ضرب من السير سريع ؛ يقال عانق وأعنق إذا أسرع .

قطَعتْ اليك بمثل جِيد جَدايةٍ[١] * حَسَنٍ مُعَلَّقُ تُومَتيه مُطوَّقِ

ومُصرَّعين من الكَلال كأنما * شَرِبوا الغَبُوقَ[٢] من الرّحيق المُعْرَقِ

متوسِّدين ذراعَ كلِّ نجيبةٍ * ومُفرَّجٍ عُرَقِ المَقذِّ مُنوَّقِ[٣]

وجَثَتْ على رُكَبٍ تَهُدّ بها الصَّفَا * وعلى كَلاكِلَ كالنَّقيلِ المُطْرَقِ[٤]

وإذا سمعْنَ الى هَماهِمِ رُفْقةٍ[٥] * ومن النجوم غوابِرٌ[٦] لم تَخْفِقِ

جعلتْ تُميلُ خدودَها آذانُها * طَرَبًا بهنّ الى حُداء السُّوَّقِ

كالمُنْصِتاتِ الى الغِناء سمعْنَه * من رائعٍ لقلوبهن مُشوِّقِ

وإذا نظرنَ الى الطريق رأينه * لَهِقًا[٧] كشاكلة الحصان الأبلقِ

وإذا تخلّف بعدهنّ لحاجةٍ * حادٍ يُشَسِّعُ نَعْلَه[٨] لم يَلْحَقِ

(١) الجداية (بالفتح ويكسر) : الغزال . والتومة (بالضم) : اللؤلؤة ، والقرط فيه حبة كبيرة . (٢) فى الأصول : "سمرو الغبوق من الرحيق المغبق" . والتصويب من الديوان ولسان العرب (مادة عرق) . وفيهما «الطلاء» بدل الرحيق . والكلال : الإعياء والتعب . والغبوق : ما يشرب بالعشى ، وهو أيضا الشرب بالعشى . والرحيق : من أسماء الخمر . والمعرق : القليل الماء ؛ يقال : أعرقت الكأس وعرّقتها (بتشديد الراء) إذا أقللت ماءها . (٣) فى لسان العرب (مادة فرج) : «زمام كل نجيبة» . والنجيبة من الإبل : الكريمة . والمفرج : مابان مرفقه عن إبطه ، وهى صفة ممدوحة فى الابل . والمقذ : ما خلف الأذن . وعرق (بضم ففتح) : كثير العرق . وبعير منوّق : مذلل كأنه ناقة ، أو هو الذى قد اختير وتنوّق فيه . (٤) جثا يجثو وجثى يجثى جثوا وجثيا (على فعول فيهما) : جلس على ركبتيه . والصفا : جمع صفاة وهى الحجر الصلد الضخم . والكلاكل : الصدور ، واحدها كلكل . والنقيل : رقاع النعل والخف ، واحدتها نقيلة . والمطرق : الذى وضع بعضه فوق بعض ، أى هى شديدة كأنها نعال مرقعة . (٥) رواية الديوان : «فاذا سمعن هماهما من رفقة» . والهماهم : جمع همهمة وهى الكلام الخفى أو ترديد الصوت فى الصدر . (٦) كذا فى الديوان . وغوابر : بواق . تخفق : تغيب . وفى الأصول : «غوائر لم تلحق» . (٧) كذا فى جـ والديوان . وفى سائر الأصول : «كهفا» وهو تحريف . واللهق (بكسر الهاء وفتحها) : الشديد البياض . والشاكلة : الخاصرة . والأبلق من الخيل : الذى ارتفع تحجيله الى فخذيه . (٨) شسع نعله (بالتشديد) : جعل لها شسعا . ومثله شسع (بالتخفيف) وأشسع . والشسع (بالكسر) : أحد سيور النعل ، وهو الذى يدخل بين الأصبعين ويدخل طرفه فى الثقب الذى فى صدر النعل .

و إذا يصيبك والحوادثُ جَمّةٌ * حَدَثٌ حَداك إلى أخيكَ الأوثق

١٧١/٩ لئن الهمومُ عن الفؤاد تفرقتْ(١) * وخَلا التَّكلُّمُ للّسان المُطْلَق

قال : فقال عبد الملك : هـذا والله أشعر، ثَكِلَتِ القَطَامىَّ أمُّه ! . قال : فالتفت إلىّ الأخطل فقال : يا شعبىّ، إن لك فنوناً فى الأحاديث ، و إنما لنا فنٌّ واحد؛ ٥ فإن رأيت ألّا تحملنى على أكتاف قومك فأدَعَهم حَرَضًا(٢) ! . فقلت : لا أعرِض لك فى شىء من الشعر أبدًا، فأقِلْنى فى هـذه المرّة . قال : مَنْ يتكفّل بك ؟ قلت : أمير المؤمنين . فقال عبد الملك : هو علىّ ألّا يعرِض لك أبدا، ثم قال : يا شعبىّ، أىُّ نساء الجاهليّة أشعر؟ قلت : خَنْساء . قال : ولِمَ فضّلتَها على غيرها؟ قلت : لقولها :

وقائلةٍ والنَّعْشُ(٣) قدفات خَطْوَها * لِتُدْرِكه يالهَفَ نفسى على صَخْرِ

١٠ ألَا ثَكِلتْ أمُّ الذين غَـدَوْا به * إلى القبر! ماذا يحملون إلى القبر

فقال عبد الملك : أشعرُ منها والله التى(٤) تقول :

مُهَفْهَفُ الكَشْحِ(٥) والسربالِ منخرقٌ * عنـه القميصُ لسير الليـل محتقرُ

---

(١) كذا فى الديوان . وفيه « تفرجت » بدل « تفرقت » . وجواب القسم فى البيت الذى بعده وهو :

لأعلقن على المطى قصائدا * أذر الرواة بها طويلى المنطق

١٥ وفى الأصول : « ليت الهموم ... » . (٢) الحرض (بالتحريك) الردىء من الناس . يريد : أجعلهم بهجائى من أراذل الناس . والحرض يوصف به المفرد مذكرا ومؤنثا والمثنى والجمع بلفظ واحد لأنه مصدر . و يقال رجل حرض (بكسر الراء) وحارض ؛ وهذان الوصفان يؤنثان و يثنيان ويجمعان .

(٣) فى الأصول : «والناس» . والتصويب من أمالى السيد المرتضى (ج ٣ ص ١٠٥) .

(٤) هى ليلى أخت المنتشر بن وهب الباهلى — وقيل الدعجاء أخته — ترثيـه بقصيدة منها هذان ٢٠ البيتان . والذى فى الكامل للمبرد أن هذين البيتين من قصيدة لأعشى باهلة يرثى بها المنتشر هذا .

(٥) مهفهف الكشح : ضامره . وهفهفة السربال : رقتـه وخفته . ومنخرق عنه القميص أى "لا يبالى كيف كانت ثيابه لأنه لا يزين نفسه ، انمـا يزين حسبه و يصون كرمه . وقيل معناه أنه غليظ المناكب ، و إذا كان كذلك أسرع الخرق إلى قميصه . وقيل : أرادت أنه كثير الغزوات متصل الأسفار؛ فقميصه منخرق لذلك" . بهذا شرح أبو زكريا التبريزى قول ليلى الأخيلية فى ديوان الحماسة :

٢٥ ومخرق عنـه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما

لا يأمنُ الناسُ مُمْساه ومُصْبَحَهُ * فى كلّ فَجٍّ وإن لم يَغْزُ يُنْتَظَرُ[1]

ثم قال : يا شعبىّ، لعلّك شَقَّ عليك ما سمعتَ . قلت : إى والله يا أمير المؤمنين أشدَّ المشقّة . إنى أُحدّثك منذ شهرين لم أُفِدْك[2] إلا أبياتَ النابغة فى الغلام . قال : يا شعبىّ، إنما أعلمتك هذا لأنه بلغنى أنّ أهل العراق يتطاولون على أهل الشام، يقولون : إنْ كانوا غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية؛ وأهلُ الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق؛ ثم ردّ علىّ الأبياتَ أبياتَ لَيْلَى[3] حتى حفِظتها، ولم أزل عنده، فكنتُ أوّلَ داخل وآخرَ خارج . قال : فمكثتُ كذلك سنين[4]، وجعلنى فى ألفين من العطاء وعشرين رجلا من ولدى وأهل بيتى فى ألفين ألفين؛ فبعثنى الى أخيه عبد العزيز بن مَرْوان بمصر وكتب اليه : يا أخى، إنى قد بعثت اليك الشعبىّ، فآنظر هل رأيتَ مثلَه قطُّ؟! ثم أذِن لى فآنصرفت .

حديث حسان عنه حين وفد على النعمان

أخبرنى الحسين بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المَدائنىّ، وأخبرنى ببعضه أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنى عمر بن شَبّة عن أبى بكر الهُذَلىّ قال :

(١) رواية الكامل للشطر الأوّل من البيت الأوّل :

* مهفهف أهضم الكشحين منخرق *

وللشطر الثانى من البيت الثانى :

* من كل أوب و إن لم يأت ينتظر *

(٢) كذا فى جـ، وأمالى السيد المرتضى . و« لم أفدك » جملة حالية . وفى ا ، م : « إلا أفدك إلا ... » وفى ب، س : « إنى إن أحدثك » بزيادة « إن » قبل « أحدثك » .

(٣) تراجع الحاشية رقم ٤ من ص ٢٥ من هذا الجزء .

(٤) فى جـ : « سنتين » .

قال حسّان بن ثابت : قَدِمت على النُّعْمان بن المُنْذِر وقد ٱمتدحتُه ، فأتيت حاجبه عِصَامَ بن شَهْبَرٍ فجلستُ اليه ؛ فقال : إنى لأَرَى عربيًّا ، أفمن الحجاز أنت ؟ قلتُ نعم . قال : فكُنْ قَحْطانيًا . فقلت : فأنا قحطانىّ . قال : فكن يَثْرِبيًّا . قلتُ : فأنا يثربىّ . قال : فكن خَزْرَجيًّا . قلت : فأنا خزرجىّ . قال : فكن
٥ حَسّان بن ثابت . قلت : فأنا هو . قال : أجئتَ بِمِدْحة الملك؟ قلت نعم . قال : فإنى أُرشدك : إذا دخلتَ إليه فإنه يسألك عن جَبَلَةَ بن الأَيْهَم ويسُبّه ، فإيّاك أن تساعده على ذلك ، ولكن أَمِرَّ ذكره إمرارًا لا تُوافق فيه ولا تُخالف ، وقل : ما دخول مثلى أيُّها الملك بينك و بين جبلة وهو منك وأنت منه ! . و إن دعاك إلى الطعام فلا تُؤاكلْه ؛ فإن أقسم عليك فأَصِبْ منه اليسيرَ إصابةَ بارٍّ قَسَمَه مُتَشَرِّفٍ
١٠ بمؤاكلته لا أَكْلَ جائعٍ سَغِبٍ ، ولا تُطِل محادثته ، ولا تبدأْه بإخبار عن شىء حتى يكون هو السائلَ لك ، ولا تُطِل الإقامةَ فى مجلسه . فقلت : أحسنَ اللهُ رِفْدَك ! قد أوصيتَ واعيًا . ودخل ثم خرج إلىّ فقال لى : ادْخُلْ . فدخلتُ فسلّمت وحيّيت تحيّة الملوك . فجارانى من أمر جَبَلة ما قاله عِصَامٌ كأنه كان حاضرا ، وأجبتُ بما أمرنى ، ثم ٱستأذنتُه فى الإنشاد فأذن لى فأنشدته . ثم دعا بالطعام ،
١٥ ففعلتُ ما أمرنى عِصَامٌ به ، و بالشراب ففعلتُ مثلَ ذلك . فأمر لى بجائزة سنية وخرجت . فقال لى عصام : بَقِيتْ علىّ واحدةٌ لم أُوصك بها ؛ قد بلغنى أنّ النابغة الذُّبْيانىّ قدِم عليه[1] ، و إذا قدم فليس لأحد منه حظٌّ سواه ؛ فٱستأذِنْ حينئذ وٱنْصرِفْ مُكَرَّمًا خير من أن تنصرف مجفوًّا ؛ فأقمتُ ببابه شهرا . ثم قدم عليه الفَزَاريّان وكان بينهما و بين النعمان دُخْلُلٌ (أى خاصّة) وكان معهما النابغة قد استجارهما

٢٠ (١) لعله « قادم عليه » .

١٧٢ / ٩

وسألها مسألة النعمان أن يرضَى عنه . فضرب عليهما قُبّة من أدَمٍ، ولم يشعر بأنّ النابغة معهما . ودسّ النابغةُ قَيْنةً تغنّيه بشعره :

* يادارميّةَ بالعَلْياء فالسَّنَدِ *

فلمّا سمع الشعرَ قال : أُقسم بالله إنه لشعر النابغةِ ! وسأل عنه فأُخْبِر أنه مع الفَزَارِيَّيْن ، فكلّماه فيه فأمّنه . ٥

وقال أبو زيد عمر بن شَبَّة فى خبره : لمّا صار معهما إلى النعمان كان يُرسل إليهما بطِيبٍ وأَلْطاف مع قَيْنة من إمائه، فكانا يأمُرانها أن تبدأ بالنابغة قبلهما . فذكرتْ ذلك للنُّعمان، فعلم أنه النابغة . ثم ألق عليها شعرَه هذا وسألها أن تغنّيه به إذا أخذتْ فيه الخمرُ، ففعلتْ فأطربته، فقال: هذا شعرُ عُلْوِيٍّ[1]، هذا شعر النابغة !. قال : ثم خرج فى غِبِّ سماء، فعارضه الفَزَاريّان والنابغةُ بينهما قد خُضِب بحِنّاء فقَنَأَ[2] خِضَابُه . فلما رآه النُّعْمان قال : هى بدَمٍ كانت أحرَى أن تُخْضَب . فقال الفَزَاريّانِ : أبيتَ اللَّعْنَ ! لا تثريبَ[3]، قد أجَرْناه ، والعفوُ أجمل . فأمّنه وآستنشده أشعارَه . فعند ذلك قال حَسّان بن ثابت : فحسَدته على ثلاث لا أدرى على أيّتهن كنتُ له أشَدَّ حسدًا : على إدناء النُّعْمان له بعد المباعدة ومسامرته[4] له و إصغائه إليه ، أم على جَوْدة شعره، أم على مائة بعيرٍ من عَصَافيره[5] أمَر له بها . ١٠ ١٥

قال أبو عُبَيْدة: قيل لأبى عمرو : أفمِنْ مخافته امتدحه وأتاه بعد هَرَبه منه أم لغير ذلك ؟ فقال : لا لعمرُ الله ما لمَخافته فعل ، إنْ كان لآمِناً من أن يوجِّه النعمانُ له

(١) علوى (بالضم) : نسبة الى العالية على غير القياس، وهى ما فوق نجد الى أرض تهامة الى ما وراء مكة وقرى بظاهر المدينة . (٢) فى الأصول : «فأقنأ» . والتصويب من كتب اللغة . وقنوء الخضاب : اشتداد حمرته . (٣) التثريب : اللوم والتعيير بالذنب والتذكير به . (٤) فى ج : «ومسايرته له» . (٥) العصافير : إبل نجائب كانت للملوك . ٢٠

جيشا ، وما كانت عشيرته لِتُسلمه لأوّل وَهْلة ، ولكنه رغب فى عطاياه وعصافيره . وكان النابغةُ يأكل ويشرب فى آنية الفضّة والذهب من عطايا النعمان وأبيه وجدّه، لا يستعمل غيرَ ذلك . وقيل : إنّ السبب فى رجوعه إلى النُّعمان بعد هَرَبه منه أنه بلغه أنه عليلٌ لا يُرْجَى ، فأقلقه ذلك ولم يملك الصبرَ على البعد عنه مع علّته وما خافه عليه وأشفق من حدوثه به ، فصار إليه وألفاه محمولًا(١) على سريره يُنْقَل ما بين الغَمْر وقصور الحِيرة . فقال لِعصَام بن شَهْبَرٍ حاجبه — فيما أخبرَنا به اليزيدىّ عن عمّه عُبَيد الله وابن حبيب عن ابن الأعرابىّ عن المُفَضَّل — :

رجوعه الى النعمان حين بلغه أنه عليل وشعره فى عصام

٥

صوت

ألم أُقْسِمْ عليكَ لَتُخْبِرَنِّى * أمحمولٌ على النَّعْشِ الهُمَامُ

١٠ فإنّى لا ألومُك فى دخولى * ولكن ما وراءَكَ يا عِصَامُ

فإنْ يَهْلِكْ أبو قابُوسَ(٢) يَهْلِكْ * ربيعُ النّاسِ والشهرُ الحرامُ

ونُمْسِكْ(٣) بعده بذِنَابِ عيشٍ * أجَبِّ الظهر ليس له سَنَامُ

غنّاه حُنَيْنٌ ثقيلًا أوّلَ بالبنصر عن حَبَش .

١٧٣ / ٩

قال أبو عُبَيْدة : كانت ملوك العرب إذا مرِض أحدهم حملته الرجالُ على أكتافها يتعاقبونه ، فيكون كذلك على أكتاف الرجال ؛ لأنه عندهم أوطأ من الأرض .

١٥

(١) فى الأصول : «محموما على سريره» وهو تحريف .

(٢) أبو قابوس : كنية النعمان بن المنذر . (٣) نمسك معطوف على جواب الشرط فى البيت الذى قبله ، فيجوز فيه الجزم بالعطف ، والنصب بأن مقدرة ، والرفع على الاستئناف . ويروى : « ونأخذ بعده » . وذناب كل شىء (بكسر أوّله) : عقبه ومؤخره . وأجب الظهر : مقطوع السنام ، كأن سنامه قد جب أى قطع من أصله ؛ يقال : بعير أجب ، وناقة جباء . يقول : ونمسك بعده بطرف عيش قليل الخير بمنزلة البعير المهزول الذى ذهب سنامه وانقطع لشدة هزاله . والأحسن فى « الظهر » الجر بالاضافة ، ويجوز فى مثله الرفع على قبح ، والنصب على ضعف . قال ابن مالك فى الكافية :

٢٠

والرفع والنصب حكوا والجرا * فى قول من قال أجب الظهرا

وقـــوله :

* فإنى لا ألومُك فى دخولى *

أى لا ألومك فى ترك الإذن لى فى الدخول ، ولكن أَخْبِرْنى بكُنْه أمره . وقوله :

* ربيع الناس والشهر الحرامُ *

٥ يريد أنه كالربيع فى الخِصْب لمُجْتَدِيه ،وكالشهر الحرام لجاره ،لايُوصَل إلى من أجاره كما لا يُوصَل فى الشهر الحرام إلى أحد .

صـــــوت

مما يغنى فيـه من شـعره

رأيتُـك تَرْعَانى(١) بعينٍ بصيرةٍ * وتبعث حُرَّاسًـا علىّ وناظرا(٢)

فآليتُ(٣) لا آتيك إن كنتُ مُجْرِمًا * ولا أبتغى جارًا سواك مجاورا

١٠ وأهلى فداءٌ لامرئ إن أتيتَه(٤) * تقبّل معروفى(٥) وسدَّ المَفَاقِـرا(٦)

ألَا أبْلِـغ النُّعمانَ حيث لَقِيتَه * وأهدَى له اللهُ الغيوثَ البواكرا

غنّاه خُلَيْدُ(٧) الوادى رملًا بالبنصر من رواية حَبَشٍ .

---

(١) ترعانى : تحرسنى وتحفظنى . (٢) فى شرح لديوانه (طبع المطبعة الوهبيـة بمصر سنة ١٢٩٣ هـ) : «وناصرا» . (٣) آليت : أقسمت . ومجرما : مذنبا ؛ يقال : جرم ١٥ فهو جارم ، وأجرم فهو مجرم . يقول : أقسمت لا آتيك حتى أعتبك وأرضيك . ويروى «محرما» بالحاء المهملة . أى لا آتيك ومعى حرمة من أحد . وقيـل : معنى «محـرم» داخل فى الشهر الحرام ، ومن دخل فى الشهر الحرام أمن . أى لا آتيك فى الشهر الحرام من خوفك ولكنى آتيك فى شهور الحل وأنا آمن بأمانك . (٤) فى بعض نسخ الديوان : «إذ أتيته» . قال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسى : رواية الطوسى « إذ أتيته » وفسره فقـال : « إذ لما مضى ، وهو الآن غائب عنه ؛ فأخبر ٢٠ باتيانه إياه فيما مضى و إحسانه إليه» . (٥) يريد بمعروفه الذى تقبله ثناءه عليه ومدحه إياه .
(٦) يقال : سدّ الله مفاقره أى أغناه وسد وجوه فقره ، لا واحد له من لفظه ؛ وقيل : هو جمع فقر على غير قياس ، كحسن ومحاسن .
(٧) هو خليد بن عتيك أحد المغنين بوادى القرى . (راجع ص ٢٨٠ س ١٢ ج ٦ من هذه الطبعة) .

ومما يُغَنّى فيه من قصائد النابغة التى يعتذر فيها إلى النعمان :

صـــــوت

يادارَ مَيّـــةَ بالعَلْياء فالسَّـــنَدِ * أقْوَتْ وطال عليها سالفُ الأَمَدِ

وقفتُ فيهـا أُصَـيلاناً أُسائلهـا * أعْيَتْ جواباً وما بالرَّبْعِ من أحدِ

٥ إلّا الأوارِىّ لَأْيًا ما أُبَيِّنُهـا * والنُّؤْىُ كالحَوْض بالمظلومة الجَلَدِ

ردّتْ عليـه أقاصـيه ولبّـده * ضَرْبُ الوليدةِ بالمِسْحاةِ فى الثَّأَدِ (١)

خَلَّتْ سبيـلَ أَتِيٍّ كان يحبِسـه * ورفّعته إلى السِّجْفين فالنَّضَـدِ

أضحتْ خَلاءً وأضحى أهلُها احْتَمَلوا * أخْنَى عليها الذى أَخْنَى على لُبَدِ

الغناء لمَعْبَد ثقيلٌ أوّل بالسّبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لجَميلة ثانى

١٠ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو وحَبَش .

قال الأصمعىّ : قوله "يا دار ميّة" يريد ياأهلَ دارِ ميّة ، كما قال امرؤ القيس :

* ألاعِمْ صَباحًا أيُّها الطَّلَلُ البالى *

يريد أهـلَ الطلل . وقال الفرّاء . إنمـا نادى الدار لا أهلَها أسفًا عليهـا وتشوّقا

إلى أهلها وتَمَنِّيَه أن تكون أهلا . والعلياء : المكان المرتفع بناؤه ؛ يقال من ذلك عَلَا

١٥ يَعْلُو وعَلِىَ يعلَى ، مثل حَلَا يحْلُو وحَلِىَ يحْلَى ، وسَلَا يَسْلُو وسَلِىَ يَسْلَى . والسَّنَد : سَنَد

الجبل وهو ارتفاعه حيث يُسْنَد فيه أى يُصْعَد . أقْوَتْ : أقفرتْ وخَلَتْ من أهلها .

وقال أبو عُبَيْدة فى قوله يادار ميّـة ثم قال أقْوَتْ ولم يقل أقْوَيْتِ : إنّ من شأن

العرب أن يخاطبوا الشىء ثم يتركوه ويكُفُّوا عنه . وروى الأصمعىّ "أُصَيْلانًا" (٢) وهو

(١) الكلام على حذف مضاف أى فى موضع الثأد ، وموضع الثأد التراب الندى المبلول ، وهو إذا

٢٠ ضرب بالمسحاة التصق بعضه ببعض وانخفض . (٢) ويروى « أصيلالا » بابدال النون لاما .

ويروى « أصيلا كى أسائلها » . ويروى « طويلا كى أسائلها » .

تصغير أُصْلَان[١] . ويُروى "عيَّتْ جوابًا"[٢] أى عَيِيَتْ بالجواب . والأَوَارِىّ[٣] : جمع آرِىّ .
ولأْيًا : بُطْئًا . والمظلومة : التى لم يكن فيها أثرٌ لحفر أهلها فيها حوضا ؛ وظُلْمُهم
إيّاها إحداثُهم فيها ما لم يكن فيها . شبّه النُّؤْىَ بذلك الحوض لاستدارته . والجَلَد :
الأرض الصُّلْبَة الغليظة من غير حجارة . وإنما جعلها جَلَدًا لأنّ الحفر فيها لا يسهُل .
وقوله "رَدّتْ عليه أقاصِيه"[٤] يعنى أَمَةً فعلتْ ذلك ، أضمرها ولم يكن جرى لها ذكر . ٥
وأقاصيه : يعنى أقاصى النُّؤْىِ على أدناه ليرتفع . ولَبّده : طَأْمَنه[٥] . والوليدة : الأَمَةُ
الشابّة . والثَّأد : النَّدى . والسبيل : الطريق . والأَتِىّ : النهر المحفور ، والأَتِىّ :
السيل من حيث كان . يقول : لمّا أُفسدتْ طريقُ الأَتِىِّ سهّلت له طريقًا حتى ١٧٤/٩
جرى . ورفّعته أى قدّمت الحفر إلى موضع السِّجْفين ، وليس رَفَّعَتْه هاهنا من
ارتفاع العُلُوّ[٦] . والسِّجْفان : سِتْران رقيقان يكونان فى مُقَدَّم البيت . والنَّضَد : ١٠

---

(١) أصلان : قيل : إنه جمع أصيل وهو العشى ، كرغيف ورغفان . ورد هذا القول بأنه لو كان جمع كثرة لما صح تصغيره ؛ إذ يدل بصيغته على التكثير وبتصغيره على التقليل ؛ فيكون المرء مكثرا مقللا ، وهذا لا يكون ، وأن الصحيح أنه مفرد بنى من الأصيل على وزن الغفران والتكلان .

(٢) هذه هى الرواية الصحيحة ؛ يقال : عىّ بالجواب (بالإدغام) وعيى بالجواب (بالتصحيح) . وأما أعيا ففى المشى ؛ يقال : أعيا الرجل فى المشى فهو معى . وفى لسان العرب فى الكلام على هذا البيت : ١٥ «ولا ينشد أعيت جوابا» .

(٣) الآرىّ : الآخية التى تشدّ بها الدابة .

(٤) ويروى : «ردت» بضم الراء بالبناء للفعول . وتنتفى على هذه الرواية ضرورة تسكين الياء فى «أقاصيه» ، وضرورة إضمار الفاعل من غير أن يجرى له ذكر .

(٥) طأمنه : خفضه وسكنه .

(٦) قال البطليوسى فى شرحه لديوانه : «معنى البيت أن الأمة لما خافت من السيل على بيتها خلت سبيل الماء فى الأتىّ بتنقيتها له من التراب كأنه كان ٢٠ انكبس فكنسته ومحت ما فيه من مدر وغير ذلك مما كان يحبس الماء فيه حتى بلغت بحفرها الى موضع السجفين ... والهاء فى رفعته تعود على النؤى أى قدمت النؤى حتى بلغت الى سجفى البيت لتقى السجفين ومتاع البيت من السيل» .

ما نُضِد من المَتَاع . وأخْنَى : أفْسد[(١)] . ولُبَد : آخر نسور لُقْمان التى اختار أن يُعمَّر مثلَ أعمارها، وله حديث ليس هذا موضعه .

صـــوت

أسْرَتْ[(٢)] عليه من الجَوْزاءِ سارِيَةٌ * تُزْجِى الشَّمالُ عليه جامدَ البَرَدِ[(٣)]

فٱرتاعَ من صَوْتِ كَلَّابٍ فباتَ له * طَوْعُ الشَّوامِتِ من خَوْفٍ ومن صَرَدِ

فبَثَّهُنَّ[(٤)] عليه وٱستمرّ به * صُمْعُ الكُعوبِ بَرِيَّاتٌ من الحَرَدِ

وكان ضُمْرانُ[(٥)] منه حيثُ يُوزِعُهُ * طَعْنَ المُعَارِكِ عند المُحْجَرِ النَّجُدِ

شَكَّ الفَرِيصةَ بالمِدْرَى فأَنْفَذَها * طَعْنَ المُبَيْطِرِ إذ يَشْفِى من العَضَدِ

غنّى فيه إبراهيم الموصلى هَزَجًا بالبنصر من رواية عمرو بن بانةَ . وفيه لحن لمالك .

يعنى أنّ سحابةً مرّتْ عليه ليلًا وأن أنواء الجَوْزاء أَسْرَتْ عليه بها . وتُزْجِى : تسوق وتَدْفَع . عَلَيْهِ أى على الثور[(٦)] . والكَلّاب : صاحب الكِلَاب . وقوله "بات له طَوْعُ

---

(١) قال التبريزى فى شرح المعلقات : « أخنى : فيه قولان ، أحدهما أن المعنى : أتى عليها . والقول الآخر، وهو الجيد، أن المعنى أفسد؛ لأن الخنا الفساد والنقصان » .

(٢) هذه رواية الأصمعى؛ ويروى أيضا : «سرت» بدون ألف وهى المناسبة لقوله «سارية» . ويرى الأصمعى أنه جاء باللغتين .   (٣) البرد (بالتحريك) : حب الغمام .

(٤) بثهن : فرقهن . وفاعل «استمر» «صمع الكعوب» أى مضت به كعوبه الصمع . يريد أنه جدّ وأسرع .   (٥) ضمران : اسم كلب؛ وكان الرياشى يرويه بالفتح عن الأصمعى . ويوزعه : يغريه . أى كان الكلب من الثور بالمكان الذى يغريه الكلاب؛ كما تقول للرجل : أنا حيث تحب . ونصب طعن بمحذوف أى طعنه طعن المعارك . والمعارك : المقاتل . يريد أنه لما دنا الكلب من الثور طعنه الثور فنشب فى قرنه . وإذًا ففى الكلام إيجاز بالحذف .   (٦) الثور المذكور فى قوله : «كأن رحلى ... الخ» البيتين الآتيين، وهما مذكوران فى الديوان قبل هذا البيت .

الشوامت " أى بات له ما يَسُرّ الشوامتَ اللّواتى شَمِتْنَ به[١] . وصُمْعُ الكعوب : يعنى قوائمه أنها لازقةٌ محدَّدة الأطراف ليست برَهِلاتٍ . وأصلُ الصَّمع رِقّة الشىء ولطافته . والحَرَدُ[٢] : داء يعيبه ؛ يقال بعيرٌ أحْرَدُ، وناقةٌ حَرْداءُ . والمُحْجَر : المُلْجأ . والنَّجُدُ[٣] : الشجاع . والفَرِيصةُ : مَرْجِع الكَتِف الى الخاصرة . والمِدْرَى : القَرْن . والمُبَيْطِر : البَيْطار . والعَضَدُ : داء يأخذ فى العَضُد .

وفى لحن إبراهيم الموصلىّ بعدَ " فآرتاع من صوت كَلّابٍ " :

كأنّ رَحْلِى وقد زالَ النّهارُ بنا * يومَ الجَلِيلِ على مُسْتأنِسٍ[٤] وَحَدِ
مِنْ وَحْشِ وَجْرةَ مَوْشِىٍّ أكارِعُه * طاوى المَصِيرِ كسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرَدِ

قال الأصمعىّ : زال النهارُ بنا أى انتصف . و" بنا " هاهنا فى موضع " علينا " . ومَنْ روى " مُسْتَوْجِس " فإنه يعنى أنه قد أوْجَس شيئا[٥] خافه فهو يَسْتَوْجِس . والجليل[٦] : الثُّمَام، واحدته جَلِيلةٌ . ووَجْرة : طَرَف السِّىِّ[٧] وهى فلاة بين مَرّان وذات عِرْق وهى

(١) هذا الشرح الذى ذكره المؤلف إنما هو على رواية «طوع الشوامت» بالرفع . قال ابن السكيت فى بيان هذه الرواية : يقول بات له ما أطاع شامته من البرد والخوف أى بات له ماتشتهى شوامته . قال : وسرورها به هو طوعها؛ ومن ذلك يقال : اللهم لا تطيعن بى شامتا أى لا تفعل بى ما يحب فتكون كأنك أطعته . ويروى «طوع الشوامت» بالنصب . والشوامت على هذه الرواية هى القوائم، واحدتها شامتة . يقول : فبات له الثور طوع شوامته أى قوائمه أى بات قائما . (راجع لسان العرب فى مادة شمت) .

(٢) الحرد : استرخاء عصب فى يدى البعير من شد العقال ور بما كان خلقة . وإذا كان به هذا الداء نفض يديه وضرب بهما الأرض ضربا شديدا .

(٣) هذا على رواية ضم الجيم، وهو حينئذ صفة للعارك . ويروى «النجد» بكسر الجيم وصفا من النجد (بالتحريك) وهو العرق من عمل أو كرب أو غيره . وهو على هذه الرواية يكون وصفا للحجر، أى المحجر المكروب . (٤) قال ابن الأعرابى : الاستئناس : النظر والتوجس كأنه يخاف الإنس .

(٥) فى الأصول : «عاقه» وهو تحريف . (٦) والجليل أيضا : اسم موضع ينبت فيه الثمام، ولعله هو المراد . (٧) السىّ (بكسر أوله) : موضع بتلك الجهة التى ذكرها المؤلف .

ستون مِيلًا يجتمع فيها الوحش . ومَوْشِيّ أكارِعُه أى إنه أبيض فى قوائمه نُقَطٌ سُودٌ وفى وجهه سُفعةٌ[1] . وطاوِى المَصير : ضامر . والمَصير المِعَى ، وجمعه المُصْران . والفَرَدُ : المنقطع القرينِ ؛ يقال : فَرَدٌ وفَرِدٌ وفُرُدٌ .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنى

٥ إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ قال :

غنّى مُخارِقٌ يوماً بين يدى الرشيد :

* سرت عليه من الجوزاء ساريةٌ *

فلمّا بلغ إلى قوله :

* فآرتاعَ من صوت كَلّابٍ فبات له *

١٠ قال : فارتاعُ (بضم العين) ؛ فأردتُ أن أرُدّ عليه خطأه ، ثم خِفتُ أن يغضب الرشيد ويظنّ أنّى حسدته على منزلته منه وأردت إسقاطَه . فالتفت اليه بعضُ مَنْ حضر — أظنّه قال محمد بن عمر الروميّ — فقال له : ويلك يا مخارق ! أتغنّى بمثل هذا الخطأ القبيح لسُوقةٍ فضلًا عن الملوك ! ويلك ! لو قلتَ : "فارتاعَ" كان أخفّ على اللسان وأسهلَ من قولك "فارتاعُ" . فخجِل مُخارق ، وكُفِيتُ ما أردته بغيرى .

١٧٥ / ٩

١٥ قال : وكان مخارق لحّانا .

ومنها :

صوت

قالت ألَا ليتَما هـذا الحَمامُ[2] لنا * إلى حمامتنا ونِصْفُـه فقَـدِ

يَحُفُّـه جَانِبَا نِيـقٍ وتُتْبِعُـه * مثـلَ الزُّجَاجة لم تُكْحَلْ من الرَّمَدِ

٢٠ (١) السفعة : السواد أو هى سواد مشرب حمرة .

(٢) يروى بنصب الحمام على أن "ليت" عاملة ، ويروى بالرفع على أنها مكفوفة عن العمل بما .

فحسَبوه فألفَوه كما حَسِبتْ (١) * تسعًا وتسعين لم تنقُص ولم تَزِدِ
فكمّلتْ مائةً فيها حمامتُها * وأسرعتْ حِسْبةً فى ذلك العدد

غنّاه ابن سُرَيج خفيف ثقيلٍ عن الهشامىّ . هذا خبرٌ رُوى عن زَرْقاء اليَمامة (٢)، ويُروى عن بنت الخُسّ (٣) .

أخذ معنى لزرقاء اليمامة

حدّثنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال سمعت أبا العباس محمد بن الحسن ٥ الأحول يقول : هذا أخذه النابغة من زرقاء اليمامة، قالت :

ليت الحمامَ لِيَهْ * ونِصْفَه قَدِيَهْ (٤)
الى حَمامَتِيَهْ * تَمّ الحمامُ مِيَهْ

فسلَخه النابغة . وقال الأصمعىّ : سمعت أُناسًا من أهل البادية يتحدّثون أنّ بنت الخُسّ كانت قاعدةً فى جَوَارٍ، فمرّ بها قَطًا واردٌ فى مَضِيقٍ من الجبل، فقالت : ١٠

ياليتَ ذا القَطَا لِيَهْ * ومثلَ نِصْفٍ مَعِيَهْ
إلى قَطاةِ أهْلِيَهْ * إذًا لنا قَطًا مِيَهْ

وأُتْبِعتْ فعُدّتْ على الماء فاذا هى ستٌّ وستّون . وقوله : "فقَدْ" أى فحَسْبُ . ويَحُفُّه أى يكون من ناحية هذا الثَّمَد (٥)؛ يقال : حَفَّ القومُ بالرجل أى اكتنفوه .

---

(١) ويروى : « كما زعمت » . (٢) زرقاء اليمامة : امرأة من بقايا طسم وجديس كانت حديدة النظر وكانوا يزعمون أنها تبصر مسيرة ثلاثة أيام . (٣) بنت الخس : امرأة من إياد كانت مشهورة بالفصاحة، اسمها هند، وقيل : جمعة . (٤) قديه : حسبى، والهاء الساكنة للسكت. ١٥

(٥) يريد الشاعر أن جانبى الجبل أحاطا بالحمام فكان الحمام بينهما . قال الأصمعىّ : « إذا كان الحمام بين جانبى نيق ضاق عليه فركب بعضه بعضا فكان أشدّ لعده وحزره ، وإذا كان فى موضع واسع كان أسهل لعده؛ فكان أحكم لها إذ أصابته فى هذه الحال » . وبهذا يعلم ما فى الأصول لشرح كلمة ٢٠ « يحفه » هنا من غموض .

والنيِّق : الجبل. ومثل الزجاجة : يريد عينًا صافية كصفاء الزجاجة . الحِسْبة : الهيئة التى تُحْسَب ؛ يقال : ما أحْسَنَ حِسْبته ، مثل الجِلْسة واللِّبْسة والرِّكْبة .

ومنها :

صوت

٥ نُبِّئْتُ أنّ أبا قابُوسَ أوعدنى * ولا قَرارَ على زَأْرٍ من الأسَدِ
مَهْلًا فِداءٌ لك الأقوامُ كلُّهمُ * وما أُثَمِّرُ من مالٍ ومن ولد
إنْ كنتُ قلتُ الذى بُلِّغْتَ مُعْتَمِدًا * إذًا فلا رفعتْ سَوطِى إلىَّ يدى
هذا الثناء فإنْ تَسْمَعْ به حَسَنًا * فلم أُعَرِّضْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ

غنّاه الهُذَلىّ ، ولحنه من الثقيل الأول عن الهشامىّ . أُثَمِّر : أُصلح وأجمع . والزَّأْرُ :
١٠ صياح الأسد ؛ يقال : زأر زئيرا وهو الزأْر . والصَّفَد (١) : العطيّة ؛ يقال : أَصْفده يُصْفِده إصفادًا إذا أعطاه ، وصَفَده يَصْفِده صَفْدًا (٢) إذا أوثقه .

رواية أخرى فى حديث حسان عنه حين وفد على النعمان

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى الصَّلْت بن مسعود قال حدّثنا أحمد بن شَبَّوَيْهِ عن سليمان بن صالح عن عبد الله ابن المبارَك عن فُلَيْح بن سليمان عن رجل قد سمّاه عن حسّان بن ثابت ، ونسخت
١٥ من كتاب ابن أبى خَيْثَمة عن أبيه عن مُصْعَب الزبيرىّ قال قال حسّان بن ثابت ، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال حدّثنى عمِّى يوسف بن محمد عن عمه إسماعيل ابن أبى محمد قال قال أبو عمرو الشيبانى قال حسان بن ثابت — وقد جمعتُ رواياتهم وذكرت اختلافهم فيها ، وأكثرُ اللفظ للجوهرىّ — قال : خرجتُ إلى النُّعْمان بن المنذر ، فلقِيت رجلًا — وقال اليزيدىّ فى خبره : فلقيتُ صائغًا من أهل فَدَك — فلما رآنى

١٧٦ / ٩

٢٠ (١) و يقال فيه أيضا الصفد (بسكون الفاء) .
(٢) ومثله صفده تصفيدا .

قال : كن يَثْرِبيًّا، فقلت : الأمر كذلك . قال : كن خَزْرَجيًّا، قلت : أنا خزرجىّ . قال : كن نجّاريًّا، قلت : أنا نجّارىّ . قال : كن حسّان بن ثابت، قلت : أنا هو . فقال : أين تريد ؟ قلت : إلى هذا الملك . قال : تريد أن أُسَدِّدك إلى أين تذهب ومَنْ تريد ؟ قلت نعم . قال : إن لى به علمًا وخُبْرا . قلت : فأعلِمْنى ذلك . قال : فإنك إذا جئته متروكٌ شهرًا قبل أن يُرسل إليك ثم عسى أن يسأل عنك رأسَ الشهر، ثم إنك متروكٌ آخَر بعد المسألة ثم عسى أن يُؤْذَن لك . فإنْ أنت خلوتَ[1] به وأَعْجَبْته فأنت مصيبٌ منه خيرا ، فأقِمْ ما أقمتَ ، فإن رأيت أبا أمامة فاظْعَنْ ، فلا شىء لك عنده . قال : فقدِمت ففعَل بى ما قال الرجل ثم أذِن لى وأصبتُ منه مالًا كثيرا ونادمتُه وأكلت معه . فبينا أنا على ذلك وأنا معه فى قُبّة له إذا رجلٌ يرتجز حولها :

أصَمُّ أم يسمع ربُّ القُبَّهْ * يا أوهبَ الناس لِعَنْسٍ[2] صُلْبَهْ

ضَرَّابةٍ بالمِشْفَرِ الأَذِبَّهْ[3] * ذات هِبابٍ[4] فى يديها جُلْبَهْ[5]

* فى لاحبٍ[6] كأنّه الأَطِبَّهْ *

— وفى رواية اليزيدىّ "فى يديها خُذْبَة[7]" أى طول واضطراب . والأَطِبَّة : جمع طِباب[8] وهو الشِّراك يجمع فيه بين الأديمين فى الخَرْز . وقال عمر بن شَبَّة فى خبره : قال

---

(١) فى الأصول : « خلوته » . والذى فى كتب اللغة أنه يقال : خلا الرجل بصاحبه واليه ومعه ، اذا اجتمع معه فى خلوة .

(٢) فى ج ، م : « لعيس » . والعنس : الناقة القوية . والعيس من الإبل : التى تضرب إلى الصفرة أو هى البيض مع شقرة يسيرة ، واحدها أعيس والأنثى عيساء . (٣) الأذبة : جمع قلة لذباب . (٤) الهباب (بالكسر) : النشاط والسرعة ؛ يقال : هب يهب (بالكسر) هبا وهبوبا وهبابا إذا نشط وأسرع . وفى الأصول : « ذات هيات » وهو تصحيف . (٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « خلبة » بالخاء المعجمة . (٦) اللاحب : الطريق الواضح .

(٧) فى أكثر الأصول : « جذبة » . والتصويب من ا ، م . (٨) طباب : جمع طبابة (بكسر الطاء) ومعناها ما ذكره المؤلف فى تفسير جمعها .

فُلَيح بن سليمان : أخذت هذا الرجز عن ابن دَأب — قال فقال : أليس بأبى أُمامة ؟ قالوا بلى . قال : فَأَذَنوا له . ودخل فحَيَّاه وشرب معه . ثم وردت النَّعَمُ السُّودُ، ولم يكن لأحد من العرب بعيرٌ أسود يُعْرَف مكانُه ولا يفتحل أحدٌ بعيراً أسود غير النعمان . فٱستأذنه فى أن يُنشده كلمته على الباء ؛ فأذن له أن يُنشده قصيدته التى يقول فيها :

٥ فإنّك شمسٌ والملوكُ كواكبُ * إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبُ

ووردت عليه مائةٌ من الإبل السُّود الكَلْبيّة فيها رِعاؤها و بيتها وكلبُها، فقال : شأنَك بها يا أبا أُمامة، فهى لك بما فيها . قال حسّان . فما أصابنى حسدٌ فى موضع ما أصابنى يومئذ، وما أدرى أيّما كنتُ أحْسَدَ له عليه : ألِمَا أسمع من فضل شعره، أم ما أرى من جزيل عطائه؛ فجمعتُ جَرَاميزى(١) وركبت إلى بلادى . وقد

١٠ روى الواقدىّ عن محمد بن صالح الخبر فذكر أن حسّان قدم على جَبَلة بن أبى شِمر، ولعله غلط . أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنى عمّى يوسف قال حدّثنى عمِّى إسماعيل عن الواقدىّ عن محمد بن صالح قال :

كان حسّان بن ثابت يقدَم على جَبَلة بن الأَيْهم سنةً ويُقيم سنةً فى أهله . فقال : لو وفدتُ على الحارث، فإن له قرابةً ورَحِماً بصاحبى، وهو أبذل الناس

١٥ لمعروف، وقد يئس منِّى أن أقدَم عليه لِمَا يعرف من انقطاعى الى جَبَلة . فخرجتُ فى السنة التى كنت أُقيم فيها بالمدينة حتى قدمت على الحارث وقد هَيّأت مديحا . فقال لى حاجبه وكان لى ناصحا : إنّ الملك قد سُرَّ بقدومك عليه، وهو لا يَدَعُك حتى تذكُرَ جَبَلةَ . فإيّاك أن تقع فيه فإنه يختبرك؛ فإنّك إن وقعتَ فيه زهد فيك، وإن ذكرتَ مَحاسنه ثقُل عليه، فلا تبتدئ بذكره؛ فإنْ سألك عنه فلا تُطْنِب

١٧٧/٩

٢٠ (١) يقال : جمع فلان اليه جراميزه اذا رفع ما انتشر من ثيابه ثم مضى .

فى الثناء عليه ولا تَعِبْه، اِمسَحْ ذكرَه مَسْحًا وجَاوِزْه . وإنه سوف يدعوك الى الطعام وهو يثقُل عليه أن يُؤْكَل طعامُه أو يُشْرَبَ شرابُه، فلا تَضَعْ يدك فى شىء حتى يدعوَك اليه . قال : فشكرتُ له ذلك . ثم دعانى فسألنى عن البلاد والناس وعن عيشنا فى الحجاز وكيف ما بيننا من الحرب، وكلّ ذلك أُخبره، حتى انتهى الى ذكر جَبَلة فقال : كيف تَجِدُ جبلة ، فقد انقطعتَ اليه وتركتنا؟ فقلت له : إنما جبلة منك وأنت منه؛ فلم أُجْرِ معه فى مدح ولا ذمّ، وفعلتُ فى الطعام والشراب كما قال لى الحاجب . قال : ثم قال لى الحاجب : قد بلغنى قدومُ النابغة وهو صديقُه وآنَسُ به ، وهو قبيح أن يجفوك بعد البِرّ، فاستأذِنْه من الآن فهو أحسن . فاستأذنتُه فأذِن لى وأمر لى بخمسمائة دينار وكُسًا وحُمْلان[1] ، فقبضتها وانصرفتُ الى أهلى .

صـــوت

ملوكٌ وإخوانٌ اذا ما لَقِيتُهم * أُحَكَّمُ فى أموالهم وأُقَرَّبُ
ولكنّنى كنتُ امرأً لِىَ جانبٌ * من الأرض فيه مُسْتَرادٌ ومطلبُ

الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل . الجانب هنا : المتّسَع من الأرض . والمُستَراد : المُخْتَلَف يذهب فيه ويجىء؛ ويقال : رَادَ الرجلُ لأهله إذا خرج رائدًا لهم فى طلب الكلا ونحوه . ثم ذكر مستراده فقال : "ملوكٌ وإخوان" .

ومن القصيدة العينيّة :

صـــوت

عَفَا ذو حُسًا من فَرْتَنَا فالفوارعُ * فجَنْبَا أَرِيكٍ فالتِّلاعُ الدوافعُ[2]

---

(١) الحملان (بالضم) : دواب الحمل فى الهبة خاصة . (٢) عفا : درس وامحى ؛ يقال : عفت الدار، وعفت الريح الدار؛ فهو لازم ومتعدّ . وذو حسا وأريك : موضعان . وفرتنا : اسم امرأة . والفوارع : تلال مشرفات المسايل . وفى الأصول : «فالقوارع» والتصويب من نسخ الديوان . والتلاع : جمع تلعة ، وهى هنا : مجرى الماء من أعلى الوادى الى بطون الأرض . والدوافع : التى تدفع بالماء الى الوادى .

فمُجْتَمَعُ الأشراج غَيَّرَ رسْمَها * مَصَايِفُ مرّتْ بعدنا وَمَرابِعُ[1]

توهّمتُ آياتٍ لها فعرفتُها * لِستّةِ[2] أعوامٍ وذا العامُ سابعُ

رَمادٌ ككُحْلِ العين مَا إنْ أُبِينُه[3] * ونُؤْىٌ كجِذْمِ الحوض أثْلَمُ خاشعُ

غنّاه مَعْبَدٌ من رواية حَبَشٍ رملاً بالبنصر .

٥

صــوت

آذنتْنا ببينِها أسماءُ * رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّوَاءُ

بعد عَهْدٍ لها ببُرْقة شمّا * ءَ فأَدْنَى ديارِها الخَلْصاءُ

عروضه من الخفيف . آذنتنا : أعلمتنا . والبَيْنُ : الفرقة . والثاوى : المقيم ؛ يقال ثَوَى ثَوَاءً . والبُرْقة : أرض ذات رمل وطين . وشمّاء والخَلْصاء : موضعان . الشعر للحارث بن حِلِّزَةَ اليَشْكُرِيّ . والغناء لمعبد ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو ، ومن الناس من ينسبه الى حُنَيْن .

١٠

---

(١) الأشراج : جمع شرج (بالفتح ويجمع جمع كثرة على شراج وشروج) وهو مجرى الماء من الحرار الى السهولة . والمصايف : جمع مصيف من الصيف ، ومثله المرابع من الربيع . أى غير رسمها ما يحدث فى المصايف والمرابع من رياح وأمطار ، أو غيره تعاقبهما عليها وطول اختلافهما .

(٢) اللام هنا بمعنى «بعد» أى بعد ستة أعوام .

١٥

(٣) فى بعض نسخ الديوان : «لأيا أبينه» أى أبينه بعد جهد ومشقة . والنؤى : حفير حول الخيمة ليحجز عنها الماء . وجذم كل شىء : أصله . ذكر الشاعر فى هذا البيت بعض الآيات التى توهمها فعرف بها الدار ، وهى رماد ككحل العين فى سواده وقلته ، ونؤى متثلم متكسر قد ذهب شخصه ولم يبق منه الا ما يبقى من الحوض اذا تهدّم .

أخبار الحارث بن حِلِّزة ونسبه

نسب الحارث بن حلزة

هو الحارث بن حِلِّزة بن مَكْرُوه بن يزيد[١] بن عبد الله بن مالك بن عَبْد بن سَعْد ابن جُشَم بن عاصم بن ذُبْيانَ بن كِنَانة بن يَشْكُرَ بن بَكْر بن وائل بن قَاسِط بن هِنْب ابن أَفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَدِيلةَ بن أَسَد بن رَبِيعة بن نِزَار .

١٧٨ / ٩

السبب فى قول قصيدته المعلقة

٥ قال أبو عمرو الشيبانىّ : كان من خبر هذه القصيدة والسببِ الذى دعا الحارثَ إلى قولها أنّ عمرو بن هِنْد الملك ، وكان جبّارا عظيمَ الشأن والمُلْك ، لمّا جمع بَكْرًا وتَغلِبَ ابنى وائل وأصلح بينهم ، أخذ من الحَيَّيْن رُهُنًا من كلّ حىٍّ مائةَ غلام ليكفّ بعضَهم عن بعض ؛ فكان أولئك الرُّهُن يكونون معه فى مسيره و يغزُون معه ؛ فأصابتهم سَمُومٌ فى بعض مَسِيرهم فهلَك عامّة التَّغْلِبِيِّين وسلِم البَكْرِيّون . فقالت تَغْلِب

١٠ لبكر : أَعطُونا دِيَاتِ أبنائنا ؛ فإن ذلك لكم لازم ، فأبت بكر بن وائل . فآجتمعت تَغْلِب الى عمرو بن كُلْثوم وأخبروه بالقصة . فقال عمرو [ابن كلثوم لتغلِب : بِمَن ترون بكرًا تَعْصِب أمرَها اليوم؟ قالوا : بمن عسى إلّا برجل من أولاد ثَعْلَبَةَ . قال عمرو][٢] : أرى والله الأمرَ سينجلى عن أحمر أَصْلَجَ[٣] أَصَمّ من بنى يَشْكُرَ . فجاءت بكرٌ بالنُّعمان بن هَرِمٍ أحد بنى ثَعْلبة بن غَنْم بن يَشْكُر ، وجاءت تَغلِب بعمرو بن كُلْثوم .

١٥ فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هَرِم : يا أَصَمّ ! جاءت بك أولاد ثَعْلَبة تُناضل عنهم وهم يفخَرون عليك ! . فقال النُّعمان : وعلى مَنْ أظلّت

---

(١) فى شرح المعلقات العشر للتبريزى : «بديد» . (٢) الزيادة من شرح المعلقات السبع لابن الأنبارى (نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٣ أدب ش) وشرح المعلقات العشر للتبريزى . (٣) فى شرحى ابن الأنبارى والتبريزى للمعلقات : «أصلع» . والأصلج : الأصم ، والأصلج فى لغة بعض قيس : الأصلع .

٢٠

السماءُ كلُّها يفخَرون ثم لا يُنْكَر ذلك . فقال عمرو بن كلثوم له : أمَا والله لو لَطَمتُك لطمـةً ما أخذوا لك بها . فقال له النُّعمان : والله لو فعلتَ ما أَفْلَتَّ بها قَيْسَ أَيْرِ أبيك . فغضب عمرو بن هند وكان يؤثر بنى تَغْلِب على بكر، فقال: يا جارية[1] أَعْطِيه لَحْياً[2] بلسان أُنْثَى (أى سُبِّيه بلسانك) . فقال : أيهـا الملك أَعطِ ذلك أحبَّ أهلِك إليك . فقال : يا نُعْمان أيسرُّك أنِّى أبوك ؟ قال : لا ! ولكن وَدِدتُ أنّك أمِّى .

فغضب عمرو بن هند غضباً شديدا حتى همّ بالنُّعْمان . وقام الحارث بن حِلِّزة فآرتجل قصيدته هذه ارتجالًا ، توكّأ على قوسه وأنشدها وانتظم[3] كفَّه وهو لا يشعر من الغضب حتى فرَغ منها . قال ابن الكلبىّ : أنشد الحارثُ عمرَو بن هند هذه القصيدة وكان به وَضَحٌ[4]، فقيل لعمرو بن هند : إنّ به وضحا، فأمر أن يُجْعَل بينه و بينه سِتْرٌ. فلمّا تكلّم أُعجِب بمنطِقه، فلم يزل عمرو يقول: أَدْنُوه أَدنوه حتى أمر بطرح السِّتر وأقعده معه قريباً منه لإعجابه به . هـذه رواية أبى عمرو . وذكر الأصمعىُّ نحواً من ذلك وقال : أخذ منهم ثمـانين غلاماً من كل حىّ وأصلح بينهم بذى المَجَاز[5] ، وذكر أنّ الغلمان من بنى تغلِب كانوا معه فى حرب فأُصيبوا . وقال فى خبره : إنّ الحارث بن حلِّزة لمـّا ارتجل هذه القصيدة بين يدى عمرو قام عمرو بن كلثوم فارتجل قصيدته :

* قِفِى قبل التفرُّق ياظَعِيناَ *

وغيرُ الأصمعىِّ يُنكر ذلك ويُنكر أنه السبب فى قول عمرو بن كلثوم .

---

(١) كذا فى ج . وفى سائر الأصول : « ياحارثة » وهو تصحيف .

(٢) فى الأصول : « لحنا » بالنون، والتصويب من شرح المعلقات العشر للتبريزى وشرح المعلقات السبع لابن الأنبارى . والعبارة فيهما : «أعطيه لحيا بلسان . يقول : الحيه» .

(٣) كذا فى ج وشرحى ابن الأنبارى والتبريزى للعلقات . وانتظم هنا : طعن . يريد : وجرح كفه . وفى م : «واقتط» . وفى سائر الأصول : «واقتطم» . (٤) الوضح هنا : البرص .

(٥) ذو المجاز : موضع سوق من أسواق العرب بعرفة .

وذكر ابن الكلبيّ عن أبيه أنّ الصلح كان بين بَكْر وتَغْلِب عند المنذر بن ماء السماء، وكان قد شرَط : أىُّ رجلٍ وُجد قتيلا فى دار قومٍ فهم ضامنون لدمه، و إن وُجد بين مَحَلَّتين قِيسَ ما بينهما فيُنْظر أَقربُهما إليه فتضمَن ذلك القتيل . وكان الذى ولِى ذلك واحتمى لبنى تغلب قَيْس بن شَرَاحِيل بن مُرَّة بن هَمّام . ثم إنّ المنذر أخذ من الحَيَّيْن أشرافَهم وأعلامهم فبعث بهم إلى مكة؛ فشرَط بعضُهم على بعض وتواثقوا على ألّا يُبقى واحد منهم لصاحبه غائلةً ولا يطلبه بشىء مما كان من الآخر من الدِّماء . و بعث المنذرُ معهم رجلًا من بنى تميم يقال له الغَلّاق . وفى ذلك يقول الحارث بن حِلِّزة :

فهَلّا سَعَيْتَ لصُلْح الصَّدِيقِ * كصُلح ابن مَارِيَةَ الأقصم(١)

وقَيْسٌ تدارك بَكْرَ العِرَاقِ * وتَغْلِبَ من شرِّها الأعظم

و بيتُ شَرَاحِيلَ فى وائلٍ * مكانَ الثُّرَيّا من الأَنْجُمِ

فأصلَح ما أفسدوا بينهم * كذلك فِعْلُ الفتى الأكرم

— ابن مارية هو قيس بن شَرَاحيل . ومارية أُمّه بنت الصبّاح بن شيبان من بنى هند — .
فلبثوا كذلك ماشاء الله، وقد أخذ المنذر من الفريقين رُهُناً بأحداثهم؛ فمتى الْتَوَى أحد منهم بحقٍّ صاحبه أقاد من الرُّهُن . فسرّح النُّعْمان بن المنذر ركبًا من بنى تغلب الى جبل طَيِّئ فى أمر من أمره، فنزلوا بالطرفة(٢) وهى لبنى شَيْبان وتَيْم اللات . فذكروا أنهم أجلَوْهم عن الماء وحملوهم على المَفَازة، فمات القومُ عطشًا . فلما بلغ ذلك بنى تَغْلِب غضبوا وأتوا عمرو بن هند فاستعدَوْه على بكر، وقالوا : غدَرتم ونقضتم العهد وانتهكتم الحُرْمة وسَفكتم الدِّماء . وقالت بكر : أنتم الذين فعلتم ذلك،

(١) الأقصم : المكسور الثنية من النصف .
(٢) لم نجد هذا الاسم فى كتب البلدان .

قذفتمونا بالعَضِيهةِ[1] وسمّعتم الناسَ بها، وهتكتم الحجاب والسِّتر بادّعائكم الباطلَ علينا. قد سقيناهم إذ وردوا، وحملناهم على الطريق إذ خرجوا، فهل علينا إذ حار القوم وضلُّوا ! . ويصدِّق ذلك قولُ الحارث بن حِلِّزة :

لم يَغُرُّوكُمْ غُرُورًا ولكن * يرفع الآلُ[2] جِرْمَهم والضَّحَاءُ

كان أبو عمرو الشيبانى يعجب لارتجاله معلقته فى موقف واحد، وشرح أبيات منها

٥ وقال يعقوب بن السِّكِّيت : كان أبو عمرو الشيبانىّ يعجَب لارتجال الحارث هذه القصيدة فى موقف واحد ويقول : لو قالها فى حول لم يُلَمْ . قال : وقد جمع فيها ذكر عِدّةٍ من أيّام العرب عيّر ببعضها بنى تغلب تصريحا، وعرّض ببعضها لعمرو بن هند؛ فمن ذلك قولُه :

أعلينا جُنَاحُ كِنْدَةَ أن يغـ * ـنَمَ غازيهـمُ ومِنّا الجـزاءُ

١٠ قال : وكانت كندة قد كسرت الخراج على الملك، فبعث إليهم رجالا من بنى تغلب يطالبونهم بذلك، فقُتِلوا ولم يُدْرَكْ بثأرهم؛ فعيّرهم بذلك. هكذا ذكر الأصمعىّ. وذكر غيره أنّ كِنْدَةَ غزتهم فقتلت وسَبَتْ واستاقت، فلم يكن فى ذلك منهم شىءٌ[3] ولا أدركوا ثأرا. قال : وهكذا البيت الذى يليه وهو :

أم علينا جَرَّى[4] قُضَاعَةَ أم ليـ * ـس علينا فيما جَنَوْا أنداءُ[5]

١٥ (١) العضيهة : الإفك والبهتان والقالة القبيحة. (٢) فى الأصول : «يدفع» بالدال، والتصويب من المعلقات. والآل : السراب، وهو مايرى كالماء نهارا بين السماء والأرض يرفع الشخوص. وقيل : الآل ما كان فى الضحى والعشى، والسراب ما كان نصف النهار. والضحاء : ارتفاع النهار. يقول : ما أتوكم على غرة وإنما أتوكم نهارا ظاهرين وأنتم ترونهم، يرفع الآل أشخاصهم ويكشفها الضحاء. ويروى : «يرفع الآل شخصهم»، ويروى : «جمعهم». (٣) فى الأصول هنا : «تغيير»

٢٠ بدل «شىء». وقد تكررت هذه العبارة بعد ثلاثة أسطر؛ فأثبتناها هنا كما وردت هناك.

(٤) الجرى (ويمد) : الجناية. (٥) وردت هذه الكلمة محرفة فى الأصول بين «أتواء» و«أنواء» و«أفراء» والتصويب من المعلقات. والأنداء : جمع ندى، وهو هنا مايلحق الإنسان من الشر؛ يقال : مالحقنى من فلان ندى أى شر، وما ندينى من فلان شىء أكرهه أى مابلنى ولا أصابنى.

فإنه عيّره بأن قضاعة كانت غزت بنى تغلب ففعلت بهم فِعْلَ كِنْدة، ولم يكن منهم فى ذلك شىء ولا أدركوا منهم ثأرا . قال : وقوله :

أم علينا جَرّى حَنيفةَ أم ما * جَمَّعتْ من مُحارِبٍ غبْراءُ(١)

قال : وكانت حَنيفة محالفةً لتغلبَ على بكر، فأذكرَ الحارثُ عمروَ بن هند بهذا البيت قَتْلَ شِمْر بن عمرو الحنفىِّ أحدِ بنى سُحَيْم المنذرَ بنَ ماء السماء غِيلةً لمّا حارب الحارثَ بن جَبلَةَ الغسّانىّ، وبعث الحارثُ الى المنذر بمائة غلام تحت لواء شِمْر هذا يسأله الأمانَ على أن يخرج له عن مُلْكه ويكونَ من قِبَله ؛ فركَنَ المنذرُ الى ذلك وأقام الغِلْمانُ معه ، فاغتاله شِمْر بن عمرو الحنفىّ فقتله غِيلةً ، وتفرّق مَنْ كان مع المنذر، وانتهبوا عسكرَه . فحرّضه بذلك على حلفاء بنى تغلب بنى حَنيفة . قال وقوله :

وثمانون من تميمٍ بأيديـ * ـهمْ رِماحٌ صدورُهنّ القَضاءُ(٢)

يعنى عمرًا أحدَ بنى سعد [بن زيد] مناة ، خرج فى ثمانين رجلا من تميم فأغار على قوم من بنى قَطَنٍ من تَغْلِب يقال لهم بنو رِزَاحٍ كانوا يسكنون أرضًا تعرف بنَطَاعِ قريبةً من البَحْرَيْن، فقتل فيهم وأخذ أموالًا كثيرة، فلم يُدْرَكْ منه بثأر . قال : وقوله :

ثمّ خيلٌ(٣) من بعد ذاك مع الغَلّاق لا رأفةٌ ولا إبقاءُ

قال : الغَلّاق صاحب هجائن النُّعْمان بن المنذر، وكان من بنى حنظلة بن زيد مناة تميميًّا .

---

(١) غبراء أى جماعة غبراء، يريد الفقراء والصعاليك؛ وقيل لهم غبراء لما عليهم من أثر الفقر والضر . يريد : أم ما جمعت صعاليك محارب . والغبراء أيضا : الأرض ؛ ويقال للفقراء بنو غبراء ؛ لأنهم لا مأوى لهم إلا الصحراء وما أشبهها . (٢) القضاء هنا : الموت .

(٣) يريد : ثم غزتهم من بعد بنى تميم خيل مع الغلاق فقتلت فيهم ولم يدرك منها بثأر . ومعنى قوله : لا رأفة ولا إبقاء أى ليس لأصحاب الغلاق رأفة بهم ولا إبقاء عليهم .

وكان عمرو بن هند دعا بنى تَغْلِب بعد قتل المنذرِ إلى الطلب بثأره من غَسّان، فامتنعوا وقالوا: لا نُطيع أحدًا من بنى المنذر أبدا! أيظنُّ ابن هند أنّا له رِعَاء!. فغضِب عمرو بن هند وجمع جموعا كثيرة من العرب؛ فلما اجتمعتْ آلى ألّا يغزوَ قبل تَغْلِب أحدا؛ فغزاهم فقتل منهم قومًا، ثم استعطفه مَنْ معه لهم واستوهبوه جريرتَهم، فأمسك عن بقيّتهم، وطُلّت(١) دماء القتلى. فذلك قول الحارث:

٥

مَنْ أصابوا من تَغْلَبِيٍّ فمطلو * لٌ عليه(٢) إذا تولّى العَفَاء

ثم اعتدّ على عمرو بحسن بلاء بكْرٍ عنده فقال:

مَنْ لنا عنده من الخير آيا * تٌ ثلاثٌ فى كلّهن القضاءُ(٣)

آيةٌ شارقُ(٤) الشَّقيقة إذ جا * ءوا جميعًا لكل حىٍّ لِواءُ

حولَ قَيْسٍ مُسْتلئمين(٥) بكَبْشٍ * قَرَظِىٍّ كأنه عَبْلاء

١٠

فرَدَدْناهُم(٦) بضَرب كما يخـ * ـرُج من خُرْبة المَزادِ الماءُ

ثم حُجْرًا(٧) أعنى ابنَ أمِّ قَطامٍ * وله فارسيّةٌ(٨) خضراء

(١) طل دمه: أهدر ولم يثأر به؛ يقال: طل دمه وأطل مبنيين للفعول. وجوز أبو عبيدة والكسائى أن يقال: طل دمه مبنيا للفاعل. (٢) فى الأصول: «عليهم» والتصويب من المعلقات. ويروى: «إذا أصيب» بدل «إذا تولى». وعليه العفاء: دعاء. والعفاء هنا: الدروس والهلاك؛ أى يمسى فيصير كالشىء الدارس. (٣) الآيات: العلامات. وقوله «فى كلهن القضاء» أى فى كلهن يقضى لنا بولاء الملك. (٤) شارق: جاء من قبل المشرق. (٥) المستلئم: لابس اللأمة وهى الدرع. والمراد بالكبش هنا الرئيس. وقرظىّ: نسبة الى البلاد التى ينبت بها القرظ وهى اليمن. والعبلاء: الصخرة البيضاء. (٦) ويروى: «فجبهناهم» أى تلقينا جباههم بضرب ... الخ. والخربة هاهنا: عزلاء المزادة (القربة) وهى مسيل الماء منها. فشبه خروج الدم ونزوه من الجروح التى يصيبونهم بها بخروج الماء من أفواه القرب وثقوبها. (٧) نصب حجر بالنسق على الضمير المنصوب فى «فرددناهم» أى ثم رددنا حجرا. (٨) فارسية: يريد كتيبة سلاحها من عمل فارس. ووصفها بالخضرة لكثرة ما تحمل من سلاح.

١٥

٢٠

أَسَــدٌ فى اللّقاء ذو أشبالٍ[1] * وربيــعٌ إن شَـــنَّعتْ[2] غَبْراء

فرددناهــمُ بطعن كما تُنْـ * ـهَزُ[3] فى جُمَّــة الطَّوِىّ الدِّلاء

وفككْنا غُلَّ امرئ القيس عنه * بعـد ما طال حَبْسُــه والعناء

وأقـدْناه[4] ربَّ غسّان بالمنْـ * ـذِرِ كَرْهًا وما تُكَال[5] الدِّماء

وفديناهــمُ بتسـعةِ أمــلا * كِ كرامٍ أسلابُهم[6] أَغـلاء

[ومع الجَوْنِ[7] جَوْنِ آل بنى الأوْ * سِ عَنُــودٌ[8] كأنها دفْــواء]

يعنى بهذه الأيّام أيّاما كانت كلها لبكر مع المنـذر ؛ فمنها يوم الشَّقِيقة وهم قوم من شيبان جاءوا مع قيس بن مَعْدِيكَرِب ومعه جمع عظيم من أهل اليمن يُغيرون على إبل لعمرو بن هند ، فردّتهم بنو يشكر وقتلوا فيهم ، ولم يوصل الى شىء من إبل عمرو بن هنـد . ومنها يومُ غزا حُجْر الكِنْدىّ ، وهو حُجْـر بن أُمِّ قَطَام ، امرأَ القيس وهو

---

(١) ويروى : « ورد هموس » . والورد : الذى يضرب لونه الى الحمـرة . والهموس : المختال الذى يخفى وطأه حتى يأخذ فريسته . (٢) شنعت : جاءت بأمر شنيع . والغبراء هنا : السـنة التى لا مطر بهـا . (٣) نهـز الدلاء : تحريكها لتمتلئ ؛ يقـال : نهزت بالدلو فى البئر إذا ضربت بها فى المـاء لتمتلىء ، ونهزتها إذا نزعت بها . والجمة (بالفتح) : المكان الذى يجتمع فيه المـاء ، والجمة (بالضم) : المـاء الكثير أو معظم المـاء . والطوىّ : البئر المطوية ، أى المبنية بالحجارة . (٤) أقدت القاتل بالقتيل : قتلته به . ورب غسان : ملكها . (٥) فى الأصول : «وما تطل الدماء» ، والتصـويب من المعلقات . ومعنى « وما تكال الدماء » أى لا تحصى لكثرتهـا ، أو لا يقام لهـا كيل ولا وزن فتذهب هدرا . ويروى : «إذ ما تكال» . (٦) الأسلاب : جمع سلب (بالتحريك) وهو ما يكون مع القوم من ثياب وسلاح ودواب . وأغلاء : غالية . (٧) أثبتنا هذا البيت زيادة على ما فى الأصـول لأن المؤلف سيتعرّض له فى شرحه . (٨) عنود : يريد هنا كتيبة ، كأنها تعند فى سيرها أى تطغى وتجور عن القصد . والدفواء : المـائلة . والدفواء : العقاب لعوج منقارها . فيحتمـل أنه يريد : كأنها مائلة من بغيها ، أو كأنها عقاب لأنهـا تنقض على العـدو كما تنقض العقاب على الصـيد .

ماء السماء بن المنذر، لقيه ومع حُجْر جمعٌ كثير من كندة، وكانت بكر مع امرئ القيس، فخرجت الى حُجْر فردّته وقتلت جنودَه. وقوله:

* ففككنا غُلَّ امرئ القيس عنه *

وكانت غسّان أسرتْه يوم قَتْلِ المنذرِ أبيه، فأغارت بكر بن وائل على بعض بَوَادِى
٥ الشام فقتلوا ملِكا من ملوك غسّان واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر، وأخذ عمرو ابن هند بنتًا لذلك الملك يقال لها مَيْسُون. وقوله: "وفديناهُمُ بتسعة ..." يعنى بنى حُجْر آكلِ المُرار. وكان المنذر وجّه خيلًا من بكر فى طلب بنى حُجْر، فظفِرت بهم بكر بن وائل فأتَوُا المنذرَ بهم وهم تسعة، فأمر بذبحهم فى ظاهر الحِيرة فذُبِحوا

١٨١ / ٩

بمكان يقال له جَفْر الأملاك. قال: والجون جون آل بنى الأَوْس: ملِكٌ من ملوك
١٠ كِنْدة وهو ابن عم قيس بن مَعْدِيكَرِبَ. وكان الجون جاء يمنع بنى آكل المُرار ومعه كتيبةٌ خَشْناء، فحار بته بكرٌ فهزَموه، وأخذوا بنى الجون فجاءوا بهم الى المنذر فقتلهم.

قال: فلمّا فرَغ الحارث من هذه القصيدة حكَم عمرو بن هند أنه لا يلزم بكْرَ ابنَ وائل ما حدث على رهائن تَغْلِبَ؛ فتفرّقوا على هذه الحال. ثم لم يزل فى نفسه من ذلك شىء حتّى همّ باستخدام أُمّ عمرو بن كُلْثوم تعرُّضًا لهم وإذلالًا؛ فقتله عمرو بن
١٥ كلثوم. وخبره يُذْكَر هناك.

قصيدة له دالية

قال يعقوب بن السكّيت أنشدنى النَّضْر بن شُمَيْل للحارث بن حِلِّزة — وكان يستحسنها ويستجيدها ويقول: لله درّه ما أشعره —:

صــوت

مَنْ حاكمٌ بينى وبيـ * ـن الدَّهْر مالَ علىَّ عَمْدَا
٢٠ أودَى بسادتنا وقـد * تركوا لنا حَلَقًا وجُرْدا[1]

(١) الحلق هنا: الدروع. والجرد: الخيل القصيرة الشعر، واحدها أجرد.

خيلى وفارسُها وربِّ أبيك كان أعزَّ فقدا

فلو آنّ ما يأوى إلىَّ أصاب من ثهلانَ[1] هدّا

فضعى قناعك إنّ ريب الدهر قد أفنى معدّا

فلكم رأيتُ معاشرا * قد جمَّعوا مالًا وولدا

وهم زبابٌ[2] حائرٌ * لا تسمعُ[3] الآذانُ رعدا

فعِش بجدٍّ[4] لا يضرْ * ك النُّوك ما لاقيت جدّا

والعيشُ خيرٌ فى ظلا * لِ النُّوك ممن عاش كدّا[5]

فى البيت الأول من القصيدة والبيتين الأخيرين خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى لعبد الله بن العبّاس الرَّبيعىّ، ومن الناس من ينسبه إلى بابويه .

صوت

ألا هُبِّى[6] بصحنكِ فاصبَحِينا * ولا تُبقِى خمورَ الأندرينا

---

(١) ثهلان : جبل . (٢) الزباب : ضرب من الفأرة لا تسمع ، يشبه بها الجاهل ، والواحدة زبابة . (٣) أى لا تسمع آذانها الرعد لما بها من صمم . (٤) الجد (بفتح الجيم) : الحظ . والنوك (بالضم و بالفتح) : الحمق . ويحتمل أن يكون الأصل : «عيشن بجد» الخ .

(٥) استشهد أصحاب المعانى بهذا البيت على الايجاز المخل . إذ هو يريد أن العيش الناعم فى ظل النوك خير من العيش الشاق فى ظل العقل ؛ وألفاظ البيت لا تفى بهذا المعنى .

(٦) هبى : قومى من نومك ؛ يقال : هب من نومه هبا اذا انتبه وقام من مضجعه . والصحن : القدح الواسع الضخم . واصبحينا : اسقينا الصبوح وهو شراب الغداة . وأندرين : قرية كانت جنوبى حلب فى طرف البرية وكانت من القرى الشهيرة بالخمر . وقد قال اللغويون فيها غير هذا القول أقوالا كثيرة فندها جميعا ياقوت فى كتابه معجم البلدان .

مُشَعْشَعَةً كأنّ الحُصَّ فيها (١) * إذا ما الماءُ خالطها سَخِينا (٢)

عروضه من الوافر . الشعر لعمرو بن كُلْثوم التَّغْلِبىّ . والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّل بالخنصر فى مجرى الوسطى من روايته . وفيه لإبراهيم ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

---

(١) مشعشعة : ممزوجة بالماء وأرق مزجها . وهى منصوبة على أنها مفعول « اصبحينا » أو على أنها حال من « خمور الأندرين » أو بدل منها ؛ ويجوز الرفع على تقدير هى مشعشعة . والحص (بالضم) : الورس (نبت أصفر باليمن) أو هو الزعفران . شبه صفرتها بصفرته .

(٢) سخينا : حال من الماء ؛ قال أبو عمرو الشيبانى : كانوا يسخنون لها الماء ثم يمزجونها به ، أو نعت لمحذوف ، والمعنى : فاسقينا شرابا سخينا . وقيل : إن « سخينا » فعل وفاعل أى جدنا . وفى فعل « سخا » لغات ؛ يقال : سخى يسخى (وزان فرح) سخا وسخوة ، وسخا يسخو ، وسخا يسخى (وزان فتح) سخاء ، وسخو يسخو (وزان كرم) سخاء وسخوا وسخاوة .

نسب عمرو بن كلثوم وخبره

نسب عمرو بن كلثوم من قبل أبويه

هو عمرو بن كُلْثوم بن مالك بن عتّاب بن سَعْد بن زُهَيْر بن جُشَم [بن بكر][1] بن حُبَيْبِ بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِبَ بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ ابن جَدِيلَةَ بن أَسَد بن رَبِيعة بن نِزَار بن مَعَدّ بن عَدْنان . وأمّ عمرو بن كُلْثوم ليلى بنت مُهَلْهِل أخى كُلَيْب ، وأُمّها بنت بعج[2] بن عتبة بن سعد بن زُهَيْر .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنى العُكْلِيّ[3] عن العبّاس بن هِشَام عن أبيه عن خِرَاش بن إسماعيل عن رجل من بنى تَغْلِب ثم من بنى عتّاب قال : سمعت الأَخْذَر — وكان نَسّابة — يقول :

١٨٢ / ٩

لمّا تزوّج مُهَلْهِلٌ بنتَ بعج بن عُتْبة أُهدِيَتْ[4] اليه ، فولدت له ليلى بنت مُهَلْهِل . فقال مهلهل لامرأته هند : اقتُليها . فأمرتْ خادمًا لها أن تُغَيِّبها عنها . فلمّا نام هَتَف به هاتفٌ يقول :

كم من فـتًى يُؤَمَّلْ * وسـيِّدٍ شَمَـرْدَلْ[5]

وعُـدَّةٍ لا تُجْهَـلْ * فى بطن بنت مهلهلْ

واستيقظ فقال : ياهند أين بنتى ؟ قالت : قتلتُها . قال : كلّا وإلٰه ربيعة ! — فكان أوّلَ من حلف بها — فاصدُقينى ، فأخبرتْه . فقال : أَحْسِنى غِذاءها . فتزوّجها كُلْثوم ابن مالك بن عَتّاب . فلما حملت بعمرو بن كلثوم قالت : إنّه أتانى آتٍ فى المنام فقال :

ما رأته أمه مناما فى حملها به

(١) زيادة عن خزانة الأدب (ج ١ ص ٥١٩) وشرح التبريزى للعلقات وكتاب المعارف لابن قتيبة وشرح ديوان المفضليات لأبى محمد الأنبارى . (٢) لم نوفق لضبط هذا الاسم . والذى فى خزانة الأدب : « هند بنت عتيبة » بحذف "بعج" وتصغير "عتبة" . (٣) فى الأصول : « ... حدّثنى العكلىّ بن العباس » . (٤) هدى العروس الى زوجها وأهداها : زفها اليه . (٥) الشمردل : القوى الفتىّ الحسن الخلق .

يا لكِ ليلى من وَلَدْ * يُقْـدِمُ إقدامَ الأسَدْ

من جُشَمٍ فيه العَدَدْ * أقولُ قيلًا لا فَنَدْ

فولدت غلامًا فسمّته عمرًا . فلما أتت عليه سنةٌ قالت أتانى ذلك الآتى فى الليل أعرِفه، فأشار إلى الصبىّ وقال :

٥ إنّى زعيمٌ لكِ أمَّ عَمْرِو * بماجِدِ الجَدِّ كريمِ النَّجْرِ[1]

أشجعَ من ذى لِبَدٍ[2] هِزَبْرِ[3] * وَقّاصِ أقرانٍ شديدِ الأَسْرِ[4]

* يسودُهم فى خمسةٍ وعشر *

قال الأَخْذر : فكان كما قال ساد وهو ابن خمسة عشر، ومات وله مائة وخمسون سنة.

قصة قتله لعمرو ابن هند

قال أبو عمرو حدّثنى أَسَدُ بن عمر الحَنَفىّ وكُرْد بن السِّمْعىّ وغيرُهما، وقال ١٠ ابن الكلبى حدّثنى أبى وشَرْقىُّ بن القَطَامِىّ، وأخبرنا إبراهيم بن أيُّوب عن ابن قُتَيْبَة :

أنّ عمرو بن هند قال ذات يوم لنُدَمائه : هل تعلمون أحدًا من العرب تأنف أُمُّه من خِدمة أُمّى ؟ فقالوا : نعم ! أُمُّ عمرو بن كُلْثوم . قال : ولِمَ ؟ قالوا : لأنّ أباها مُهَلْهِلُ بنُ ربيعة ، وعمّها كُلَيْب وائل أعزّ العرب، وبَعْلها كُلْثوم بن مالك أفرسُ العرب، وابنها عمرو وهو سيّد قومه . فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن ١٥ كُلْثوم يستزيره ويسأله أن يُزِيرأُمَّه أُمَّه . فأقبل عمرٌو من الجزيرة إلى الحِيرة فى جماعة بنى تَغْلِب، وأقبلت ليلى بنت مُهَلْهِل فى ظُعُن من بنى تَغْلِب . وأمر عمرو ابن هند برِواقه فضُرِب فيما بين الحِيرة والفُرَات، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا فى وجوه بنى تغلِب . فدخل عمرو بن كُلْثوم على عمرو بن هند فى رِواقه،

---

(١) النجر : الأصل . (٢) اللبدة : شعر الأسد الذى على كتفيه . والهزبر : من أسماء ٢٠ الأسد . (٣) وردت هذه الكلمة محرّفة فى الأصول . والتصويب من خزانة الأدب . والوقص : الكسر والدق . (٤) شديد الأسر : معصوب الخلق غير مسترخ .

ودخلت ليلى وهند فى قُبّة من جانب الرِّواق . وكانت هند عمّةَ امرئ القيس بن حُجْر الشاعر، وكانت أُمُّ ليلى بنت مُهَلْهِل بنتَ أخى فاطمة بنت ربيعة التى هى أمّ امرئ القيس، و بينهما هذا النسب . وقد كان عمرو بن هند أمر أُمَّه أن تُنَحِّى الخدمَ اذا دعا بالطُّرَف وتستخدمَ ليلى . فدعا عمرو بمائدةٍ ثم دعا بالطُّرَف . فقالت هند : نَاوِلِينى ياليلى ذلك الطَّبَق . فقالت ليلى : لِتَقُمْ صاحبة الحاجة إلى حاجتها . فأعادت عليها وألحّتْ . فصاحت ليلى : وَا ذُلَّاهْ! يالَتَغْلِب ! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدَّمُ فى وجهه، ونظر اليه عمرو بن هند فعرَف الشرَّ فى وجهه؛ فوثب عمرو بن كُلْثوم إلى سيفٍ لعمرو بن هند مُعَلّقٍ بالرِّواق ليس هناك سيفٌ غيره ، فضرب به رأس عمرو بن هند، ونادى فى بنى تغلب، فانتهبوا ما فى الرِّواق وساقوا نجائبه ، وساروا نحوَ الجزيرة . ففى ذلك يقول عمرو بن كُلْثوم :

* أَلَا هُبِّى بِصَحْنِك فَاصْبَحِينا *

تعظيم تغلب لقصيدته المعلقة

وكان قام بها خطيبًا بسوق عُكَاظ وقام بها فى موسم مكة . وبنو تَغْلِب تعظِّمها جِدًّا ويرويها صغارُهم وكبارُهم، حتى هُجُوا بذلك؛ قال بعض شعراء بكر بن وائل :

أَلْهَى بنى تَغْلِبٍ عن كل مَكْرُمةٍ * قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ

يَرْوُونها أبدًا مذ كان أوّلُهم (١) * ياللرجالِ لِشعْرٍ غيرِ مسئومِ

فخر شعراء تغلب بقتله عمرو بن هند

وقال الفرزدق يردّ على جرير فى هجائه الأخطلَ :

ما ضَرَّ تَغْلِبَ وائلٍ أهجوتَها * أم بُلْتَ حيث تَنَاطَحَ البحرانِ

قومٌ هُمُ قتلوا ابن هندٍ عَنْوةً * عمرًا وهم قَسَطوا (٢) على النُّعْمانِ

(١) ويروى : « يفاخرون بها » .

(٢) قسطوا : جاروا ؛ يقال : أقسط اذا عدل، وقسط اذا جار .

٥ ١٠ ١٨٣/٩ ١٥ ٢٠

وقال أُفْنُونُ[1] صُرَيْمٌ التَّغْلِبِىّ يفخر بفعل عمرو بن كُلْثوم فى قصيدة له :

لَعَمْرُك ما عمرو بن هندٍ وقد دعا * لتخدُمَ ليلى أُمَّه[2] بمُوَفَّقِ

فقام ابن كُلْثوم إلى السيف مُصْلَتًا[3] * فأمسك من نَدْمانه[4] بالمُخَنَّق

وجلّله عمرٌو على الرأس ضربةً * بذى شُطُبٍ[5] صافى الحديدة رَوْنَقِ

إخوته وعقبه

٥ قال : وكان لعمرو أخ يقال له مُرّة بن كُلْثوم ، فقتل المُنْذِر بن النُّعْمان وأخاه . وإيّاه عَنَى الأخطلُ بقوله لجرير :

أبنى كُلَيْبٍ إنّ عَمّىَّ اللّذا[6] * قتلا الملوكَ وفكّكا الأغلالا

وكان لعمرو بن كلثوم ابن يقال له عَبّاد ، وهو قاتِل بِشْر بن عمرو بن عُدَس . ولعمرو ابن كُلْثوم عَقِبٌ باق ، ومنهم كُلْثوم[7] بن عمرو العَتّابىّ الشاعر صاحب الرسائل .

أغار على بنى تميم ثم انتهى الى بنى حنيفة فأسره يزيد ابن عمرو ثم أطلقه فمدحه

١٠ أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن الحسن الأَحْوَل عن ابن الأعرابىّ قال :

أغار عمرو بن كُلْثوم التغلبىّ على بنى تميم ثم مرّ من غَزْوه ذلك على حىٍّ من بنى قَيْس بن ثَعْلَبة ، فملأ يديه منهم وأصاب أسارى وسَبَايَا ، وكان فيمن أصاب

---

(١) أفنون : لقب صريم بن معشر بن ذهل بن تيم بن عمرو بن تغلب ، توفى بالألاهة (موضع

١٥ وله فى وفاته بها قصة ذكرها ياقوت فى معجم البلدان . وفى الأصول : « أفنون بن صريم » بزيادة « ابن » وهو تحريف . (راجع النقائض ص ٨٨٦ طبع أوربا والقاموس وشرحه ومعجم البلدان لياقوت فى كلامه على الألاهة) . (٢) فى الأصول : « لتخدم أمى أمه » والتصويب من النقائض . (٣) أصلت السيف : جرّده من غمده ، فهو مصلت (بكسر اللام) والسيف مصلت (بفتحها) . (٤) الندمان (بفتح النون) : الذى ينادمك على الشراب . والمخنق :

٢٠ موضع حبل الخنق من العنق . (٥) شطب السيف : طرائقه فى متنه من شدّة بريقه ، الواحدة شطبة . والرونق : ماء السيف وصفاؤه وحسنه . (٦) أى اللذان ، لحذف النون تخفيفا .

(٧) له ترجمة فى الأغانى فى أوّل الجزء الثانى عشر من طبعة بلاق .

أحمد بن جَنْدَل السَّعْدى"، ثم انتهى إلى بنى حَنِيفةَ باليَمَامةِ وفيهم أناس من عِجل، فسمِع به[١] أهلُ حَجْرٍ[٢]، فكان أوّلَ من أتاه من بنى حنيفةَ بنو سُحَيْم عليهم يزيد بن عمرو ابن شِمر. فلما رآهم عمرو بن كُلْثوم ارتجز فقال:

مَنْ عاذَ منّى بعـدَها فلا اجْتَبَرْ * ولا سقى المـاء ولا أرعَى الشَّجَرْ
بنـو لُجَيْمٍ[٣] وجعاسيسُ[٤] مُضَرْ * بجانب الدَّوِّ[٥] يُدَهْـدُون العَكَرْ

فانتهى اليه يزيد بن عمرو فطعنَه فصرَعه عن فرسه وأَسَره. وكان يزيد شديدًا جسيما، فشدّه فى القِدّ وقال له: أنت الذى تقول:

متى تُعْقَدْ قَرِينتُنا[٦] بحَبْـلٍ * تَجُذّ الحبلَ أو تَقِصِ القَرِينا

أَمَا إنّى سأقرِنك إلى ناقتى هذه فأطْرُدُكما[٧] جميعا. فنادى عمرُو بن كلثوم يالَرَبيعةَ! أَمُثْلَة! . قال: فاجتمعت بنو لُجَيْم[٨] فنَهَوْه ولم يكن يريد ذلك به. فسار به حتّى أتى قَصْرًا بحَجْرٍ من قصورهم، وضرب عليـه قُبّة ونَحَر له وكساه وحمَله على نجيبه وسقاه الخمر. فلمـا أخذتْ برأسه تغنّى:

---

(١) فى الأصول: «فسمع بها»، وظاهر أن مرجع الضمير عمرو بن كلثوم.

(٢) حجـر (بالفتح): عاصمة اليمـامة. (٣) هو لجيم بن صعب؛ وحنيفة أبو القبيلة أحد أولاده. وسياق الكلام قبله يرجح أن يكون الخطاب لبنى سحيم. فلعل "لجيا" محرف عن "سحيم".

(٤) الجعاسيس: اللئام الخـلق والخلق، والواحد جعسوس. (٥) الدوّ: الفـلاة. و يدهدون: يدحرجون و يقلبون؛ يقال: دهدى الشىء إذا قلب بعضـه على بعض، مثـل دهدهه. والعكر (بالتحريك) دردىّ كل شىء. وفى جـ: «يدهون» وفى ا، م: «نجائب الدوّ يدهون». وفى ب، س: «يديهون» وكله تحـريف؛ إذ الظاهر أنه يريد أن يذم هؤلاء القوم فوصـفهم بأنهم يعملون فى أحقر الأشياء ولا شأن لهم ولا خطر. (٦) رواية المعلقات فى عدة نسخ «متى نعقد» بالنون. والقرينة: التى تقرن إلى غيرها أى تربط مع غيرها بحبل. وتجذ: تقطع، وهو مجزوم فى جواب الشرط، فيجوز فيه الكسر لالتقاء الساكنين وهو المختار، والفتح للتخفيف، والضم اتباعا لضمة ما قبله. وتقص: تكسر؛ يقال: وقص عنقه يقصها وقصا إذا كسرها ودقها. (٧) طرد الإبل: ساقها.

(٨) تقدّم أن «لجيا» جد أعلى لهم، وأن الجد الذى ينتسبون اليه «سحيم».

أأجمع صُحْبتي السَّحَر ارتحالا * ولم أشعرْ ببَيْنٍ منك هالا[1]

ولم أر مثل هالة فى معدٍّ * أُشَبِّهُ حسنَها إلّا الهلالا

ألَا أبلغْ بنى جُشَم بن بكرٍ * وتَغْلِبَ كلّما أتيا حِلالا[2]

بأنّ الماجدَ القَرْمَ ابنَ عمرٍو * غداةَ نَطَاعِ[3] قد صدق القتالا

١٨٤
٩

٥ كتيبته مُلَمْلَمَةٌ[4] رَدَاحٌ * إذا يرمونها تُفْنِى النِّبالا

جزى الله الأغرَّ يزيدَ خيرًا * ولقّاه المَسَرَّةَ والجمالا

بمأخذه ابنَ كُلْثوم بنِ عَمْرٍو * يزيدَ الخيرِ نازلَه نِزالا

بجمعٍ من بنى قُرّانَ[5] صِيدٍ * يُجِيلون الطِّعان إذا أجالا

يزيد يقدم السفراء حتى[6] * يُرَوِّى صَدْرَها الأَسَلَ النِّهالا

حواره مع عمرو ابن أبى حجر الغسانى حين مر ببنى تغلب فلم يكرموه

١٠ أخبرنى علىّ بن سليمان قال أخبرنا الأحْوَل عن ابن الأعرابىّ قال :

زعموا أنّ بنى تَغْلِبَ حاربوا المُنْذِرَ بنَ ماء السماء فلحِقوا بالشأم خوفًا منه . فمرّ بهم عَمْرو بن أبى حُجْر الغسّانى[7] ، فتلقّاه عمرو بن كُلْثوم . فقال له : يا عَمْرو ، ما منع

(١) يريد : ياهالة . (٢) حلال : جمع حلة (بالكسر) وهى جماعة بيوت الناس ، ومجتمع القوم . (٣) نطاع : أرض ، وقد ذكرها المؤلف فى صفحة ٤٦ من هذا الجزء . (٤) الكتيبة : الجيش

١٥ أو فرقة منه . وململمة : مجتمعة . ورداح : ثقيلة جرارة . (٥) قران حصن باليمامة ، نسب اليه أهله كأنه أب لهم . (راجع شرح ديوان المفضليات لأبى محمد الأنبارى ص ٤٣٤ طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٢٠م) . (٦) كذا فى الأصول . ولم نوفق لوجه الصواب فيه .

(٧) فى كتاب الكامل لابن الأثير أنه الحارث ابن أبى شمر الغسانى . وسياق هذا الخبر فيه أتم وأوضح مما هنا . وأحسب أن مصدر الغموض والاضطراب فى الأغانى هنا سقوط كلام من النساخ . ونص الخبر

٢٠ فى كتاب الكامل : « ...... فخرج ملك غسان بالشام وهو الحارث بن أبى شمر الغسانى ، فر بأفاريق من تغلب فلم يستقبلوه . وركب عمرو بن كلثوم التغلبي فلقيه فقال له : ما منع قومك أن يتلقونى؟ ! فقال : لم يعلموا بمرورك . فقال : لئن رجعت لأغزونهم غزوة تتركهم أيقاظا لقدومى . فقال عمرو : ما استيقظ قوم قط إلا نبل رأيهم وعزت جماعتهم ؛ فلا توقظن نائمهم . فقال : كأنك تتوعدنى بهم ! أما والله لتعلمن اذا نالت (لعلها أجالت) غطاريف غسان الخيل فى دياركم أن أيقاظ قومك سينامون نومة لاحلم فيها :

٢٥ تجتث أصولهم وينفى فلهم الى اليابس الجرد والنازح الثمد . ثم رجع عمرو بن كلثوم عنه وجمع قومه وقال : ألا فاعلم ... الخ » .

قومَك أن يتلقَّوْنى ؟ ! فقال له : ياعمرو ياخيرَ الفِتْيان ، فإن قومى لم يستيقظوا لحربٍ قطُّ إلا علَا فيها أمرُهم واشتدّ شأنُهم ومَنَعوا ما وراء ظهورهم . فقال له : أيقاظ نَوْمةٍ(١) ليس فيها حُلم ، أجتثّ فيها أصولَهم ، وأنفى فَلَّهم(٢) إلى اليابس الجَرَدِ ، والنازح الثَّمَدِ .

فانصرف عمرو بن كلثوم وهو يقول :

ألا فاعــلمْ أبيْتَ اللّعْنَ أنّا * على عَمْــدٍ سنأتى ما نُريدُ

تَعَــلَّمْ أنّ مَحْمَلَنا ثقيــلٌ * وأنّ زنادَ كَبتنا(٣) شــديد

وأنّا ليس حَىٌّ من مَعَدٍّ * يُوَازينا إذا لُبِس الحــديدُ

هجاؤه للنعمان بن المنذر

قال : وقال ابن الأعرابىّ : بلغ عمرَو بن كُلْثومٍ أنّ النعمان بن المُنْذِرِ يتوعّده ، فدعا كاتبًا من العرب فكتب إليه :

ألا أَبلِــغِ النُّعْمانَ عنّى رسالةً * فَمَدْحُكَ حَوْلِىٌّ وذَمُّكَ قارحُ(٤)

متى تَلْقَنى فى تَغْلِبَ ابنةِ وائلٍ * وأشياعها ترقَى إليك المسالحُ(٥)

وهجا النُّعْمانَ بنَ المنذر هجاءً كثيرا ، منه قوله يعيّره بأمّه سُلَيْمَى :

حَلّتْ سُلَيْمَى بِخَبْتٍ بعد فِرْتَاجٍ(٦) * وقد تكون قديمًا فى بنى ناجِ

(١) فى الأصول : « أيقاظى » بياء فى آخرها . (٢) الفل : القوم المنهزمون . والجرد (بالتحريك) : من الأرض ما لا ينبت . والثمد (بالفتح و بالتحريك) : الماء القليل الذى لا مادّ له . والنازح : الذى نفد ماؤه ؛ يقال نزحنا البــئر ، ونزحت البئر ، فهو لازم متعدّ . يريد أنه ينفى المنهزمين منهم الى أرض لا نبات فيها ولا ماء . (٣) كذا فى ج . والكبة (بالفتح) : الحملة فى الحرب والدفعة فى القتال ، وكبة كل شىء شدته ودفعته مثل كبة الشتاء والجرى . وفى ا ، م : «وأن زناد كتبنا» بتقديم التاء المثناة من فوق على الباء الموحدة . وفى ب ، س : «زناد كتبتنا» بزيادة تاء قبل النون . وأحسب أن صوابه : « وأن ذياد كبتنا شديد » أى أن دفع حملتنا فى القتال شديد لا يطاق . (٤) الحولى : ما أتى عليه حول . والقارح من ذى الحافر : الذى شق نابه . وهو فى السنة الأولى حولى ثم ثنى ثم رباع ثم قارح . (٥) المسالح : جمع مسلحة ، وهى القوم ذوو السلاح . (٦) الخبت : المطمئن من الأرض ، واسم لعدة مواضع . وفرتاج (بكسر الفاء) : موضع . و بنو ناج : بطن من عدوان .

إذ لا تُرَجِّى سُلَيْمَى أن يكونَ لها * مَنْ بالخَوَرْنَقِ من قَيْنٍ ونَسَّاج

ولا يكونَ على أبوابها حَرَسٌ * كما تلَفَّف قِبْطىٌّ بديباج

تمشى بعِدْلَيْنِ من لُؤْمٍ ومَنْقَصةٍ * مَشْىَ المقيَّدِ فى اليَنْبُوت[1] والحاج

قال وقال فى النعمان :

٥ لحا الله أدنانا إلى اللُّؤمِ زُلْفةً[2] * وألأَمَنا خالًا وأعجزَنا أَبَا

وأجْدَرنا أن ينفُخَ الكِيرَ خالُه * يصوغُ القُروطَ والشُّنوفَ بيَثْرِبَا

وفاته ونصيحته لبنيه

أخبرنى الحسين بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد الدِّمَشْقىّ قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثنى علىّ بن المُغيرة عن ابن الكلبىّ عن رجل من النَّمِر بن قاسط قال :

١٠ لمّا حضرت عمرو بنَ كلثومٍ الوفاةُ وقد أتت عليه خمسون ومائةُ سنة، جمع بنيه فقال : يا بَنِىَّ، قد بلغتُ من العمر ما لم يبلُغْه أحدٌ من آبائى، ولابدّ أن ينزل بى ما نزل بهم من الموت . و إنى والله ما عيّرت أحدًا بشىء إلا عُيِّرتُ بمثله ، إن كان حقًّا فحقّا ، و إن كان باطلًا فباطلا . ومَنْ سَبَّ سُبَّ ؛ فكُفُّوا عن الشتم فإنه أسلمُ لكم ، وأَحْسِنوا جِوارَكم يحسُن ثناؤكم ، وآمنعوا من ضَيْم الغريب ؛ فربَّ رجلٍ خيرٌ ١٥ من ألف ، وردٍّ خيرٌ من خُلْف . و إذا حُدِّثتم فَعُوا ، و إذا حَدَّثتم فأوجِزوا ؛ فإن مع الإكثار تكون الأهذار[3] . وأشجعُ القوم العَطُوفُ بعد الكَرّ ، كما أنّ أكرم المنايا

١٨٥/٩

(١) فى أكثر الأصول : «اليابوت» . وفى ج : «اليلبوت» ، وكلاهما تحريف . والينبوت : نبات ، وهو ضربان ، أحدهما ذو شوك ، وهو المراد هنا . والحاج : الشوك أو ضرب منه . يريد أنها تمشى مثقلة بما تحمل من لؤم ومنقصة كما يمشى المقيد فى هذين الضربين من الشوك .

٢٠ (٢) الزلفة (بالضم) — ومثلها الزلفى والزلف (بالتحريك) — : القربة والدرجة والمنزلة .

(٣) الأهذار : جمع هذر (بالتحريك) وهو سقط الكلام .

القتل . ولا خير فيمن لا رَوِيَّةَ له عند الغَضَب ، ولا مَنْ إذا عُوتب لم يُعْتِبْ[١] . ومن النـاس مَنْ لا يُرْجَى خيرُه ، ولا يُخَافُ شرُّه ، فبَكْؤُه[٢] خيرٌ من دَرِّه ، وعقوقُه خيرٌ من بِرِّه . ولا تتزوّجوا فى حَيِّكم فإنه يؤدّى الى قبيح البُغْض .

صـــوت

لِمَنِ الديارُ ببُرْقةِ الرَّوْحانِ[٣] * إذ لا نَبِيـع زمانَنا بزمانِ
صـدَع الغوانى إذ رَمَيْنَ فؤادَه * صَدْعَ الزُّجاجة ما لذاك تَدانِى
إن زرتُ أهلكِ لم أُنَوَّلْ حاجةً * و إذا هجرتُكِ شـفَّنى هِجْرانى

الشعر لجرير يهجو الأخطلَ و يردّ عليـه حكومتَه التى حكم بها للفرزدق عليه . والغناء ، فيما ذكره علىّ بن يحيى المنجِّم فى كتابه الذى لقّبه بالمحدَث ، لمَعْبَدٍ ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، وذكر الهشامىّ أنّه لحُنَيْن ، قال و يقال : إنه لمعبد . وفيه ليزيدِ حَوْراء لحنٌ ذكره عبد الملك بن موسى عنه ، وقال : لا أدرى أهو الثقيل الأوّل أم خفيف الرمل . وذكر حَبَشٌ أنّ الثقيلَ الأوّل للغَرِيض وأنّ خفيف الرمل بالبنصر للدَّلال .

---

(١) الإعتاب : رجوع المعتوب عليه الى ما يرضى العاتب ، والاسم منه العتبى .

(٢) أصل البكء : قلة اللبن أو انقطاعه ؛ يقال : بكأت الناقة أو الشاة تبكأ بكأ (من باب فتح) وبكؤت تبكؤ (من باب كرم) بكاءة وبكوءا . والمعنى المراد : فمنعه خير من عطائه .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٦٣ من هذا الجزء .

٢
١٠

ذكر الخبر عن السبب فى اتصال الهجاء بين جرير والأخطل

سبب التهاجى بين جرير والأخطل

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العبّاس اليزيدىّ قالا حدّثنا أبو سعيد السكّرِىّ عن محمد بن حبيبَ عن أبى عُبَيْدة وعن أبى غسّان دَمَاذٍ عن أبى عُبَيْدة، وأخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا أبو ذَكْوان القاسم بن إسماعيل قال حدّثنا أبو غسّان عن أبى عُبَيْدة، وأخبرنا الصُّولىّ عن إبراهيم بن المُعَلَّى الباهلىّ عن الطوسىّ عن ابن الأعرابىّ وأبى عمرو الشيبانىّ، وقد جمعتُ رواياتهم. قال أبو عبيدة حدّثنى عامر بن مالك المِسْمَعِىّ قال:

كان الذى هاج التهاجِىَ بين جريرٍ والأخطل أنه لمّا بلغ الأخطلَ تهاجِى جرير والفرزدق قال لابنه مالكٍ — وهو أكبر ولده وبه كان يُكْنَى —: اِنْحَدِرْ إلى العراق حتّى تسمع منهما وتأتيَنى بخبرهما. فانحدر مالكٌ حتى لقِيهما وسمع منهما ثم أتى أباه. فقال له: كيف وجدتَهما؟ قال: وجدتُ جريراً يغرِف من بحرٍ، ووجدت الفرزدق ينحِت من صخر. فقال الأخطلُ: الذى يغرِف من بحرٍ أشعرُهما؛ وقال يفضّل جريراً على الفرزدق:

إنِّى قضيتُ قضاءً غيرَ ذى جَنَفٍ * لَمَّا سمعتُ ولمّا جاءنى الخَبَرُ
أنّ الفرزدقَ قد شالت نَعامتُه * وعضّه حيّةٌ من قومه ذَكَرُ

وفى رواية ابن الأعرابىّ "قد سالَ الفُرَاتُ به". قال أبو عُبَيْدة: ثم إن بِشْرَ بن مَرْوان دخل الكوفة، فقدِم عليه الأخطلُ، فبعَث إليه محمدُ بن عُمَيْر بن عُطَارِد بن حاجِب بن زُرَارة بألف درهم وكُسْوة وبَغْلة وخَمْر، وقال له: لا تُعِن على شاعرنا،

٣/١٠ واهجُ هذا الكلبَ الذى يهجو بنى دارم ؛ فإنك قد قضيتَ على صاحبنا ، فقُلْ أبياتاً واقضِ لصاحبنا عليه . فقال الأخطل :

أجرير إنّكَ والذى تسمو له * كأَسيفةٍ[1] فَخَرتْ بحِدْجِ حَصانِ

عَمِلتْ لربّتها فلمّا عُولِيتْ[2] * نَسَلتْ تعارضها مع الرُّكْبانِ

أَتَعُدُّ مأثرةً لغيرك فخرُها * وثناؤها فى سالف الأزمانِ ٥

تاجُ الملوك[3] وفخرُهم فى دارمٍ * أيَّامَ يَرْبوعٌ[4] مع الرُّعْيانِ

وهى طويلة يقول فيها :

فاْخسأْ إليك كُلَيْبُ إنّ مُجاشِعاً * وأبا الفوارس نَهْشَلاً أخَوانِ

سبقوا أباك بكلّ أَغْلَى[5] تَلْعةٍ * فى المجد عند مَواقف الرُّكْبانِ

قومٌ إذا خَطَرتْ عليك قُرومُهم * ألقتْكَ بين كَلاَكِلٍ وجِرانِ[6] ١٠

وإذا وضعتَ أباك فى ميزانهم * رَجَحوا وشال أبوك فى الميزانِ[7]

---

(١) الأسيفة : الأمة . والحدج (بالكسر) : مركب من مراكب النساء يشبه المحفة . والحصان العفيفة . ويعنى بها هنا الحرة لمقابلتها للأمة . (٢) فى ديوان الأخطل : "حملت" . وربتها : سيدتها . وعوليت : رفعت أى حملت على مركب . ونسلت : أسرعت فى المشى ؛ وقيل : أصل النسلان للذئب ثم استعمل فى غيره . (٣) رواية الديوان : ١٥

* فى دارم تاج الملوك وصهرها *

(٤) يربوع : جدّ لجرير .

(٥) فى الديوان : « مجمع تلعة » .

(٦) القرم (بالفتح) : الفحل من الإبل ، ويستعمل فى السيد المعظم من الرجال على التشبيه . والكلاكل : الصدور . والجران : باطن عنق البعير أو مقدمه من مذبحه إلى منحره . ٢٠

(٧) شولان الميزان (بالتحريك) : ارتفاع إحدى كفتيه ، ويستعمل فى المفاخرة على التمثيل ؛ يقال : فاخرت فلانا فشال ميزانه أو شال فى ميزانه ، أى فخرته وغلبته .

وقال جرير يُردّ حكومة الأخطل :

لِمَنِ الدِّيارُ ببُرْقةِ الرَّوْحانِ(١) * إذ لا نَبِيعُ زمانَنا بزمانِ

وهى طويلة يقول فيها :

ياذَا الغباوة إنّ بِشْرًا(٢) قد قضَى * ألّا تجوزَ حكومةُ النَّشْوانِ(٣)

٥ فدَعُوا الحكومة لَسْتُمُ من أهلها * إنّ الحكومةَ فى بنى شيبان

قتلوا كُلَيْبَكُمُ بلِقْحَةِ جارِهم * ياخُزْرَ تَغْلِبَ لسْتُمُ بِهِجانِ(٤)

قصيدة للأخطل وشرح بعض كلماتها

ومما غُنِّي فيه من نقائض جرير والأخطل :

صوت

أناخُوا بخَرُّوا شَاصِياتٍ كأنّها * رجالٌ من السُّودان لم يَتَسَرْبَلُوا

١٠ فقلتُ اصْبَحُونى(٥) لا أبَا لأبيكمُ * وما وضعوا الأثقالَ إلّا ليفعلوا

تمرُّ بها الأيدى سَنِيحا وبارحًا * وتُرفَعُ(٦) باللَّهُمَّ حَىَّ وتُنْزَلُ

الشاصيات : الشائلات القوائم من امتلائها . وعَنَى بالشاصيات ها هنا الزِّقاق ، لأنها إذا امتلأت شالت أكارعُها ؛ يقال : شَصَا برجلِه اذا رفعها، وشَصَا ببصره إذا شخَص ؛ قال الراجز يصف الشاخصَ :

١٥ (١) برقة الروحان : روضة باليمامة . وفى الأصول هنا : « ببرقة الريحان » والتصويب من الأغانى (ج ٥ ص ١٨٦ من هذه الطبعة) والنقائض ومعجم البلدان لياقوت .

(٢) كذا فى كل الأصول هنا . وقد أثبت فى الجزء الثامن : « ياذ العباءة » . (راجع فيه الحاشية رقم ٥ ص ١٧) . (٣) فى الأصول : « النسوان » بالسين المهملة وهو تصحيف .

(٤) اللقحة : الناقة الحلوب . والخزر (بالضم) : جمع أخزر . والخزر : صغر العين وضيقها . والهجان :

٢٠ البيض الكرام . يشير فى هذا البيت إلى مقتل كليب بن ربيعة وسببه .

(٥) صبحه : سقاه الصبوح وهو الشراب بالغداة . والأثقال : الأمتعة ، واحدها ثقل (بالتحريك) .

(٦) فى بعض الأصول : "وترفعها باللم" وهو تحريف . يعنى أنه يسمى عليها بذكر الله فى رفعها وإنزالها . ويروى : « وتوضع .. .. وتحمل » .

وبقـرٍ خَماصٍ[(١)] * يَنْظُرْنَ من خَصَاصِ[(٢)]

بأعيُنٍ شَوَاصِى * كفِلَق[(٣)] الرَّصاص

والسانح والسنيح : ما جاء عن يمينك يريد شمالك . والبارح : ما جاء عن شِمالك يريد يمينك . والجابهُ : ما جاء من أمامك مواجهًا لك . والقَعيدُ والخَفِيفُ : ما جاء من ورائك . شبّه دَوْرَ الكأس واختلافها بينهم بالسوانح والبوارح . الشعر للأخطل . ٥
والغناء لمالك، فيه لحنان كلاهما له، أحدُهما رَمَلٌ بالبنصر فى مجراها فى الأبيات الثلاثة على الوِلَاء من رواية إسحاق، والآخر خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى فى الثالث ثم الأول والثانى عن عمرو . وذكر عمرو أنّ الرملَ أيضا لابن سُرَيج وأنه بالوسطى . وفيه لإبراهيم رملٌ بالبنصر فى الأول والثانى عن الهشامىّ وعمرو . وفيه لابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو والهشامىّ . ١٠

ومنها :

صـــوت

خَفَّ القَطِينُ فراحُوا منك أو بَكَرُوا * وأزعجتهم نَوًى فى صَرْفها غِيَرُ

كأنّنى شاربٌ يوم استُبِدَّ بهم * من قَرْقَفٍ ضُمِّنَتْها حِمْصُ[(٤)] أو جَدَرُ

جادت بها من ذوات القارِ مُتْرَعةٌ * كَلْفاءُ يَنْحَتُّ من خُرْطومها المَدَرُ ١٥

يا قاتلَ اللهُ وَصْلَ الغانياتِ إذا * أيقنَّ أنك ممن قد زَهَا الكِبَرُ

أعْرَضْنَ لمّا حَنَى قَوْسِى مُوَتِّرُها * وابيضَّ بعد سواد اللِّمَّةِ الشَّعَرُ

---

(١) خماص : ضامرات البطون، الواحد خمصان (بفتح الخاء وضمها) للذكر، وخمصانة للؤنث .

(٢) الخصاص : الخروق، واحدها خصاصة .

(٣) فى الأصول : «تعلق بالرصاص» . والتصويب من لسان العرب (مادة شصا) . وفيه زيادة عما هنا : هى : * يارب مهر شاص * وموضعه فى أول الرجز . ٢٠

(٤) حمص : مدينة مشهورة بالشام بين دمشق وحلب فى نصف الطريق . وجدر : قرية بين حمص وسلمية تنسب اليها الخمر .

استُبِدَّ بهم أى عُلِىَ عليهم[١] . والقرقفُ : التى تأخذ شاربَها رِعدة لشِدّتها . والكلفاءُ : الخابيةُ فى لونها كَلَفٌ[٢] . وقوله "زَهَا الكِبَرُ" يعنى استخفّه وأضعفه؛ يقال : زَهَاه وازْدَهاه . وقال أبو عُبَيْدة : الأصل فى زَهَاهُ رفَعه؛ فكأنه أراد أنه رفعه فى علوّ سِنّه عما يُرِدْنَ منه . واللِّمّة : الشعر المجتمع .

٥ الشعر للأخطل يمدح عبد الملك بن مَرْوان ويهجو قَيْسًا وبنى كُلَيْب ، ويقول فيها :

أمّا كُلَيْبُ بنُ يَرْبُوعٍ فليس لها * عند التفاخُرِ[٣] إيرادٌ ولا صَدَرُ
مُخَلَّفُون ويقضِى الناسُ أمرَهُمُ * وهُمْ بغَيْبٍ وفى عَمْيَاءَ ما شَعَروا
مُلَطَّمُون بأعقارِ[٤] الحِيَاضِ فما * ينفكُّ من دارِمِىٍّ فيهمُ أَثَرُ
١٠ بئس الصُّحاةُ[٥] وبئس الشَّرْبُ شَرْبُهمُ * إذا جرى فيهمُ المُزَّاءُ والسَّكَرُ
قومٌ تناهتْ إليهم كلُّ مُخْزِيَةٍ * وكلُّ فاحشةٍ سُبَّتْ بها مُضَرُ
الآكلون خبيثَ الزّادِ وحدَهُمُ * والسائلونَ بظَهْرِ الغَيْبِ ما الخَبَرُ

وهذه القصيدة من فاخر شعر الأخطل ومقدّمه ومما غُلِّبَ فيه على جرير . وقد احتاج جريرٌ إلى سلخ بيته[٦] هذا الأخير فردّه عليه بعينه فى نقيضة هذه القصيدة ، وضمّنه ١٥ بيتين من شعره فقال :

---

(١) فى الأصول : «علا عليهم» وهو تحريف . يعنى أنهم غلبوا على أمرهم .

(٢) الكلف : حمرة كدرة ، أو هو لون بين السواد والحمرة .

(٣) فى الديوان : «عند التفارط» . والتفارط : التقدم فى طلب الماء . (٤) الأعقار : جمع عقر (بالضم) وهو مؤخر الحوض حيث تقف الإبل إذا وردت ، أو هو مقام الشاربة منه .

٢٠ (٥) كذا فى الديوان . وهو يريد أن يذم بنى يربوع فى حال سكرهم اذا شربوا وصحوهم . وفى الأصول : «بئس الصحاب» . والمزاء (بالضم) : من أسماء الخمر، سميت بذلك للذعها اللسان .

(٦) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «نسخ بيته» .

الآكلون خبيثَ الزّادِ وحدَهمُ * والنازلون إذا وَاراهمُ الخَمَرُ[1]

والظاعنون على العَمْياء إن رحَلوا * والسائلون بظهر الغيب ما الخبر

وفى هذه القصيدة يقول الأخطلُ يمدَح عبدَ الملك :

إلى امرئ لا تُعَرِّينا[2] نوافلُه * أظْفَره الله فَلْيهْنِئْ له الظَّفَر

الخائضُ الغَمْرِ والميمون طائرُه * خليفةُ الله يُسْتَسْقَى به المطرُ

والهَمُّ بعد نَجِىِّ النفس يَبْعَثُه[3] * بالحَزْم والأَصْمَعانِ[4] القلبُ والحَذَرُ

وما الفُراتُ إذا جاشتْ غواربُه * فى حافتَيْه وفى أوساطه العُشُرُ[5]

وزعزعتْه[6] رياحُ الصَّيْفِ[7] واضطربتْ * فوق الجَآجِئِ[8] من آذيِّه غُدُرُ

مُسْحَنفِرٌ[9] من جبالِ الروم[10] يستُره * منها أكافيفُ[11] فيها دونه زَوَرُ

---

(١) الخمر (بالتحريك) : ما واراك من شجر وغيره .

(٢) كذا فى الديوان . وفى أكثر الأصول : "لا تعدينا" . وفى حـ : "لا يعدينا" .

(٣) فى الأصول : "بلغته" والتصويب من الديوان .

(٤) فى الأصول : "والأصمعين" والتصويب من الديوان ؛ إذ المعنى المراد : والأصمعان القلب والحذر يبعثانه أيضا . والقلب الأصمع : الذكى المتوقد الفطن ، وكذلك يوصف بالصمع الرأى الحازم .

(٥) جاشت : هاجت . والغوارب : المتون ؛ يريد أمواجه وأعاليه . وفى الديوان : «حوالبه» وهى أمواجه . والعشر : شجر .

(٦) زعزعته : حركته ، وقيل حركته تحريكا شديدا . وفى الديوان : «ذعذعته» بالذال المعجمة ، وهما بمعنى واحد . (٧) فى الأصول : «رياح الطير» والتصويب من الديوان .

(٨) الجآجئ : الصدور ، واحدها جؤجؤ . والآذىّ : الموج . والغدر : جمع غدير . وفى الأصول عذر (بعين مهملة وذال معجمة) والتصويب من الديوان . (٩) مسحنفر : سريع الجرى .

(١٠) فى الأصول : «من بلاد الروم» والتصويب من الديوان ولسان العرب .

(١١) فى الأصول : «أكاليف» والتصويب من الديوان ولسان العرب (مادة كفف) . وأكافيف الجبل : حيوده أى حروفه الناتئة فى أعراضه . والزور (بالتحريك) : الميل . يصف الفرات وجريه فى جبال الروم المطلة عليه حتى يشق بلاد العراق .

٥
―
١٠

يومًا بأجْوَدَ منه حين تسألُه * ولا بأجهرَ[1] منه حين يُجتَهَرُ
فى نَبْعةٍ[2] من قُرَيْشٍ يَعْصِبون[3] بها * ما إن يُوازَى بأعلَى نَبْتها الشجرُ
حُشْدٌ على الخير عيّافو الخَنا أُنُفٌ * إذا ألمّتْ بهم مكروهةٌ صَبَروا
لا يَسْتَقِلّ[4] ذوو الأضغان حربَهمُ * ولا يُبيِّن فى عِيدانهم خَوَرُ
٥ شُمْسُ[5] العداوةِ حتى يُستقادَ لهم * وأعظمُ الناسِ أحلامًا إذا قَدَروا

مدح الرشيد بيتا للأخطل

أخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنا علىّ بن الصبّاح عن أبيه :

أنّ الرشيد قال لجماعة من أهله وجُلسائه : أىُّ بيت مُدح به الخلفاءُ منّا ومن بنى أُمَيّةَ أفخرُ ؟ فقالوا وأكثروا . فقال الرشيد : أمْدَحُ بيتٍ وأفخرُه قولُ ابن ١٠ النَّصْرانيّة فى عبد الملك :

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم * وأعظمُ الناس أحلامًا إذا قدروا

مدح آدم بن عمر ابن عبد العزيز بيتا للأخطل فى مجلس المهدى فأغضبه

أخبرنى الحسن قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنى أحمد بن الحارث عن المدائنىّ قال :

قال المهدى يومًا وبين يديه مَرْوان بن أبى حَفْصة : أين ما تقوله فينا من ١٥ قولك فى أمير المؤمنين المنصور :

(١) فى الأصول : « بأجهد » والتصويب من الديوان . أى بأعظم ولا أحسن مرآة منه ؛ يقال جهرت فلانا واجتهرته إذا رأيته عظيما حسن المرآة فى عينك . (٢) النبع : ضرب من الشجر وهو من أجوده . (٣) هذه رواية الديوان . وفى الأصول : « يعصمون بها » . ويعصبون بها : يطيفون بها ويلزمونها . (٤) استقل الشيء : حمله . يريد أن خصومهم لا يستطيعون أن ينهضوا ٢٠ بحربهم . ويبين : يتضح ويظهر . (٥) شمس : جمع شموس ، وهو من الرجال العسر فى عداوته الشديد الخلاف على من عانده . والأصل فى هذا الجمع أن يكون مضموم العين ، ويجوز فيه التسكين كما ورد فى البيت هنا .

له لَحَظاتٌ عن حِفافَىْ سَرِيرِه * إذا كرّها فيها عِقابٌ ونائلُ

فاعترضه آدم بن عمر بن عبد العزيز فقال : هيهاتَ والله يا أمير المؤمنين أن يقول هذا ولا ابنُ هَرْمة كما قال الأخطل :

شُمْسُ العَداوةِ حتى يُسْتقاد لهم * وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَروا

٥ قال : فغضب المهدىّ حتى استشاط وقال : كَذَب والله ابنُ النّصرانيّة العاضُّ بَظْر أُمِّه وكذبتَ ياعاضّ بَظْرِ أمِّك ! والله لولا أن يقال : إنى خَفَرتُ(١) بك لعرّفتك مَنْ أكثرُ شعرا ! خذوا برجل ابن الفاعلة فأَخْرِجوه عنّى ! فأخرجوه على تلك الحال، وجعل يشتُمه وهو يُجَرّ ويقول : يا بنَ الفاعلة ! أراها فى رءُوسكم وأنفسكم ! .

صــــوت

١٠ إنّى أَرِقتُ ولم يأْرَق معى صاح * لِمُسْتكِفٍّ بُعَيْدَ النومِ لَـوّاح

دانٍ مُسِفٍّ فُوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُه * يكاد يدفعـه مَنْ قام بالرّاح

عَروضه من البسيط . الشعر لأَوْس بن حَجَر — وهكذا رواه الأصمعىّ ، أخبرنا بذلك اليزيدىّ عن الرِّياشىّ عنه ، ووافقه بعض الكوفيين ، وغير هؤلاء يرويه لعَبِيدِ بن الأبرص — والغناء لإبراهيم الموصلىّ ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى ١٥ الوسطى . ولحسين بن مُحْرِز لحنٌ فى البيت الثانى و بعده :

إنْ أَشْرَبِ الخمرَ أو أُغْلى بها ثمنًا * فـلا مَحالةَ يومًا أننى صاح

وطريقته خفيف رمل بالوسطى .

---

(١) كذا فى الأصول . والذى فى كتب اللغة أنه يقال : خفرت فلانا وخفرت به اذا أجرته وأمنته ، وأخفرته اذا غدرته ، و يقال خفرت ذمته اذا لم يوف بها .

قوله : مُسْتَكِفّ : يعنى مستديرا ، وكلُّ طُرّة كِفَّة . أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ قال سمعت أبا مهدىّ يقول وهو يصف شُجاعاً[1] عرض له فى طريقه : تبعنى شُجاعٌ من هذه الشُّجعان ، فمرّ خلفى كأنه سهمٌ زالج ، فحِدتُ عنه ، واستكفّ كأنه كُفّةُ حابِلٍ ، فرميته فنظرت ثلاثة أثنائه[2] . وكذلك يقال كُفَّة الحابل وكِفّة الميزان بالكسر[3] ، والأولى مضمومة . ولوّاح : من قولهم لاَحَ يلوحُ إذا ظهر . ومسفّ : قد أسَفّ على وجه الأرض إذا صار عليها أو قرُب منها أو دنا إليها ؛ ومن هذا يقال : أسَفّ الطائر إذا طار على وجه الأرض ؛ و يقال ذلك للسهم أيضا . وهَيْدَبُه : الذى تراه كالمتعلّق بالسحاب . يقول : هذا السحاب يكاد من قام أن يمسّه و يدفعه براحته لقربه من الأرض ؛ وهو أحسن ما وُصِف به السحاب .

---

(١) الشجاع (بضم الشين وكسرها ، و جمعه شجعان بضم الشين وكسرها) : الحية الذكر ، أو الحية مطلقا ، أو هو ضرب من الحيات . (٢) أثناء الحية : مطاويها إذا تحوّت وتثنت ، واحدها ثنى (بالكسر) . ويقال أيضا مثانى الحية ، جمع مثناة (بفتح الميم وكسرها) .

(٣) لأهل اللغة فى ضبط كلمة "كفة" فى معانيها المختلفة آراء كثيرة مبسوطة فى كتاب لسان العرب وغيره .

ذكر أَوْس بن حَجَرٍ وشيء من أخباره

نسب أوس بن حجر

وقد اختُلِفَ فى نسبه، فقال الأصمعى، فيما أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيدىّ عن الرياشى عنه، : هو أَوْسُ بن حَجَرِ بن مالك بن حَزْن بن عُقَيْل بن خَلَف بن نُمَيْر. وقال ابن حبيب، فيما ذكره السكّرىّ عنه، : هو أوس بن حجر من شعراء الجاهليّة

منزلته فى الشعر

وفحولها. وذكر أبو عُبَيْدة أنه من الطبقة الثالثة، وقرنه بالحُطَيْئة ونابغة بنى جَعْدة.

فأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال قال أبو عبيدة حدّثنا يونس عن[1] أبى عمرو قال:

كان أَوْسٌ شاعرَ مضر حتى أسقطه النابغةُ وزُهَيْر، فهو شاعر تميم فى الجاهليّة غير مُدَافَع.

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا الأصمعىّ قال سمعت أبا عمرو يقول: كان أَوْس بن حَجَرٍ فَحْلَ الشعراء، فلما نشأ النابغةُ طأطأ منه. وأمّا الكلبىّ فإنه زعم أنّ من هذه الطبقة لَبِيدَ بن رَبيعةَ والشَّمّاخ بن ضِرَار. قال: وتميم إلى الآن مقيمةٌ على تقديم أَوْس. قال: ومنهم من يقول بتقديم عَدِىّ، وأنشد لحارثةَ بن بَدْرٍ الغُدَانىّ:

والشِّعْرُ كان مَبِيتُه ومَظَلُّه * عند العِبَادىّ الذى لا يُجْهَلُ

وقال يعقوب بن سليمان قال حمّاد: أدركتُ رجالًا من بنى تميم لا يفضِّلون على عدىّ فى الشعر أحدا.

أخبرنى اليزيدىّ عن الرِّياشىّ عن الأصمعىّ قال: تميم تروى هذه القصيدةَ الحائيّة لعَبِيدٍ، وذلك غلطٌ؛ ومن الناس من يخلِطها بقصيدته التى على وزنها ورويِّها لتشابههما.

---

(١) فى الأصول: «حدّثنا يونس بن أبى عمرو...» وهو تحريف.

تمثلت فتاة أعرابية بشعره في السحاب

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سَعِيد السُّكّريّ قال حدّثنا عليّ ابن الصبّاح قال حدّثني عُبَيد الله بن الحسين بن المسوّد بن وَرْدَان مولى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال:

خرج أعرابيٌّ مكفوف ومعه ابنة عمٍّ له لِرَعْيِ غنمٍ لهما. فقال الشيخ: أجد ريحَ النَّسيم قد دنا، فارفعي رأسك فآنظرى. فقالت: أراها كأنها رَبْرَبُ مِعْزَى هَزْلَى. قال: آرْعَىْ واحذَرى. ثم قال لها بعد ساعة: إني أجد ريح النسيم قد دنا، فارفعي رأسك فآنظُرى. قالت: أراها كأنها بِغالٌ دُهْمٌ تجرّ جِلالَها. قال: آرْعَىْ واحذَرى. ثم مكث ساعةً ثم قال: إني لأجد ريح النسيم قد دنا، فآنظُرى. قالت: أراها كأنها بطن حمارٍ أَصْحَر. فقال: آرْعَىْ واحذَرى. ثم مكث ساعةً فقال: إني لأجد ريح النسيم، فما ترين؟ قالت: أراها كما قال الشاعر:

دَانٍ مُسِفٌّ فُوَيقَ الأرض هيدبُهُ * يكاد يدفعه مَنْ قام بالراحِ

كأنما بين أعلاهُ وأسْفَلِهِ * رَيْطٌ مُنَشَّرَةٌ أو ضوءُ مصباحِ

فَمَنْ بِمَحْفِلِهِ كمن بنَجْوتِهِ * والمُسْتَكِنّ كَمَنْ يمشى بِقِرْواحِ

٧/١٠

فقال: آنْجِى لا أبالك! فما انقضى كلامُه حتى هطلت السماء عليهما.

البيت الثاني من هذه الأبيات ليس من رواية ابن حبيب ولا الأصمعيّ.

معنى قول الجارية "كأنها بطن حمار أصحر": تعني أنه أبيض فيه حمرة. والصحرة لونٌ كذلك. وقوله: "فَمَنْ بمَحْفِلِه كمن بنجوته": يعني مَنْ هو بحيث احتفل السيلُ — واحتفالُ كل شيء مُعْظَمُه — كمن في نجوته. وقد رُوِى "بمَحْفِشه"، وهما واحد، ومعناهما مجرى معظم السيل. يقول: فمَنْ هو في هذا الموضع منه كمن بنَجْوته (أي ناحية عنه) سواءً لكثرة المطر. والقِرْواح: الفضاء؛

يقال قِرْواحٌ وقِرْياحٌ . ويقال فى معنى المَحْفِش : حَفَشت الأوديةُ إذا سالت ، وتحفّشت المرأة على ولدها إذا قامت عليه .

كان يسير ليلا فصرعته ناقته ، فأكرمه فضالة ابن كلدة ، فمدحه

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى علىّ بن أبى عامر السَّهْمىُّ المِصْرىُّ قال حدّثنى أبو يوسف الأصبهانىّ قال حدّثنى أبو محمد الباهلىّ عن الأصمعىّ، وذكر هذا الخبر أيضا التَّوَّزىّ عن أبى عُبَيدة، فجمعت روايتيهما، قالا :

كان أَوْس بن حجر غَزِلًا مُغْرَماً بالنساء، فخرج فى سفر، حتى إذا كان بأرض بنى أَسَدٍ بين شَرْجٍ وناظِرةَ[1]، فبينا هو يسير ظلاماً إذ جالت به ناقته فصَرعته فآندقت فخذاه فبات مكانَه، حتى إذا أصبح غدَا جَوارِى الحىّ يجتنين الكَمْأة وغيرَها من نبات الأرض والناسُ فى ربيع . فبينا هنّ كذلك إذ بَصُرن بناقتـه تجول وقد عَلِق زمامها فى شجرة وأبصرنه مُلْقًى، ففزِعن فهرَبن . فدعا بجارية منهن فقال لها : مَنْ أنتِ؟ قالت : أنا حَليمةُ بنت فَضَالةَ بن كَلَدَةَ، وكانت أصغرَهن ؛ فأعطاها حَجَراً وقال لها : اذهبى إلى أبيك فقولى له : آبنُ هذا يُقرِئك السلام . فأخبرته فقال : يا بُنَيّة، لقد أتيتِ أباكِ بمدح طويل أو هجاء طويل . ثم احتمل هو وأهـلُه حتى بنى عليه بيتَـه حيث صُرِع وقال : والله لا أتحوّل أبدًا حتى تبرأ ؛ وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقلّ . فقال أوس بن حجر فى ذلك :

جُـدِلتُ[2] على ليـلةٍ ساهِرهْ * بصحراء شَرْجٍ إلى ناظِـره
تُـزاد لَيَالىّ فى طُولها[3] * فليست بطَلْقٍ ولا ساكِره
أنوءُ برجـل بها ذِهْنُها[4] * وأعيتْ بها أخْتُها الغابِرة

(١) شرج وناظرة : موضعان . (٢) الجدل : الصرع ؛ يقال : جدله جدلا وجدّله تجديلا فانجدل وتجدّل . وفى الأصول والديوان : «خذلت» وظاهر أنه تصحيف . (٣) ليلة طلق وطلقة : طيبة لا حرّ فيها ولا برد ولا مطر ولا قر ؛ و يقال : يوم طلق . وليـلة ساكرة : ساكنة الريح ؛ يقال : سكرت الريح تسكر (على وزان قعد) سكورا وسكرانا إذا سكنت بعد الهبوب . (٤) كذا فى اللسان (فى مادة ذهن) . والذهن : القوة . والغابرة : الباقية . وفى الأصول والديوان : ...دهيها... العاثره .

وقال فى حَليمة :

لَعَمْـرُكَ ما مَلّتْ ثَوَاءَ ثَوِيِّها(١) * حليمةُ إذ أُلْقِى مَرَاسِى مُقْعَدِ(٢)

ولكن تَلَقَّتْ باليـدينِ ضَمَانَتِى(٣) * وَحَلَّ بشَرْجٍ مِ القبائلِ(٤) عُوَّدِى

ولم تُلْهِها(٥) تلك التكاليفُ إنّها * كما شئتَ من أكرومةٍ وتَخَرُّدِ(٦)

٥ سأجزيكِ أو يَجْزِيكِ عنّى مُثَوِّبٌ(٧) * وقَصْرُكِ(٨) أنْ يُثْنَى عليكِ وتُحْمَدِى

رثى فضالة بن كلدة حين مات

قالا : ثم مات فَضَالةُ بن كَلَدَة، وكان يكنى أبا دُلَيْجة، فقال فيه أَوْس بن حَجَرٍ يرثيه :

يا عينُ لابدّ من سَكْبٍ وتَهْمالِ * على فَضَالةَ جَلّ الرُّزْءُ والعالِى

ويروى "عَيْنَىّ". العالى : الأمر العظيم الغالب . وهى طويلة جدّا . وفيها مما يغنّى فيه :

٨/١٠

صـــوت

١٠ أبا دُلَيْجةَ مَنْ تُوصِى بأرمــلةٍ * أم مَنْ لأَشْعَثَ ذى طِمْرَيْنِ(٩) مِمْحَالِ

أبا دُلَيجةَ مَنْ يكفى العشيرةَ إذ * أمسَوْا من الأمر فى لَبْسٍ وبَلْبالِ

لا زال مِسْكٌ ورَيْحانٌ له أَرَجٌ * على صَدَاكَ(١٠) بصافى اللّونِ سَلْسَالِ

---

(١) الثواء : الإقامة . والثوىّ هنا : الضيف . (٢) المقعد : الذى به داء يقعده . وفى بعض الأصول والديوان : «مقعدى» بياء فى آخره . (٣) الضمانة : الداء فى الجسد من كبر أو بلاء ١٥ أو غير ذلك . ومثل الضمانة الضمان والضمن (بالتحريك) والضمنة (بالضم) ؛ يقال : رجل ضمن (بالتحريك) لا يثنى ولا يجمع لأنه وصف بالمصدر ، ورجل ضمن (بكسر عينه) وضمين ؛ وهذان الوصفان يثنيان ويجمعان ؛ وجمع الأول : ضمنون ، والثانى : ضمنى . (٤) أى من القبائل . وفى الأصول : «فالقبائل» والتصويب من الديوان . (٥) يقال : لهى عن الشىء يلهى (وزان فرح) اذا كف عنه وتركه . يريد : لم يجعلها تتركه ما تلاقيه فى القيام عليه من تكاليف . (٦) التخرد : الحياء والخفر ؛ يقال : خردت الفتاة خردا ٢٠ (من باب فرح) وتخردت . (٧) المثوب هنا : الذى يعطى المحسن ثواب ما عمل ؛ يقال : أثابه الله وأثوبه وثوبه . (٨) قصرك : غايتك وكفايتك ؛ ومثله قصارك وقصاراك (بضم القاف فيهما) . (٩) رجل أشعث : مغبر الرأس متلبد الشعر أو منتشره لقلة تعهده بالدهن والاستحداد . والطمر : الثوب الخلق . وممحال : مجدب . يريد أنه فقير . (١٠) الصدى هنا : جثة الميت فى قبره . وبصافى اللون أى مع صافى اللون ، يريد الماء . والدعاء للقبور بالسقيا معروف عند العرب .

غَنَّى فيه دَحْمان خفيفَ رمل بالوسطى عن عمرو . وذكر حبش أنّ فيه لابن عائشة رَمَلًا بالوسطى عن عمرو . وذكر حبش أنّ فيه لابن عائشة رملًا بالبنصر، ولداود ابن العباس ثانى ثقيل ، ولابن جامع خفيف ثقيل .

ومن فاضل مراثيه إياه ونادرِها قوله :

أيَّتُها النفسُ أجْمِلِى جَزَعَا * إنّ الذى تَكْرَهين قد وقعا ٥

إنّ الذى جَمَّعَ السماحةَ والـ * ـنَّجْدَةَ والحزمَ والقُوَى جُمَعَا

المُخْلِفَ المُتْلِفَ[1] المُرَزَّأَ لم * يُمْتَعْ بضَعْفٍ ولم يمُتْ طَبِعَا

أوْدَى وهل تنفع الإشاحةُ مِنْ[2] * شىء لمن قد يُحاول البِدَعَا

وهى قصيدة أيضا يمدحه بها فى حياته ويرثيه بعد وفاته . وله فيه قصائد غير هذه .

صـــوت ١٠

رأيتُ زُهَيْرًا تحت كَلْكَلِ خالدٍ * فأقبلتُ أسعى كالعَجُولِ أُبادِرُ

فشَلَّتْ يمينى يوم أضربُ خالدًا * ويمنعه منى الحديدُ المُظَاهَرُ

عروضه من الطويل . الشعر لوَرْقاء بن زُهَيْر . والغناء لكَرْدَمٍ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى فى مجراها عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانة أنه لمعبد، وذكر إسحاق أنه ينسبه إلى معبد من لا يعلم ، وروى عن أبيه عن سِيَاط عن يونس أنه أخذه من ١٥ كَرْدَمٍ وأعلمه أن الصنعة فيه له .

---

(١) المخلف المتلف : يريد أنه يتلف ماله كرما ، ويخلفه نجدة ؛ كما قال آخر :

* فأتلف ذاك متلاف كسوب *

والمرزأ : الذى تناله الرزيات فى ماله لما يعطى ويسأل . والإمتاع : الاقامة . يقول : لم يقم وهو ضعيف . والطبع : الدنس . وأصل الطبع (بالتحريك) الوسخ والصدأ يغشيان السيف وغيره . وقد ٢٠ استعير لما يغشى النفس من الخلال الذميمة . (٢) أودى هلك . والإشاحة : الحذر . يقول : هل ينفع الحذر والخوف شيئا لمن يحاول دفع الموت . وعبر عن محاولة دفع الموت بمحاولة البدع ، إذ محاولة دفع الموت بدعة . وفى الأصول : « لمن قد يحاول النزعا » . والتصويب من لسان العرب (مادة شيح) والكامل للبرد (ص ٧٣٠ طبعة أوربا) .

خبر وَرْقاءَ بن زُهَير ونسبُه وقصة شعره هذا

نسب ورقاء بن زهير

هو وَرْقاء بن زُهَيْر بن جَذِيمة بن رَواحة بن رَبِيعة بن مازِن بن الحارث بن قُطَيْعة[(١)] بن عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان، يقوله لمّا قتل خالد بن جعفر بن كِلاب بن رَبِيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازِن بن منصور ابن عِكْرِمة بن خَصَفة[(٢)]، أباه زُهَيْر بن جَذِيمة. وكان السبب فى ذلك — فيما أخبرنى به أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحَبِيب بن نَصْر قالا حدّثنا عمر بن شَبّة، ونسخت بعضَ هذا الخبر عن الأَثْرَم ورواية ابن الكلبىّ، وأضفتُ بعضَ الروايات إلى بعض إلّا ما أفردته وجلبته عن راويه . قال أبو عُبَيدة حدّثنى عبد الحميد بن عبد الواحد ابن عاصم بن عبد الله بن رافع بن مالك بن عَبْد بن جُلْهُمة بن حَذّاق بن يَرْبُوع بن سَعْد بن تَغْلِب بن سَعْد بن عَوْف بن جِلّان بن غَنْم بن أَعْصُر، قال حدّثنى أبى عبد الواحد وعمّى صَفْوانُ ابنا عاصم عن أبيهما عاصم بن عبد الله عمن أدرك شَأْسَ ابنَ زُهَيْر . قال : كان مولد عاصم قبل مبعث النبىّ صلى الله عليه وسلم، وكان عاصم جاهليًّا . قال : وقال عبد الحميد حدّثنى سيّار بن عمرو أحد بنى عُبَيد بن سَعْد ابن عَوْف بن جِلّان بن غَنْم — قال أبو عبيدة: وكان أَعْلَمَ غَنِيٍّ[(٣)] — عن شيوخهم — :

٩/١٠

مقتل شأس بن زهير أخيه والبحث عن قاتله ثم محاولة الثأر منه

أن شَأْسَ بن زُهَيْر بن جَذِيمة أقبل من عند ملك — قال أبو عُبَيْدة : أُراه النعمان — وكان بينه وبين زُهَير صِهْر — قال أبو عبيدة : ثم حدّثنى مرّة أخرى قال : كانت ابنةُ زُهَيْر عنده — فأقبل شأْس بن زُهَيْر من عنده وقد حَبَاه أفضل

(١) كذا فى كتاب المعارف لابن قتيبة والقاموس . وفى الأصول : «قطيعة بن قيس» .

(٢) فى الأصول : « حفصة » وهو تحريف .

(٣) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « وكان بلغني عن شيوخهم » وهو تحريف .

الحُبْوَةَ مِسْكًا وكُسًا وقُطُفًا وطَنَافِسَ، فأناخ ناقته فى يوم شَمَالٍ وقُرٍّ على رَدْهَةٍ[١] فى جبلٍ
ورِيَاحُ بنُ الأَسَكِّ[٢] أحدُ بنى رباع بن عبيد بن سَعْد بن عَوْف بن جِلّان على الرَّدْهة
ليس غيرُ بيتـه بالجبل؛ فأنشـأ شأس يغتسل بين الناقة والبيت؛ فٱستدبره رِياحُ
فأَهْوَى له بسهم فبَتَرَ به صُلْبَه . قال أبو عُبَيْدة وحدّثنى رجل يُخَيَّل إلىّ أنه أبو يحيى
الغَنَوىّ قال : ورد شأس وقـد حباه الملك بحُبْوةٍ فيها قطيفةٌ حمراء ذات هُدُب
وطِيبٌ ، فورد مَنْعِجًا[٣] وعليه خِباءٌ مُلْقًى لرِيَاح بن الأَسَكّ فيه أهلُه فى الظَّهيرة؛ فألْقَى
ثيابَه بفِنائه ثم قعد يُهَرِيقُ عليه المـاء، والمرأة قريبةٌ منه (يعنى امرأة رِياح) فإذا هو
مثل الثور الأبيض . فقال رياح لٱمرأته : أَنْطِينى[٤] قَوْسى؛ فمدّتْ إليـه قوسـه
وسهمًا ، وانتزعت المرأة نَصْلَه لئـلا يقتله؛ فأهوى عَجْـلانَ إليـه فوضع السهمَ
فى مُسْتَدَقِّ الصُّلْب بين فَقَارتين ففصلهما ، وخرّ ساقطا؛ وحفَر له حَفَرًا فهدَمه
عليه ، ونحر جمله وأكله . قال : وقال عبد الحميـد : أكل رَكُوبته وأولج متاعه
بيتَـه . وقال عبد الحميـد : وفُقِد شَأْسٌ وقُصَّ أثرُه ونُشِـد ، وركبوا الى الملك
فسألوه عن حاله . فقال لهم الملك : حبـوته وسرَّحته . فقالوا : وما متّعته به ؟
قال : مِسْكٌ وكُسًا ونُطُوعٌ وقُطُفٌ . فأقبلوا يقصُّون أثره فلم تتّضـح لهم سبيلُه .
فمكثوا كذلك ما شاء الله، لا أدرى كم، حتى رأوا ٱمرأة رِيَاحٍ باعت بعُكَاظَ قطيفةً
حمراء أو بعض ما كان من حِباء الملك، فعُرِفتْ وتيقّنوا أن رياحًا ثأرُهم . قال
أبو عُبَيْدة : وزعم الآخر قال : نَشَدَ[٥] زُهَيْر بن جَذِيمةَ الناسَ، فانقطع ذكرُه على مَنْعِج
وَسْطَ غَنِيّ، ثم أصابت الناسَ جائحةٌ وجوعٌ، فنحر زُهَير ناقةً[٦]، فأعطى ٱمرأةً شَطِّيها[٧]

---

(١) الردهة (بالفتح) : النقرة فى الجبل أو فى الصخر يستنقع فيها المـاء . (٢) فى كتاب الكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٤١١) : «رباح بن الأشل» . (٣) منعج (بفتح فسكون فكسر) : موضع . (٤) فى أ ، م : « أعطينى » . وأنطينى لغة فى أعطينى . (٥) يريد : سأل الناس . (٦) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « ناقته » . (٧) شطيها : جانبى سنامها .

فقال : ٱشترى لى الهُدْبَ والطِّيبَ . فخرجتْ بذلك الشحم والسَّنام تبيعه حتى دَفَعتْ[١] إلى ٱمرأة رِياح ، فقالت : إنّ معى شحمًا أبيعه فى الهُدْبِ والطِّيب ؛ فاشترت المرأة منها . فأتت المرأةُ زهيراً بذلك ، فعرف الهُدْبَ . فأتى زهير غَنِيًّا ، فقالوا : نعم ! قتله رياح بن الأسَكّ ، ونحن بُرَءاء منه . وقد لحِق بخاله من بنى الطَّمّاح و بنى أسـد بن خُزَيْمَةَ ، فكان يكون اللَّيلَ عنده و يظهر فى أبَانَ[٢] إذا أحسّ الصبحَ ، يرمى الأَرْوَى[٣] ؛ إلى أن أصبح ذاتَ يوم وهو عنده وعَبْسٌ تُرِيغُه[٤] . فركب خالُه جملاً وجعله على كِفْلٍ[٥] وراءه . فبينا هو كذلك إذ دَنَتْ[٦] ، فقالوا : هذه خيل عَبْسٍ تطلبك . فطَمر[٧] فى قاع شجر فحفر فى أصل سُوقه . ولقيت الخيل خالَه فقالوا : هل كان معك أحد ؟ قال لا . فقالوا : ما هذا المَرْكَبُ وراءك ؟ لَتُخْبِرَنّا أو لَنقتلنّك ! قال : لا كَذِبَ ، هو رياح فى ذلك القاع . فلما دَنَوْا منـه قال الحُصَيْنان : يا بنى عَبْسٍ دَعُونا وثأْرَنا ، فخَنَسوا[٨] عنهما . فأخذ رياح نَعْلَين من سِبْتٍ[٩] فصيّرهما على صدره حِيالَ كبده ، ونادَى : هذا غزالُكما الذى تبغيان . فحمل عليـه أحدهما فطعنه ، فأزالت النعـلُ الرمحَ إلى حيث شاكلته ، ورماه رياحٌ مُوَلِّيًا فجذَم[١٠] صُلْبَه . قال : ثم جاء الآخر فطعنه فلم يُغْنِ شيئا ، ورماه مُوَلِّيا فصرعه . فقالت عَبْسٌ : أين تذهبون إلى هـذا ! والله ليقتلنّ منكم عَدَدَ مَرَاميـه ، وقد جرحاه فسيموت . قال : وأخذ رياح رُمْحَيْهما وسَلَبَيْهما وخرج حتى سَـنَد إلى أبَانَ . فأتتـه عجوزٌ وهو يَسْتَدْمِى[١١] على الحوض ليشرب منه

(١) دفعت : انتهت . (٢) أبان : جبل . (٣) الأروى : اسم جمع للأُروية وهى أنثى الوعول . (٤) تريغه : تطلبه . (٥) الكفل (بالكسر) : شىء مستدير يتخذ من الخرق ونحوها و يوضـع على سنام البعير . (٦) كذا فى الأصول . ولعل صوابه : « إذ دنت الخيل فقال هذه ... الخ » . (٧) طمر : معناها هنا استخفى . (٨) خنسوا : تأخروا وتنحوا . (٩) السبت (بالكسر) : الجلد المدبوغ . (١٠) جذمه : قطعه بسرعة . (١١) يستدمى : يطأطئ رأسه يقطر منه الدم .

وقالت : استأسر تَحْىَ ، فقال : جنِّبيني[1] حتى أشرب . قال : فأبتْ ولم تَنْتَهِ . فلما غلبته أخذ مِشْقَصًا[2] وكَنّع[3] به كُرْسُوعَىْ يدَيْها . قال فقال عبد الحميد : فلما استبان لزهير ابن جَذِيمةَ أنّ رِياحًا ثأْرُه قال يرثى شأسا :

رثاء زهير بن جذيمة لابنه شأس

بكيتُ لشأْسٍ حين خُبِّرْتُ أنّه * بماء غَنِيٍّ آخرَ اللّيلِ يُسْلَبُ

لقد كان مأْتاهُ الرِّداهَ لِحَتْفِه * وما كان لولا غِرّةُ اللّيلِ يُغْلَبُ

قتيلُ غنِيٍّ ليس شَكْلٌ كشكله * كذاك لَعَمْرِى الحَيْنُ للمرء يُجْلَبُ

سأبكى عليه إن بكيتُ بعَبْرةٍ * وحُقَّ لِشأْسٍ عَبْرَةٌ حين تُسْكَبُ

وحزنٌ عليه ما حَيِيتُ وعولةٌ * على مثل ضوء البدر أو هو أعجبُ

إذا سِيمَ ضَيْمًا[4] كان للضيم منكرًا * وكان لدى الهيجاء يُخْشَى ويُرْهَبُ

وإنْ صوّتَ الداعى إلى الخير مرّةً * أجاب لِمَا يدعو له حين يُكْرَبُ[5]

ففرّج عنه ثم كان وَلِيَّه * فقلبى عليه لو بدا القلبُ مُلْهَبُ

وقال زُهَيْرُ بن جَذِيمةَ حين قُتِل شأْش : شأس وما شأس ! والبأس وما البأس ! لولا مقتلُ شأس، لم يكن بيننا بأس . قال : ثم انصرف إلى قومه، فكان لا يَقْدر على غَنَوِىٍّ إلّا قتله .

قال عبد الحميد : فغزتْ بنو عَبْسٍ غَنِيًّا قبل أن يطلبوا قَوَدًا أو ديةً مع أخى شأس الحُصَيْنِ بن زُهَيْرِ بن جَذِيمة والحُصَيْنِ بن أُسَيد بن جَذِيمةَ ابن أخى زُهَيْر، فقيل

(١) جنبيني : ابعدى عنى ؛ يقال : جنبه تجنيبا وتجنبه وجانبه وتجانبه واجتنبه إذا بعد عنه . وفى الأصول : «اجنبينى» بزيادة الألف، وهو تحريف . ويقال : جنبه الشيء يجنبه (من باب نصر)، وجنّبه إياه تجنيبا، وأجنبه إياه، إذا نحاه عنه . (٢) المشقص : نصل عريض أو هو سهم فيه ذلك النصل . (٣) كنع (بالتضعيف) : قطع . وفى بعض الأصول : «كتع» بالتاء، وهو تصحيف . (٤) سامه الأمر : كلفه إياه، وأكثر ما يستعمل فى العذاب والشر والظلم . (٥) يكرب : يصيبه الكرب وهو الحزن والغم الذى يأخذ بالنفس .

ذلك لغنى"؛ فقالت لرياح : انجُ، لعلنا نُصالح على شىء أو نُرضيهم بدية وفِداء. فخرج رياح رَديفًا لرجل من بنى كِلَاب — وزعم أبو حيّة النُّمَيْرى" أنه من بنى جَعْد[(١)] — وكان معهما صُحَيفَةٌ فيها آرابُ لَحْمٍ[(٢)]، لا يَرَيان إلا أنهما قد خالفا وجهةَ القوم، فأوجفا أيديَهما فى الصُّحَيْفةِ فأخذ كل واحد منهما وَذْرةً[(٣)] ليأكلها، مترادفين لا يَقْدِران على النزول. قال : فمرّ فوق رءوسهما صُرَدٌ[(٤)] فصَرْصَرَ، فألقيا اللحمَ وأمسكا بأيديهما وقالا : ما هـذا ! ثم عادا إلى مثـل ذلك فأخذ كل واحد منهما عظما، ومرّ الصُّرَدُ فـوق رءوسهما فصرصر، فألقيا العظمين وأمسكا بأيديهما وقالا : ما هذا ! ثم عادا الثالثةَ فأخذ كل واحد منهما قطعة، فمرّ الصُّرَد فوق رءوسهما فصرصر، فألقيا القطعتين[(٥)]؛ حتى فعلا ذلك ثلاث مرات، فاذا هُما بالقوم أدنى ظَلَمٍ[(٦)] (وأدنى ظَـلَمٍ أى أدنى شىء) وقد كانا يظنّان أنهما قد خالفا وجهة القوم. فقال صاحبه لرياح : اذْهَبْ فإنى آتى القوم أُشاغلهم عنك وأُحدّثهم حتى تُعجِزَهم ثم ماضٍ إن تركونى. فانحدر رِياحٌ عن عَجُز الجمـل فأخذ أدراجَه[(٧)] وعدا أثر الراحلة حتى أتى ضِـفّةً[(٨)] فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب فولج فيه، ثم أخذ نَعْلَيْه فجعل إحداهما على سُرّته والأخرى على صَفْنِه[(٩)] ثم شدّ عليهما العِمامة، ومضى صاحبـه حتى لقى القوم، فسألوه فحدّثهم وقال : هـذه غَنِىٌّ كاملة وقد دنوت منهم، فصدّقوه وخَلَّوْا سِرْبَه[(١٠)]. فلما وَلّى رأوا مركب الرجل خلفه،

(١) لم نجد فى المظانّ « بنى جعد » . فلعله « من بنى جعدة » .

(٢) آراب لحم : قطع لحم . وفى الأصول : « أداب لحم » وهو تحريف . (٣) كذا فى ج . والوذرة (بالفتح ويحرك) : القطعة الصغيرة من اللحم لا عظم فيها ؛ وقيل : هى ما قطع من اللحم مجتمعا عرضا بغير طول . وفى سائر الأصول : « وضرة » وهو تحريف . (٤) الصرد : طائر أبقع ضخم الرأس يكون فى الشجر، نصفه أبيض ونصفه أسود، وهو من سباع الطير، ضخم المنقار عظيم البرثن، كانت العرب تتطير من صـوته . (٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « العظمين » . (٦) فى الأصول : « وأدنى ظلام » وظاهر أنه تحريف ؛ إذ هو ما قبله، وكره المؤلف ليفسره . (٧) الأدراج : الطرق .

(٨) الضفة : جانب النهر والوادى . (٩) الصفن (بالتحريك وبالفتح) : وعاء الخصية .

(١٠) السرب (بالفتح وهو الأرجح، وقال أبو عمرو بالكسر) : الطريق .

١١/١٠ فقالوا : مَنِ الذى كان خلفك ؟ فقال : لا مَكْذُبَةَ ! ذلك رياح فى الأوّلِ من السَّمُرات . فقال الحُصَيْنان لمن معهما : قِفُوا علينا حتى نعلم عِلْمه فقد أمكننا الله من ثأرنا ، ولم يُريدا أن يَشْرَكهما فيه أحد ، فمضيا و وقف القوم عنهما . قالوا قال رياح : فاذا هما ينقُلان فرسيهما ، فما زالا يُريغانى ، فابتدرانى فرميتُ الأوّل فبترت صُلْبَه ، وطعننى الآخر قبل أن أرميه وأراد الثُّرّة فأصاب الرَّبَلَة[١] ، ومرّ الفرس يَهْوِى به ، فآستدبرتُه بسهم فرشقت به صلبه فآنفقر مُنْحَنَى الأوصال ، وقد بترتُ صُلْبَيْهما . قال أبو عبيدة قال أبو حيّة : بل قال رياح : اِستدبرتُه بسهم وقد خرجتْ قدمه فقطعتُها ، فكأنما نُشِرتْ بِمنشار . قال عبد الحميد : وندّ فرساهما فلحِقا[٢] بالقوم . قال رياح : فأخذت رمحيهما فخرجتُ بهما حتى أتيت رملةً فسَنَدتُ فغرزتُ الرمحين فيها ثم انحدرتُ . قال : وطلبه القوم ، حتى إذا رُفِع لهم الرمحان لم يَقْرَبوهما عَلِم الله حتى وجدوا أثر رياح خارجا قد فات . وانطلق رياح خارجاً حتى ورد رَدْهةً عليها بيتَ أنمار بن بَغِيض وفيه امرأةٌ ولها ابنان قريبان منها و جمَلٌ لها راتع فى الجبل ، وقد مات رياح عطشا . فلمّا رأته يستدمى طَمِعتْ فيه ورجتْ أن يأتيها ابناها ، فقالت له : استأْسِرْ . فقال لها : دَعِينى ويحكِ أشرب ، فأبت . فأخذ حديدة إمّا سِكّينا و إمّا مِشْقَصًا فجذم به رَوَاهِشها[٣] فماتت ، وعبّ فى الماء حتى نهِل[٤] ثم توجّه إلى قومه . فقال رياح فيها وفى الحُصَيْنين :

قالت لِىَ اسْتأْسِرْ لِتَكْتِفَنى * حِيناً ويعلو قولها قولى
ولأَنتَ أجرأُ من أُسَامَةَ[٥] أو * منّى غداةَ وقفتُ للخيلِ

(١) الربلة (بالفتح و بالتحريك وهو الأفصح) : باطن الفخذ . (٢) فى الأصول : «فلحقتا» .
(٣) الرواهش : العصب الذى فى ظاهر الذراع ، وقيل : هى عصب وعروق فى باطن الذراع ، واحدها راهشة و راهش . (٤) نهل هنا : روى . (٥) أسامة : اسم علم للأسد .

إذ الحُصَيْنُ لدى الحُصَيْنِ كما * عَدَلَ الرِّجازةُ جانبَ المَيْلِ

قال الأثرم: الرِّجازة شيءٌ يكون مع المرأة فى هودجها، فإذا مال أحدُ الجانبين وضعته فى الناحية الأخرى ليعتدل. قال أبو عُبَيْدَة: يعنى حُصَيْنَ بنَ زُهَيرِ بن جَذِيمة، وحُصَيْن بن أَسِيدِ بن جَذِيمَةَ وهو ابن عمه. قال أبو عبيدة قال عبد الحميد: واللهِ لقد سمعتُ هذا الحديث على ما حدّثتك به منذ ستّين سنة. قال عبد الحميد: وما سمعتُ أنّ بنى عَبْسٍ أدركوا بواحد منهم ولا اقتادوا ولا أنذروا، ولا سمعتُ فيه من الشعر لنا ولا لغيرنا فى الجاهليّة بأكثر مما أنشدتُك. وإلى هذا انتهى حديثُنا وحديثُه، ولا واللهِ ما قتل خالدُ بنُ جعفرٍ زُهَيْرَ بن جَذِيمةَ فى حربنا، غيرَ أنّ الكُمَيْتَ بنَ زَيدٍ الأَسَدىَّ، وكانت له أُمّانِ من غَنِيٍّ، ذكر من مقتل أخوالِه[1] من غَنِيٍّ فى بنى عَبْسٍ ومَنْ قَتَلُوا من بنى نُمَيْرِ بنِ عامر فى كلمةٍ له واحدة؛ فلعلّه لهذا الحديث قالها وذكر إدراكاتِهم وذكر قَتْلَ شَبِيبِ بن سالم النُّمَيْرِىِّ، فقال فى ذلك:

أنا ابنُ غَنِيٍّ والداىَ كلاهما * لِأُمَّيْنِ فيهم فى الفُروع وفى الأصلِ
هم استودعوا هوى شبيبَ بن سالمٍ[2] * وهم عدلوا بين الحُصَيْنَيْنِ بالنَّبْلِ
وهم قتلوا شَأْسَ الملوكِ ورَغَّموا * أباه زُهَيْرًا بالمَذَلّةِ والثُّكْلِ
فما أدركتْ فيهم جَذِيمةُ وَتْرَها * بما قَوَدٍ يومًا لديها ولا عَقْلِ

قال أبو عبيدة: فذكر عبد الحميد أنه أتى عليهم هُنَيْئةٌ من الدهر لا أدرى كم وقتُ ذلك بعد انصرام أمر شَأْس. قال: فما زادوا على هذا فهو باطل. قال الأثرم: هُنَيْئةٌ من الدهر وهُنَيْهةٌ وبُرْهةٌ وحِقْبةٌ بمعنى الدهر.

(١) فى ب، سه: «ذكر من قتل من أخواله ...».
(٢) كذا ورد هذا الشطر فى الأصول. ولم نهتد فيه الى وجه نطمئن اليه.

مَقْتَل زُهَيْرِ بنِ جَذِيمَةَ العَبْسىّ

قتله خالد بن جعفر

تعظيم هوازن له

قتله خالدُ بن جعفر بن كِلَاب. قال أبو عُبَيْدَةَ قال أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِىّ: كان بين آنصراف حديثِ شأْس وحديثِ قَتْلِ خالدِ بن جعفرٍ زُهَيْرَ بنَ جَذِيمةَ ما بين العشرين سنةً إلى الثلاثين سنةً. قال أبو عُبَيْدَةَ: وهَوَازِنُ بنُ منصور لا تَرَى زُهَيْرَ بن جَذِيمةَ إلّا رَبًّا[1]. قال: وهَوَازِنُ يومئذ لا خيرَ فيها، ولم تَكْثُرْ[2] عامرُ بن صَعْصَعةَ بعدُ، فهم أذَلُّ من يَدٍ فى رَحِمٍ[3]، و إنّما هم رِعاءُ الشّاءِ فى الجبال. قال: وكان زُهَيْرٌ يَعْشُرُهم[4]، وكان إذا كان أيّام عُكَاظَ أتاها زهيرٌ و يأتيها النّاسُ من كل وجه، فتأتيه هوازنُ بالإتاوة التى كانت له فى أعناقهم فيأتونه بالسَّمْنِ والأقِطِ والغنم؛ وذلك بعد ما خلع ذلك من أبى الجَنّاد أخى بنى أُسَيِّدِ بن عمرو بن تميم. ثم إذا تفرّق الناسُ عن عُكَاظ نزل زُهيرٌ بالنفرات[5].

قال أبو عُبَيْدَةَ عن عبـد الحميد وأبى حَيَّةَ النُّمَيْرِىّ قالا: فأتته عجوزٌ رَهِيشٌ[6] من بنى نَصْر بن معاوية بن بكر بن هوازن — وقال أبو حيّة: بل أتته عجوز من هوازن — بسمن فى نِحْيٍ، واعتذرتْ اليه وشَكَت السنين التى تتابعن على الناس. فذاقه فلم يرضَ طَعْمَه، فدعَّها[7] بقَوْسٍ فى يده عُطُلٍ[8] فى صدرها، فآستلقتْ لحلاوة القَفَا[9] فبدتْ

(١) الرب هنا: الملك والسيد. (٢) فى الأصول: «ولم يلبث عامر بن صعصعة يعد فيهـم أذل ... الخ». والتصويب من خزانة الأدب (ج ٤ ص ٣٧٧) وأمالى السـيد المرتضى (ج ١ ص ١٥٢). (٣) هذا مثل يضرب فى الضعف والهوان. (٤) يعشرهم: يأخذ عشر أموالهم. وفى الأصول: «يعزهم» والتصويب من خزانة الأدب. (٥) فى حـ: «النقرات». وظاهر أنه هنا اسم مكان، ولم نجده فى مظانه. (٦) عجوز رهيش: ضعيفة أو مهـزولة. (٧) دعها: دفعها بعنف. (٨) قوس عطل: لا وتر عليها. (٩) حلاوة القفا (بفتح الحاء وضمها): وسطه.

عورتُها ؛ فغضب من ذلك هَوَازِنُ وحَقَدتْ[1] عليه إلى ما كان فى صَدْرها من الغيظ والدمنِ[2] وأوْحرِها[3] من الحَسَك[4] . قال : وقد أَمِرتْ[5] عامرُ بن صعصعة يومئذ ، فآلى خالدُ بن جعفر فقال : واللهِ لأجعلنّ ذِراعى وراء عُنقه حتى أُقْتَلَ أو يُقْتَلَ . قال : وفى ذلك يقول خالد بن جعفر بن كِلَاب :

حلف خالد بن جعفر أن يقتله وشعره فى ذلك

أدِيرونى إدارتَكم[6] فإنِّى * وحَذْفَةَ كالشَّجَا تحت الوَرِيدِ
مُقَـرَّبةٌ أُسَـوِّيها بجَـزْءٍ[7] * وأُلْحِفُهـا رِدائى فى الجَلِيـدِ
وأُوصِى الرَّاعِيَيْن ليُؤْثِراها * لهـا لَبَنُ الخَلِيَّـةِ[8] والصَّعُودِ
تراها فى الغـزاةِ وهنّ شُـعْثٌ * كقُلْبِ[9] العاجِ فى الرُّسْغ الجديدِ
يَبِيتُ رِباطُها بالليل كَفِّى * على عُودِ الحشيش وغير عـود
لعـلَّ الله يُمْكِنُنى[10][11] عليهـا * جِهارًا من زُهَيْرٍ أو أَسِيدِ
فإمّا تَثْقَفُـونِى فاقتُـلونى * فمَنْ أَثْقَفْ فليس إلى خُـلودِ

(١) فى الأصول : « وأصمدت عليه » . (٢) الدمن هنا : الأحقاد . (٣) أوحرها : جعلها توحر أى تغضب وتحقد . (٤) كذا فى ج . والحسك هنا : العداوة والحقد . وفى سائر الأصول : « من الحسد » . (٥) أمرت : كثرت . وفى الأصول . « وتذامرت ... » . والتصويب من أمالى السيد المرتضى . (٦) فى كتاب نسب الخيل وأمالى السيد المرتضى وخزانة الأدب : « أريغونى إراغتكم » . والإراغة : الطلب . يقول : افعلوا ما شئتم فانى وفرسى غصة فى حلوق الأعداء . (٧) فى الأصول : « بجز » والتصويب من كتاب نسب الخيل . وجزء : اسم ابن له ، وبه كان يكنى . (٨) الخلية : الناقة تنتج وهى غزيرة ، فيجر ولدها من تحتها فيجعل تحت أخرى وتخلى هى للحلب . ولأهل اللغة فى معنى الخلية أقوال أخرى غير هـذا . والصعود : الناقة التى تخدج (تسقط) ولدها لغير تمام ، فتعطف على ولد عام أول أو ولد غيرها فتدرّ عليه . (٩) القلب : السوار . والجديد : صفة للقلب . (١٠) روى بجر الله ؛ واستشهد بهذا البيت النحويون على أن « لعل » قد يجربها . (١١) كذا فى كتاب نسب الخيل وأمالى السيد المرتضى وخزانة الأدب . وفى الأصول « يفردنى » . ولعله محرف عن « يقدرنى » كما ورد فى خزانة الأدب فى رواية أخرى .

وقيسٌ فى المَعَارِكِ غادرتْه * قَنَاتِى فى فوارس كالأُسُودِ
ويَرْبُوع بن غَيْظ يومَ ساقٍ * تركناهم بجارية وبيد(١)
تركتُ بها نساء بنى عُصَيْمٍ * أرامِلَ ما تَحِنّ إلى وليد(٢)
يَلُذْنَ بحارثٍ جَزَعًا عليه * يَقُلْنَ لحارثٍ لولا تسودُ(٣)
ومِنِّى بالظُّوَيْلِم قارعاتٌ * تَبِيدُ المُخْزِيَاتُ ولا تَبِيدُ
وَحكّتْ بَرْكَها(٤) ببنى جحاشٍ * وقد أَجْرَوْا إليها من بعيدِ
تركت ابنىْ جَذِيمَةَ فى مَكَرٍّ * ونَصْرًا قد تركتُ لها شُهودى

وصف مقتله وما كان قبله من حوادث

قال أبو عُبَيْدَةَ وحدّثنى أبو سرّار الغنوىّ قال: كان زهيرٌ رجلًا عَدُوسًا(٥)، فانتقل من قومه ببنيه وبنى أخويه زِنْباعٍ وأَسِيدٍ بركْبَةٍ يُرِيغ الغيثَ فى عُشَرَاوَاتٍ(٦) له وشَوْلٍ. قال: وبنو عامر قريبٌ منهم ولا يُشْعُرُ بهم. قال عبد الحميد وأبو حَيَّة: بل بنو عامر بدَمْخٍ(٧) وزُهَيْرٌ بالنفرات وبينهم ليلتان أو ثلاث. قال فقال أبو سرّار: فأتى الحارثُ بنى عامر، والله ما تغيّر طعمُ اللّبن الذى زوّدهُ(٨) الحارثُ بن عمرو بن الشّرِيد السُّلَمىّ

---

(١) كذا فى الأصول. ولعل صوابها: «بجارية وئيد». والجارية الوئيد: الفتاة التى تدفن حية، ويكون المعنى أنهم صيروا يربوع بن غيظ قتلى كالفتاة الوئيد. وقد ورد بعض أبيات من هذه القصيدة فيما يأتى (ص ٩٤ من هذا الجزء) وفى روايتها هناك اختلاف عن روايتها هنا.

(٢) الرواية فيما سيأتى «يشتكين» وهى الأنسب بالمقام، كما يفهم من سياق الكلام هناك.

(٣) فى هذا البيت والذى بعده إقواء. (٤) البرك: الصدر. يريد: نزلت بهم.

(٥) عدوس: قوى على سير الليل. (٦) العشراء من النوق: التى مضى لحملها عشرة أشهر ثم لا يزال يطلق عليها هذا الاسم الى ما بعد الوضع، فهى بعد الوضع عشراء أيضا. قال ابن الأثير: قد اتسع فى هذا حتى قيل لكل حامل عشراء. والشول: جمع شائلة، على غير قياس، وهى الناقة التى أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر فخف لبنها وارتفع ضرعها. (٧) دمخ: جبل.

(٨) فى الأصول: «زودت الحارث» بالتاء، وهو تحريف؛ إذ ليس فى الكلام هنا ما يرجع اليه الضمير.

حتى أتى بنى عامر فأخبرهم . قال أبو عُبيدة أخبرنى سليمان بن المُزَاحِم المازنى عن أبيه قال: بل كانت بنو عامر بالحريثة[1] و زهير بالنفرات، وكانت تُمَاضِر بنت عَمْرو ابن الشَّرِيد بن رِيَاح بن يَقَظَة بن عُصَيَّة بن خُفَافِ السُّلَمى امرأةَ زُهَيرِ بن جَذِيمة وهى أُمُّ ولده . فمرّ بها أخوها الحارث بن عمرو . فقال زُهيرٌ لبنيه : إنّ هـذا الحمار لطليعةٌ عليكم فأَوْثِقوه . فقالت أختـه لبنيها : أيزوركم خالكم فتُوثِقوه وتحرموه ! ٥ فخَلَّوْه . فقالت تُمَاضِر لأخيها الحارث : إنه لَيَرِيبُنى [اكْتِئَنانُك وقُرُوبُك ، فلا يأخذنّ فيـك] ما قال زهير؛ فإنه رجل بَيْـذارةٌ غَيْذَارةٌ شَـنُوءةٌ[2] . قال : ثم حلبوا له وَطْبًا وأخذوا منـه يمينًا ألّا يُخْبِرَعنهـم ولا يُنْذِرَ بهـم أحدًا . قال أبو عبيـدة : وزعم أبو حَيَّـةَ النُّمَيرى أنه لمّـا أتوه بِقِـرَاهم أراهم أنه يشرب به فى الظُّلمة وجعل يَهوِى به إلى جيبه فيَصُبُّه بين سِرْباله وصَدْره أسفًا وغيظا . قال: ١٠ وكان الذى حلَب له الوَطْبَ وقَرَاه الحارثَ بنَ زُهَير، وبه سُمِّى . قال : فخرج يطير حتّى أتى عامرًا عند ناديهم، فأتى حَاذَةً[3] أو شجـرةً غيرها فألقى الوطبَ تحتها والقـومُ ينظرون، ثم قال : أيتها الشجرةُ الذليلةُ اشْرَبِى من هذا اللّبن فانظُرى ما طَعْمُه . فقال أهلُ المجلس: هذا رجلٌ مأخوذٌ عليه [عَهْدٌ] وهو يُخبركم خبراً . فأَتَوْه فإذا هو الحارثُ ابن عمرو، وذاقوا اللّبن فإذا هو حُلْوٌ لم يقرص بعدُ ، فقالوا : إنه لَيُخْبِرُنا أنّ طلبنا ١٥ قريبٌ . فركب معه ستّة فوارسَ لينظروا ما الخبرُ، وهُمْ خالدُ بن جعفر بن كِلَابٍ على حَذْفة، وحُنْدُج بن البَكّاء، ومعاويةُ بن عُبادةَ بن عُقَيْلٍ فارس الهَرّار وهو الأخيل جَدّ ليلى الأخيليّة — قال: والأَخْيَلُ هو معاوية، قال: وهو يومئذ غلامٌ له ذؤابتان، وكان

(١) فى أ ، م : «بالحريثة» . ولم نجد هذا الاسم فى مظانه . (٢) ورد بعض هذه الكلمات فى الأصول محرفا تحريفا شنيعا . والتكملة والتصويب من أمالى السيد المرتضى . والاكتئنان هنا : الغم . ٢٠ والقروب : السكوت . وقال الأثرم : «والبيذارة : الكثير الكلام . والغيذارة : السيئ الخلق» . والشنوءة المبغض . (راجع أمالى السيد المرتضى) . (٣) الحاذة : واحدة الحاذ، وهو ضرب من الشجر .

أصغرَ منْ رِكب — وثلاثةُ فوارسَ من سائر بنى عامر، فاقتصُّوا أثرَ السير، حتى إذا رأوا إبلَ بنى جَذيمةَ نزلوا عن الخيل. فقالت النساء: إنا لنَرى حَرجةً(١) من عِضاهٍ أو غابةَ رِماح بمكان لم نكن نرى به شيئا، ثم راحت الرِّعاء فأخبروا بمثل ما للنساء. قال: وأخبرت راعيةُ أُسيدِ بنِ جَذِيمةَ أُسيدًا بمثل ذلك؛ فأتى أُسيدٌ أخاه زهيرًا فأخبره بما أخبرته به الرّاعية وقال: إنما رأتْ خيلَ بنى عامر ورِماحَها. فقال زُهير: "كلُّ أزبَّ(٢) نفورٌ" — فذهبتْ مثلا، وكان أسيدٌ كثيرَ الشَّعر خناسيا(٣) — وأينَ بنو عامر! أمّا بنو كِلاب فكالحيّة إن تركتَها تركتْك، وإن وَطِئتها عَضّتك. وأمّا بنو كَعْبٍ فإنهم يَصيدون اللأَّى (يريد الثور الوحشىّ). وأمّا بنو نُمَيْر فإنهم يرْعَوْن إبلَهم فى رُءوس الجبال(٤). وأمّا بنو هِلالٍ فيبيعون العِطْر. قال: فتحمّل عامّة بنى رواحةَ، وآلى زُهير لا يبرَح مكانَه حتى يُصبح. وتحمّل مَنْ كان معه غيرَ ابنيه وَرْقاء والحارث. قال: وكان لزهير رَبِيئةٌ(٥) من الجِنّ يحدّثه(٦) ببعض أمرهم حتى أصبح، وكانت له مِظَلّةُ دَوْحٍ يربُط فيها أفراسَه لا تَرِيمُه(٧) حَذَرًا من الحوادث. قال: فلمّا أصبح صهلت فرسٌ منها حين أحسّت بالخيل وهى القعساء. فقال زُهَيْر: مالها؟! فقال رَبِيئتُه: أحسّتِ الخيل فصهلت إليهن. فلم تُؤْذِنْهم(٨) بهم إلا والخيلُ دوائسُ(٩)

(١) الحرجة: الغيضة أى الشجر الكثير الملتف. والعضاه من الشجر: كل ماله شوك، وقيل هو أعظم الشجر. (٢) الزبب: كثرة الشعر وطوله. والبعير الأزب، وهو الذى يكثر شعر حاجبيه، ينفر اذا ضربت الريح شعرات حاجبيه. (٣) كذا فى الأصول، ولم نجد لها معنى فلعل «خناسيا» محرفة عن «جبان» أو ما يشبهها. (٤) فى ح: «يرعون البهم». (٥) ربيئة: طليعة يستطلع له الأشياء ويخبره بها. (٦) فى الأصول: «تحدثه». (٧) لا تريمه: لا تبرحه. (٨) تؤذنهم: تعلمهم. (٩) يقال: أتتهم الخيل دوائس، أى يتبع بعضها بعضا. والمحاضير: جمع محضير أو محضار وهو الشديد الحضر (بالضم) أى العدو. وفى الأصول: «دواس محاضر» وظاهر أنه تحريف.

مَحَاضِيرُ بالقوم غدِيّةً . فقال زُهير وظنّ أنهم أهلُ اليمن : يا أَسِيدُ ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين تُعَمِّى حديثَهم منذُ الليلة . قال : وركب أَسِـيدٌ فمضى ناجيا . قال : ووثَب زُهير وكان شيخًا نبيلا[(١)] فتدَثَّر القَعْساء فرسَه ، وهو يومئذ شـيخٌ قد بَدُنَ وهو يومئذ عَقُوقٌ مُتَّهِمٌ ، واعْرَوْرَى[(٢)] ورقاءُ والحارثُ ابناه فَرَسَيْهما ، ثم خالفوا جهةَ مالِهم لِيُعَمُّوا على بنى عامر مكانَ مالِهم فلا يأخذوه . فهتَف هاتفٌ من بنى عامر : يالَيَحَامِرٍ — يريد يحامر وهو شِعارٌ لأهـل اليمن — لأنْ يُعَمِّىَ على الجَذِمِيِّين[(٣)] من القـوم .

فقال زُهَيْرٌ : هذه اليمن ، قد علمتُ أنها أهلُ اليمن ! وقال لابنه ورقاء : أُنْظُرْ يا ورقاء ما ترَى ؟ قال ورقاء : أرَى فارسًا على شقراء يَجْهَدها و يَكُدُّها بالسَّوْط قد ألحّ عليها (يعنى خالدا) . فقال زهير: "شيئًا[(٤)] مّا يُريد السَّوْطُ الى الشَّقْراء" فذهبتْ مثلا ، وقال فى المرة الثانية : "شيئًا مّا يطلبُ السَّـوْطُ الى الشقراء" وهى حَذْفةُ فرسُ خالد بن جعفر ، والفـارس خالدُ بن جعفر . قال : وكانت الشقراء من خيل غَنِيٍّ . قال : وتمرّدت[(٥)] القَعْساء بزُهير ، وجعل خالدٌ يقول : لانجوتُ إن نجا مُجَدَّعٌ (يعنى زهيرا) .

فلمّا تَمَعَّطت[(٦)] القعساءُ بزهير ولم تتعلّق بها حَذْفةُ ، قال خالد لمعاوية الأخْيَلِ بن عُبَادَةَ وكان على الهَرّار (حِصَان أعْوج[(٧)]) : أدْرِكْ مُعاوِىَ ، فأدرك معاويةُ زهيرا ، وجعل ابناه ورقاءُ والحارثُ يُوَطِّشَان[(٨)] عنه (أى عن أبيهما) . قال فقال خالد : اطْعُنْ يا معاوية

(١) نبيلا هنا : جسيما . وتدثر فرسه : وثب عليها فركبها ، وقيل : ركبها من خلفها. (٢) اعرورى فلان فرسه : ركبه عريانا أى ليس عليه سرج . (٣) نسـبة الى « جذيمة » . وفى الأصول : « الجذيميين » . (٤) « ما » زائدة . وهو يضرب لمن طلب حاجة وجعـل يدنو من قضائها والفراغ منها . (٥) تمردت هنا : طغت وجاوزت الحد فى عدوها. (٦) التمعط هنا : ضرب من العدو . وفى لسان العرب : « التمعط فى حضر الفرس أن يمد ضبعيه حتى لا يجد مزيدا و يحبس رجليه حتى لا يجـد مزيدا للحاق ، و يكون ذلك منـه فى غير الاختلاط (الغضب) يملخ بيديه و يضرح برجليه فى اجتماعهما كالسابح » . (٧) فى الأصول : « حصان عوج » . والأعوج من الخيـل : ما اعوجت قوائمه ، و يستحب ذلك فيها . (٨) يوطشان : يدفعان .

فى نَسَاها ، فطعَن فى إحدى رِجْلَيها فانخذلت القعساءُ بعضَ الانخذال وهى فى ذلك تَمَعَّطُ . فقال زُهَيْر : اطْعنِ الأُخرى ، يَكيده بذلك لكى تستوى رجلاها فتَحامَل[١] . فناداه خالد : يا مُعاوية أَفِذْ طَعْنَتك (أى اطْعُنْ مكاناً واحداً) ، فشَعْشَع الرُّمْح فى رجلها فانخذلتْ . قال : ولحِقه خالدٌ على حَذْفَة فجعل يدَه وراءَ عُنق زُهَيْر ، فاستخفَّ به عن الفرس حتى قلَبه ، وخرّ خالدٌ فوقع فوقه ، ورفع المِغْفَرَ عن رأس زهير وقال : يا لَعامرٍ اقتلونا معا ! فعرَفوا أنّهم بنو عامر . فقال ورقاء : وَا انقطاعَ ظَهْراه ! إنها لبنو عامر ! سائرَ اليوم . وقال غيره : فقال بعضُ بنى جَذِيمةَ : وَا انقطاع ظَهْرِى ! . قال : ولحِق حُنْدُج بن البَكّاء وقد حسَر خالدٌ المِغْفَرَ عن رأس زُهَير فقال : نَحِّ رأسك يا أبا جَزْءٍ ، لم يحِنْ[٢] يومُك . قال : فنحّى خالدٌ رأسَه وضرب حُنْدُجٌ رأسَ زهير ، وضرب ورقاءُ بنُ زهير رأسَ خالدٍ بالسيف وعليه دِرْعانِ ، وكان أسْجَرَ[٣] العينين ، أَزَبَّ أقمرَ ، مثلَ الفالج ، فلم يغْنِ شيئا . قال : وأَجْهَضَ[٤] ابنا زُهَيْرٍ القومَ عن زُهير فانتزعاه مُرْتَثًّا . فقال خالدٌ حين استنقذ زهيرًا ابناه : وَالهفتاه ! قد كنتُ أظنّ أن هذا المَخْرَجَ سَيَسَعُكُمْ[٥] ! ولام حُنْدُجا . فقال حُنْدج وكان لجلالته[٦] غصة إذا تكلم : السيفُ حديد ، والساعدُ شديد ، وقد ضربتُه ورجلاى متمكّنتان فى الركابين وسمعتُ السيفَ قال قَبْ حين وقع برأسه ، ورأيتُ على ظُبَته مثلَ ثَمر المُرار ، وذقتُه فكان حُلْواً .

---

(١) أى فتتحامل ، لحذفت التاء . (٢) وردت هذه الكلمة محرفة فى الأصول بين لم « يجز » و « لم يحز » . (٣) سجرة العين أن يخالط بياضها حمرة . وأزب : كثير الشعر . والقمرة : لون الى الخضرة ، أو هى بياض فيه كدرة . والفالج هنا : الجمل الضخم ذو السنامين . (٤) أى نحياهم عنه وغلباهم عليه . والمرتث : الذى يحمل من المعركة و به رمق . (٥) كذا فى ج . وفى سائر الأصول : « سينفعكم » . (٦) كذا فى أكثر الأصول . وفى ج : « لجلالا به غصة ... » . ولعل صوابه : « وكان لجلاجا به غصة اذا تكلم » . واللجلاج : الذى يجول لسانه فى شدقه فلا يبين كلامه .

فقال خالد : قتلته بأبى أنت ! . ونظر بنو زهير فإذا الضربةُ قد بلغتْ الدِّماغ . ونُهِى بنو زهير أن يسقوا أباهم الماء، فآستسقاهم فمنعوه حتى نُهِك عطشًا . قال : وذلك أنّ المأموم[١] يُخاف عليه الماء، حتى بلغ منه العطش[٢]، فجعل يهتِف: أَمَيّتٌ أنا عطشًا[٣]، وينادى : يا ورقاء — قال أبو حيّة : فجعل ينادى يا شَأْس — فلمّا رأوا ذلك سقوه فمات لثالثة . فقال ورقاء بن زُهَيْر :

شعر ورقاء بن زهير حين قتل والده

رأيتُ زُهَيرًا تحت كَلْكَلِ خالدٍ * فأقبلتُ أسعى كالعَجُولِ[٤] أُبادرُ

إلى بَطَلَيْن يَنْهَضانِ كلاهما * يُريغانِ[٥] نَصْلَ السَّيفِ والسيفُ نادرُ

فشَلَّتْ يمينى إذ ضربتُ ابنَ جعفرٍ * وأَحرزه منِّى الحديدُ المُظاهَرُ

قال أبو عبيدة : وسمعتُ أبا عمرو بن العَلاء يُنشد هذا البيت فيها :

وشَلَّتْ يمينى يوم أضربُ خالدًا * وشَلَّ بَنَاناها وشَلّ الخَناصِرُ

قال أبو عبيدة : وأنشدنى أبو سرّار أيضا فيها :

فياليتنى من قبلِ أيّامِ خالدٍ * ويومِ زُهَيرٍ لم تَلِدنى تُماضِرُ

تماضر بنت عمرو بن الشَّرِيد بن رِيَاح بن يَقَظة بن عُصَيّة بن خُفاف السُّلَمى امرأة زُهير بن جَذِيمة . قال أبو عُبيدة : أنشدنى أبو سرّار[٦] فيها :

لَعَمْرِى لقد بُشِّرتِ بى إذ وَلَدْتِنى * فماذا الذى ردّتْ عليكِ البشائرُ

شعر خالد بن جعفر يمن على هوازن بقتله زهيرا

وقال خالد بن جعفر يَمُنّ على هوازنَ بقتله زهيرًا ويصدُق الحديث — قال أبو عبيدة أنشدنيه مالك بن عامر بن عبد الله بن بِشر بن عامر مُلاعِب الأسنّة — :

(١) المأموم : الذى أصيب فى أم رأسه . وأم الرأس : الدماغ . (٢) فى الأصول : « حتى بلغه العطش » . (٣) كذا فى ج . وفى سائر الأصول : « أمية أنا عطش » وهو تحريف . (٤) العجول من النساء والإبل : الواله التى فقدت ولدها الثكلى لعجلتها فى جيئتها وذهابها جزعا . (٥) أراغ الشىء : طلبه وأراده . ونادر : ساقط . (٦) فى جميع الأصول هنا : « أبو يسار » . وقد ورد هذا الاسم فى هذه القصة أكثر من مرة كما وضعناه .

بل كيف تكفُرنى هوازنُ بعدما * أعتقتُهم فتوالدُوا أحرارا
وقتلتُ ربَّهم زهيرًا بعد ما * جدع الأنوف وأكثر الأوتارا (١)
وجعلتُ حَزْنَ بِلادِهم وجبالهم * أرضًا فضاءً سهلةً وعشارا
وجعلتُ مَهرَ بناتهم ودمائهم * عَقْلَ الملوكِ هجائنًا أبكارا (٢)

قال أبو عبيدة: ألا ترى أنه ذكر فى شعره أنّ زهيرا كان ربَّهم وقد كان جدَعهم، وأنه قتله من أجلهم لا من أجل غَنِيٍّ، وأن غَنِيًّا ليسوا من ذلك فى ذكرٍ (٣) ولا لهم فيه معنًى.

شعر لورقاء بن زهير

قال: وقال وَرْقاء بن زُهَيْر:

أمّا كِلابٌ فإنّا لا نُسالِمُها * حتى يُسالمَ ذئبَ الثَّلَّةِ (٤) الرّاعِى
بنو جَذِيمةَ حاموا حول سَيِّدهم * إلّا أُسَيدًا نجا إذ ثَوَّب الداعى

شعر للفرزدق ينعى فيه على بنى عبس ضربة ورقاء خالدا

قال: ثم نعَى الفرزدق على بنى عَبْس ضربةَ ورقاء خالدًا، واعتذر بها الى سليمان بن عبد الملك فقال:

إنْ يَكُ سيفٌ خانَ أو قَدَرٌ أبى (٥) * لتأخير نَفْسٍ حَتفُها غيرُ شاهدِ
فسيفُ بنى عَبْسٍ وقد ضربوا به * نَبَا بِيدَىْ وَرْقاءَ عن رأس خالد
كذاك سيوفُ الهِنْدِ تنبو ظُباتُها * وتقطَع أحيانًا مناطَ القلائدِ
ولو شِئتُ قدَّ السيفُ مابين عُنْقه * إلى عَلَقٍ (٦) تحت الشَّراسيفِ جامدِ

(١) كذا فى جـ وكتاب الكامل لابن الأثير. وفى أكثر الأصول: «وأكثر الأوزارا».
(٢) فى كتاب الكامل لابن الأثير: «وبكارا». (٣) فى الأصول: «وأن غنيا ليس ...».
(٤) الثلة (بالفتح): الجماعة من الغنم، أما الثلة (بالضم) فالجماعة من الناس. (٥) كذا فى جـ والنقائض (ص ٣٨٤) وفيه الخرم، وهو حذف الحرف المتحرك من أول البيت، ويقع فى أول القصيدة. وفى سائر الأصول:

* فان يك سيف خان أو قدر أتى *

(٦) العلق: الدم ما كان، وقيل هو الدم الجامد الغليظ. والشراسيف: أطراف الأضلاع، واحدها شرسوف.

قال : وكان ضِلَعُ بنى عَبْسٍ مع جرير، فقال الفرزدق فيهم هذه الأبيات . هذه رواية أبى عُبَيدة .

رواية الأصمعى لمقتل زهير وابنه شأس

١٦ / ١٠

وأمّا الأصمعىّ فإنه ذكر، فيما رواه الأَثْرَمُ عنه ، قال حدّثنى غيرُ واحد من الأعراب أنّ سبب مقتل زُهَيْرٍ العبسىّ أنّ ابنه شأسَ بن زهير وفَد إلى بعض ٥ الملوك فرجع ومعه حِباءٌ[(١)] قد حُبِىَ به ، فمرّ بأبياتٍ من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ وأبياتٍ من بنى غَنِىٍّ على ماء لبنى عامرٍ أو غيرهم — الشكّ من الأصمعىّ — . قال : فٱغتسل، فناداه الغَنَوىّ : اسْتَتِرْ، فلم يَحْفِلْ بما قال . فقال : استترْ ويحك ! البيوت بين يديك؛ فلم يحفِل . فرماه الغنوىّ رِياحُ بن الأسَكّ بسهمٍ أو ضربه فقتله والحَىُّ خُلُوفٌ[(٢)]، فٱتّبعه أصحاب شأس وهم فى عِدّة ، فركب الفلاةَ واتّبعوه فرَهِقوه[(٣)] ، فقتل حُصَيْنًا وأخاه[(٤)] ١٠ حُصَيْنًا ، ثم نجا على وجهه حتى أدركه العطشُ ، فلجأ إلى منزل عجوزٍ من بنى إنْسانٍ (وبنو إنسان حىٌّ من بنى جُشَم) . فقالت له العجوز : لا تَبْرَحْ حتى يأتى بَنِىَّ فيأسِروك . قال الأصمعىّ : فأخبرنى مُخْبِرانِ اختلفا ، فقال أحدهما : إنه أخذ سِكِّينًا فقطع عَصَبَتَىْ يديها ، وقال الآخر : أخذ حجرًا فشدَخ به رأسَها ، ثم أنشأ يقول :

١٥ ولأنتَ أشجَعُ من أسامةَ أو * مِنِّى غداةَ وقفتُ للخَيْلِ

إذِ الحُصَيْنُ لدى الحُصَيْنِ كما * عَدَلَ الرِّجازةُ جانبَ المَيْلِ[(٥)]

وإذا أُنَهْنِهُها[(٦)] لِأَفْتِلَها * جاشتْ لِيَغْلِبَ قولُها قولى

---

(١) الحباء : العطاء . (٢) خلوف : غيب . (٣) رهقوه : غشوه ولحقوه .
(٤) هو ابن عمه ، كما تقدّم . (٥) فى الأصول هنا : «عدل الحصين لدى الحصين ...» .
٢٠ وقد تقدّمت هذه الأبيات فى ص ٨٠ من هذا الجزء مع اختلاف فى الرواية . (٦) نهنهه : زجره وكفه . وفلتـه عن كذا : صرفه ولواه ، مثل لفته عنه . وجاشت : هاجت وغلت كما تجيش القدر .

قال : فضرب الزمانُ ضَرَبانَه[1] ، فالتقى خالد بن جعفر بن كِلَاب و زُهَيْر بن جَذِيمة العَبْسىّ . فقال خالد لزهير : أمَا آن لك أن تشتفى وتَكُفّ ؟ — قال الأصمعىّ : يعنى مما قتل بشأس — قال : فأغلَظ له زُهَيْرٌ وحقّره . قال الأصمعىّ : وأخبرنى طَلْحةُ ابن محمد بن سَعِيد بن المُسَيِّب أنّ ذلك الكلام بينهما كان بعُكَاظ عند قريش . فلمّا حقّره زهير وسبّه قال خالد : عسى إن كان! يتهدّده . ثم قال : اللّهمّ أَمْكِنْ يدى هذه الشقراءَ القصيرة من عُنق زهير بن جَذِيمة ثم أعِنّى عليه . فقال زهير : اللهم أمْكِنْ يدى هذه البيضاءَ الطويلةَ من عُنق خالد ثم خلِّ بيننا . فقالت قريش : هلكتَ والله يا زُهير ! . فقال : إنكم والله الذين لا عِلْمَ لكم .

قال الأصمعىّ : ثم نرجع إلى حديث العَبْسيّين والعامريّين ، و بعضه من حديث أبى عمرو بن العَلاء . قال : فجاء أخو امرأة زُهَيْر[2] — وكانت امرأتُه فاطمةَ بنت الشَّرِيد السُّلَميّة ، وهى أمّ قَيْس بن زُهَيْر ، وكان زهيرٌ قد أساء إليهم فى شىء — فجاء أخوها إلى بنى عامرٍ فقال : هل لكم فى زُهير بن جَذِيمة يَنْتِجُ إبلَه ليس معه أحدٌ غير أخيه أَسِيد بن جَذِيمة وعبدٍ راعٍ لإبله ! وجئتُكم من عنده ، وهذا لبنٌ حلبوه لى . فذاقوه فإذا هو ليس بحازر[3] ، فعلِموا أنّه قريبٌ . فخرج حُنْدُج بن البَكّاء وخالدُ بن جعفر ومعاوية بن عُبادَة بن عُقَيل[4] ، ليس على أحدهم دِرْعٌ غيرَ خالد كانت عليه درعٌ أعاره إيّاها عَمْرو بن يَرْبوع الغَنَوىّ ، وكانت دِرْعَ ابن الأَجْلَح المُرادىّ[5] كان قتله فأخذها منه ، وكان يقال لها ذات الأزِمّة . و إنما سميت بذلك لأنها كانت لها عُرًى تُعلَّق فضولها

(١) يقولون : ضرب الدهر ضربانه ، ومن ضربانه ، ومن ضربه اذا ذهب بعضه .

(٢) فى الأصول : « فجاءه » ولا يستقيم بها الكلام .

(٣) فى ب ، س : « بخاثر » .

(٤) فى الأصول هنا : « وعمرو بن عبادة بن عقيل » . والتصويب مما تقدّم فى ص ٨٥ و ٨٧

(٥) فى ب ، س : « المرارى » .

بها إذا أراد أن يشمّرها . قال : فطلعوا. فقال أَسيدُ بن جَذِيمةَ — قال الأصمعى :
وكان أَسيدُ شيخًا كبيرا، وكان كثيرَ شعر الوجه والجسد — : أُتيتَ وربِّ الكعبة .
فقال زهير : "كلُّ أَزَبَّ نَفورُ" فذهبتْ مثلاً . فلم يشعُر بهم زهيرٌ إلّا فى سَوادِ
اللَّيل، فركِب فرسَه ثم وجّهها ، فلحِقه قومٌ أحدُهم حُنْدُجٌ أو العُقَيْلى — واختلفوا
٥ فيهما — فطعن فَخِذَ الفرس طعنةً خفيفةً ، ثم أراد أن يطْعُنَ الرِّجل الصحيحة،
فناداه خالدٌ : يا فلان لا تفعل فيستويا ، أَقْبِلْ على السقيمة . قال : فطعنَها فانخذلت ١٧/١٠
الفرسُ فأدركوه . فلما أدركوه رمى بنفسه، وعانقه خالدٌ فقال: اقتلونى ومُجَدَّعا ! .
فجاء حُنْدُجٌ — وكان أعجمَ اللِّسانِ — فقال لخالد وهو فوق زُهَيْر : نَحِّ رأْسَك
يا أبا جَزْءٍ، فنحّى رأسَه، فضرب حندجُ زهيرًا ضربةً على دَهَشٍ، ثم ركبوا وتركوه .
١٠ قال فقال خالد : وَيْحك يا حُنْدُجُ ما صنعتَ ؟ فقال : ساعدى شديدٌ، وسَيْفى
حديد، وضربتُه ضربةً فقال السيف قَبْ ، وخرج عليه مثلُ ثمرة المُرارِ، فطعِمْتُه
فوجدتُه حُلْوًا (يعنى دِماغه) . قال : إنْ كنتَ صَدَقْتَ فقد قتلتَه . قال : فجاء
قومُ زُهَيْرٍ فاحتملوه ومنعوه الماءَ كَراهةَ أن يبتلّ دماغُه فيموت . فقال: يا آل غطفان
أأموت عطَشًا ! فسُقِىَ فمات ، وذلك بعد أيّام . ففى ذلك يقول وَرْقاء بن زُهَيْرٍ
١٥ وكان قد ضرب خالدًا ضربةً فلم يصنع شيئا، فقال :

رأيتُ زهيرًا تحت كَلْكَلِ خالدٍ * فأقبلتُ أسعَى كالعَجُولِ أُبادِرُ
إلى بَطَلَيْنِ ينهضان كِلاهما * يُريدان نَصْلَ السَّيْفِ والسيفُ نادرُ

قال الأصمعى : فضرب الدهر من ضَرَبانِه إلى أن التقى خالدُ بن جعفر والحارثُ
ابن ظالم .

ذكر مَقْتَلِ خالد بن جعفر بن كِلَاب

مقتل خالد بن جعفر وسببه

قتله الحارثُ بن ظالِم المُرِّىّ . قال أبو عُبيدة : كان الذى هاج من الأمر بين الحارث بن ظالم وخالد بن جعفر أنّ خالدَ بن جعفر أغار على رَهْط الحارث بن ظالم من بنى يَرْبُوع بن غَيْظ بن مُرّة وهم فى وادٍ يقال له حُرَاضٌ، فقتل الرجالَ حتى أسرع [1] ، والحارثُ يومئذ غلام، وبَقِيت النساء . وزعموا أنّ ظالمًا هلك فى تلك الوقعة من جِراحةٍ أصابته يومئذ . وكانت نساء بنى ذُبْيان لا يحلُبن النَّعَمَ، فلمّا بَقِين بغير رجال طَفِقن يدعون الحارثَ ، فيشُدّ عِصَابَ [2] الناقةِ ثم يحلُبُنها، ويبكين رجالَهن ويبكى الحارثُ معهن، فنشأ على بُغْض خالد . وأردف ذلك قتلُ خالدٍ زُهَيْرَ ابن جَذِيمَة، فاستحقّ العداوةَ فى غَطَفانَ . فقال خالد بن جعفر فى تلك الوَقْعة :

تركتُ نساءَ يَرْبُوعِ بنِ غَيْظٍ * أراملَ يشتكين إلى وَلِيدِ [3]
يَقُلْن لحارثٍ جَزَعاً عليه * لك الخيراتُ مالك لا تسودُ
تركتُ بَنِي جَذِيمَــةَ فى مَكَرٍّ * ونصرًا قد تركتُ لدى الشهودِ
ومنّى سوف تأتى قارعاتٌ * تَبِيدُ المخزياتُ ولا تَبِيدُ
وقيس ابن المعارِك غادرتْه * قَنَاتى فى فوارسَ كالأسودِ
وحلّتْ بركَها بنى جَحَاشٍ * وقد مدُّوا إليها من بَعِيدِ
وحَىّ بنى سُبيعٍ يومَ ساقٍ [4] * تركناهم بجارية وبيدِ

(١) كذا فى الأصول . ولعل صوابها . «حتى أسرف» . (٢) عصاب الناقة : ما تشدّ به لتدر؛ يقال : عصب الناقة يعصبها عصبا وعصابا اذا شد فخذيها أو أدنى منخريها بحبل لتدر . و يقال للحبل الذى تشد به عصاب . (٣) تقدّمت هذه الأبيات ضمن أبيات من هذه القصيدة فى صفحة ٨٣ مع اختلاف فى بعض الكلمات . (٤) راجع الحاشية رقم ١ من صفحة ٨٤ من هذا الجزء .

قال أبو عُبَيدَة . فمكث خالدُ بن جعفر بُرْهَةً[١] من دهره، حتى كان[٢] من أمره وأمر زُهير بن جَذِيمَةَ ما كان، وخالدٌ يومئذ رأسُ هَوَازِنَ . فلمّا استحقّ عداوة عَبْسٍ وذُبْيان أتى النُّعمان بن المُنْذِرِ[٣] مَلِكَ الحِيرة لينظر ما قَدْرُه عنده، وأتاه بفرس؛ فألفى عنده الحارثَ بن ظالمٍ قد أهدى له فرسًا فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ، نَعِمَ صباحُك، وأهلى فِداؤك ! هذا فرسٌ من خيل بنى مُرَّةَ[٤]، فلن تُؤْتَى[٥] بفرسٍ يَشُقّ غُبارَه، إن لم تَنْسُبه[٦] انْتَسب، كنتُ ارتبطته لغزو بنى عامر بن صَعْصَعة؛ فلمّا أكرمتَ خالدًا أهديتُه إليك . وقام الربيع بن زِيَاد العبسىّ فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! نَعِمَ صباحُك، وأهلى فداؤك ! هذا فرسٌ من خيلِ بنى عامر ارتبطتُ أباه عشرين سنةً لم يُخْفِقْ فى غَزْوةٍ ولم يعتلِك فى سَفَرٍ[٧]، وفضلُه على هذين الفرسين كفضل بنى عامرٍ على غيرهم . قال : فغضِب النُّعمان عند ذلك وقال : يا مَعْشَرَ قَيْس، أرى خيلَكم أشباهًا[٨] ! أين اللواتى كأنّ أذنابَها شِقَاقُ أَعْلامٍ[٩]، وكأنّ مَنَاخِرَها وِجارُ[١٠] الضِّبَاع، وكأنّ عيونَها بَغَايَا النساء،

(١) البرهة (بالضم وبالفتح) : المدّة الطويلة . (٢) فى الأصول : «حتى اذا كان» بزيادة «إذا» . وظاهر أن الكلام لا يستقيم بها . (٣) الذى فى الكامل لابن الأثير أن الملك الذى اجتمع عنده خالد بن جعفر والحارث بن ظالم ثم قتل الحارث خالدا فى جواره ثم قتل ابنه بعد ذلك فأخذ يطارد الحارث لقتله ابنه ومن استجار به، هو النعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة . ثم قال ابن الأثير بعد كلام كثير : وقيل إن الملك الذى قتل ابنه كان الأسود بن المنذر . ومن هذا نفهم معنى إلحاح الأسود فى مطاردة الحارث فى صفحة ١٠٦ وما بعدها؛ فان ذلك بناء على هذا القول الآخر .
(٤) فى الأصول : «من خيل بنى قرة» وهو تحريف؛ إذ هو يفتخر بخيله وخيل آبائه من بنى مرة.
(٥) فى الأصول : «نؤتى» بالنون . (٦) كذا فى ج . وفى سائر الأصول : «إن لم ننسبه» بالنون . (٧) لعل صوابه : «... ولم يعتلل» . (٨) فى أكثر الأصول : «أى خيلكم أشباهنا» . والتصويب من ج . (٩) فى الأصول الخطية جميعا : «شقاق الحلام» . والشقاق : جمع شقة وهى نصف الشىء أو القطعة منه اذا شق . والشقاق أيضا : جمع الشقة (بالضم) ضرب من الثياب معروف، وهى السبيبة المستطيلة . (١٠) الوجار (بالفتح وبالكسر) : جحر الضبع وغيرها . وكان ينبغى أن يكون «وجر الضباع» أو «أوجرة الضباع» ليكون تشبيه جمع بجمع .

رِقاقُ المُسْتَطْعِمِ[١]، تُعالِكُ اللُّجُمَ[٢] فى أَشداقها، تدورُ على مَذَاوِدِها[٣] كأنما يَقْضَمْنَ[٤] حَصًى.
قال خالد : زعم الحارث — أبيْتَ اللَّعنَ — أنّ تلك الخيلَ خيلُه وخيلُ آبائه.
فغضب النعمان عند ذلك على الحارث بن ظالم. فلمّا أَمْسَوا اجتمعوا عند قَينةٍ من أهل الحِيرَة يقال لها بنت عَفْزَرٍ يشربون. فقال خالدٌ : تَغَنَّىْ :

دارٌ لهنـدٍ والرَّبابِ وفَرْتَنَى * ولَمِيسَ قَبْلَ[٥] حوادثِ الأيّامِ

وهنّ خالات الحارث بن ظالم. فغضب الحارث بن ظالم حتى امتلأ غيظًا وغضبًا، وقال : ماتزال تُتْبِـعُ أُولَى بآخرة !. قال أبو عبيدة : ثم إنّ النُّعمان بن المنذر دعاهم بعد ذلك وقدّم لهم تمرا، فطفِق خالدُ بن جعفر يأكل ويُلقِي نَوَى ما يأكل من التمر بين يَدَيِ الحارث. فلمّا فرَغ القوم قال خالد بن جعفر : أبيْتَ اللعن ! أُنظر إلى ما بين يديِ الحـارث بن ظالم من النَّوى ! ما ترك لنـا تمرًا إلّا أكله. فقال الحارث : أمّا أنا فأكلتُ التمر وألقيتُ النَّوَى، وأمّا أنت فأكلتَه بنواه. فغضب خالد وكان لا يُنَازَع، فقـال : أَتُنازِعنى يا حارثُ وقد قتلتُ حاضرتَك وتركتُك يتيمًا فى حُجُور النساء !. فقال الحارث : ذلك يومٌ لم أَشْهَدْه، وأنا مُغْنٍ اليومَ بمكانى. قال خالد : فهلّا تشكُرلى إذ قتلتُ زهيرَ بن جَذِيمةَ وجعلتُك سيِّد غَطَفانَ ! . قال : بلى أشكُرك على ذلك. فخرج الحارث بن ظالم إلى بنت عَفْزَرٍ، فشرب عندها وقال لها تَغَنَّىْ[٦] :

تَعَـلَّمْ أَبيْتَ اللَّعْنَ أَنِّىَ فاتكٌ * من اليومِ أو مِنْ بعدِه بآبن جَعْفَرِ

---

(١) مستطعم الفرس : جحفلته وما حولها. (٢) كذا فى ب، س. ولم نجد فى معجمات اللغة التى بين أيدينا هذا الفعل من علك. وفى الأصول الخطية : «تهالك اللجم ...». (٣) المذاود : جمع مذود (وزان منبر) وهو معتلف الدابة. وفى الأصول : «على مداودها» بالدال المهملة وهو تصحيف. (٤) القضم : الأكل بأطراف الأسنان أو هو أكل الشىء اليابس.
(٥) فى الأصول : «قول حوادث الأيام». والتصويب للأستاذ المرحوم الشنقيطى فى نسخته الخاصة من طبع بلاق. (٦) الذى فى ج : «فشرب عندها ثم تغنى وقال».

أخالدُ قد نبّهتنى غيرَ نائمٍ * فلا تأمننْ فتكى يدَ الدهرِ واحذرِ
أعيّرتنى أن نلتَ منّا فوارسًا * غداةَ حُراضٍ مثلَ جِنّانِ عبقرِ[1]
أصابهمُ الدهرُ الختورُ بختره[2] * ومن لا يقِ اللهُ الحوادثَ يَعثُرِ
فعلّك يومًا أن تنوءَ بضربةٍ * بكفِّ فتًى من قومه غيرِ جيدرِ[3]
٥ يُغصّ بها عُليا هوازنَ، والمُنَى * لقاءُ أبى جَزْءٍ[4] بأبيضَ مِبترِ

قال : فبلغ خالدَ بنَ جعفرٍ قولُه فلم يَحفِلْ به . فقال عبد الله بن جَعْدةَ — وهو ابن أُخت خالد، وكان رجلَ قيسٍ رأيًا — لابنه : يا بُنَىّ ائتِ أبا جَزْء فأخبِرْه أنّ الحارث بن ظالم سفيهٌ موتور، فأخْفِ مبيتَك الليلةَ؛ فإنه قد غلبه الشرابُ . فإنْ أبيتَ فاجعل بينك و بينه رجلًا ليَحرُسَك . فوضعوا رجلًا بإزائه، ونام ابن جَعْدةَ دون الرجل، وخالدٌ من خَلْفِ الرجل . وعرف أنّ ابن عُتْبةَ وابنَ جعدةَ يحرُسان ١٠ خالدا . فأقبل الحارثُ فانتهى إلى ابن جَعْدةَ فتعدّاه، ومضى إلى الرجل وهو يحسبه خالدًا فعجَنه بكَلْكَلِه حتى كسَره وجعل يَكْدُمُه[5] لا يعقِل ، فخلّى عنه والرجل تحتَه، ومضى إلى خالد وهو نائم، فضربه بالسّيف حتى قتله . فقال لعُروة[6] : أَخْبِرِ الناسَ أنّى قتلتُ خالدًا . وقال فى ذلك :

١٩/١٠

١٥ أَلَا سائلِ النُّعمانَ إن كنتَ سائلًا * وحىَّ كِلابٍ هل فتكتُ بخالدِ
عَشَوتُ عليه[7] وابنُ جَعدةَ دونَه * وعُروةُ يكْلَا[8] عمَّه غيرَ راقدِ

(١) عبقر : موضع بالبادية كانت العرب تزعم أنه كثير الجن . (٢) الختر : الخديعة أو هو أسوأ الغدر وأقبحه . (٣) غير جيدر : غير قصير . (٤) أبو جزء : كنية خالد بن جعفر . وأبيض مبتر أى سيف قاطع . (٥) الكدم : العض والتأثير بحديدة ونحوها . وفى الأصول الخطية : ٢٠ «يكرمه» . وفى ب، س : «وجعل يكلمه» . (٦) هو عروة بن عتبة وهو ابن أخى خالد بن جعفر، كما يفهم من الشعر الذى بعده . (٧) فى أ، م : «عشوت اليه» . (٨) يكلا : يحفظ و يحرس . وهو مهموز . ولو ترك همزه جاز أن يقال فيه يكلا مثل يخشى (كما ورد هنا) و يكلو مثل يدعو . كذلك قال الفراء . (لسان العرب فى مادة كلأ) .

وقد نَصَبا رَجْلًا[1] فباشرتُ جَوْزَه * بكَلْكَلِ مَخْشِيِّ العداوةِ حاردِ
فأضربُه بالسَّيف يأفوخَ[2] رأسه * فصمّم حتى نال نُوطَ القلائدِ
وأفلت عبدُ الله منّى بذُعْرِه * وعُرْوةُ من بعدِ ابنِ جَعْدةَ شاهدى

فلمّا أبتْ غطفانُ أن تُجيره غَضِبتْ لذلك بنو عَبْس . و بعث اليه قيس بن زُهَير بن جَذيمة بهذه الأبيات :

شعر قيس بن زهير للحارث حين قتل خالدا وإجابته له

جزاك الله خيرًا مِنْ خليلٍ * شفَى من ذى تَبُولته[3] الخليلا
أزحتَ بها جوًى ودَخيلَ حُزْنٍ * تَمَخَّخَ[4] أعظمى زمنًا طويلا
كسوتَ الجعفرىَّ أبا جُزَىْءٍ * ولم تَخفِلْ به سيفًا صَقيلا
أبأْتَ[5] به زُهَيْرَ بَنِى بَغِيضٍ * وكنتَ لِمثْلها ولها حَمُولا
كشفتَ له القِناعَ وكنتَ ممن * يُجَلِّى العارَ والأمرَ الجليلا

فأجابه الحارث بن ظالم :

أتانى عن قُيَيْس بنى زُهَيْرٍ * مقالةُ كاذبٍ ذكر التُّبُولَا
فلو كنتم كما قلتم لكنتم * لقاتل ثأرِكم حِرْزًا أَصِيلا
ولكن قلتمُ جاوِرْ سِوانا * فقد جَلَّلْتَنا حَدَثًا جليلا
ولو كانوا همُ قتلوا أخاكم * لَمَا طردوا الذى قتل القَتِيلا

إباء غطفان جوار الحارث ولحوقه ببنى تميم وطلب بنى عامر له

قال أبو عُبَيدة : فلمّا منعته غَطَفانُ لَحِق بحاجب بن زُرارة ، فأجاره ووعده أن يمنعه من بنى عامر . وبلَغ بنى عامر مكانُه فى بنى تميم ، فساروا فى عُلْيا هوازنَ .

(١) الرجل (بسكون الجيم) : لغة فى الرجل (بضمها) . وجوز كل شىء : وسطه . وحارد : غاضب .
(٢) اليأفوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره ، وهو الموضع الذى يتحرك من رأس الطفل . وصمم : مضى . ونوط : جمع نياط . ونياط كل شى معلقه . وفى الأصول : «نيط القلائد» وهو تحريف .
(٣) التبولة : جمع تبل (بالفتح) وهو هنا الثأر . (٤) تمخخ العظم : أخرج مخه .
(٥) أبات القاتل بالقتيل . قتلته به . والظاهر أن فى الكلام قلبا ، أى أبأته بزهير بنى بغيض .

فلمّا كانوا قريباً من القوم فى أوّل وادٍ من أوديتهم، خَرج رجلٌ مِن بنى غَنِىٍّ ببعض البَوادِى، فإذا هو بآمرأةٍ من بنى تميم ثم من بنى حَنْظلة تجتنى الكَمْأةَ، فأخذها فسألها عن الخبر، فأخبرتْه بمكان الحارثِ بن ظالم عنـد حاجب بن زُرارةَ وما وعده من نُصْرته ومَنْعه. فآنطلق بها الغَنَوِىّ إلى رَحْلِه، فآنسلّت فى وسطٍ من الليل، فأتى الغنوىُّ

٥ الأحْوَصَ بن جعفر، فأخبره أنّ المرأة قد ذهبتْ وقال: هى مُنْذِرةٌ عليك. فقال له الأحوصُ: ومتى عَهْدُك بها؟ قال: عَهْدِى بها والمَنِىُّ يقطُر من فَرْجها. قال: وأبيك إنّ عهدَك بها لقريبٌ. وتبِـع المرأةَ عامرُ بن مالك يَقُصّ أثرها حتى آنتهى إلى بنى زُرارةَ والمرأةُ عند حاجب وهو يقول لهـا: أَخْبِرينى أىُّ قومٍ أخذوك؟ قالت: أخذنى قومٌ يُقْبِلون بوجوه الظِّباء، ويُدْبِرون بأعجاز النِّساء. قال: أولئك بنو عامر. قال:

١٠ فحدّثينى مَنْ فى القوم؟ قالت: رأيتهم يَغْدُون على شـيخ كبير لا ينظر بمأْقيه[1] حتى يرفعوا له من حاجبَيْه. قال: ذلك الأحْوَصُ بن جعفر. قالت: ورأيت شاباً شديد الخَلْق، كأنّ شعر ساعديه حَلَقُ الدِّرْع يَعْذِم[2] القَوْمَ بلسانه عَذْمَ الفرس العَضُوض. قال: ذلك عُتْبةُ بن بَشِـير بن خالد. قالت: ورأيت كهلاً إذا أقبل معه فَتَيانِ[3]، يُشْرِف القومُ إليه، فإذا نطَق أَنصتوا. قال: ذلك عَمْرو بن خُوَيْلِدٍ، والفتَيانِ آبناه

١٥ زُرْعةُ ويَزِيدُ. قالت: ورأيتُ شاباً طويلاً حسنًا، إذا تكلّم بكلمةٍ أنصتوا لهـا ثم يَؤُلُّون[4] إليه كما تؤلُّ الشَّوْلُ[5] إلى فَحْلها. قال: ذلك عامر بن مالك. قال أبو عبيدة: فدعا حاجبٌ الحارثَ بنَ ظالم فأخبره برأيه وخَبَرِ القوم وقال: يا بن ظالم، هؤلاء بنو عامر قد أتَوْك، فما أنتَ صانع؟ قال الحارث: ذلك إليك، إن شئتَ أقمتُ

٢٠/١٠

---

(١) المأق: لغة فى موق العين وهو مؤخرها أو مقدّمها. (٢) العذم: العض. والمراد

٢٠ بعـذم اللسان اللوم والتعنيف. (٣) ظاهر أن فى الكلام نقصا، وتقدير الكلام: «... اذا أقبل أقبل معه فتيان» أو «... كان معه فتيان». (٤) الأل: السرعة. (٥) الشول: جمع شائلة وهى الناقة التى خف لبنها وارتفع ضرعها.

فقاتلتُ القوم، و إن شئتَ تنحّيتُ . قال حاجب : تنحَّ عنّى غيرَ ملوم . فغضِب[١] الحارث من ذلك وقال :

شعر الحارث حين أمره حاجب بالتنحى ورد حاجب عليه

لَعَمْرِى لقد جاورتُ فى حىّ وائلٍ * ومنْ وائلٍ جاورتُ فى حىّ تَغْلِبِ

فأصبحتُ فى حىّ الأراقم لم يَقُلْ * لِىَ القومُ يا حارِ بنَ ظالمٍ آذْهَبِ

وقد كان ظَنّى إذ عقلتُ إليكمُ * بنى عُدُسٍ ظَنّى بأصحاب يَثْرِبِ

غَداةَ أتاهم تُبَّعٌ فى جُنـودِهِ * فلم يُسْلِمُوا المرين[٢] من حىّ يَحْصُبِ

فإنْ تَكُ فى عُلْيَا هَوازِنَ شَوْكَةٌ * تُخَافُ ففيكم حَدُّ نابٍ ومِخْلَبِ

و إن يَمْنَعِ المَـرْءُ الزُّرارِىُّ جارَه * فأَعْجِبْ بها من حاجبٍ ثم أَعْجِبِ

فغضِب حاجب فقال :

لَعَمْرُ أبيـك الخيْرِ يا حارِ إننى * لَأَمْنَعُ جاراً من كُلَيْبِ بن وائلِ

وقد علِم الحىُّ المَعَدّىُّ أنّنـا * على ذاك كنّا فى الخُطوبِ الأوائل

وأنّا إذا ما خاف جارٌ ظُلَامَةً[٣] * لبِسْـنا له ثَوْبَىْ وَفاءٍ ونائـلِ

وأنّ تميـماً لم تُحارِبْ قبـيلةً * من النّاس إلا أُولِعتْ بالكواهل

ولو حارِ بتْنا عامرٌ يا بنَ ظالمٍ * لعضّتْ علينا عامرٌ بالأنامـل

ولَاسْتيقنتْ عُلْيَـا هَوازِنَ أنّنا * سَنُوطِئُها فى دارها بالقنابِلِ[٤]

ولكنّنى لا أبعثُ الحربَ ظالمـاً * ولو هِجْتُها لم أُلْفَ شَحْمَةَ آكلِ

---

(١) فى الأصول الخطية : «فقابلت» بالباء الموحدة . (٢) كذا فى الأصول . و إن صحت هـذه الحروف فلعل صوابه « المرأين » مثنى المرء، أو لعل « المرين » جمع مرى (نسـبة الى مرة) بحذف ياء النسب، كما يقال أشعرون جمع أشعرىّ . ولم نهتد الى هذه الحادثة التى يشير اليها الحارث بن ظالم فيما رجعنا اليه من المظان . (٣) فى الأصول الخطيـة : «إذا ما خاف جاء ظلامة» . وفى س، ب : « إذا ما جاء جاء ... » . وقد أثبتناه كما ترى لاستقامة المعنى به مع مناسبته لسياق الكلام .

(٤) فى الأصول : « القبائل » . والتصويب للأستاذ المرحوم الشنقيطى فى نسخته . والقنابل : الجماعات من الخيل والناس، الواحدة قنبلة وقنبل (بالفتح فيهما) .

قال : فتنحى الحارث بن ظالم عن بنى زُرارةَ فلحق بعَرُوض اليمامة . ودعا مَعْبَدًا ولَقيطًا ابنَىْ زُرارةَ فقال : سِيرَا فى الظُّعُن ، فموعدُكما رَحْرَحان ، فإنّا مقيمون فى حامية الخيل حتى تأتينا بنو عامر . وخرج عامر بن مالك الى قومه بالخبر . فقالوا : ما ترى ؟ قال : أن نَدَعَهم بمكانهم ونَسْبِقَهم الى الظُّعُن . قال : فلَقُوها برَحْرَحان ، فاقتتلوا قتالاً شديدًا فأصابوها ، وأُسِرَ معبدٌ وجُرِحَ لَقيطٌ . فبعثوا بمَعْبَد الى رجلٍ بالطائف كان يعذّب الأسرى ، فقطّعه إرْبًا إرْبًا حتى قتله . وقال عامر بن مالك[1] يَرُدّ على حاجب قوله :

شعر لعامر بن مالك يرد به على حاجب

أَلِكْنى[2] الى المرءِ الزُّرارىّ حاجبٍ * رئيسِ تميمٍ فى الخطوب الأوائلِ

وفارسِها فى كلّ يومِ كريهةٍ * وخيرِ تميمٍ بين حافٍ وناعلِ

لَعَمْرى لقد دافعتُ عن حىّ مالكٍ * شآبيبَ[3] من حَرْبٍ تَلَقَّحُ[4] حائلِ

على كلّ جَرْداءِ[5] السَّراةِ طِمِرّةٍ * وأجردَ خَوّارِ العِنانِ مُناقِلِ

نصحتُ له إذ قلتُ إنْ كنتَ لاحقًا * بقومٍ فلا تَعْدِلْ بأبناءِ وائلِ

٢١ / ١٠

(١) فى الأصول : « عمرو بن مالك » والتصويب للمرحوم الشنقيطى فى نسخته .

(٢) ألكنى الى فلان أى كن رسولى اليه . يقال : ألك بين القوم ألكا وألوكا إذا ترسل . والاسم منه الألوك والألوكة والمألكة والمألك (بضم اللام فيهما) بمعنى الرسالة . فاذا عدّيته بالهمزة قلت ألكته اليه برسالة . والأصل فيه «أألكته» بهمزتين ، فأخرت الهمزة بعد اللام وخففت بنقل حركتها الى ما قبلها وحذفت . فان أمرت من هـذا الفعل المتعدى بالهمزة قلت ألكنى اليها برسالة . وكان مقتضى هذا اللفظ أن يكون معناه أرسلنى اليها برسالة ، إلا أنه جاء على القلب ؛ إذ المعنى : كن رسولى اليها بهذه الرسالة . (عن لسان العرب فى مادة ألك) . (٣) كذا فى حـ . وفى أكثر الأصول : «سبائب» وهو تحريف . والشآبيب : جمع شؤبوب . وشؤبوب كل شىء : حده ، أو الدفعة منه . (٤) يقال : تلقحت الناقة اذا شالت بذنبها لترى أنها لاقح وهى ليست كذلك . وحائل : غير حامل . (٥) الأجرد من الخيل : القصير الشعر ، والخيل تمدح بذلك . والسراة : الظهر . والطمرة : أنثى الطمر (و يقال فيه الطمرير والطمرور) وهو الفرس الجواد ، أو المشمر الخلق ، أو المستفز للوثب والعدو ، أو الطويل القوائم الخفيف . وفرس خوار العنان : سهل المعطف (أى إذا عطف كان لينا سهل الانقياد) . والمناقل من الخيل : الذى يتقى فى عدوه الحجارة وهو أن يضع يده ورجله على غير حجر لحسن نقله فى الحجارة .

ولـو أجاْتَه عُصـبةٌ تَغْلبيَّةٌ (١) * لَسِرْنا اليهم بالقنا والقَنابِلِ (٢)
ولو رُمْتُمُ أن تمنعوه رأيتمُ * هناك أُمورًا غِبُّها غيرُ طائلِ
لشابَ وليدُ الحىّ قبل مَشِيبِه * وعضّت تميمٌ كلُّها بالأناملِ
وقامتْ رجالٌ منكمُ خِنْدِفيّةٌ * يُنادون جهرًا ليتنا لم نُقاتلِ

قتل الحارث لابن النعمان

قال : فخرج الحارث بن ظالم من فَوْره ذلك حتى أتى سَلْمَى بنتَ ظالم وفى حِجْرها ٥
ابن النُّعمان، فقال لها : إنه لن يُجيرَنى من النُّعمان إلا تَحَرُّمى بآبنه، فآدْفَعيه إلىّ .
وقد كان النُّعمان بعث الى جاراتٍ للحارث بن ظالم فسباهنّ ؛ فدعاه ذلك الى قتل
الغلام فقتله . فوثب النُّعمان على عمّ الحارث بن ظالم فقال له : لَأقتلنَّك أو لتأتينّى

أخذ النعمان عم الحارث فاعتذر اليه فخلى عنه، وقال شعرا

بآبن أخيك . فآعتذر اليه فخلّى عنه . فأقبل ينطلق فقال :

يا حارِ إنّى (٣) أحيا من مُخَبَّأةٍ * وأنت أجْرأُ من ذى لِبْدةٍ ضارِى (٤) ١٠
قد كان بيتى فيكم بالعَلاءِ فقد * أحْلَلْتَ بيتى بين السَّيْلِ والنارِ
مهما أَخَفْكَ على شىءٍ تجىء به * فلم أَخَفْكَ على أمثالها حارِ
ولم أَخَفْكَ على لَيْثٍ تُخاتِله (٥) * عَبْلِ الذِّراعَيْنِ للأقرانِ هَصّارِ
وقد علمتُ بأنّى لن يُنَجِّيَنى * مما فعلتَ سوى الإقرارِ بالعارِ
فقد عَدَوْتَ على النُّعْمانِ ظالمَه * فى قتل طِفْلٍ كمثل البَدْرِ مِعْطارِ (٦) ١٥
فآعلمْ بأنّك منه غيرُ مُنفَلِتٍ * وقد عدوتَ على ضِرْغامةٍ شارِى (٧)

---

(١) أجاْته هنا : عصمته . (٢) القنابل : الجماعات من الناس ومن الخيل الواحدة قنبلة وقنبل (بالفتح فيهما) . (٣) فى الأصول : «إنك» . والتصويب للرحوم الشنقيطى فى نسخته . (٤) الضارى من السباع : الذى يضرى بالصيد و يلهج بالفرائس . (٥) فى الأصول : «تخنله» وهو تحريف . وتخاتله : تخادعه . (٦) معطار : يتعهد بالطيب و يكثر له منه . وهذا ٢٠ كناية عن أنه ابن نعمة وترف . (٧) الضرغامة : الأسد، والرجل الشجاع ؛ فاما أن يكون على تشبيهه بالأسد أو أن ذلك أصل فيه . شارى : وصف من شرى يشرى (وزان فرح) إذا غضب ولج فى الأمر .

شعر للحارث في قتله ابن النعمان

وقال الحارث بن ظالم فى ذلك :

قِفَا فاسْمَعَا أخبرْكُما إذْ سألتما * مُحارِبُ[(١)] مَوْلاهُ ، وثَكْلانُ نادمُ

حَسِبْتَ أبا قابُوسَ أنّك سابِقِي[(٢)] * ولمّا تَذُقْ ثُكْلاً وأنفُكَ راغمُ

أخُصْيَيْ حِمارٍ باتَ يَكْدِمُ نَجْمَةً[(٣)] * أتُؤْكَلُ جاراتي وجارُكَ سالمُ

تمنّيتَهُ جهرًا على غير رِيبةٍ * أحاديثُ[(٤)] طَسْمٍ ، إنما أنت حالمُ

٥

فإنْ تكُ أذوادًا[(٥)] أصِبتَ[(٦)] ونسوةً * فهذا ابنُ سَلْمَى أمْرُه[(٧)] متفاقمُ

علوتُ بذى الحيّاتِ[(٨)] مَفْرِقَ رَأْسِه * وكان سِلاحِى تجتويه[(٩)] الجماجمُ

(١) شرح المؤلف هذا البيت فيما سيأتى (صفحة ١٠٨) .

(٢) سيأتى فى الأصول ص ١٠٨ : «...فائت * ولما تذق ثكلا» . وفى ديوان المفضليات : «... سالم * ولما تصب ذلا» . وفى الكامل لابن الأثير : « ... مخفرى * ولما تذق ثكلا» . وهذا البيت يرجح أن يكون الملك الذى قتل الحارث ابنه وقتل خالد بن جعفر فى جواره هو النعمان بن المنذر ؛ فان « أبا قابوس » كنية له . لكن الأصمعى قال عن هذا البيت إنه ليس من القصيدة ؛ لأن المقتول ابن عمرو بن الحارث جدّ النعمان الذى كان يكنى أبا قابوس ، والمقتول الغلام عم أبى قابوس . (عن شرح ابن الانبارى لديوان المفضليات صفحة ٦١٦ طبع مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٢٠م) . ويلاحظ أن كلام الأصمعى هذا لا يتفق مع ما ورد فى شعر الحارث الذى رواه صاحب الأغانى فى هذا المقام من توجيه الخطاب الى «النعمان» . (وراجع الحاشية ٣ صفحة ٩٥ من هذا الجزء) . (٣) يكدم : يعض بأدنى الفم . والنجم من النبات ما لا ساق له ، والشجر ما له ساق طال أو قصر . ونجمة هنا : واحدة النجم وهو ضرب من النبت يقال له الثيل . شبهه بخصيي الحمار لتحقيره وتصغيره ، أو أنه مشنج الوجه متغضنه كخصيي الحمار إذا كدم نجمة ، وذلك لصلابتها . (راجع شرح ديوان المفضليات) . (٤) فى ج : «أحادث طسم» . وفى سائر الأصول : «أحارث ظلما» وهو تحريف . وأحاديث طسم : يقال لما لا أصل له . تقول لمن يخبرك بما لا أصل له : « أحاديث طسم وأحلامها » . وطسم : إحدى قبائل العرب البائدة .

(٥) الذود : القطيع من الابل الثلاث إلى التسع أو ما بين الثلاث إلى العشر ، وفيه أقوال أخرى . ولا يكون إلا من الاناث . (٦) كذا فى أ ، م والكامل لابن الأثير . وفى سائر الأصول : * فان تك أذواد أصبن ونسوة * (٧) كذا فى كل الأصول هنا . وفى أ ، م فيما يأتى (صفحة ١٠٨) : « رأسه » وهى رواية المفضليات والكامل لابن الأثير . (٨) ذو الحيات : اسم سيف الحارث ، كانت على سيفه تماثيل حيات . (٩) كذا فى ديوان المفضليات . وفى شرحه : «وقال يعقوب تجتويه لا يوافقها . يقال اجتويت بلدة كذا اذا لم توافقنى» . وفى الأصول والكامل لابن الأثير . « تحتويه » بالحاء .

فتكتُ به فتكًا كفتكى بخالدٍ * وهل يركب المكروهَ إلا الأكارمُ
بدأتُ بهذى ثم أثنى بمثلها * وثالثةٍ(٢) تبيضّ منها المَقادمُ
شَفَيْتُ غَليلَ(٣) الصدرِ منه بضربةٍ * كذلك يأبى المُغْضَبون القَماقِمُ(٤)

فقال النعمان بن المنذر : ما يعنى بالثالثة غيرى . قال سِنان بن أبى حارثة المُرّىّ — وهو يومئذ رأسُ غَطَفانَ — : أبيْتَ اللعْنَ ! والله ماذِمّةُ الحارث لنا بذمّة، ولا جارُه لنا بجار، ولو أمّنته ما أمّناه . فبلغ ابنَ ظالمٍ قولُ سِنانِ بن أبى حارثةَ، فقال فى ذلك :

شعر للحارث يخاطب به النعمان

أَلَا أَبْلِغِ النُّعْمانَ عنّى رسالةً * فكيف بخَطّابِ الخُطوبِ الأعاظمِ
وأنت طَويلُ البَغْيِ أَبْلَخُ(٥) مُعْوِرٌ(٦) * فَرُوعٌ إذا ما خِيفَ إحْدَى العظَائِمِ
فما غرّه والمرءُ يُدْرِكُ وِتْرَهُ * بأرْوَعَ ماضى الهَمِّ من آل ظالم
أخى ثِقَةٍ ماضِى الجَنانِ مُشيَّعٍ(٧) * كَمِيشِ التَّوالى(٨) عند صِدْقِ العَزائِمِ
فأُقْسِمُ لولا مَنْ تعرّض دونه * لَعُولِى بهِنْدِىّ الحديدةِ صارم
فأَقْتُلُ أقوامًا لِئامًا أذِلَّةً * يَعَضُّون من غَيْظٍ أصولَ الأباهِمِ
تمنّى سِنانٌ ضَلّةً أن يُخيفَنى * ويأمَنَ، ما هذا بفعلِ المُسالِمِ
تَمنّيتَ جهدًا أن تَضيعَ ظُلامتى * كذبتَ وربِّ الراقصاتِ الرَّواسِمِ(٩)
يمين آمرئٍ لم يَرْضَعِ اللُّؤْمَ ثَدْيَهُ * ولم تَتَكَنَّفْه عروقُ الألائمِ

(١) رواية المفضليات والكامل لابن الأثير والأصول فيا سيأتى :
* فتكت به كما فتكت بخالد *
(٢) ويروى : «وثالثة» بالرفع . (٣) فى الأصول : «عليك» وهو تحريف . (٤) القماقم : جمع قمقام، وهو من الرجال : السيد الكثير الخير الواسع الفضل . (٥) الأبلخ : المتكبر فى نفسه الجرىء على ما يأتى من الفجور . وفى ح : «أبلح» بالحاء المهملة . وفى سائر الأصول : «أبلج» بالجيم . والأبلج (بالجيم) وصف مدح فلا يناسب الهجو هنا . (٦) معور : قبيح السريرة، أو مريب . (٧) المشيع : الشجاع، لأن قلبه لا يخذله فكأنه يشيعه، أو لأن نفسه تشيعه على ما يقدم عليه — ومثله تشايعه — أى تتبعه وتشجعه . (٨) كميش التوالى : يريد أنه مشمر جادّ . وتوالى كل شىء : أواخره . (٩) رقص الإبل : ضرب من سيرها وهو الخبب . والرسيم : ضرب من سيرها أيضا وهو فوق الذميل . والذميل : سير لين .

أخذ مصدق للنعمان إبلا لديهث فاستجارت بالحارث فردها اليها

قال : فأمّنه النعمان، وأقام حيناً . ثم إنّ مصدّقا للنّعمان أخذ إبلًا لامرأة من بنى مُرّة يقال لها دَيَهْثُ، فأتت الحارثَ فعلّقت دَلْوَها بدلوه ومعها بُنَيٌّ لها، فقالت : أبا ليلى! إنى أتيتُك مُضافةً[1] . فقال الحارث : إذا أورد القومُ النَّعَم فنادِى بأعلى صَوْتِك :

دَعَـوْتِ بالله ولم تُراعِى * ذلك راعيـكِ فنعْمَ الرَّاعِى[2]

وتلك ذودُ الحارثِ الكَساعِ[3] * يمشى لهـا بصارمٍ قطّاعِ

* يَشْفِى به مَجامعَ[4] الصُّدّاعِ *

وخرج الحارث فى أثرها يقول :

أنا أبو ليلَى وسَيْفِى المَعْلُوبْ[5] * كَمْ قدأَجَرْنامن حَرِيبٍ محروبْ

وكم رَدَدْنامن سَليبٍ مسلوبْ * وطَعنَـةٍ طعنتُها بالمنصوبْ

* ذاك جهيزُ الموت عند المكروبْ *

ثم قال لها : لا تَرِدَنّ عليك ناقةٌ ولا بعيرٌ تعْرِفينه إلا أخَذْتِيه ففعلتْ ؛ فأتت على لَقُوحٍ لها يحلِبُها حَبَشِىٌّ، فقالت : يا أبا ليلى! هـذه لى . فقال الحبشى : كذبتِ . فقال الحارثُ : أرْسِلْها لا أُمَّ لك! فضرط الحبشى . فقال الحارث : "اِسْتُ الحالبِ أعلم"، فسارتْ مثلا . قال أبوعُبَيْدَةَ : ففى ذلك يقول فى الإسلام الفرزدقُ :

كما كان أوْفَى إذ يُنادِى ابنُ دَيْهَثٍ * وصِرْمَتُـهُ[6] كالمَغْنَمِ المُتَنَهَّبِ

فقام أبو ليلَى اليـه ابنُ ظـالمٍ * وكان مَتَى ما يَسْلُلِ السَّيْفَ يَضْرِبِ

وما كان جارًا غيرَ دَلْوٍ تعلّقتْ * بحَبْلَيْنِ فى مُسْتَحْصِدِ[7] القِدِّ مُكْرَبِ

(١) مضافة : ملجأة . (٢) فى الأصول : * ذلك داعيك فنعم الداعى * بالدال . والتصويب للرحوم الشنقيطى فى نسخته . وسـيأتى هذا الشطر بعـد قليل فى رجز آخر صحيحا .

(٣) الكسع : الضرب على الدبر؛ يقال : ولى القوم فكسعهم بالسيف، إذا اتبع أدبارهم فضربهم به .

(٤) فى الأصول : «بها» ومرجع الضمير السيف الصارم فى الشطر الذى قبل هذا الشطر .

(٥) المعلوب : اسم سيف له . (٦) الصرمة هنا : القطعة من الإبل . (٧) فى ديوان الفرزدق (نسـخة مخطوطة محفـوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٠٥ أدب) : « فى مستحصد الحبل » . والمستحصد : الذى أحكم فتله . والمكرب : المشدود بالكرب (بالتحريك) وهو حبل يشد على عراقى الدلو ثم يثنى و يثلث . وفى ديوان الفرزدق : « والمكرب العقد الذى على عرقوة الدلو » .

خروج الحارث الى صديق له من كندة

قال أبو عُبَيدة حدّثنى أبو محمد عِصامُ العِجْلىّ قال : فلمّا قتل الحارثُ بنُ ظالم خالدَ بن جعفر فى جِوار الملك خرج هاربًا حتى أتى صديقًا له من كِنْدة يَحُلّ شُعَبَى — قال : شُعَبى غير ممدود — فلمّا ألحّ الأسْوَدُ[1] فى طلب الحارث قال له الكِنْدىّ : ما أرَى لك نجاةً إلّا أنْ ألحقك بحَضْرَمَوت ببلاد اليمن فلا يُوصَلَ اليك . فسار معه يوماً وليلةً ، فلمّا غرّبه[2] قال : إنّنى أنقطع ببلاد اليمن فأغترِبُ بها ، وقد برِئتْ منك خَفارتى . فرجع حتّى أتى أرضَ بكر بن وائل ، فلجأ الى بنى عِجْلِ بن لُجَيْم ، فنزل على زَبّان فأجاره وضرب عليه قُبّة . وفى ذلك يقول العِجْلىّ :

لجوءه الى بنى عجل ابن لجيم

ونحن مَنَعْنا بالرِّماح ابنَ ظالمٍ * فظلّ يغنّى آمناً فى خِبائنا

٢٣ / ١٠

قال أبو عبيدة : فجاءته بنو ذُهْل بن ثَعْلبةَ وبنو عَمْرو بن شَيْبان فقالوا : أَخْرِجْ هذا المشئومَ من بين أظْهُرنا ، لا يَعُرُّنا بشرٍّ ، فإنّا لا طاقةَ لنا بالمَلْحاء[3] (والملحاء كَتِيبةُ الأسْوَد) فأبتْ عِجْلُ أن تُخْفِره[4] ، فقاتلوه فامتنعتْ بنو عِجْلٍ . فقال الحارث بن ظالم فى الكِنْدىّ وفيهم :

يُكَلِّفُنى الكِنْدىُّ سَيْرَ تَنُوفةٍ * أكابِدُ فيها كلَّ ذى صُبّةٍ مُثْرِى

— الصُّبّة : قطعةٌ من الغنم أو بقيّة منها —

وأقبلَ دُونى جَمْعُ ذُهْلٍ كأنّنى * خَلاةٌ[5] لِذُهْلٍ والزَّعانِف من عَمْرو

ودُونِى رَكْبٌ من لُجَيمٍ مُصَمِّمٌ * وزَبّانُ جارِى والخَفيرُ على بَكْرِ

لَعَمْرِى لا أخشَى ظُلامةَ ظالمٍ * وسعدُ بن عِجْلٍ مُجْمِعُون على نَصْرِى

(١) راجع الهامشة ٣ صفحة ٩٥ من هذا الجزء . (٢) غربه : نحاه عن بلاده وأبعده .

(٣) فى بعض الأصول : «بالملجأ» وهو تحريف . (٤) الإخفار : الغدر ونقض العهد .

(٥) الخلاة : واحدة الخلى وهو الرطب من الحشيش . يقول : أقبل دونى هؤلاء القوم كأنى خلاة يأخذها الآخذ كيف شاء ، والواقع أنى فى عز ومنعة .

قال أبو عبيدة : ثم قال لهم الحارثُ : إنِّى قد اشتهر أمرِى فيكم ومكانى، وأنا راحلٌ عنكم . فآرتحل فلحِقَ بطَيِّئ . فقال الحارثُ فى ذلك :

لحوقه بطيء

لَعَمْرِى لقـد حلّتْ بِىَ اليومَ ناقتى * إلى ناصرٍ من طَيِّئٍ غـيرِ خاذلِ

فأصبحتُ جارًا للمَجَرَّةِ منهـمُ * على باذخٍ يعـلو على المُتَطـاوِلِ

أخذ الأسود أموال جارات له فردها هو اليهن

٥ قال أبو عبيدة وحدّثنى أبو حَيّة أنّ الأسْوَدَ حين قتل الحارثُ خالدًا سأل عن أمرٍ يبلُغ منه. فقال له عُرْوةُ بن عُتْبَة : إنّ له جاراتٍ من بَلِىِّ بن عَمْرٍو، ولا أراكَ تنالُ منه شيئا أغْيظَ له من أَخْذِهنّ وأَخْذِ أموالهنّ، فبعث الأَسْوَدُ فأخذهنّ واستاق أموالهنّ . فبلَغ ذلك الحارثَ، فخرج من الحينِ فآنساب فى غُمارِ الناس حتى عرَف موضع جاراتِه ومَرْعى إبلهنّ، فأتى الإبلَ فوجد حالبين يحلُبان ناقةً لهنّ يقال لها

١٠ اللِّفاع، وكانت لبونًا كأغْزَرِ الإبل ، إذا حُلِبتْ آجترّت، ودمعتْ عيناها، وأصغتْ برأسها[1]، وتَفَاجّتْ[2] تَفاجَّ البائل، وهجمتْ فى المِحْلَب هَجْمًا حتى تُسَنِّمه[3]، وتجاوبت أحاليلُها[4] بالشَّخْبِ هثًّا[5] وهشيا حتى تَصُفَّ بين ثلاثةِ مَحَالِب[6] . فصاح الحارثُ بهما ورجَز فقال :

إذا سَمِعتِ حَنّـةَ اللِّفاعِ * فَادْعِى أبا لَيْلَى ولا تُراعِى

ذلك راعيـكِ فنِعْمَ الرّاعى * يُجِبْكِ رَحْبَ البَاعِ والذِّراعِ

١٥ * مُنطَّقًا[7] بصارمٍ قطّاعِ *

(١) كذا فى الأصول . و يلاحظ أن «أصغى» يتعدّى بنفسه . فلعل صوابه : «صغت برأسها» أو «أصغت رأسها» . (٢) تفاجت : باعدت ما بين رجليها . (٣) تسنمه : تملؤه حتى يصير فوقه مثل السنام . (٤) الأحاليل : جمع إحليل، وهو هنا مخرج اللبن من الضرع . والشخب (بالفتح): صوت اللبن عند الحلب . والشخب (بالفتح و بالضم) : ما يخرج من الضرع من اللبن . وقيل :

٢٠ الشخب (بالضم) : ما امتد من اللبن حين يحلب متصلا بين الإناء والطبى . (٥) كذا فى الأصول الخطية . وفى ب ، س : «هشا وهشيا» . والهث : اختلاط الصوت فى حرب أو صخب . والمراد هنا اختلاط أصوات الأحاليل عند الحلب . أما « الهثيم » أو « الهشيم » فلم نهتد لوجه الصواب فيه .
(٦) أى حتى تملأ ثلاثة محالب فيصف أحدها بعد الآخر . (٧) منطقا : مشدودا فى وسطه .

خَلِّيا عنها ! فعرفاه فضرط البائن. فقال الحارثُ : "اِسْتُ الضارطِ أَعْلَمُ"[(١)] فذهبتْ مثلا — قال الأَثْرَمُ : البائن الحالبُ الأيمنُ ، والمستعلِي الحالبُ الأَيْسَرُ — ثم عَمَد الى أموال جاراته والى جاراته فجمعهنّ وردّ أموالَهن وسار معهن حتى آستلاهنّ (أى أنقذهنّ).

رواية أخرى في قتله بن الملك

قال أبو عُبَيْدَةَ : ولحِق الحارثُ ببلاد قومه مختفيًا . وكانت أُخته سَلْمَى بنتُ ظالم عند سِنَان بن أبى حارثةَ المُرِّىّ . قال أبو عُبيدة : وكان الأَسْوَدُ بن المُنْذِرِ قد تبنَّى سِنانُ بن أبى حارثةَ المُرِّىُّ ابنَه شُرَحْبِيلَ ، فكانت سَلْمَى بنتُ كَثِيرِ بن رَبِيعة من بنى غَنْم بن دُودانَ[(٢)] امرأةُ سِنَانِ بن أبى حارثةَ المُرِّىِّ تُرضعه وهى أُمّ هَرِمٍ ، وكان هَرِمٌ غَنِيًّا يقـدر على مايُعطى سائليه . فجاء الحـارثُ ، وقـد كان آندسَّ فى بلاد غَطَفانَ ، فآستعار سَرْجَ سِنانٍ ، ولا يعلم سِنانٌ ، وهم نُزُولٌ بالشَّرَبَّةِ ، فأتى به سَلْمَى ابنةَ ظالِم فقال : يقول لك بَعْلُك : ابْعَثِي بابن الملك مع الحـارثِ حتى أستأمِنَ له ويَتَخَفَّر به ، وهذا سرجُه آية اليك . فزيّنته ثم دفعتْه الى الحـارث ، فأتى بالغلام ناحيةً من الشَّرَبَّةِ فقتله ، ثم أنشأ يقول :

قِفَا فآسْمَعَا أَخْبِرْكما إذ سألتُما * مُحارِبُ مولاه ، وثَكْلانُ نادمُ[(٣)]

— ثكلان نادم : يعنى الأسْوَدَ لأنه قُتِل ابنُه شُرَحْبِيل . مُحارِبُ مولاه : يعنى الحارث نفسَه . ومولاه : سِنَانٌ —

أَخُصْيَيْ حِمَارٍ بات يَكْدُمُ نجمةً * أَتُؤْكَلُ جاراتى وجارُك سالمُ
حَسِبتَ أبيتَ اللَّعنَ أنك فائتٌ * ولمّا تَذُقْ ثُكْلًا وأَنْفُكَ راغمُ
فإن تك أذوادًا أصبتَ ونسوةً * فهذا ابنُ سَلْمَى رأسُه مُتفاقِمُ

---

(١) ويروى : « است البائن أعلم » .
(٢) فى الأصول : « ... غنم بن وردان » . والتصويب للرحوم الأستاذ الشنقيطى فى نسخته .
(٣) تقدّمت هذه الأبيات فى صفحة ١٠٣ من هذا الجزء ، فلتراجع الحواشى التى كتبت عليها .

علوتُ بذى الحَيّاتِ مَفرِقَ رأسه * وكان سِلاحِى تجتـويه الجماجم

فتكتُ به كما فتكتُ بخالدٍ * ولا يركَب المكروهَ إلّا الأكارم

بدأتُ بتلك وآنثنيتُ بهـذه * وثالثـةٍ تبيضّ منها المَقادِمُ

قال : ففى ذلك يقول عَقِيلُ بن عُلَّفَةَ فى الإسلام وهو من بنى يَرْبُوع بن غَيْظِ بن

٥ مُرَّةَ لمّا هاجى شَبِيبَ بنَ البَرْصاءِ، وأبوه يزيدُ، وهو من بنى نُشْبة بن غيظ بن مُرّة

ابنُ عَمّ سِنانِ بن أبى حارثةَ، فعيّره بقتلِ الحارثِ بن ظالمٍ شُرَحْبِيلَ لأنه ربيبُ

بنى حارثةَ بن مُرّةَ بن نُشْبةَ بن غَيْظ رَهطِ شَبِيب[1]، ففى ذلك يقول عَقِيلٌ :

قتلنا شُرَحْبيلاً ربيبَ أبيكُم * بناصيةِ المَعْلوب ضاحية غصبا[2]

فلم تُنكِروا أن يَغمِزَ القومُ جارَكم * بإحْدى الدَّواهِى ثم لم تَطْلُعُوا نَقْبا[3]

١٠ قال أبو عُبيدة : وهرَب الحارثُ، فغزا الأسْوَدُ بنى ذُبْيان إذ نقضوا العهد و بنى أَسَدٍ

بشَطِّ أَرِيكٍ . قال أبو عبيدة : وسألته عنه فقال : هما أَرِيكانِ الأسْوَدُ والأبيض،

ولا أدرى بأيّهما كانت الوَقْعةُ . قال أبو عُبَيدةَ وقال آخرون : إنّ سَلْمى امرأةَ

سِنانٍ التى أخذ الحارثُ شُرَحْبِيلَ من عندها من بنى أَسَدٍ . قال : فإنّما غزا الأسودُ

بنى أَسَدٍ لدفع الأسَدِيّة سَلْمى ابنَه الى الحارث، فقتل فيهم قتلاً ذَرِيعًا وسَبَى وآستاق

١٥ أموالَهم . وفى ذلك يقول [الأعشى ميمون] :

وشُيوخٍ صَرْعَى[4] بشَطَّىْ أَرِيكٍ * ونساءٍ كأنّهن السَّعالِى[5]

---

(١) فى الأصول : « ... بنى حارثة فعيره نشبة بن غيظ ... » وهو تحريف .

(٢) فى الأصول : « بناحية المغلوب ضاحية غضبا » . وقد رجحنا ما وضعناه لدلاله سياق الكلام عليه . والمعلوب : سيف الحارث بن ظالم . وضاحية : علانية وجهرا . (٣) النقب : الطريق،

٢٠ أو الطريق الضيق فى الجبل . ويظهر أنه كنى بعدم طلوع النقب عن عدم السعى فى طلب الثأر .

(٤) موضع هذا البيت من القصيدة بعد قوله « رب رفد » البيت الآتى ؛ فشيوخ مجرور بالعطف على المجرور برب فى البيت الذى قبل هذا البيت فى القصيدة . ويروى « وشيوخ حربى » جمع حريب ؛ يقال حرب فلان ماله أى سلبه فهو محروب وحريب . (٥) السعالى : جمع سعلاة (بكسر السين) و يقال فيها سعلا (بالمد و بالقصر)، وهى الغول أو ساحرة الجن . و إذا كانت المرأة قبيحة الوجه سيئة الخلق شبهت بالسعلاة .

من نَوَاصِى دُودَانَ إذ نقضوا العهـ * ـدَ وذُبْيانَ والهِجَانِ الغَوالى

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتَه ذلك اليو * م وأَسْرَى من مَعْشَرٍ أَقْتَالِ (١)

هٰؤلا ثم هٰؤلا كُلًّا أَحْذَيْـ * ـتَ نِعالًا مَحْذُوَّةً بمِثَالِ

وأرى مَنْ عصاكَ أصبح مخذو * لًا وكَعْبُ الذى يُطيعك عالى

وجود نعل شرحبيل بن الأسود فى بنى محارب وتعذيب الأسود لهم ٢٥ / ١٠

قال : ووُجِد نعلُ شُرَحْبِيلَ عند أَضَاخٍ ، وهو من الشَّرَبَّةِ فى بنى مُحَارِبِ بن خَصَفَةَ (٢) ابن قَيْس عَيْلانَ . قال : فأحمى لهم الأسودُ الصَّفَا التى بصحراء أَضَاخٍ وقال لهم : إنّى أَحذِيكم نِعالًا ، فأمشاهم على الصَّفَا المُحْمَى فتساقط لحمُ أقدامهم . فلمّا كان الإسلام قتل جَوْشَنٌ الكِنْدِىُّ رجلًا من بنى مُحارِبٍ فأُقِيد به جوشنٌ بالمدينة . وكان الكندىُّ من رهط عبّاس بن يزيد الكندىّ ، فهجا بنى مُحارِبٍ فعيّرهم بتحريق الأسْوَدِ أقدامَهم فقال :

على عَهْدِ كِسْرَى نَعَّلتكم ملوكُنا * صَفًا من أَضَاخٍ حاميًا يَتَلَهَّبُ

قال أبو عُبيدة : وصار ذلك مثلًا يتوعّد به الشعراءُ مَنْ هَجَوْه ويحذِّرونهم مثلَ ذلك . ومن ذلك أن ابن عَتَّابٍ (٣) الكلبى ورَد على بنى النوس (٤) من جَديلةِ طَيِّءٍ ، فسرَقوا سهامًا له ؛ فقال يحذِّرهم :

---

(١) الرفد (بالفتح وبالكسر) هنا : القدح الضخم . والمعنى المراد « رب قتلى » فان إراقة الرفد يكنى به عن الموت ؛ قال الزمخشرى فى أساس البلاغة : « وهريق رفد فلان إذا قتل ، كما يقال : صفرت وطابه وكفئت جفنته » . وقال شارح ديوان الأعشى : « أبو عبيدة : رب رفد أهرقته ، بألف . أى رب رجل كانت له إبل يحلبها فاستقتها فذهب ما كان يحلبه فى الرفد ، والرفد القدح بما فيه » . والأقتال : جمع قتل (بالكسر) وهو العدوّ ، والشبيه فى القتال ؛ وبكلا المعنيين فسر البيت . ويروى : « من معشر أقيال » . والقيل : الملك ، أو الملك من ملوك حمير ، أو هو من دون الملك الأعلى .

(٢) فى ب ، س ، ج : « حفصة » وهو تحريف . (٣) الذى فى خزانة الأدب (ج ٤ ص ١٨٣) : « ابن عباد الكلابى » . (٤) كذا فى الأصول . وفى خزانة الأدب : « بنى البوس » . ولم نجد هذا الاسم فى جديلة طيئ ولا فى غيرها . فلعل صوابه « بنى الأوس » ؛ فان من فروع جديلة طيئ بنى الأوس .

بنى النوس رُدُّوا أَسْهُمى إنّ أَسهمِى * كنَعْلِ شُرَحْبِيلَ التى[1] فى مُحَارِبِ

وقال فى الجاهليّة ابنُ أُمِّ كَهْف الطائىُّ فى مَدْحه لمالكِ بن حِمَارٍ[2] الشَّمْخىّ ، فذكر نعل شُرَحْبِيلَ فقال :

ومولاكَ الذى قتل ابنَ سَلْمَى * عَلانيــةً شُرَحْبِيــلَ ابنِ نَعْلِ

٥ لأنه لولا النعل لم يُعْرَف ، وإنما عُرِف بما صنع أبوه ببنى مُحَارِبٍ من أجل نعله التى وُجِدت فى بنى مُحَارِبٍ .

أخذ الأسود لسنان بن أبى حارثة الذى قتل ابنه عنده واعتذار الحارث ابن سفيان عنه

قال أبو عُبَيدة : وأخذ الأسودُ سِنَانَ بنَ أبى حارثةَ ؛ فأتاه الحارثُ بن سُفْيانَ أحدُ بنى الصارِد[3] ، وهو الحارثُ بنُ سُفْيَانَ بنِ مُرّةَ بن عَوْف بن الحارثِ بن سفيان أخو سَيّارِ بن عمرو بن جابر الفَزَارىّ لأمّه ، فاعتذر الى الأسْوَد أن يكون سِنانُ بن

١٠ أبى حارثةَ عِلم أو اطّلع ، ولقد كان أطْرَدَ الحارثَ من بلاد غَطَفانَ ، وقال : علىَّ دِيَةُ ابنك ألفُ بَعيرٍ دِيَةُ الملوك ؛ فحمّلها إيّاه وخلَّى عن سِنَانٍ ؛ فأدّى الى الأسْوَد منها ثمانمائةِ بعيرٍ ثم مات . فقال سيّار بن عمرو أخوه لأُمّه : أنا أقوم فيما بَقِى مقام الحارثِ بن سُفْيان . فلم يرضَ به الأسودُ . فرهنه سَيّارٌ قَوْسَه ، فأدّى البقيّة . فلمّا مدح قُرَادُ بن حَنَشٍ الصارِدىُّ[4] بنى فَزارةَ جَعَل الحَمالةَ كلَّها لسَيّار بن عمرو فقال :

١٥ ونحن رَهَنَّا القَوْسَ ثُمّتَ فُودِيت * بألفٍ على ظَهْرِ الفَزارىِّ أَقْرَعا[5]

بعَشْرِ مِئِينٍ للملوك سَعَى بها[6] * لِيُوفِىَ سَيّارُ بنُ عمرٍو فأسْرَعا

(١) فى الأصول : «الذى» . والتصويب من خزانة الأدب . (٢) فى ب ، س : «حماد» بالدال المهملة وهو تحريف . (٣) فى الأصول : « بنى الصادر » وهو تحريف . (راجع كتاب الاشتقاق لابن دريد صفحة ١٧٦ ولسان العرب فى مادة صرد) . (٤) فى الأصول : «قراد بن حبش

٢٠ الصادرى» وهو تحريف . (٥) بألف أقرع أى تام . (٦) فى الأصول : «بعشر ملوك للملوك سفالها» والتصويب من خزانة الأدب (ج ٣ ص ٣٠٤) . وقد صححها المرحوم الشنقيطى : «سعى لها» .

رَمَيْنا صَفَاهُ بالمِئِينَ فأصبحتْ * ثَنَايَاهُ(١) للساعين فى المَجْدِ مَهْيَعا

قال ويقال : بل قالها رَبِيعُ بن قَعْنَبٍ ، فردّ عليه قُرَادٌ فقال :

ما كان تَغْلَبُ ذِى عاجٍ(٢) لِيَحْمِلَها * ولا الفَزَارِىُّ جُوفَانُ بن جُوفَانِ(٣)

لكن تَضَمَّنها أَلْفًا فأخرجها * على تَكَالِيفها حارِ(٤) بنُ سُفْيانِ

٥ وقال عُوَيْفُ القَوَافِى بن عُيَيْنَةَ بن حِصْنِ بن حُذَيْفَةَ بن بَدْرٍ فى الإسلام يفخر على أبى منظور الوَبْرِىّ حين هاجاه أحد بنى وَبْرِ بن كِلَابٍ :

فهل وجدتم حاملًا كَحَامِلِى * إذ رَهَنَ القوسَ بألفٍ كامِلِ

بِدِيَةِ ابنِ الملكِ الحُلَاحِلِ * فافتكّها من قبلِ عامٍ قابِلِ

* سَيّارُ المُوفِى بها ذو السائِلِ(٥) *

٢٦/١٠

لحوق الحارث بنى دارم

١٠ قال أبو عُبيدة : فلمّا قتل الحارثُ شُرَحْبِيلَ لحِق ببنى دَارِمٍ فلجأ الى بنى ضَمْرةَ . قال : وبنو عبد الله بن دارمٍ يقولون : بل جاور مَعْبَدَ بن زُرَارَةَ فأجاره ، فجرّ جُوارُه يوم رَحْرَحَانَ ، وجرّ يومُ رحرحان يومَ جَبَلَةَ . وطلبه الأسودُ بن المُنْذِرِ بخُفْرَتِه(٦) .

---

(١) الثنايا : جمع ثنية وهى طريق العقبة ؛ من ذلك قولهم : فلان طلاع الثنايا ، إذا كان ساميا لمعالى الأمور . والمهيع : الطريق الواسع الواضح . والظاهر أنه يريد أن يقول : إننا حملناه من ١٥ التكاليف ما حملناه فاحتملها ، حتى أصبحت سبيله فى ذلك سبيلا لمبتغى المجد . (٢) ذو عاج : واد فى بلاد قيس . (٣) الجوفان (بالضم) : أير الحمار . ولعله نبز الفزارىّ بذلك لما كانت تعير به فزارة من أكل الجوفان ؛ قال سالم بن دارة :

لا تأمننّ فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها بأسيار

لا تأمننه ولا تأمن بوائقه * بعد الذى امتل أير العير فى النار

٢٠ امتله : وضعه فى الملة . ويقول فيها :

أطعمتم الضيف جوفانا مخاتلة * فلا سقاكم إلهى الخالق البارى

(٤) يريد : حارث بن سفيان . والترخيم فى غير النداء يأتى فى الشعر قليلا . (٥) كذا فى الأصول . ولعل صوابها : «ذو النائل» . والنائل : العطاء . (٦) الخفرة (بالضم) : الذمة .

فلمّا بلغه نزولُه ببنى دارمٍ أرسل فيه إليهم أن يُسْلِموه فأبَوْا . فقال يمُنّ على بنى قَطَنِ ابن نَهْشَلِ بن دَارِمٍ بما كان من النُّعْمان بن المُنْذِرِ فى أَمر بنى رشيّة وهى رُمَيْلَةُ حين طلبهم من لَقيطِ بن زُرَارةَ حتى آستنقذهم . ورشيّة أَمَةٌ[1] كانت لزُرارة بن عُدُسَ بن زيدٍ المُجَاشِعِىّ ، فوطِئها رجلٌ من بنى نَهْشَلٍ فأولدها ، وكان زُرارةُ يأتى بنى نَهْشَلٍ يطلبُ الغِلْمةَ التى ولَدتْ ، وولدتِ الأَشْهَبَ بن رُمَيْلةَ والرَّباب بن رُمَيْلةَ وغيرَهما ، وكانوا يُسْمِعونه ما يكره ، فيرجِع الى ولده فيقول : أَسْمَعنى بنو عمّى خيرًا وقالوا : سنبعَث بهم إليك عاجلًا ، حتى مات زُرارةُ . فقام لَقيطٌ آبنُه بأمرهم ، فلمّا أتاهم أسمعوه ما كرِه ، ووقع بينهم شرٌّ . فذهب النهشلىّ إلى الملك فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! لا تَصِلُنى وتَصِلُ قومى بأفضلَ من طِلْبَتِكَ إلى لَقيطٍ الغِلْمةَ لِيَكُفَّ عنّى . فدعاه فشرِب معه ، ثم آستوهبهم منه فوهبهم له . فقال الأَسْوَدُ بن المُنذِر فى ذلك :

كَأَيِّنْ لنا من نِعْمَةٍ فى رِقابكم * بنِى قَطَنٍ فضلًا عليكم وأَنْعَمَا
وكَمْ مِنّةٍ كانتْ لنا فى بُيوتكم * وقَتْلِ كَرِيمٍ لم تَعُدُّوه مغرمَا
فإنكمُ لا تمنَعون آبنَ ظالمٍ * ولم يمس بالأيدى الوَشِيجَ المُقَوَّمَا[2]

فأجابه ضَمْرةُ بن ضَمْرةَ فقال :

سَنَمْنَعُ جارًا عائذًا فى بيوتكم[3] * بأسيافنا حتى يؤوبَ مُسَلَّمَا
إذا ما دَعَوْنا دَارِمًا حالَ دونَه * عَوابِسُ يَعْلُكْنَ الشَّكِيمَ المُعَجَّمَا[4]

(١) تقدّم فى ترجمة الأشهب بن رميلة (ج ٩ ص ٢٦٩ من هذه الطبعة) أنها كانت أمة لخالد بن مالك بن ربعى ... (فليراجع ما هناك) . (٢) ورد هذا البيت هكذا بالأصول . والوشيج : شجر الرماح ، أو هو من القنا أصلبه . والمقوّم هنا : الذى أزيل عوجه . (٣) لعله : «فى بيوتنا» . (٤) علكه : لاكه وحركه فى فيه . والشكيمة من اللجام : الحديدة المعترضة فى الفم . والمعجم : المعضوض .

ولو كنتَ حَرْبًا ما وردتَ طُوَيْلِعاً[(1)] * ولا حَوْفَه إلّا خَمِيساً عَرَمْرَمَا

تركتَ بنى ماءِ السماءِ وفِعْلَهم * وأشبهتَ تَيْسًا بالحِجازِ مُزَنَّمًا[(2)]

ولن أذْكُرَ النُّعْمانَ إلّا بصالحٍ * فإنّ له فضلًا علينا وأَنْعُمَا[(3)]

قال : وبلَغ ذلك بنى عامر، فخرج الأحوصُ غازيًا لبنى دَارِمٍ طالبًا بدم أخيه خالدِ بن جعفر حين انطوَوْا على الحارث وقاموا دونه، فغزاهم فالتقَوْا بِرَحْرَحانَ، فهُزِمتْ بنو دَارِمٍ، وأُسِرَ مَعْبَدُ بن زُرَارَة، فآنطلقوا به حتى مات فى أيديهم، وحديثُه فى يوم رحرحان يأتى بعدُ.

أسر بنى قيس وبنى هزان للحارث وحديثه معهم

ثم أَسَرَ بنو هِزَّانَ الحارثَ بنَ ظالم. وقال أبو عُبَيْدَة: خرج الحارثُ من عندهم، فجعل يطوف فى البلاد حتى سقَط فى ناحيةٍ من بلاد ربيعة، ووضَع سِلاحَه وهو فى فَلاةٍ ليس فيها أثرٌ ونام، فمرّ به نَفَرٌ من بنى قَيْس ابن ثَعْلَبَةَ ومعهم قومٌ من بنى هِزَّانَ من عَنَزَةَ وهو نائمٌ، فأخذوا فرسَه وسلاحه ثم أوثقوه، فآنتبه وقد شدّوه فلا يَمْلِك من نفسه شيئاً. فسألوه مَنْ أنت؟ فلم يخبرهم وطوى عنهم الخبر، فضربوه ليقتلوه على أن يُخبرهم مَنْ هو فلم يفعل. فآشتراه القيسيّون مِنَ الهِزّانيّين بزِقِّ خمرٍ وشاة — ويقال: آشتراه رجلٌ من بنى سعد بإغلاق[(4)]

27/10

(1) ورد هذا البيت فى الأصول هكذا :

ولو كنت حوا ما وردت طو يلعا * ولا حــومة إلا خميسا عرمرما

وصوّبنا ما فيه من تحريف عن معجم البلدان لياقوت فى كلامه على طو يلع ولسان العرب (فى مادة حوف). ورواية البيت فى معجم البلدان :

فلو كنت حربا ما بلغت طو يلعا * ولا جــوفه ... ... الخ

وفى لسان العرب: « ... ما طلعت طو يلعا * ولا حوفه ... » . وحوف الوادى : حرفه وناحيته. ثم قال : « ويروى جوفه، وجوّه» . والحرب : العدوّ المحارب . وطو يلع : ماء أو واد . والخميس : الجيش . والعرمرم : الكثير. (2) المزنم من الشاء : ماله هنة معلقة فى حلقه تحت لحيته، وخص بعضهم به العنز . والمزنم أيضا : الذى تقطع أذنه وتترك له زنمة . (3) رواية اللسان (وقد ذكر هذا البيت والذى قبله فى مادة زنم) : * فان له عندى يديا وأنعما * ويدىّ (على وزن فعول وفعيل مثل كلب وكليب) : جمع يد بمعنى النعمة . (4) اغلاق الرهن : ايجابه للرتهن اذا لم يفك . والمراد هنا اعطاء من باعه بكرة وعشرين من الشاء .

بَكْرةٍ وعشرين من الشاء — ثم انطلقوا به إلى بلادهم . فقالوا له : مَنْ أنت ؟ وما حالُك؟ فلم يُخبرهم . فضربوه ليموت فأبَى . قال: وهو قريبٌ من اليمامة . قال: فبينما هُمْ على تلك الحال وهم يَرِيغونه ضربًا مَرّةً وتهدُّدًا أخرى وليِنًا مَرّةً ليخبرهم [1] بحاله وهو يأبى، حتى مَلُّوه، فتركوه فى قَيْده حتى انفلت ليلًا، فتوجّه نحو اليمامة وهى قريبٌ منه ، فلقِى غِلْمةً يلعبون، فنظر إلى غلامٍ منهم أخْلَقُهم للخير عنده فقال: مَنْ أنت؟ قال : أنا بُجَيْرُ بن أَبْجَرَ العِجْلىّ ، وله ذُؤابةٌ يومئذٍ وأمّه امرأةُ قَتادةَ بن مَسْلَمةَ الحنفىّ . فأتاه وأخذ بحِقْوَيْه والتزمه وقال : أنا لك جارٌ . فيقال : إنّ عِجْلًا أجارته فى هذا اليوم لا فى اليوم الأوّل الذى ذكرناه فى أوّل الحديث . فأتى الغلامُ أباه فأخبره وأجاره وقال : ائتِ عَمّك قَتادةَ بن مَسْلَمةَ الحنفىّ فأَخْبِرْه؛ فأتى قتادةَ فأخبره فأجاره .

قال أبو عُبَيدةَ : وأمّا فِراسٌ [2] فزعم أنه أفلت من بنى قَيْسٍ فأقبل شَدًّا حتى أتى اليمامةَ، واتّبعوه حتى انتهى إلى نادى بنى حَنيفةَ وفيه قَتادةُ بن مَسْلَمةَ. فلمّا رأوه يهوِى نحوَهم قال : إنّ هذا لخائفٌ ، وبَصُر بالقوم خَلْفَه فصاح به : الحِصْنَ الحِصنَ! فأقبل حتى ولَج الحِصْنَ . وجاءت بنو قيس، فحال دونه وقال : لو أخذتموه قبل دخوله الحِصْنَ لأسلمته إليكم ، فأمّا إذْ تحرّم بى فلا سبيلَ إليه . قال فقالوا : أسيرُنا اشتريناه بأموالنا، وما هو لك بجارٍ ولا تعرفه، وإنما أتاك هاربًا من أيدينا، ونحن قومُك وجِيرتُك . قال : أمّا أن أُسلمه أبدًا فلا يكون ذلك ، ولكن اختاروا منّى: إن شئتم فانظُروا ما اشتريتموه به فخذوه منّى، وإن شئتم أعطيتُه سلاحًا كاملًا وحملتُه على فرسٍ ودَعُوه حتى يقطعَ الوادىَ بينى وبينه ثم دُونَكُموه . فقالوا: رَضِينا. فقال ذلك للحارث فقال نعم . فألبسه سِلاحًا كاملًا وحمله على فرسه وقال له : إنْ أفلتّهم فرُدَّ إلىّ الفرسَ والسلاحُ لك . قال : فخرج ، وتركوه حتى جاز الوادىَ ،

(١) جواب « بينما » فى هذه الجملة لم يصرح به .   (٢) فى الأصول هنا : «فراش» بالشين المعجمة وهو تصحيف . وفراس الذى يروى عنه أبو عبيدة هو أبو المختار فراس بن خندق القيسى .

ثم ٱتّبعوه ليأخذوه، فلم يزل يُقاتلهم ويُطاردهم حتى ورد بلادَ بنى قُشَيْرٍ، وهو قريبٌ من اليمامة أيضا بينهما أقلُّ من يومٍ . فلمّا صار إلى بلاد بنى قُشَيْر يئسوا منه فرجعوا عنه . وعرَفه بنو قُشَيرٍ فانْطَوَوْا عليه وأكرموه . ورَدّ إلى قَتادةَ بن مَسْلَمةَ فرسَه وأرسل اليه بمائة من الإبل، لا أدرى أأعطاه إيّاها بنو قُشَيْرٍ من أموالهم ليكافئَ بها قَتادةَ أم كانت له، لم يُفَسِّر أبو عُبيدة أمرَها ولا سألتُه عنها . فقال الحارثُ بن ظالم ٥ فى ابنَىْ حُلاكَةَ وهما من الذين باعوه من القَيْسِيِّين وفيما كان من أمره — قال أبو عُبيدة : ويقال أسره راعيانِ من بنى هِزّانَ يقال لهما ٱبنا حُلاكَةَ — :

أَبْلِغْ لديكَ بنى قَيْسٍ مُغَلْغَلَةً * أنِّى أُقَسَّمُ فى هِزّانَ أرباعَا

ابنَا حُلاكَةَ باعانى بلا ثَمَنٍ * وباع ذو آل هِزّانٍ بما باعا

يا ابْنَىْ حُلاكَةَ لمّا تأخُذَا ثمنى * حتّى أُقَسَّمَ أفراسًا وأدراعا ١٠

قَتادةُ الخَيْرِ نالتنى حَذِيَّتُه[(١)] * وكان قِدْمًا إلى الخيراتِ طَلّاعا

وقال فى ذلك أيضا :

همَّتْ عُكابةُ أن تَضِيمَ لجيما[(٢)] * فأبتْ لُجَيْمُ ما تقول عُكابَهْ

فاسْقِ بُجَيْرًا من رَحيقِ مُدامةٍ * وٱسْقِ الخفِيرَ وطَهِّرِى أثوابَهْ

جاءتْ حَنِيفةُ قبل جَيْئةِ يَشْكُرٍ * كُلًّا وجَدْنا أوْفِياءَ[(٣)] ذُؤابَهْ ١٥

٢٨/١٠ — مروره برجل من بنى أسد

وزعم أبو عُبَيْدَةَ أنّ الحارثَ لمّا هُزِمتْ بنو تميمٍ يوم رَحْرَحانَ مرّ برجلٍ من بنى أَسَدِ بن خُزَيْمَةَ، فقال : ياحارِ إنك مشئومٌ وقد فعلتَ ما فعلتَ، فٱنظُرْ إذا كنتَ بمكان كذا وكذا من بُرْقةِ رَحْرَحانَ فإنّ لى به جملًا أحمرَ فلا تَعرِضْ له . وإنما يعرِّض

(١) الحذية : العطية . (٢) لجيم : اسم القبيلة بضم اللام وفتح الجيم وسكون الياء ؛ وبهذا لا يتزن الشعر . فلعل الشاعر تصرف فيه فشدد الياء . (٣) فى ب، س : «أربياء ٢٠ ذؤابة» . وفى الأصول المخطوطة : «أرفياء» . ولعله يريد أنه وجد كلا الفريقين أوفياء له لأنهم أجاروه، وهم سادة فى قومهم . يقال فلان ذؤابة قومه وهم ذؤابة قومهم وذوائبهم اذا كانوا سادتهم وأشرافهم .

له ويكرَه أن يصرِّح فيبلُغَ الأسْوَدَ فيأخذَه . فلمّـا كان الحارثُ بذلك المكانِ أخذ الجملَ فنجا عليه ، وإذا هو لا يُسَايَرُ مِن أَمامه ولا يُسْبَقُ مِنْ ورائه . فبلغ ذلك الأسودَ، فأخذ الأسودُ الأَسَدِىَّ وناسًا من قومه . وبلغ ذلك الحارثَ بنَ ظالمٍ فقال كأنه يهجوهم لئلا يتّهمهم الأسودُ :

أرَانِى اللهُ بالنَّعَمِ المُنَدَّى[1] * بِبُرْقَةِ رَحْرَحانَ وقد أرانى
لِحَىِّ الأنكدِينَ وحَىِّ عَبْسٍ * وحَىِّ نَعَامةٍ وبنى غُدَانَ

لحوقه بمكة وانتماؤه الى قريش

قال : فلمّـا بلغ قولُه الأسودَ خلَّى عنهم . ولحِق الحارثُ بمكة وانتمى إلى قريش، وذلك قولُه :

وما قَوْمِى[2] بثَعْلَبَةَ بنِ سَعْدٍ * ولا بفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرِّقابَا
وقَومِى إنْ سألتِ بنو لُؤَىٍّ * بمكّةَ علّمُوا مُضَرَ الضِّرَابا

قال : فزوّده وحمله رَوَاحةُ الجُمَحِىُّ على ناقة؛ فذلك قولُه :

وهَشَّ رَوَاحةُ الجُمَحِىُّ رَحْلِى * بناجيةٍ[3] ولم يَطْلُبْ ثَوَابَا
كأنّ الرَّحْلَ والأنساعَ منها * ومِيثَرتِى[4] كُسِينَ أَقَبَّ جَابَا

---

(١) كذا فى س وخزانة الأدب (ج ١ ص ٢٣٦) ، وقد ورد هذا البيت فيها أول أبيات ستة منسوبة لمالك بن نويرة ، وكذلك صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطى فى نسخته . وتندية الإبل : أن يوردها الرجل الماء حتى تشرب قليلا ثم يجىء بها حتى ترعى ساعة ثم يردها الى الماء . وفى سائر الأصول : « المبدى » بالباء . يقال : أبديت الإبل وبديتها (بتشديد الدال) اذا أبرزتها الى موضع الكلأ .

(٢) فى الأصول فيما سيأتى (صفحة ١٢٥) وديوان المفضليات (ص ٦١٩) والشواهد الكبرى للعينى : «فما قومى» بالفاء . والشعر : جمع أشعر؛ يقال رجل أشعر اذا كان كثير شعر الجسد . وقد استشهد النحويون بهذا البيت على نصب « الرقاب » بعد الصفة المشبهة على التشبيه بالمفعول به ، أو أنه تمييز على مذهب من يجيز فى التمييز أن يكون معرفة .

(٣) الناجية : الناقة السريعة تنجو بمن ركبها .

(٤) الأنساع : جمع نسع (بالكسر) وهو سير مضفور تشدّ به الرحال . والميثرة هنا : وطاء محشو يوضع على رحل البعير تحت الراكب . والأقب : الضامر . والجاب (يهمز ولا يهمز) : القوى الغليظ . يريد : كأن رحله وأدواته وضعت على عير وحشى أو ثور وحشى لقوة الناقة التى رحل عليها وسرعتها .

حوقه بالشام عند ملك من غسان ومقتله

— يروى "حَشَّ" و"هَشّ" وهما لغتان . وحَشَّ سوَّى — قال : فلحق الحارثُ بالشأم بملك من ملوك غسَّان — يقال [هو] النُّعْمان[1]، ويقال بل هو يزيد بن عَمْرو الغسّانى — فأجاره . وكانت للملك ناقة مُحْماةٌ فى عُنقها مُدْيةٌ وزِنَادٌ وصُرَّةُ مِلْح، وإنما يختبر بذلك رعيّته هل يجترئ عليه أحدٌ منهم . ومع الحارث آمرأتان، فوَحِمتْ إحدى آمرأتيه — قال أبو عبيدة : وأصابت الناسَ سَنَةٌ شديدةٌ — فطلبتِ الشَّحْمَ اليه . قال : ويحكِ! وأنَّى لى بالشحم والوَدَكِ! فألحت عليه، فعمَد إلى الناقة فأدخلها بطنَ وادٍ فلَبَّ[2] فى سَبَلتها[3] (أى طعن). فأكلتِ آمرأتُه ورفعتْ ما بقِى من الشحم فى عُكَّتها . قال : وفُقِدَتِ الناقةُ فوُجِدتْ نَحيرًا لم يُؤْخَذْ منها إلا السَّنَامُ، فأعلموا ذلك الملكَ، وخفِى عليهم مَنْ فعله . فأرسلَ إلى الخِمْس التَّغْلَبِىّ — وكان كاهنًا — فقال : مَنْ نحر الناقة؟ فذكر أنّ الحارثَ نحرها . فتذمَّم[4] الملكُ وكذَّب عنه . فقال : إن أردتَ أن تعلم عِلْمَ ذلك فدُسَّ آمرأةً تطلب إلى آمرأته شحمًا، ففعل . فدخل الحارثُ وقد أخرجتِ آمرأتُه اليها شحمًا، فعرف[5] الداء فقتلها ودفنها فى بيته . فلمّا فُقِدَتِ المرأةُ قال الخِمْسُ : غالَها ما غالَ الناقة، فإنْ كرِه الملكُ أن يفتِّشه عن ذلك فليأمُرْ بالرحيل، فإذا ارتحل بُحِث بيتُه، ففعل . واستثار الخِمْسُ مكانَ بيته، فوثب عليه الحارثُ فقتله، فأُخِذ الحارثُ فحُبِس . فآستسقى ماءً فأتاه رجلٌ بماء فقال : أتشرَبُ؟ فأنشأ الحارث يقول :

لقد قال لى عند المجَاهِدِ[6] صاحبى * وقد حِيلَ دونَ العَيْشِ[7] هل أنت شاربُ

وَدِدْتُ بأطرافِ البَنَانِ لَوَ آنَّنِى * بذى أَرْوَنَى تَرْمِى ورائى الثَّعَالِبُ

29/10

(١) زيادة وضعها الشنقيطى، وهى ضرورية . (٢) سبلة البعير هنا : ثغرة نحره . (٣) يقال : لب البعير إذا ضرب به فى لبته أى طعنه فى منحره . (٤) تذمم : استنكف . (٥) فى ب، س : « فعرف الرأى » . (٦) المجاهد : الشدائد . (٧) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « دون الميش » . والميش : الخلط، كخلط الشعر بالصوف، والصدق بالكذب، والهزل بالجد، واللبن الحلو باللبن الحامض، وهو لا يتفق مع السياق هنا .

— الثعالب : من مُرَّةَ وهم رُماةٌ . أَرُوَنى : مكانٌ . وقال مَرَّةً أُخرى : الثعالب بنو تَغْلِبة . يقول : كانوا يرمون عنّى ويقومون بأمرى — قال : فأمر الملك بقتله. فقال : إنك قد أجرتنى فلا تَغْدِرْنى[1] . فقال : لا ضير! إن غَدَرْتُ بكَ مرّةً فقد غدرت بى مِرارًا . فأمَر مالكَ بنَ الخِمْس التغلبىَّ أن يقتلَه بأبيه . فقال : يابنَ شَرِّ الأظماء أنت تقتلنى! فقتله . وقال ابن الكلبى : لمّا قام ابن الخِمس إلى الحارث ليقتلَه قال : مَنْ أنت ؟ قال : ابنُ الخِمْس . قال : أنت ابنُ شَرِّ الأظماء . قال : وأنت ابنُ شرِّ الأسماء؛ فقتله . فقال رجلٌ من ضرى[2] — وهم حىٌّ من جُرْهُم — يرثى الحارثَ بنَ ظالم :

يا حارِ حِنيًّا[3] * حُـرًّا قُطاميّا

ماكنت ترْعِيًّا[4] * فى البيت ضِجْعِيّا

أدْعى[5] لُباخِيًّا[6] * مُمَلّأً عِيًّا

وأخذ ابنُ الخِمْس سيفَ الحارثِ بنِ ظالم المعلوبَ ، فأتى به سُوقَ عُكَاظَ فى الحَرَم ، فجعل يَعْرِضه على البيع ويقول : هذا سيفُ الحارث بن ظالم . فاسْتَرآه إيّاه[7] قيسُ بن زُهَيْر بن جَذِيمةَ فأراه إيّاه، فعلاه به حتى قتله فى الحَرَم . فقال قيس بن زُهَيرٍ[8] يَرثى الحارثَ بن ظالم :

---

(١) يقال غدره، وغدر به . (٢) فى أ ، م : «من فرس» . ولم نجد هاتين الكلمتين فى أسماء القبائل . (٣) كذا فى الأصول . ولعل حنيا : منسوب الى الحن (بكسر الحاء) وهو حىّ أو ضرب من الجن . والقطامى (قيس يفتحون القاف وسائر العرب يضمون) : الصقر، ويستعمل فى غير الصقر على التشبيه به . (٤) الترعى ومثله الترعية (بكسر التاء وضمها وتشديد الياء) : الذى يجيد رعية الإبل ؛ لأنه يحسن الالتماس والارتياد للكلأ ، وهذا من عمل أصاغر الناس لا السادة والأشراف . والضجعى بكسر (الضاد وضمها) : الذى يلزم البيت لا يكاد يبرح منزله ولا ينهض لمكرمة .

(٥) لعلها «تدعى» لأن الظاهر أنه خطاب للحارث . (٦) لباخى : ضخم كثير اللحم .

(٧) استرآه إياه : طلب اليه أن يريه إياه . وفى الأصول : «فاشتراه» وهو تصحيف .

(٨) كذا فى س . وفى سائر الأصول : «قيس بن زحك» .

ما قَصَرتْ[1] من حاضنٍ سِتْرَ بَيْتِها * أَبَرَّ وأَوْفَى منك حارِ بنَ ظالِمِ

أَعَزَّ وأَحْمَى[2] عند جارٍ وذِمَّةٍ * وأَضْرَبَ فى كابٍ من النَّقْعِ قاتمِ

هذه رواية أبى عُبَيدةَ والبَصْريّين . وأمّا الكوفيون فإنهم يذكرون أنّ النُّعمان بن المنذر هو الذى قتله . أخبرنى بذلك علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سَعيدٍ عن محمد بن حَبيب عن ٱبن الأعرابىّ عن المُفَضَّل قال :

لمّا هرَب الحارثُ إلى مكة أَسِفَ النُّعمانُ بنُ المُنْذِرِ على فَوْته إيّاه، فلَطُفَ[3] له وراسَله وأعطاه الأمانَ، وأشهد على نفسه وجوهَ العرب من رَبيعةَ ومُضَرَ واليمن أنه لا يطلبه بذَحْلٍ ولا يسوءه فى حال، وأرسل به مع جماعةٍ لِيَسْكُنَ الحارثُ اليهم، وأمرهم أن يتكفّلوا له بالوفاء ويَضْمَنوا له عنه أنه لا يَهيجه، ففعلوا ذلك . وسكَن اليه الحارث، فأتى النعمانَ وهو فى قصر بنى مُقَاتِل، فقال للحاجب : ٱستأذنْ لى، والناسُ يومئذ عند النعمان متوافرون، فٱستأذن له، فقال النعمان : ائذَنْ له وخُذْ سيفَه . فقال له : ضَعْ سيفَك وٱدخُلْ . فقال الحارث : ولِمَ أَضَعُه؟ قال : ضَعْه، فلا بأسَ عليك . فلمّا ألَحّ عليه وضعه ودخل ومعه الأمانُ . فلمّا دخل قال : ٱنْعَمْ صباحًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ . قال : لا أنعمَ الله صباحَك! . فقال الحارث : هذا كتابك! . قال النُّعمان : كتابى والله ما أُنكره، أنا كتبتُه لك، وقد غَدَرْتَ وفتكتَ مِرارًا، فلا ضَيْرَ أن غَدَرتُ بك مرّة . ثم نادى : مَنْ يقتل هذا؟ فقام ابن الخِمْس التغلبىّ — وكان الحارثُ فتَك بأبيه — فقال : أنا أقتله . وذكر باقىَ الخبر فى قصّته مع ابن الخِمْس [مثلَ] ما ذكر أبو عُبَيدةَ .

---

(١) قصر الستر : أرخاه . ولعل نصب «أبر» على حذف الجار؛ أى ما أرخت حاضن ستر بيتها على أبر وأوفى منك ... الخ . (٢) فى ا، م : «وأوفى» . (٣) فى أساس البلاغة أنه يقال فى الملاينة «ألطف له فى القول» .

خبر الحارث وعمرو بن الإطْنابةِ

وإنما ذُكر هاهنا لاتّصاله بمَقْتَل خالدِ بن جعفر، ولِأنّ فيما تناقضاه من الأشعار أغانىَ صالحٌ ذِكرُها فى هذا الموضع .

٣٠
١٠
غضب عمرو بن الإطنابة على الحارث لقتله خالدا وشعره فى ذلك

قال أبو عُبيدةَ : كان عَمْرو بن الإطْنابةِ الخزرجىُّ مَلِكَ الحجاز، ولمّا بلغه قتلُ الحارثِ بنِ ظالم خالدَ بنَ جعفرٍ، وكان خالدٌ مصافياً له ، غَضِب لذلك غضباً شديداً ، ٥
وقال : والله لو لَقِىَ الحارثُ خالداً وهو يَقْظانُ لمَا نظر اليه ، ولكنه قتلَه نائماً ، ولو أتانى لعرَف قَدْرَه ، ثم دعا بشرابه ووضع التاج على رأسه ودعا بقِيانه ، فتغنّين له :

عَلِّلانِى وعَلِّلا صاحبيّا * وٱسْقِيانِى مِنَ المُرَوَّقِ رِيّا[1]
إنّ فينا القِيانَ يعزِفْنَ بالدُّ * فِّ لفِتْيانِنا وعيشاً رَخِيّا[2]
يَتَبارَيْنَ فى النَّعيم ويَصْبُبْـ * ـنَ خِلالَ القُرونِ مِسْكاً ذَكِيّا ١٠
إنّما همُّهنّ أنْ يَتَحَلَّيْـ * ـنَ سُمُوطاً وسُنْبُلاً فارِسيّا
من سُموطِ المَرْجانِ فُصِّلَ بالشَّذْ * رِ فأَحْسِنْ بحَلْيِهِنّ حُلِيّا
وفتًى يَضرِب الكَتيبةَ بالسَّيْـ * ـفِ إذا كانتِ السيوفُ عِصِيّا
إنّنا لا نُسَرُّ فى غير نَجْـدٍ * إنّ فينا بها فتًى خَزْرَجِيّا
يدفَع الضَّيْمَ والظُّلامةَ عنها * فَتَجافَى عنـه لنا يامَنِيّا ١٥
أَبْلِـغِ الحارثَ بنَ ظالمٍ الرِّعْـ * ـديدَ والناذرَ النُّذُورِ عَلَيّا
أنما يَقْتُلُ النِّيامَ ولا يقْـ * ـتُلُ يَقْظانَ ذا سلاحٍ كَمِيّا[3][4]

(١) المروق من الشراب : المصفى . (٢) العيش الرخى : الناعم . (٣) فى كتاب سيبويه : « أنما تقتل ... ... » بتاء الخطاب . (٤) الكمىّ : الشجاع المتكمى فى سلاحه ، لأنه كمى نفسه أى سترها بالدرع والبيضة ، والجمع كماة ، كأنهم جمعوا كاميا مثل قاض وقضاة . ٢٠

ومعى شِكّتى معابِلُ كالجمـ[١] * ـرِ وأعددتُ صارماً مَشْرَفيّا

لو هبطتَ البلادَ أنْسيتُكَ القتـ[٢] * ـلَ كما يُنْسِئ النَّسِئُ النَّسِيّا

مسير الحارث الى عمرو وانخذال عمرو عنه وشعر الحارث فى ذلك

قال : فلمّا بلغ الحارثَ شعرُه هذا ازداد حَنَقاً وغيظاً ، فسار حتى أتى ديارَ بنى الخزرج، ثم دنا من قُبّة عَمْرو بن الإطْنَابة، ثم نادى : أيُّها الملك أغِثْنى فإنى جارٌ مكثورٌ[٣] وخُذْ سِلاحك، فأجابه وخرج معه . حتى إذا برز له عطَف عليه الحارثُ وقال: أنا أبو لَيْلَى ! فآعتركا مليّاً من اللّيل . وخشِى عمرٌو أن يقتلَه الحارثُ فقال له : يا حارِ، إنى شيخٌ كبيرٌ وإنّى تعترينى سِنَةٌ، فهل لك فى تأخير هذا الأمر إلى غدٍ ؟ فقال : هيهاتَ ! ومَنْ لى به فى غدٍ ! فتجاولا ساعةً ، ثم ألقى عمرٌو الرُّمْحَ من يده وقال: ياحارِ ألم أُخْبِرْك أنّ النُّعاسَ قد يغلبنى ! قد سقط رمحى فآكْفُفْ ، فكفَّ . قال : أنظِـرْنى إلى غدٍ . قال : لا أفعـل . قال : فدَعْنِى آخُذْ رُمْحِى . قال : خُذْه . قال : أخشَى أن تُعْجِلَنى عنه أو تفتِكَ بى إذا أردتُ أخْذَه . قال : وذِمّة ظالِمٍ لا أعجلتُك ولا قاتلتُـك ولا فتكتُ بك حتى تأخذَه . قال : وذِمّةِ الإطْنابةِ لا آخذُه ولا أقاتلك . فآنصرف الحارثُ إلى قومه وقال مُجيباً له :

اِعْزِفَا لى بلَــذّةٍ قَيْنَتَيّـا * قبـلَ أن يبكُرَ المنونُ عليّـا

قبـلَ أن يبكُرَ العواذلُ إنّى * كنتُ قِدْمًا لِأَمْرِهِنّ عَصِيّاً

ما أُبالِى أراشداً فآصْبَحَانِى * حَسِبَتْنى عوَاذِلِى أم غَـوِيّاً

بعــدَ ألّا أُصِرَّ لله إثمًا * فى حياتى ولا أخونَ صَفِيّاً

(١) فى جـ : « ومعى شكمتى » . وفى سائر الأصول : «ومعى مشتكى معابل ... » . والشكة : السـلاح . والمعابل : جمع معبلة (بكسر الميم) وهى نصـل طويل عريض . والمشرفى من السيوف : المنسوب الى المشارف ، وهى قرى من أرض اليمن ، وقيل من بلاد العرب تدنو من الريف .

(٢) كذا ورد هذا البيت . (٣) مكثور : كثر أعداؤه أى غلبوه بكثرتهم .

من سُلافٍ كأنها دمُ ظَبْيٍ[١] * فى زُجاجٍ تخاله رازِقِيّا[٢]

بلغتْنا مقالةُ المرءِ عمرٍو * فأنِفْنا وكان ذاك بَدِيّا

قد هَمَمْنا بقتله إذ بَرَزْنا * ولَقِيناه ذا سلاحٍ كَمِيّا

غيرَ ما نائمٍ تعلّل بالحُلْـ * ـمِ مُعِدًّا بكفّه مَشْرَفِيّا

فمَنَنّا عليه بعد عُلُوٍّ * بوفاءٍ وكنتُ قِدْماً وَفِيّا ٥

ورجعنا بالصَّفْح عنه وكان الـ * ـمَنُّ منا عليه بعدُ تَلِيّا

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

الغناء فى شعر عمرو والحارث

منها فى شعر عمرو بن الإطنابة :

صوت

عَلِّلانى وعَلِّلا صاحِبِيّا * وَٱسْقِيانى مِنَ المُرَوَّقِ رِيّا ١٠

إنّ فينا القِيانَ يعزفن بالدفّ * لِفِتْيانِنا وعيشًا رَخِيّا

غنّته عَزّةُ المَيْلاءُ من رواية حمّاد عن أبيه خفيفَ رملٍ بالوسطى . قال حمّاد أخبرنى أبى قال بلغنى أنّ معبدًا قال : دخلتُ على جَمِيلةَ وعندها عَزّةُ الميلاءُ تغنّيها لحَنها فى شِعْر عمرو بن الإطنابةِ الخزرجىّ :

* عَلِّلانى وعللا صاحبيّا * ١٥

على مِعْزَفةٍ[٣] لها وقد أَسَنّت ، فما سمعتُ قطُّ مثلَها وذهبتْ بعقلى وفتنتنى ، فقلت : هذا وهى كبيرة مُسِنّةٌ ! فكيف بها لو أدركتُها وهى شابّة ! وجعلتُ أَعجَب منها .

---

(١) يصف الخمر بطيب الريح ، فشبهها بدم الظبى وهو المسك ؛ فان المسك من دماء الظباء .

(٢) الرازقى : الكتان أو ثياب بيض تتخذ منه ، والرازقى أيضا : ضرب من عنب الطائف أبيض طويل الحب . (٣) المعزفة : آلة العزف . وفى الأصول : « معرفة » بالراء المهملة وهو تصحيف . ٢٠

ومنها فى شعر الحارث بن ظالم :

صـــوت

ما أبالى إذا اصطبحتُ ثلاثاً * أرشيداً حَسِبْتَنى أم غَوِيّا

من سُلَافٍ كأنها دم ظَبْيٍ * فى زُجاجٍ تخالُهُ رازِقيّا

غنّاه فُلَيْحُ بن أبى العَوْراء رملاً بالبنصر عن عمرو بن بانة . وغنّاه ابن مُحْرِزٍ خفيف ثَقيلٍ أوّل بالخنصر من رواية حَبَش .

ومنهـا :

صـــوت

بلغتْنـا مقالةُ المرءِ عمرٍو * فأنِفنـا وكان ذاك بَدِيّا

قد هَمَمْنا بقتلِه إذ بَرَزْنا * ولَقِيناه ذا سَـلاحٍ كَمِيّا

غنّاه مالكٌ خفيفَ رملٍ بالبنصر من رواية حبش ، وذكر إسحاق فى مُجَرَّده أنّ الغناء فى هذين البيتين ليونس الكاتب ، ولم يَنْسُب الطريقة ولا جِنْسَها .

*
* *

يوم رحرحان الثانى والسبب فيه

ونذكر ها هنا خبر رَحْرَحَانَ ويومَ قتله إذ كان مقتلُ الحارث وخبرُه خبرَهما

أخبرنى علىّ بن سليمان ومحمد بن العبّاس اليَزيدىّ فى كتاب النقائض قالا قال أبو سَعيدٍ الحسنُ بن الحسين السُّكّرىّ عن محمد بن حَبِيبَ عن أبى عُبَيْدَةَ قال :

كان من خبر رَحْرَحانَ(١) الثانى أنّ الحارثَ بنَ ظالمٍ المُرّىّ لمّـا قتل خالدَ بن جعفر ابنِ كِلابٍ غَدْراً عنـد النُّعمان بن المُنْذِر بالحِيرَة هرَب فأتى زُرارَةَ بن عُدُسٍ فكان

(١) يوم رحرحان الأوّل كان بين دارم وعامر بن صعصعة . (راجع الحاشية رقم ١ ص ٢١ ج ٥ من هذه الطبعة من الأغانى) .

عنده ، وكان قوم الحارث قد تشاءموا به فلاموه ، وكَرِه أن يكون لقومه زُعْمٌ عليه

٣٢/١٠ و — الزعم المِنّة — فلم يَزَلْ فى بنى تميمٍ عند زُرارة حتى لَحِق بقُرَيْش . وكان يقال[(1)] : إنّ

مُرّةَ بن عَوْفٍ من لُؤَىِّ بن غالبٍ ، وهو قول الحارث بن ظالمٍ ينتمى إلى قريش :

رفعتُ السَّيْفَ إذ قالوا قُرَيْشٌ * وبيَّنْتُ الشَّمائِـلَ والقِبـابَا[(2)]

٥ فمـا قَوْمِى بثَعْلَبَةَ بنِ سَـعْدٍ * ولا بفَـزارَةَ الشُّعْرِ الرِّقابَا

وأتاهم لذلك النَّسَبِ ، فكان عنـد عبد الله بن جُدْعانَ . فخرجتْ بنو عامرٍ إلى

الحارثِ بن ظالمٍ حيث لجأ إلى زُرارة وعليهـم الأَحْوَصُ بنُ جعفر، فأصابوا امرأةً

من بنى تميمٍ وجدوها تحتَطِب ، وكان [فى][(3)] رأس الخيـل التى خرجتْ فى طلب

الحـارث بن ظالم شُرَيْحُ بنُ الأَحْوَص ، وأصابوا غِلْمـاناً يجتنون الكَمْأَةَ . وكان

١٠ الذى أصاب تلك المـرأةَ رجلاً من غَنِيٍّ ، فأرادتْ بنو عامرٍ أَخْذَها منه ، فقـال

الأحوصُ : لا تأخذوا أُخَيـذَةَ خالى . وكانت أمُّ[(4)] جعفـر (يعنى أبا الأحوص)

خَبِيَّـةَ بنت رِياح [الغَنَوِى][(3)] وهى إحدى المُنْجِبات . ويقـال : أَتَى شُرَيْحُ بن

---

(١) عبارة النقائض : « وكان يقال إن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان هو مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب ، وهو قول الحارث بن ظالم حين انتهى الى قريش . رفعت السيف ... الخ » .

١٥ (٢) كذا فى ديوان المفضليات والنقائض . وفى الأصول : « والعتابا » ما عدا ج فان الإعجام فيها غير واضح . يقول : أظهرت لهم ما تجن صدورنا وتشتمل عليـه أحشاؤنا من الود المكنون . ومعنى رفعت السيف : أريت النـاس زوال الخـلاف بيننا وأن آلة الحـرب موضوعة فينا مستغنى عنهـا . (عن هامش المفضليات طبع مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٢٠ م نقلا عن شرح المرزوقى للمفضليات نسخة برلين) . ورواية المفضليات : «رفعت الرمح ... وشبهت ... » . (٣) الزيادة من النقائض

٢٠ (طبعة أوربا صفحة ١٠٦١) . (٤) وردت هذه العبارة فى الأصول هكذا : « وكانت أم جعفر خبيـة يعنى أبا الأحوص بنت رياح » . وظاهر أن النساخ قد وضـعوا « خبية » فى غير موضعها . وعبارة النقائض : « وكانت أم بنى جعفر خبية بنت رياح الغنوى ... » .

الأَحْوَص بتلك المرأة [اليه](١)، فسألها عن بنى تميم، فأخبرتْهم أنهم لَحِقوا [بقومهم](١) حين بلَغهم مجيئكم. فدفَعها الأحوصُ الى الغنوىّ فقال: اعْفِجْها(٢) الليلةَ واحْذَرْ أن تنفلتَ. فوَطِئها الغنوىُّ ثم نام، فذهبتْ على وجهها. فلمّا أصبح دعَوْا بها فوجدوها قد ذهبتْ. فسألوه عنها فقال: هذا حِرِى رَطْباً من زُبِّها. وكانت المرأة يقال لها حنظلة(٣)، وهى بنت أخى زُرارةَ بن عُدُس. فأتتْ قومَها، فسألها عمُّها زُرارةُ عمّا رأتْ، فلم تستطع أن تَنْطِق. فقال بعضهم: اسقُوها ماءً حاراً فإن قلبها قد بَرَد من الفرَق، ففعلوا وتركوها حتى اطمأنّت. فقالت: يا عَمِّ! أخذنى القومُ أمْسِ وهم فيما أرَى يُريدونكم، فاحْذَرْ أنت وقومُك. فقال: لا بأسَ عليكِ يا بنتَ أخى، فلا تَذْعَرِى قومَكِ ولا تَرُوعِيهم، وأخْبِرِينى ما هيئة [القوم وما](١) نعتُهم. قالت: أخذنى قومٌ يُقْبِلون بوجوه الظِّباء، ويُدْبِرون بأعجاز النِّساء. قال زُرارة: أولئك بنو عامرٍ، فمَن رأيتِ فيهم؟ قالت: رأيتُ رجلًا قد سقَط حاجباه على عينيه فهو يرفَع حاجبيه، صغيرَ العينين، عن أمره يَصْدُرون. قال: ذاك الأَحْوَصُ بن جعفر. قالت: ورأيتُ رجلًا قليل المَنْطِق، إذا تكلّم اجتمع القومُ لِمَنْطِقه كما تجتمع الإبلُ لِفَحْلها، وهو من أحسن الناس وجهًا، ومعه ابنانِ له لا يُدْبِر أبدًا إلّا وهما يَتْبَعانه، ولا يُقْبِل إلّا وهما بين يديه. قال: ذلك مالكُ بن جعفر، وابناه عامرٌ وطُفَيْلٌ. قالت: ورأيتُ رجلًا أبيضَ هِلْقامةً جَسِيماً — والهلقامة الأفوه(٤) —. قال: ذلك رَبِيعةُ بن عبد الله ابن أبى بكر بن كِلَابٍ. [قالتْ: ورأيتُ رجلًا أَسْوَدَ أَخْنَسَ قصيرًا، إذا تكلّم عَذَمَ(٥) القومَ عَذْمَ المنخوسِ. قال: ذلك رَبِيعةُ بن قُرْط بن عَبْد بن أبى بكر بن كِلَابٍ](١).

(١) التكملة من النقائض. (٢) كذا فى جـ. والعفج: الجماع. وفى سائر الأصول: «اعجفها» وهو تحريف. وفى النقائض: «اكفتها» أى ضمها اليك. (٣) فى النقائض «حنطة». (٤) الأفوه: العظيم الفم. (٥) أصل العذم: العض، والمراد هنا اللوم.

قالت : ورأيتُ رجلاً صغيرَ العينين ، أقرنَ الحاجبين ، كثيرَ شعرِ السَّبلَةِ ، يسيل لُعَابُه على لِحيته إذا تكلَّم . قال : ذلك حُنْدُجُ بن البكّاء . قالت : ورأيتُ رجلاً صغيرَ العينين ، ضيِّقَ الجبْهةِ طويلاً ، يقود فرسًا له ، معه جَفيرٌ لا يُجاوِزُ يدَه . قال : ذلك ربيعةُ بن عقيل . قالت : ورأيتُ رجلاً آدَمَ ، معه ابنانِ له حَسَنَا الوجهِ

٥ أصهبانِ ، إذا أقبلا نظر القومُ اليهما [حتى ينتهيا ، وإذا أدبرا نظروا إليهما] [1] . قال : ذلك عمرو بن خُوَيْلِدِ بنِ نُفَيْلِ بن عمرو بن كِلَابٍ ، وابناه يزيدُ وزُرْعةُ . ويقال قالت : ورأيتُ فيهم رَجُلَيْنِ أحمَرَيْنِ جَسِيمَيْنِ ذَوَىْ غدائر لا يفترقانِ فى مَمْشَى ولا مَجْلِس ، فاذا أدبرا اتّبعهما القوم بأبصارهم ، و إذا أقبلا لم يزالوا ينظرون اليهما حتى يجلسا . قال : ذانك خُوَيلِدٌ وخالد ابنا نُفَيْلٍ . قالت : ورأيتُ رجلاً آدَمَ جسيماً

٣٣/١٠

١٠ كأنّ رأسَه مَجزّ غَضُورَةٍ [2] — والغضورةُ : حشيشٌ دُقَاقٌ خَشِنٌ قائم يكون بمكة . تريد أنّ شعرَه قائم خَشِنٌ كأنه حشيشٌ قد جُزّ — . قال : ذلك عَوْفُ بن الأحْوَص . قالت : ورأيتُ رجلاً كأنّ شعرَ فَخِذَيْه حَلَقُ الدُّروع . قال : ذلك شُرَيْحُ بن الأحْوَص . قالت : ورأيتُ رجلاً أسمَر [3] طويلاً يجول فى القوم كأنه غريبٌ . [قال : ذلك عبد الله بن جَعْدَةَ . ويقال قالت : ورأيتُ رجلاً كثيرَ شعرِ الرأسِ ، صَخّاباً لا يَدَعُ

١٥ طائفةً من القوم إلّا أصخبها] [1] . قال : ذلك عبد الله بن جعدة بن كَعْب بن رَبِيعة ابن عامر بن صَعْصَعة .

أسر معبد بن زرارة ومقتله

فسارتْ بنو عامر نحوَهم ، والتقوا برَحْرَحانَ ، وأُسِر يومئذ مَعْبَدُ بن زُرَارَةَ ، أسَره عامرُ بن مالكٍ ، واشترك فى أَسْره طُفَيْلُ بن مالك ورجلٌ من غَنِيّ يقال له أبو عُمَيْلَةَ وهو عِصْمةُ بن وَهْبٍ وكان أخا طُفَيْلِ بن مالك من الرَّضاعة . وكان مَعْبَدُ

٢٠ (١) التكملة من النقائض . (٢) فى الأصول : «مجن غضورة» . والتصويب من النقائض .
(٣) فى النقائض : «أشم طويلا» .

ابن زُرارة [رجلًا كثيرَ المال . فوفد لَقِيطُ بن زُرارة][1] على عامر بن مالك فى الشهر الحرام وهو رَجَبٌ ، وكانت مُضَرُ تدعوه الأصمَّ ؛ لأنهم كانوا لا يتنادَوْن فيه يا لَفُلانٍ ويا لفلانٍ ، ولا يتغازَوْنَ ولا يتنادَوْن فيه بالشِّعاراتِ[2] ، وهو أيضا مُنْصِلُ الألِّ . والألُّ : الأسِنَّةُ ؛ كانوا إذا دخل رَجَبٌ أنصلوا[3] الأسِنَّةَ من الرِّماح حتى يخرجَ الشهر . وسأل لقيطٌ عامرًا أن يُطْلِق أخاه . فقال : أمّا حِصَّتى فقد وهبتُها لك ، ولكن أرْضِ أخى وحَلِيفِى اللَّذَيْنِ اشتركا فيه . فجعل لَقِيطٌ لكلّ واحدٍ مائةً من الإبل ، فرضيا وأتيا عامرًا فأخبراه . فقال عامرٌ لِلَقِيطٍ : دُونَكَ أخاك ، فأطْلَقَ عنه . فلمّا أُطْلِقَ فكَّر لَقِيطٌ فى نفسه فقال : أعطِيهم مائتى بعيرٍ ثم تكون لهم النعمةُ علىّ بعد ذلك ! لا والله لا أفعل ذلك ! ورجع إلى عامر فقال : إنّ أبى زُرارةَ نهانى أن أزيد على مائةٍ دِيةِ مُضَرَ ، فإنْ أنتم رَضِيتم أعطيتُكم مائةً من الإبل . فقالوا : لا حاجةَ لنا فى ذلك ؛ فانصرف لقيطٌ . فقال له مَعْبَدٌ : مالى يُخرِجنى من أيديهم . فأبى ذلك عليه فقال : إذًا يقتسم العربُ بنى زُرارةَ . فقال معبدٌ لعامر بن مالك : يا عامر! أنشُدُك اللهَ لمّا خلَّيْتَ سبيلى ، فإنما يريد ابنُ الحمراء أن يأكلَ كلَّ مالى — ولم تكن أمُّه أمَّ لقيط — . فقال له عامر : أبعدك الله! إنْ لم يُشْفِق عليك أخوك فأنا أحَقُّ ألّا أُشْفِقَ عليك . فعمَدوا الى مَعْبَدٍ فشدُّوا عليه القِدَّ وبعثوا به الى الطائف ، فلم يزَلْ به حتى مات . فذلك قولُ شُرَيْحِ بن الأحوص :

لَقِيطُ وأنت آمرؤٌ ماجدٌ * ولكنّ حِلْمَكَ لا يَهْتَدِى

---

(١) فى الأصول : « وكان معبد بن زرارة أغار على عامر بن مالك ... » . والتكملة والتصويب من النقائض . (٢) كذا فى حـ والنقائض . وشعار القوم : علامتهم واصطلاحهم الذى يتنادون به فى الحرب . وكان شعار أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوهم : « يا منصور أمت أمت » . وفى سائر الأصول : « بالثارات » . (٣) أنصل السنان من الرمح : أزاله عنه .

وَلَمَّا أَمِنْتَ وساغ الشَّرا * بُ واحتلّ بيتُك فى ثَهْمَدِ (١)

رفعتَ بِرِجْلَيْكَ فوق الفِرَا * شِ تُهْدِى القصائدَ فى مَعْبَدِ

وأسلمته عند جِدِّ القِتَالِ * وتبخل بالمالِ أن تَفْتَدِى (٢)

شعر لعوف بن عطية يعير لقيطا

وقال فى ذلك عَوْفُ بن عَطِيّة بن الخَرِع (٣) التَّيْمِىُّ يعيِّر لقيطَ بنَ زُرَارَةَ :

٥ هَلَّا فوارِسَ رَحْرَحانَ هَجَوْتَهم * عُشَرًا تَنَاوَحُ فى سَرَارةِ وادِ (٤)

لا تأكلُ الإبلُ الغِراثُ نباتَه * ما إن يقومُ عِمادُه بعِمادِ (٥)

هَلَّا كَرَرْتَ على أُخَيِّكَ مَعْبَدٍ (٦) * والعامِرِىُّ يقودُه بصِفَادِ

وذكرتَ من لَبَنِ المُحَلَّقِ شَرْبَةً * والخيلُ تعدو بالصِّفَاحِ بَدَادِ

— بَدَادِ (٧) : متفرقة . والصِّفَاحُ : موضع . والمحلَّق : موسومة بحَلَقٍ على وجوهها .

٣٤/١٠

١٠ يقول ذكرتَ لبنها ، يعنى إبله —

لو كنتَ إذ لا تستطيعُ (٨) فديتَه * بهِجانِ أُدْمٍ طارفٍ وتِلَادِ

(١) ثهمد : جبل أحمر فارد بديار غنىّ .

(٢) فى الأصول : « يفتدى » بالمثناة من تحت . والتصويب من النقائض .

(٣) فى الأصول : « الجزع » بجيم وزاى معجمة وهو تصحيف .

١٥ (٤) العشر : من العضاه ، وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو ، وهو عريض الورق ، ينبت صعدا فى السماء . وتناوح : تتقابل . وسرارة الوادى : وسطه وهى أفضل موضع فيه . يهجو فوارس رحرحان وهم قوم لقيط بن زرارة بأنهم لهم مظهر وليس لهم مخبر مثل عشر سرارة الوادى .

(٥) أى هو أضعف العماد . والغراث : الجياع . يصف فى هذا البيت الشجر الذى ذكره بأنه كريه وضعيف . ويروى : « إذ لا يقوم » و « أو لا يقوم » . (النقائض صفحة ٢٢٨) .

٢٠ (٦) كرت : رجعت . ويروى : « على ابن أمك » . قال أبو عبيدة : « وليست أمهما واحدة ولكن لهما أمهات تجمعهما فوق ذلك » . (٧) كلمة « بداد » مبنية على الكسر .

(٨) كذا فى جـ والنقائض . وفى سائر الأصول : « يستطيع » بياء مثناة من تحت .

لكنْ تركْتَهُ فى عَميقٍ قعْرُها * جَزَراً (١) لخامعةٍ وطيرٍ عوّادِ
لو كنتَ مُسْتَحياً (٢) لعِرْضِكَ مرّةً * قاتلتَ أو لفَدَيْتَ بالأذْوادِ (٣)

وفيها يقول نابغةُ بنى جَعْدَةَ :

هلّا سألتَ بيومَىْ رَحْرَحانَ وقد * ظَنّتْ هَوازِنُ أنّ العِزّ (٤) قد زالَا

وفيها يقول مِقْدامُ أخو [بنى] (٥) عُدُسَ بن زَيْدٍ (٦) فى الإسلام، وقتلتْ بنو طُهَيَّةَ ابناً للقعقاعِ بن معْبَدٍ، فتوادَوْا (٧) فأخذتْ بنو طُهَيّةَ منهم الفَضْلَ :

مما قاله الشعراء فى وقعة رحرحان

وأنتم بنو ماءِ السماءِ زعمتُمُ * ومات أبوكم يا بَنِى معْبَدٍ هُزْلَا

وقال المُخَبَّلُ السَّعْدِىُّ يذكر معْبَداً :

فإنْ تَكُ نالتْنا كُلَيْبٌ بقِرَّةٍ * فيومُكَ فيهم بالمصيفةِ أبْرَدُ
هم قتلُوا يومَ المصيفةِ مالكًا * وشاط (٨) بأيديهم لَقِيطٌ ومعْبَدُ

وفيها يقول عِياضُ بن مَرْثَدِ بن أُسَيْدِ بن قُرَيْطِ بن أُبَيْدٍ فى الإسلام :

نحن أسَرْنا معْبَداً يوم معْبَدٍ * فما انْفَكَّ حتّى مات مِنْ شِدّةِ الأسْرِ
ونحن قتلنا بالصَّفَا بعد معْبَدٍ * أخاه بأطرافِ الرُّدَيْنِيّةِ السُّمْرِ

(١) الخامعة : الضبع، لأنها تخمع (تعرج) إذا مشت . ورواية النقائض وخزانة الأدب : « لجيألة » . وجيألة (ومثلها جيأل) : اسم علم للضبع . (٢) مستحيا : مستبقيا، وهو وصف من «استحى» لغة فى «استحيا» . (٣) الذود : القطيع من الإبل، ولا يكون إلا من الاناث . واختلف فى مقدار الذود، فقيل من ثلاث الى تسع، وقيل من ثلاث الى خمس عشرة، وقيل فيه غير ذلك .
(٤) فى جـ : « العر » بمهملتين . وفى سائر الأصول : « القر » والتصويب من الأغانى (ج ٥ ص ١٥ من هذه الطبعة) . وفى النقائض : « أن الغى » . (٥) الزيادة عن النقائض .
(٦) فى أكثر الأصول : « ابن يزيد » والتصويب عن جـ والنقائض .
(٧) فى الأصول : « فتنادوا فأجابت » . والتصويب عن النقائض . وتوادوا أى دفع كل من الفريقين ديات قتلى الآخر . (٨) شاط هنا : هلك .

*
* *

وهذا يوم شِعْب جَبَلَةَ :

قال أبو عُبَيدَةَ : وأمّا يوم جبلةَ ، وكان من عِظَام أيّامِ العرب ، وكان عِظَامُ أيّام العرب ثلاثةً[١] : يوم كُلَابِ رَبِيعةَ[٢] ، ويوم جَبَلَةَ ، ويومَ ذِى قارٍ[٣] . وكان الذى هاج يوم جَبَلَةَ أنّ بنى عَبْسِ بن بَغِيض حين[٤] خرجوا هار بين من بنى ذُبْيانَ بن بَغِيضٍ وحار بوا ٥

السبب فى يوم جبلة

(١) كانت هذه الأيام كذلك لكثرة من كان فيها من المقاتلين . (٢) كذا فى الأصول . وعبارة النقائض : « وكانت عظام أيام العرب ثلاثة أيام يوم الكلاب ، و يوم ذى قار لربيعة ، و يوم جبلة » . والكلاب : ماء لبنى تميم بين الكوفة والبصرة ، بين أدناه وأقصاه مسيرة يوم ، أعلاه مما يلى اليمن وأسفله مما يلى العراق . وللعرب فى الكلاب يومان عظيمان : الأوّل كان بين شرحبيل وسلمة ابنى الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار ، وهو جدّ امرئ القيس الشاعر . وذلك أن الحارث كان ١٠ قد فرق أولاده ملوكا على القبائل . فلما مات تفاسد ما بين القبائل ، فوقعت حرب بين ابنه شرحبيل ومعه بكر والرباب و بنو يربوع ، وابنه سلمة ومعه تغلب والنمر و بهراء ، فقتل شرحبيل يومئذ وانهزمت شيعته . وأما يوم الكلاب الثانى فان بنى تميم كانوا أغاروا على لطيمة (عير تحمـل طيبا) لكسرى ؛ فأوقع بهم كسرى بهجر حتى وهنوا ؛ و يقال لهذا اليوم يوم الصفقة . فخشيت تميم أن تغير عليهم القبائل لما صاروا ١٥ اليه من ضعف ، فتشاوروا فيما بينهم فرأوا أن يلتجئوا الى الكلاب ليستجموا فيه ، وهم آمنون أن تقطع اليهم الصحارى التى دونه إذ كان الوقت قيظا . فرآهم فى هذا المكان من دل بنى الحارث بن عبد المدان عليهم ، فجمعوا لهم ، فكان بينهم ذلك اليوم المشهور الذى انتصرت فيه تميم على المغيرين عليها . وفى هذا اليوم أسر عبد يغوث ثم قتل ، وقال فى أسره قصيدته التى مطلعها :

أيا راكبا إما عرضت فبلغن * نداماى من نجران أن لا تلاقيا

(٣) ذو قار : واد متاخم لسـواد العراق . و يوم ذى قار المعدود من عظام أيام العرب كان بين ٢٠ قبائل بكر بن وائل من العرب وكسرى ملك الفرس . وسببه أن النعمان بن المنذر لما قتل عدى بن زيد دس له ابنه زيد عند كسرى (راجع تفصيل كل هذا فى ترجمة عدى بن زيد فى الأغانى ج ٢ ص ٩٧ من هذه الطبعـة) فطلب كسرى النعمان ، فخشيه واستودع حريمه وأمواله وسلاحه عنـد هانئ بن قبيصة بن هانئ ابن مسعود ، ثم ذهب الى كسرى فقتله ، ثم طالب كسرى هانئ بن قبيصة بودائعه فامتنع ، فكان ذلك سبب يوم ذى قار المشهور بين قبائل بكر من العرب والفرس وكان الظفر فيه للعرب . (٤) فى الأصول : ٢٥ « حيث » والتصويب من النقائض .

قومهم خرجوا مُتَلَدِّدين (١) . فقال الربيع بن زياد العَبْسىّ : أما والله لأرمين العرب بحَجَرها ، اِقْصِدوا لبنى عامر (٢) ؛ فخرج حتى نزل مَضيقًا من وادى بنى عامر ثم قال : امكُثوا . فخرج ربيعُ وعامر (٣) ابنا زياد والحارث بن خُلَيف (٤) حتى نزلوا على ربيعة بن شَكَلِ بن كَعْب بن الحَرِيش (٥) ، وكان العَقْدُ من بنى عامر الى [بنى] (٦) كعب بن ربيعة [وكانت الرياسة فى بنى كلاب بن ربيعة] (٦) . فقال ربيعةُ بن شَكَلٍ : يا بنى عبس ، شأنُكم (٧) جليلٌ ، وذَحْلكم الذى يُطْلَبُ منكم عظيمٌ ، وأنا أعلم والله أنّ هذه الحرب أعزّ حربٍ (٨) حاربتْها العربُ قطُّ . ولا والله ما بُدٌّ من بنى كلابٍ ، فأمْهِلونى حتى أستطلعَ طِلْعَ قومى . فخرج فى قومٍ من بنى كَعْبٍ حتى جاءوا (٩) بنى كلابٍ ، فلقيهم عَوْفُ بن الأحْوَص فقال : يا قومِ ، أطيعُونى فى هذا الطَّرف من غَطَفانَ ، فاقتلوهم (١٠) واْغْنَمُوهم لا تُفْلِحُ غَطَفانُ بعده أبدًا . ووالله إنْ تزيدون على أن تُسَمِّنوهم وتمنعوهم ثم يَصيروا لقومكم أعداء . فأبَوْا عليه ، وانقلبوا حتى نزلوا على الأحوص بن جعفر فذكروا له من أمرهم (١١) . فقال لربيعةَ بن شَكَلٍ : أظْلَلْتَهم ظِلَّك وأطعمتَهم طعامَك؟ قال نعم . قال : قد والله أجرتَ القومَ ! . فأنزلُوا القومَ وَسْطَهم بحُبوحةَ دارِهم .

وذكر بِشْر بن عبد الله بن حَيّان الكِلابىّ أنّ عَبْسًا لمّا حاربتْ قومها أتَوْا بنى عامر وأرادوا عبدَ الله بن جَعْدَة وابنَ الحَرِيش ليصيروا حلفاءهم دون كِلابٍ ؛ فأتى قيسُ بن زهيرٍ وأقبل نحو بنى جعفر هو والربيع بن زيادٍ حتى أتيا الى الأحوص

(١) التلدد : التلفت يمينا وشمالا تحيرا . (٢) فى ب ، س : «بنى عامر» . (٣) فى النقائض : «عمارة» بدل «عامر» . (٤) كذا فى حـ والنقائض . وفى سائر الأصول : «خلف» . (٥) فى الأصول : «الحارث» والتصويب من النقائض والقاموس وشرحه (فى مادة حرش) . وسيأتى كذلك فى الأصول بعد أسطر (٦) الزيادة من النقائض . (٧) كذا فى حـ والنقائض . وفى سائر الأصول : «شانئكم» وهو تحريف . (٨) كذا فى حـ والنقائض . وفى سائر الأصول : «أعز حرب ما حاربتها العرب قط» . (٩) فى الأصول : «حتى جازوا» . والتصويب من النقائض . (١٠) كذا فى النقائض وفى الأصول : «فاقطعوهم» . (١١) فى حـ : «فذكروا له ما أمرهم» .

[جالسا قدامَ بيتِه] (١) . فقال قَيْسٌ للربيع : إنه لا حِلْفَ ولا ثِقَةَ دون أن أنتهىَ الى هذا الشيخ . فتقدّم اليه قيسٌ فأخذ بمجامع ثوبه من وَرَاءُ فقال : هذا مقامُ العائذِ بك ! قتلتم أبى فما أخذتُ له عَقْلًا ولا قتلتُ به أحدًا، وقد أتيتُك لتُجيرَنا . فقال الأحْوَص : نعم ! أنا لك جارٌ مما أُجير منه نفسى. وعَوْفُ بنُ الأحوصِ عن ذلك غائبٌ . فلما سمع عوفٌ بذلك أتى الأحوصَ وعنده بنو جعفرٍ فقال : يا مَعْشَرَ بنى جعفر، أَطِيعُونِى اليومَ وٱعْصُونى أبدًا ، و إنْ كنتُ والله فيكم مَعْصِيًّا . إنّهـم والله لو لَقُوا بنى ذُبيان لَوَلَّوكم أطرافَ الأسِنّةِ إذا نَكَهُوا فى أفواههم بكلامٍ ! . فآبْدَءوا بهم فآقتلوهم وٱجعلوهم مثلَ البُرْغوثِ دِماغُه [فى] (٢) دَمِه . فأبَوْا عليـه وحالفوهم (٣) . فقال : والله لا أدخل فى هذا الحِلْفِ ! . قال : وسَمِعتْ بهم حيث قرّ قرارُهم بنو ذُبْيانَ، فحَشَدوا وٱستعدُّوا وخرجوا وعليهم حِصْنُ بن حُذَيْفَـةَ بن بَدْرٍ ومعه الحَلِيفانِ أَسَـدٌ وذُبيان يطلبون بدم حُذَيْفَةَ، وأقبـل معهم شُرَحْبِيل (٤) بن أخضر بن الجَوْنِ — والجَوْنُ هو معاوية، سمى بذلك لشدّة سواده — ابن آكِلِ المُرَار الكِنْدىّ فى جَمْعٍ من كِنْدَةَ، وأقبلت بنو حَنْظَلَةَ بن مالكٍ والرِّبَابُ عليهم [لَقِيطُ بن زُرَارةَ] (٢) يطلبون بدم مَعْبَدِ بن زُرَارة و يَثْربِىّ بن عُدُسٍ، وأقبل معهم حسّانُ (٥) بن عمرو بن الجَوْنِ فى جَمْعٍ عظيمٍ من كِنْدَةَ وغيرهم، فأقبلوا إليهم (٦) بوَضائع (٧) كانت تكون بالحِيرةِ مع الملوك وهم الرابطةُ . وكان فى الرِّباب رجلٌ من أشرافهم يقال له النُّعمان بن قَهْوَسٍ التَّيْمىُّ، وكان معه لِواءُ مَنْ سار الى جَبَلَةَ، وكان من فُرسان العرب. وله تقول دَخْتَنُوسُ بنت لَقِيطِ بن زُرَارةَ يومئذ :

(١) ما بين المربعين ورد فى الأصول مكانه : « قـد لم يتبه » فألصق النساخ الألف بالميم وصحفوا « بيته » . والتصويب من النقائض . (٢) التكملة من النقائض . (٣) فى الأصول : « فقال رجل لا أدخل ... » . والتصويب من النقائض . (٤) فى النقائض : «وأقبل معهم معاوية بن شرحبيل ... » . (٥) كذا فى النقائض . ويؤيده ماورد فى شعر نابغة بنى جعدة الآتى . وفى الأصول هنا : « كيسان » . (٦) كذا فى النقائض . وفى ا، م : «اليه» . وفى سائر الأصول : «عليه» . (٧) الوضائع هنا : قوم من الجند يوضعون فى كورة لا يغزون منها .

شعر لدختنوس بنت لقيط تعير ابن قهوس

فَـرَّ ابنُ قَهْوَسٍ الشُّـجَا * عُ بكَفِّه رُمْحٌ مِتَـلُّ
يعـدُو به خَاظِى البَضِيـ(١) * ـعِ كأنّه سِمْــعٌ أزَلُّ(٢)
إنّك مِنْ تَيْمٍ فَـدَعْ * غَطَفانَ إن ساروا وحلّوا

— مِتَلٌّ : مستقيم، يُتَلُّ(٣) به كلُّ شىء . الخاظِى : الشىءُ المُكْتَنِز . والسِّمْعُ : ولدُ الضَّبعِ [من الذِّئب](٤) . والعِسْبارُ : ولدُ الذِّئب من الكلبة — .

لا مِنْكَ عِـدُّهُم ولا * آباكَ إن هَلَكُوا وذَلُّوا
نَخْـرُ البِغِىِّ(٥) بحِـدْجِ ربِّـ * ـتِها إذا النّاسُ استقلّوا
لا حِدْجَها رَكِبْتَ ولا * لِرَغالِ(٦) فيــه مُسْتَظَلُّ
ولقـد رأيتُ أباكَ وَسْـ * ـطَ القَوْمِ يَرْبِقُ(٧) أو يَجُلُّ
مُتَقَـلِّدًا رِبَقَ الفُـرَا * رِ كأنه فى الجِيـدِ غُلُّ

— يَجُلُّ : يلقُط البَعَر . والفُرار : أولادُ الغنم ، واحدُها فُرارة — . قال : وكان معهم رؤساء بنى تميم : حاجِبُ بن زُرارةَ ولَقِيطُ بن زرارة وعمرُو بن عمرٍو وعُتيبةُ(٨) بن الحارثِ بن شِهَابٍ ، وتبِعهم غُثَاءٌ من غُثاء الناس يُريدون الغنيمةَ ، فجمعوا جمعاً لم يكن فى الجاهليّة قطُّ مثلَه أكثرَ كثرةً ، فلم تَشُكّ العربُ فى هلاك بنى عامر . [فجاءوا](٩) حتى مرّوا ببنى سَعْدِ

(١) البضيع : اللحم . (٢) أزل : أرسح أى قليل لحم الفخذين .
(٣) يتل : يصرع . (٤) التكملة من النقائض . (٥) البغى هنا : الأمة ، وفى غير هذا الموضع الفاجرة . والحدج (بالكسر) : مركب من مراكب النساء يشبه المحفة . وربتها : سيدتها .
(٦) وردت هذه الكلمة فى الأصول محرفة ، بين « لرغاء فيها » و « لرعاء فيها » و « لوعاء فيها » . والتصويب من النقائض ولسان العرب (فى مادة رغل) ورغال : الأمة . (٧) فى الأصول المخطوطة « يبرق » . وفى ب ، س : « يبزو » . والتصويب من النقائض . ويربق : يشد البهيمة بالربقة وهى عروة فى حبل تشد بها البهيمة . (٨) فى الأصول : « ... وعمرو بن عمرو بن عيينة والحارث ابن شهاب » . والتصويب من النقائض . (٩) الزيادة عن النقائض .

تشاور بنى عامر فى أمرهم

ابن زيد مناة، فقالوا لهم : سيروا معنا الى بنى عامر . فقالت لهم بنو سعد : ما كنّا لنسير معكم ونحن نزعم أنّ عامر بن صعصعة ابن سعد [بن زيد مناة](١) . فقالوا : أمّا إذ أبيتم أن تسيروا معنا فاكتموا(٢) علينا . فقالوا : أمّا هذا فنعم . فلمّا سمعت بنو عامر بمسيرهم اجتمعوا الى الأحوص بن جعفر، وهو يومئذ شيخ كبير قد وقع حاجباه على ٥ عينيه وقد ترك الغزو غير أنه يدبّر أمر النّاس ، وكان مجرّباً حازماً ميمون النقيبة ، فأخبروه الخبر . فقال لهم الأحوص : قد كبرت ، فما أستطيع أن أجىء بالحزم وقد ذهب الرأى منّى ، ولكنّى إذا سمعت عرفت ، فأجمعوا آراءكم ثم بيتوا ليلتكم هذه ثم اغدوا علىّ فاعرضوا علىّ آراءكم ، ففعلوا . فلمّا أصبحوا غدوا عليه ، فوضعت له عباءة بفنائه فجلس عليها، ورفع حاجبيه عن عينيه بعصابة ثم قال: هاتوا ما عندكم . ١٠ فقال قيس بن زهير العبسى : بات فى كنانتى الليلة مائة رأى . فقال له الأحوص : يكفينا منها رأى واحد حازم صليب مصيب ، هات فانثر كنانتك . فجعل يعرض كلّ رأى رآه حتى أنفده . فقال له الأحوص : ما أرى بات فى كنانتك الليلة رأى واحد! . وعرض الناس آراءهم حتى أنفدوا . فقال: ما أسمع شيئا وقد صرتم الىّ ، احملوا(٣) أثقالكم وضعفاءكم ففعلوا، ثم قال : احملوا ظعنكم فحملوها، ثم قال : اركبوا ١٥ فركبوا، وجعلوه فى محفّة، وقال: انطلقوا حتى تعلوا فى اليمين(٤)، فإن أدرككم أحد كررتم عليه، و إن أعجزتموهم مضيتم . فسار الناس حتى أتوا وادى بحار(٥) ضحوة، فإذا الناس يرجع بعضهم على بعض . فقال الأحوص: ما هذا؟ قيل: هذا عمرو بن عبد الله بن

---

(١) الزيادة عن النقائض . (٢) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « أن تصيروا ... » .

(٣) كذا فى النقائض . وفى الأصول : «اجمعوا» . (٤) لعله «فى اليمن» ؛ فان الوادى ٢٠ الذى أتوه ضحوة وهو وادى بحار يقال انه من بلاد اليمن . (راجع معجم البلدان فى بحار) .

(٥) فى الأصول : « وادى نجار » . والتصويب من النقائض ومعجم البلدان لياقوت .

جَعْـدَةَ فى فِتْيانٍ(١) من بنى عامرٍ يَعْقِرون(٢) بمن أجاز بهم ويقطعون بالنِّساء حَوَاياهنّ(٣) . فقـال الأحوص : قدِّمونى ، فقدّموه حتى وقف عليهـم فقال : ما هـذا الذى تصنَعون؟ ! قال عمرُو : أردتَ أن تَفْضَحنا وتُخْرِجَنا هارِبين من بِلَادنا ونحن أعزّ العرب ، وأكثرُهـم(٤) عددًا وجَلَدًا وأحَدُّهم(٤) شوكةً ! تُريد أن تجعلنا مَوَالِىَ فى العرب إذ خرجتَ بنا هارِبًا(٥) ! . قال : فكيف أفعلُ وقد جاءنا ما لا طاقةَ لنا به ! فما الرأى ؟ قال : نَرْجِعُ الى شِعْبِ جَبَلَة فنُحرِزُ النساءَ والضَّعَفَةَ والذَّرارىَّ والأموالَ فى رأسه ونكونُ فى وَسَطه ففيه ثَمَلٌ(٦) (أى خِصْبٌ وماء) . فإنْ أقام مَنْ جاءك أسفلَ أقاموا على غير ماء ولا مُقَامَ لهم ، وإن صَـعِدوا عليك قاتلتهـم من فوق رءوسهم بالحجارة ، فكنتَ فى حِرْزٍ وكانوا فى غير حِرْزٍ ، وكنتَ على قِتالهم أقْوَى منهم على قتالك . قال : هذا والله الرأى ، فأين كان هذا عنك حين آستشرتُ الناسَ؟ قال : إنما جاءنى الآن . قال الأحوص للناس : ارْجِعوا فرجَعوا . ففى ذلك يقول نابغةُ بنى جَعْدَةَ :

ونحن حَبَسْـنا الحىَّ عَبْسًا وعامرًا * لحسَّانَ وابنِ الجَوْنِ إذ قِيلَ أقْبِلَا
وقـد صَعِدتْ وادى بِحَارٍ(٧) نِساؤهم * كإصْـعادِ نَسْرٍ(٨) لا يرومون مَنْزِلَا
عَطَفْنا لهم عَطْفَ الضَّرُوسِ فصادفوا * من الهَضْبةِ الحمـراءِ عِزًّا ومَعْقِـلا(٩)

ــ الضَّروس : الناقة العَضُوضُ(١٠) ــ فدخلوا شِعْبَ جَبَلَةَ . وجبلة : هَضْبةٌ حمراء بين

ثم دخولهم شعب جبـلة

(١) كذا فى ج والنقائض . وفى سائر الأصول : « قدم فى فتيان » بزيادة كلمة «قدم» وهى لا موضع لها هنا . (٢) فى الأصول : «يعدون» . والتصويب من النقائض . (٣) الحوايا : جمع حوية وهى مركب من مراكب النساء . (٤) كذا فى النقائض . وفى الأصول الخطية : «وأكثره عددا وجلدا وأحده شوكة» . وفى ب ، س : «وأكثر... وأحد...» بدون ضمير . (٥) فى ا ، م ، ح : «هرابا» جمع هارب . (٦) فى الأصول : «ففيه تمثل» . والتصويب من النقائض . (٧) فى النقائض ومعجم البلدان : «عن ذى بحار» . وراجع الحاشية الخامسة فى الصفحة السابقة . (٨) فى الأصول : «لإصعاد سير» . والتصويب من النقائض ومعجم البلدان . (٩) كذا فى ج والنقائض ومعجم البلدان . وفى سائر الأصول : «ومفضلا» وهو تحريف . (١٠) الضروس : الناقة الحديثة النتاج . وإنما سميت ضروسا لأنه يعتريها عند نتاجها عضاض أياما حذارا على ولدها ثم يذهب عنها .

٣٧ / ١٠

الشُّرَيف والشَّرف . والشُّرَيف : ماءٌ لبنى نُمَـيْرٍ . والشَّرَف : ماءٌ لبنى كلابٍ . وجبلةُ : جبلٌ عظيم له شعبٌ عظيمٌ واسـعٌ (١)، لا يُؤْتَى (٢) الجبلُ إلا من قبلَ الشِّعْب ، والشِّعب مُتَقارِبُ [المَدْخلِ] (٣) وداخلُه مُتَّسِعٌ ، و به اليوم عُرَيْنَةُ من بَجِيلة . فدخلت بنو عامرٍ شِعْباً منـه يقال له مُسَلَّحٌ ، فحصّنوا النساء والذرارىّ والأموالَ فى رأس الجبل ، وحَلَّئُوا الإبل عن المـاء ، واقتسموا الشِّعْبَ بالقِـداح فأقرعَ بين القبائل فى شَظَاياه (٤)، فخرجت بنو تمـيمٍ ومعهم بارِقٌ (حىٌّ من الأَزْدِ حُلَفاءُ يومئذ لبنى نُمَيْرٍ . وبارقٌ هو سَـعْدُ بن عَدِىّ بن حارثةَ بن عَمْـرو (٥) مُزَيْقيـاء بن عامرٍ ماءِ السماء . وسُمّى مُزَيْقياء لأنه كان يمزِّق عليـه كلَّ يومٍ حُلَّةً) فولجوا الحَلِيفَ (والحَلِيفُ : الطريق بين الشِّعْبَين شِبْهُ الزُّقاق (٦)) لأنّ سَهْمَهم تخلّف . وفيه يقول مُعَقِّر بن أَوْس ابن حِمَارٍ البارقىُّ :

نحن الأَيْمَنُونَ بنو نُمَيْرٍ * يَسِيلُ (٧) بنا أَمامَهمُ الحَلِيفُ

قال : وكان مُعَقِّرٌ يومئذ شيخاً كبيراً أعمى ومعه ابنةٌ له تقود به جملَه . [فجعل يقول لها :] من أَسْهلَ (٨) من الناس؟ فتُخبره وتقول (٩) هؤلاء بنو فلان ، وهؤلاء بنو فلان ، حتى إذا تناهى الناسُ قال : اهْبِطِى (١٠)، لا يزال هذا الشِّعْبُ مَنيعاً سائرَ هذا اليوم ، وهبط . وكانت كَبْشَةُ بنتُ عُرْوةَ الرَّحّالِ بن عُتْبةَ بن جعفرِ بن كِلَابٍ يومئذ حاملاً بعامر بن الطُّفَيْل ، فقالت : وَيْلَكم يا بنى عامرٍ ارْفعُونى ! فوالله إنّ فى بطنى لَعِزَّ بنى عامر .

٥ ١٠ ١٥

---

(١) فى النقائض : «طويل» . (٢) فى الأصول : « لا ترى الجبل ... » . والتصويب من النقائض . (٣) التكلة من النقائض . (٤) فى الأصول : « بالقداح والقرع بين القبائل فى شكاياه » والتصويب من النقائض . والشظايا : القطع من رءوس الجبال ، الواحدة شظية .

(٥) فى الأصول : « ... عمرو بن مزيقياء بن عامر بن ماء السماء » . ومزيقياء لقب عمرو ، وماء السماء لقب عامر . (٦) الزقاق : الطريق الضيق . (٧) فى الأصول : « يسير » . والتصويب من النقائض . (٨) فى الأصول : « ... جمله من أسفل من الناس » والتكلة والتصويب من النقائض . (٩) عبارة النقائض : « فتخبره وهو يقول هؤلاء بنو فلان حتى إذا تناموا قال اهبطى ... الخ » . (١٠) فى النقائض : «وهبط الناس » .

٢٠

فصفّوا القِسِىّ(١) على عواتقهم ثم حملوها حتى أثووها بالقُنّة (يقال قُنّة وقِنان). فزعموا أنها ولدت عامرًا يوم فرغ الناسُ من القتال. فشهدت بنو عامر كلُّها جبلةَ إلّا هلالَ ابن عامرٍ وعامرَ بن ربيعةَ بنِ عامرٍ، وشهدها مع بنى عامرٍ من العرب بنو عبْس ابن رِفاعة بنِ الحارث بن بُهثة بن سُليم وكان لهم بأسٌ وحزمٌ وعليهم مِرداسُ بن أبى عامرٍ، وهو أبو العبّاس بن مِرداسٍ. وكانت بنو عبْس بن رفاعة حلفاء(٢) بنى عمرو ابن كِلابٍ. وزعم بعضُ بنى عامرٍ(٣) أنّ مِرداسًا كان مع أخواله [غَنِيٍّ](٤)، و[كانت](٤) أمُّه فاطمةَ بنتَ جَلْهمة الغَنَويّةَ. وشهدتها غنِيٌّ وباهلةُ وناسٌ من بنى سعدِ ابن بكرٍ وقبائلُ بَجيلةَ كلُّها إلا قسْرًا(٥) لحربٍ كانت بين قسْرٍ وقومِها، فارتحلت بَجيلةُ فتفرّقت فى بطون بنى عامرٍ، فكانت عادِيةُ بن عامرٍ بن قُدادٍ من بَجيلةَ فى بنى عامرِ بن ربيعةَ، وكانت سُحْمةُ(٦) من بَجيلةَ فى بنى جعفرِ بن كِلابٍ — ويقال: عمرو بن كلاب — وكانت عُرَيْنةُ من بجيلة فى عمرو بن كِلابٍ، وكانت بنو قَيْس كُبّةَ (لفرسٍ يقال لها كُبّةُ) من بجيلة فى بنى عامر بن ربيعة، وكانت فِتْيانُ(٧) فى بنى عامر بن ربيعةَ، وبنو قُطَيْعةَ(٨) من بَجيلةَ فى بنى أبى بكر ابن كِلابٍ، ونصيبُ(٩) بن عبد الله من بجيلة [فى بنى نُمَيرٍ، وكانت ثعلبةُ والخطّامُ من بَجيلة](٤) فى بنى عامر بن ربيعةَ، وبنو عمرو بن معاويةَ بن زيد من بَجيلةَ فى بنى أبى بكر بن كِلابٍ معهم يومئذ نفيرٌ من عُكْلٍ، فبلغ جمْعُهم ثلاثين ألفًا. وعمِى

من شهد الوقعة من القبائل

تفرق بجيلة فى بطون بنى عامر

(١) فى النقائض: «فوضعوا». (٢) فى النقائض: «... حلفاء فى بنى عامر بن كلاب».
(٣) فى النقائض: «وزعم بعضهم». (٤) الزيادة من النقائض. (٥) فى الأصول: «... إلا قشيرا لحرب كانت بين قيس وقومها ...» والتصويب من النقائض والقاموس.
(٦) فى الأصول: «شحمة» بالشين المعجمة. والتصويب من النقائض والقاموس ومعجم ما استعجم للبكرى.
(٧) فى أكثر الأصول: «قينان» والتصويب من جـ والقاموس ومعجم ما استعجم. وفى النقائض بدل هذه العبارة: «وكانت بنو عامر بن معاوية بن زيد من بجيلة فى بنى عامر بن ربيعة». (٨) فى الأصول: «وبنو قطيفة» بالفاء، وهو تحريف. (٩) كذا ورد هذا الاسم مضبوطا فى النقائض. وورد فى «معجم ما استعجم» (ج ١ ص ٤٠) مضبوطا بضم أوله وفتح ثانيه. وقد سموا نصيبا مكبرا ومصغرا.

ما فعـله كرب بن صفوان لتميم وأسد

على بنى عامر الخبرُ، فجعلوا لا يدرون ما قُرْبُ القَوْمِ من بُعْدِهم . وأقبلت تميمٌ وأَسَدٌ وذُبْيان ولِفُّهم نحو جبلة، فلقوا كَرِبَ بنَ صَفْوان بن شِجْنَةَ بن عُطَارِد بن عَوْف بن كَعْبِ بن سَعْدِ بن زيد مَناة، فقالوا له : أين تذهبُ ؟ أتريد أن تُنْذِرَ بنا بنى عامر ؟ قال لا . قالوا : فأَعْطنا عهدًا ومَوْثقًا ألّا تفعلَ ؛ فأعطاهم فخلَّوْا سبيلَه .

٣٨ / ١٠

٥ فمضى مُسْرِعًا على فَرَسٍ له عُرْيٍ[1]، حتى إذا نظر إلى مجالس بنى عامر وفيهم الأحْوَصُ نزل تحت شجرةٍ حيث يَرَوْنه ؛ فأرسلوا اليـه يدعُونه ، قال : لستُ فاعلاً، ولكن إذا رحلتُ فأْتُوا منزلى فإنّ الخبر فيه. فلما جاءوا منزلَه[2] إذا فيه تُرابٌ فى صُرَّةٍ وشَوْكٌ قد كسر رءوسه وفرّق جِهَتَه، وإذا حَنْظَلةٌ موضوعةٌ، وإذا وَطْبٌ معلّق فيه لَبَنٌ . فقال الأحوصُ : هذا رجلٌ قد أخِذَ عليه المواثيقُ ألّا يتكلّم، وهو يخبركم أنّ القومَ

١٠ مثلُ التُّراب كثرةً ، وأنّ شوكتَهم كليلةٌ [وهم متفرِّقون[3]]، وجاءتكم بنـو حَنْظَلةَ . أُنْظُروا ما فى الوَطْب، فآصْطَبُّوه فإذا فيـه لبنٌ حَزَرٌ (قَرَص[4]) . فقال : القومُ منكم على قَـدْرِ حِلَابِ اللّبنِ إلى أن يَحْزُرَ . فقال رجلٌ من بنى يَرْبُوعٍ — ويقال قالتـه دَخْتَنُوسُ بنتُ لَقِيطِ بن زُرَارَةَ — :

كَرِبُ بنَ صَفْوانَ بنِ شِجْنَةَ لم يَدَعْ * مِن دارِمٍ أحدًا ولا مِن نَهْشَلِ

١٥ أجعلتَ يَرْبوعًا كقَـوْرةِ دائرٍ * ولَتَحْلِفَنْ بالله أنْ لم تفعلِ

وذلك قولُ عامر بن الطُّفَيْل بعد جَبَلَةَ بحينٍ :

أَلَا أَبْلِغْ لديكَ جُمُوعَ سَعْدٍ[5] * فبِيتُـوا لن نَهِيجَكُمُ نِيَامَا

نَصَحْتُمْ بالمَغِيبِ ولم تُعِينُوا[6] * علينـا إنكم كنتم كِرَامَا

(١) فى جـ والنقائض : «عربى» بدل « عرى » . وفرس عرى لا سرج عليه .

(٢) فى النقائض : «فلما رحل جاءوا منزله فاذا ... الخ » . (٣) التكملة من النقائض .

٢٠ (٤) فى الأصول : «فاذا فيه لبن جبن قارص» إلا جـ ففيها «قرص» على الصحة . والتصويب من النقائض . (٥) كذا فى النقائض . ويرجح أن كرب بن صفوان المقول فيه هذا الشعر ينتهى نسبه الى سعد . وفى الأصول : «جموع تيم» . (٦) فى الأصول : «ولن تغيبوا» . والتصويب من النقائض .

ولو كنتم مع ابن الجون كنتم * كمن أودى وأصبح قد ألاما

صعود بنى عامر الشعب وتشاور أعدائهم فى الصعود إليهم

فلما استيقنت [(١)] بنو عامر بإقبالهم صعدوا الشِّعْب، وأمر الأحوص بالإبل التى ظُمِّئت قبل ذلك فقال: اعقلوها كلَّ بعير بعقالين [(٢)] [فى] يديه جميعاً. وأصبح لقيط والناس نزولٌ به، وكانت مشورتهم إلى لقيط؛ فاستقبلهم جملٌ عودٌ أجرب أحذ [(٣)] أعصل كاشرٌ عن أنيابه؛ فقال الحزاة من بنى أسد — والحازى العائف [(٤)] — اعقروه. فقال لقيط: والله لا يُعقر حتى يكون فحل إبلى غداً [(٥)]. — وكان البعير من عصافير المنذر التى أخذها قرة بن هبيرة [(٦)] بن عامر بن سلمة بن قشير. والعصافير: إبل كانت للملوك نجائب — ثم استقبلهم معاوية بن عبادة بن عقيل وكان أعسر فقال:

أنا الغلام الأعسر * الخير فىَّ والشرّ

* والشر فىّ أكثر [(٧)] *

فتشاءمت بنو أسد وقالوا: ارجعوا عنهم وأطيعونا. فرجعت بنو أسد فلم تشهد جبلة مع لقيط إلا نفيراً يسيرا، منهم شأس بن أبى بُلَىّ [(٨)] أبو عمرو بن شأس الشاعر، ومعقل بن عامر بن موألة [(٩)] المالكى. وقال الناس للقيط: ما ترى؟ فقال: أرى أن تصعدوا إليهم. فقال شأس: لا تدخلوا على بنى عامر؛ فإنى أعلم الناس بهم، قد قاتلتهم وقاتلونى وهزمتهم وهزمونى، فما رأيت قوماً قطُّ أقلق بمنزل من بنى عامر!

---

(١) كذا فى النقائض. وفى الأصول: «فلما استثبت ...». (٢) التكملة من النقائض.
(٣) العود هنا: المسن من الإبل. والأحذ هنا: خفيف شعر الذنب، أو قصير الذنب. والأعصل: الملتوى الذنب. (٤) فى الأصول: «فقال الحزارة من بنى أسد والحازر القائف» إلا جـ «ففيها الحازى»، على الصحة، وهو تحريف. والعائف: الذى يزجر الطير. (٥) فى ا، م، جـ: «فحل أبى غدا». وفى ب، س: «محل أبى غدا». والتصويب من النقائض، وفيها «نذرا» بدل كلمة «غدا». (٦) فى الأصول: «قرة بن زهير». والتصويب من النقائض وتاريخ الطبرى.
(٧) كذا فى النقائض. وفى الأصول: «والضر فىّ ...». (٨) فى الأصول: «... شأس ابن أبى ليلى ...» والتصويب من النقائض وشرح التبريزى لديوان الحماسة ص ١٣٩ طبع مدينة بن سنة ١٨٢٨م). (٩) فى الأصول: «موالكة». والتصويب من النقائض وكتب اللغة.

والله ما وجدتُ لهم مَثَلاً إلّا الشُّجَاعَ، فإنه لا يَقِرّ فى جُحْره قَلَقًا، وسيخرُجون اليكم.
والله لئن بِتُّمْ(١) هذه الليلةَ لا تشعُرون بهم إلّا وهم مُنْحَدِرون عليكم. فقال لَقيطٌ. والله
لَنَدْخُلَنّ عليهم. فأتَوْهم وقد أخذوا حِذْرَهم. وجعل الأَحْوَصُ ٱبنَـه شُرَيْحًا على
تَعْبِئَةِ الناس. فأقبل لقيطٌ وأصحابُه مُدِلِّين فأسندوا(٢) الى الجبل حتى ذرّت الشمس.
٥ فصعِد لَقيطٌ فى الناس وأخذ بحافَتَىِ الشَّجْنِ(٣). فقالت بنوعامر للأحوص: قد أتَوْك.
فقال: دَعْهم. حتى إذا نَصَفُوا الجبلَ وانتشروا فيه، قال الأَحْوَص: حُلُّوا عُقُلَ
الإبل ثم ٱحدِروها واتبَعُـوا آثارَها(٤)، وليُتْبِـعْ كلُّ رجلٍ منكم بعيرَه حجرين أو ثلاثةً،
ففعلوا ثم صاحوا بها، فلم يَفْجَأ الناسَ إلّا الإبلُ تُريد المـاءَ والمَرْعَى، وجعلوا يرمونهم
بالحجارة والنَّبْل؛ وأقبلت الإبلُ تَحْطِمُ كلَّ شىء مَرّتْ به، وجعل البعـيرُ يُدَهْدِى
١٠ بيـديه(٥) كذا وكذا حجـرًا. وقد كان لقيطٌ وأصحابه سَخِروا منهم حين صنَعوا بالإبل
ما صنعوا. فقال رجلٌ من بنى أَسَد:

زعمتَ أنّ العِــيرَ لا تُقاتِلُ * بَــلَى إذا تقَعْــقَعَ(٦) الرحائلُ
واختلف الهِنْـدِىُّ والذّوابلُ * وقالتِ الأبطـالُ مَنْ يُنَازِلُ
* بَلَى وفيها حَسَبٌ ونائلُ *

١٥ فٱنحطّ الناس مُنهزمين من الجبل حتى السَّهْلِ(٧). فلمّـا بلغ الناسُ السَّهْلَ لم يكن
لأحدٍ منهم هِمّةٌ إلا أن يذهب على وجهه، فجعلت بنو عامر يقتلونهم و يصرَعونهم
بالسيوف فى آثارهم، فٱنهزموا شرَّ الهزيمة. فجعل رجلٌ من بنى عامر يومئذ يرتجز و يقول:

(صعود بنى تميم الجبـل ودفع بنى عامر لهم)

(٣٩ / ١٠)

(شـعر لبعض بنى عامر فى الوقعة)

---

(١) كذا فى النقائض. وفى الأصول: «لئن نمتم ...». (٢) أسندوا الى الجبل: اعتمدوا عليه. يقال: سند وتساند وأسند الى الشىء واستند اذا اعتمد عليـه. (٣) الشجن
٢٠ (بالفتـح): أعلى الوادى. وفى النقائض: «بحافتى الشعب». (٤) فى النقائض: «أدبارها». (٥) كذا فى النقائض. وفى الأصول: «بصدره». (٦) كذا فى النقائض. وفى الأصول: «إذا ما قعقع». وتقعقع الشىء: اضطرب وتحرك. والرحائل: جمع رحالة وهى السرج من جلود لا خشب فيه يتخذ للركض الشديد. (٧) فى الأصول: «فى الجبل». والتصويب من النقائض.

لم أرَ يوماً مثــلَ يومِ جَبَلَهْ * يــوم أتتنا أَسَــدُ وحَنْظَلَهْ
وَغَطفانُ والمــلوكُ أزفَــلَه[(١)] * نَضْرِبهُــم بقُضُبٍ منتخَــلَه[(٢)]
لم تَعْدُ أن أَفرش عنها الصَّقَلَهْ[(٣)] * حتى حَدَوْناهم حُداءَ الزَّوْمَــلَه[(٤)]

وجعل مَعْقِل بن عامر[(٥)] يرتجز ويقول :

نحن حُماةُ الشِّعْبِ[(٦)] يومَ جبله * بكلّ عَضْبٍ صارمٍ ومِعْبَــلَه
٥
* وهَيْكلٍ نَهْدٍ[(٧)] معًا وهَيْكَلَه *

المِعْبلةُ : السهم إذا كان نصلُه عريضًا فهو مِعْبلةٌ ، والرقيقُ : القُطْبَةُ .

صد بنى تميم لبنى عامر

وخرجت بنو تميمٍ من الحَلِيفِ على الخَيْلِ فكَرْكَرُوا الناسَ (يعنى ردّوهم) وانقطع شُرَيْح بن الأحوص فى فرسان حتى أخذ الجُرُفَ فقاتل الناسَ قتالاً شديدا هناك ، وجعل لقيطٌ يومئـذ[(٨)] وهو على بِرْذَوْنٍ له مُجَفَّفٍ[(٩)] بديباج أعطاه إيّاه كِسْرَى — وكان ١٠ أوّلَ عربىٍّ جَفَّف — يقول :

عَرَفْتُكُمْ والدمعُ مِ الْعَيْنِ يَكِفْ[(١٠)] * لفــارسٍ أتلفتمــوه ما خُــلِفْ
إنّ النَّشِــيلَ والشِّــواءَ والرُّغُفْ * والقَيْنةَ الحسناءَ والكأسَ الأُنُفْ[(١١)]

---

(١) الأزفلة : الجماعة . وفى الأصول « أرفلة » بالراء . والتصويب من النقائض .

(٢) منتخلة : مختارة . (٣) أفرش عنه : أقلع . والصقلة : جمع صاقل ، من صقل ١٥ السيف اذا جلاه . يريد أنها حديثة الجلاء . (٤) الزوملة : الإبل . وفى الأصول : « حتى حذوناهم حذاء الرفله » . والتصويب من النقائض . (٥) فى الأصول : « معقل بنى عامر » . والتصويب من النقائض . (٦) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « نحن سماة الخيل » .

(٧) هيكل هنا : ضخم . والنهد من الخيل : كثير اللحم حسن الجسم مع ارتفاع . (٨) فى الأصول الخطية : " وجعل لقيط يومئذ وهو الحارث على برذون له ... " بزيادة "الحارث" . وفى النقائض : ٢٠ " وجعل لقيط وهو يومئذ على الجرف على برذون ... " (٩) مجفف : عليه تجفاف (بفتح التاء وكسرها) وهو شىء يتخذ من حديد أو غيره يجعل على ظهر الفرس ليقيه الأذى ، وقد يلبسه الانسان أيضا .

(١٠) كذا فى النقائض . ويكف : يسيل . وفى الأصول : « بالعين يكف » . (١١) النشيل هنا : اللحم المطبوخ ، أو الذى ينشل من القدر قبل النضج ، واللبن ساعة يحلب . والشواء (بالكسر ويضم) : ما شوى من اللحم وغيره أى عرض لحرارة النار فنضج وصلح للأكل . والكأس الأنف : التى لم يشرب بها قبل ذلك .

وصَفوةَ القِدْرِ وتَعْجيلَ اللَّقَفْ (١) * للطاعنين الخيلَ والخيلُ قُطُفْ (٢)

وجعل لا يمرّ به أحدٌ من الجيش إلّا قال [له] (٣) : أنت والله قتلتنا وشَتَمْتنا (٤) . فجعل يقول :

ياقَوْمِ قد أحرقتمونى باللَّوْمْ * ولم أُقاتِلْ عامرًا قبل اليَوْمْ

فاليومَ إذ قاتلتهم فلا لَوْمْ * تَقَدَّموا وقَدِّمونى للقَوْمْ

٥ شَتّانَ هذا والعناقُ والنَّوْمْ * والمَضْجَعُ البارِدُ فى ظِلِّ الدَّوْمْ

وقال شأس بن أبى بُلَىٍّ (٥) يجيبه :

لكن أنا قاتلتها قبلَ اليَوْمْ * إذ كنتُ لا تُعْصَى أُمورى فى القَوْمْ

وجعل لقيطٌ يقول : مَن كرّ فله خمسون ناقةً ، وجعل يقول :

أَكُلُّكُمْ يَزْجُرُكُمْ أَرْحِبْ هَلَا (٦) * ولن تَرَوْهُ الدَّهْرَ إلّا مُقْبِلَا

١٠ يحملُ زَغْفًا ورَئيسًا (٧) جَحْفَلَا * وسائلًا فى أهله ما فعلا

٤٠/١٠

وجعل يقول أيضا :

أَشْقَرُ (٨) إنْ لم تَتَقَدَّمْ تُنْحَرِ * وإنْ تأخَّرْ عن هِيَاجٍ تُعْقَرِ

ثم عاد يقول :

* إنّ الشِّواءَ والنَّشيلَ والرُّغُفْ *

---

١٥ (١) اللقف : يريد به ما يلقف و يتناول من الطعام . وفى بعض الأصول : «وتعجيل اللفف» بفاءين .
(٢) كذا فى النقائض . وقطف : جمع قطوف وهو المتقارب الخطو أو البطىء من الدواب . وفى الأصول الخطية : «جنف» وفى ب ، س : «جفف» وهو تحريف . (٣) زيادة عن النقائض . (٤) كذا فى النقائض . وفى الأصول : «وشاتمتنا» . (٥) راجع الحاشية الثامنة من صفحة ١٤٠ المتقدّمة . (٦) فى الأصول : «رحب هلا» . والتصويب من النقائض ، وفيها :
٢٠ «أكلهم يزجره» . وأرحب وهلا : مما تزجر به الخيل ؛ يقال للخيل : أرحب وأرحبي أى توسعى وتباعدى وتنحى . وهلا أى اسكنى وقرى . (٧) كذا فى ج . وفى سائر الأصول : «ربيبا» بدل «رئيسا» . ورواية هذا الشطر فى النقائض : * يقود جيشا ورئيسا جحفلا * وليس فيها الشطر الأخير . والزغف والزغفة (وتحرك الغين فيهما) : الدرع المحكمة أو اللينة ، والجمع الزغف (بالفتح) كالواحد . (٨) أشقر : اسم فرسه يخاطبه .

فأجابه شُرَيْحُ بن الأحوص :

إن كنتَ ذا صدْقٍ فأقحِمْهُ الجُرُفْ * وقرِّب الأشْقَرَ حتى تعترِفْ

* وجوهَنا إنّا بنو البِيضِ العُطُفْ[1] *

سقوط لقيط في الموقعة

و بينه و بينه جرف منكَر ، فضرب لَقِيطٌ فرسَه وأقحمه عليه الجُرُفَ ، فطعنه شُرَيْحٌ [فسقط][2] . وقد اختلفوا فى ذلك ، فذكروا أنّ الذى طعنه جَزْءُ بن خالدِ بن جعفرٍ ، وبنو عُقَيْلٍ تزعم أنّ عَوْفَ بنَ المُنْتَفِق العُقَيْلىّ قتله يومئذ وأنشأ يقول :

ظَلّتْ تلومُ لِما بها عِرْسِى[3] * جَهْلًا وأنتِ حَليمةٌ أمْسِ

إنْ تقتلوا بكْرِى وصاحبَه * فلقد شَفَيْتُ بسَيْفه نفسى

فقتلتُه فى الشِّعْبِ أوّلَ فارسٍ[4] * فى الشَّرْقِ قبلَ ترَحُّلِ الشمس

فزعموا أن عَوْفًا هذا قتل يومئذ ستّةَ نَفَرٍ، وقُتل ابنٌ له وابنُ أخ له . وأمّا العلماء فلا يَشُكّون أن شُرَيحًا قتله ، وٱرتُثَّ و به طَعَناتٌ — والارتثاث أن يُحْمَل وهو مجروح ، فإنْ حُمِل ميّتًا فليس بمرتثّ — فبقى يومًا ثم مات . فجعل لقيطٌ يقول عند موته :

ياليتَ شِعْرِى عَنْك دَخْتَنوسُ * إذا أتاكِ الخبرُ المَرْسُوسُ[5]

أتَحْلِقُ القُرُونَ أم تَمِيسُ * لا بَلْ تَمِيسُ إنّها عَروسُ

دَخْتَنوسُ بنت لَقِيطِ بن زُرارة ، وكانت تحت عمرو بن عمرو بن عُدُسٍ . وجعلت بنو عبسٍ[6] يضربونه وهو ميّت ، فقالت دَخْتَنوسُ :

---

(١) العطف : جمع عطوف ، وهو وصف من عطف عليه يعطف عطفا إذا رجع عليه بما يكره أوله بما يريد . (٢) زيادة عن النقائض . (٣) العرس : الزوجة . وفى البيت التفات من الغيبة الى الخطاب . (٤) وردت هذه الكلمة فى الأصول محرفة ، ففى ب ، س : «فقتلته فى الشعب وافرسى» وفى ا ، م : «فى الشعر كى وفارس» وفى ج : «أو فارس» . والتصويب من النقائض . (٥) المرسوس : اسم مفعول من قولهم : رس له الخبر اذا ذكره له . (٦) فى الأصول : «بنو عامر» والتصويب من النقائض ، و يؤيده ما فى الشعر الذى بعده .

شعر لدختنوس في أبيها

أَلَا يالهَا الوَيْلاتُ وَيْلاتُ مَنْ بَكَى * لِضَرْبِ بَنِى عَبْسٍ لَقِيطًا وقد قَضَى

لقد ضربوا وجهًا عليه مَهابةٌ * وما تَحْفِلُ[1] الصُّمُّ الجنادلُ مَنْ رَدَى

فلو أنكم كنتم غداةَ لَقِيتُم * لقيطًا صَبرتُم[2] للأَسِنَّةِ والقَنَا

غَدَرْتُم ولكن كنتمُ مِثْلَ خُضَّبٍ[3] * أصابَ[4] لها القَنَّاصُ من جانبِ الشَّرَى

٥ فما ثَأْرُه فيكم ولكنَّ ثأرَه * شُرَيحٌ وأَردتْه الأَسِنَّةُ إذ هَوَى[5]

فإن تُعْقِبِ الأيّامُ من عامرٍ يَكُنْ[6] * عليهم حَرِيقًا لا يُرامُ إذا سَمَا

ليجزيهم[7] بالقتل قَتْلًا مُضَعَّفًا * وما فى دِمَاء الحُمْسِ يا مالُ مِنْ بَوَا[8]

ولو قتلتنا غالبٌ كان قتلُها * علينا من العار المجدِّعِ للعُلَا

لقد صَبَرتْ للموت كعبٌ وحافظتْ * كِلابٌ وما أنتم هناك لمن رأى

١٠ وقالت دَخْتَنُوس أيضا :

لعمرى لئن لاقت من الشرِّ[9] دارمٌ * عناءً لقد آبتْ حميدًا ضِرابُها

فما جَبُنوا بالشِّعب إذ صَبَرتْ لهم * ربيعةُ يُدْعَى كَعْبُها وكِلابُها

٤١/١٠

---

(١) فى ب، س، ح : «وما تحمل الضيم الجنادل» . وفى أ، م : «وما يحمل الصم الجنادل» والتصويب من النقائض . وردى هنا : رمى . (٢) كذا فى النقائض . وفى الأصول : ١٥ «ضربتم بالأسنة» . وجواب «لو» محذوف، أى لأصابكم منا القتل الذريع . (٣) الخضب : النعام . والظليم الخاضب : الذى احمرت ساقاه من أكل الربيع . (٤) فى الأصول : «أضاءت» . والتصويب من النقائض ؛ وفيها : «أصاب له» . وأصاب هنا : سقط ونزل ضد أصعد . والشرى : موضع . (٥) فى الأصول : «أردته الأسنة أو هوى» . والتصويب من النقائض . (٦) كذا فى النقائض . وفى الأصول : «... من فارس تكن * عليكم ... ... » . ٢٠ (٧) فى ب، س : «ليجزيكم» . (٨) البواء (بالمد، وقصر هنا للشعر) : السواء والتكافؤ؛ يقال فلان بواء فلان اذا كان كفؤه اذا قتل به . (٩) كذا فى النقائض . وفى الأصول :

لعمرى لقد لاقت من الشق دارم * عناء وقد آبت حميدا ضرابها

وفى أ، م : «من النسق» مكان «من الشق» .

عَصُوا[1] بسيوف الهند واعتكرتْ لهم[2] * براكاءُ موتٍ لا يطير غرابُها

براكاءُ : مُباركةُ القتال وهو الجِدُّ فى القتال . يقال للرجل إذا وقع فى خطب لا يطير غرابُه[3] . وقالت دختنوس :

بكَرَ النَّعِىُّ بخير خنْ * ـدف كَهلِها وشَبابِها

وبخيرها نَسَبًا إذا * عُدَّتْ الى أنسابها

فرّت[4] بنو أسدٍ خرو[5] * د الطيرِ عن أربابها

لم يَحْفِلوا نَسَبًا ولم * يَلْوُوا لفىء عُقابها[6]

من قتل فى الموقعة ومن نجا وأخبارهم

وقُتِل يومئذ قُرَيظُ بن مَعْبَدِ بن زُرارةَ ، وزيدُ بن عمرو بن عُدُس قتله الحارث ابن الأبرص بن ربيعة بن عامر بن عُقَيْل ، وقُتِل الفَلَتانُ بن المنذر [بن سَلْمى[7] ابن جَنْدَلِ بن نَهْشَلٍ ، وقُتل أبو إيَاس بن حَرْمَلَةَ بن جَعْدَةَ بن العَجْلانِ] بن حَشْورة ابن عَجَبِ بن ثَعْلَبَةَ بن سَعْد بن ذُبيان وهو يقول :

أقْدِمْ قَطِينُ[8] إنهم بنو عَبْسْ * المَعْشَرُ الحِلّةُ فى القَوْمِ الحُمُسْ

---

(١) يقال : عصا بالسيف يعصو ، وعصى به يعصى (وزان فرح) إذا أخذه أخذ العصا أو ضرب به ضرب بها . (٢) كذا فى النقائض . واعتكرت : اختلط سوادها واشتد من النقع المثار . وفى بعض الأصول : «واعتقلت» . وفى بعضها : «واعتلقت» . (٣) ظاهر أن فى العبارة حذفا من النساخ . ومقتضى السياق أن تكون العبارة هكذا : « يقال للرجل اذا وقع فى ضيق شديد : وقع فلان فى خطب لا يطير غرابه» . (٤) فى الأصول : « قرت » والتصويب من النقائض .
(٥) كذا فى النقائض . والخرود : التنحى . وقد وردت هذه الكلمة فى الأصول محرفة ؛ ففى بعض الأصول : « وخر الطير » . وفى بعضها : «وجزء الطير» وفى بعضها : « وخرء الطير » .
(٦) كذا ورد هذا البيت فى النقائض . وورد فى الأصول محرفا هكذا :

لم يجعلوا كسبا ولم * يأذوا لفىء عقابها

ولعل المراد بالعقاب هنا : الراية . (٧) التكملة من النقائض . (٨) فى النقائض : « أقدم قطيب » . ومن أسماء خيلهم « قطيب » مكبرا ومصغرا كما فى القاموس . وفى كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها «صدام» وذكر هذا البيت .

الحلّة (١) : لم يكونوا يتشدّدون فى دينهم . قال : واستلحم (٢) [عمرو بن] حسحاس (٣) بن وهب بن أعياء بن طريف الأسدىّ ، فاستنقذه [معقل بن] عامر بن موءلة فداواه وكساه . فقال معقل فى ذلك :

يديت (٤) على ابن حسحاس بن وهب * بأسفل ذى الجذاة يد الكريم

٥ قصرت له من الدّهماء لمّا * شهدت وغاب من له من حميم (٥)

ولو أنّى أشاء لكنت منه * مكان الفرقدين من النّجوم

أخبّره بأنّ الجرح يشوى * وأنّك فوق عجلزة (٦) جموم

— يقول : إن الجرح الذى بك شوًى لم يصب منك مقتلا —

ذكرت تعلّة الفتيان يومًا * وإلحاق الملامة بالمليم

١٠ قال : وحمل معاوية بن يزيد (٧) الفزارىّ فأخذ كبشة بنت الحجّاج بن معاوية بن قشير ، وكانت عند مالك بن خفاجة بن عمرو بن عقيل ، فحمل معاوية بن خفاجة أخو مالك (٨) على معاوية بن يزيد فقتله واستنقذ كبشة ، وقال : يا بنى عامر ، إنهم

---

(١) عبارة النقائض : «الحمس قريش وما ولدت من قبائل العرب يتشدّدون فى دينهم ، والحلة لم يكونوا كذلك» . (٢) استلحم الرجل (بالبناء للجهول) : روهق فى القتال واحتوشه ١٥ العدو . (٣) فى الأصول : «واستلحم حسحاس بن مرة بن أعياء ...» والتكملة والتصويب من النقائض ، ويؤيده الشعر الذى بعده . (٤) يديت : اتخذت عنده يدا ، والأكثر فى اتخاذ اليد أن يقال أيديت بالألف ؛ أما يديت فقليل . ويقال يديت فلانا اذا أصبت يده ؛ وهذا مطرد فى سائر الأعضاء . وذو الجذاة (بفتح الجيم وكسرها كما فى كتاب معجم ما استعجم للبكرى) : موضع . (٥) كذا فى النقائض . وفى جـ : «من لك من حميم» . وفى ا ، م : «من كد حميم» . وفى س : ٢٠ «على كر الحميم» . وفى ب : «من كرمن حميم» وفى معجم البلدان (فى كلامه على الجداة بالجيم والدال المهملة) : «عن دار الحميم» . (٦) العجلزة (بكسر العين واللام لهجة قيس ، وبفتحهما لهجة تميم) : الشديدة الخلق القوية ، توصف بها النوق والخيل ، وفى الخيل أعرف . والجموم من الخيل : الذى اذا ذهب منه إحضار جاءه إحضار ، يوصف به المذكر والمؤنث . (٧) فى النقائض : «بدر» بدل «يزيد» . (٨) فى الأصول «أبو مالك» . والتصويب من النقائض .

يموتون، وقد كان قيل لهم إنهم لا يموتون. ونزل حسّان بن عامر[1] بن الجَوْن[2] وصاح: يا آل كِنْدَةَ! فحمل عليه شُرَيْح بن الأحْوَص، فاعترض دون ابن الجَوْن رجلٌ من كِنْدَةَ يقال له حَوْشَبٌ، فضربه شُرَيح بن الأحوص فى رأسه فانكسر السيف فيه، فخرج يعدو بنِصْف[3] السيف وكان مما رعّب[4] الناسَ مكانُه. وشدّ طُفَيْلُ بن مالك بن جعفر فأسر حسّان بن الجون، وشدّ عوف بن الأحوص على معاوية بن الجون فأسره وجزّ ناصيته وأعتقه على الثواب. فلقيتْه بنو عَبْس، فأخذه قيس بن زُهَيْر فقتله. فأتاهم عوف فقال: قتلتم طليق فأَحْيُوه أوائتونى بمِلْكٍ مثله. فتخوفت بنو عبس شرَّه وكان مَهيبًا، فقالوا: أمْهِلْنا. فانطلقوا حتى أَتَوْا أبا بَرَاء عامرَ بن مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف، فقال: دُونَكم سَلْمَى بنَ مالك فإنه نديمه وصديقُه — وكانا مشتبهين أحمرَين[5] أشقرين ضخمةً أنوفهما، وكان فى سَلْمَى حياء — [فأتوْه][6] فقال: سأُكَلِّم لكم طُفَيْلًا حتى يأخذَ أخاه فإنه لا يُنجيكم من عوف إلّا ذلك، وايمُ الله لَيأتينّ شَحِيحًا. فانطلقوا اليه، فقال طفيلٌ: قد أتَوْنى بك، ما أعرَفَنِى بما جئتُم له! أتيتمونى تُريدون منّى ابنَ الجَوْن تُقِيدون به من عَوْف، خُذوه، فأعطاهم إيّاه، فأتَوْا به عوفًا فجزّ[7] ناصيته وأعتقه، فسُمّى الجزّازَ. فذلك قول نافع بن الخَنْجَر[8] بن الحَكَم بن عُقَيْل بن طُفَيْل بن مالك فى الإسلام:

(١) عبارة النقائض: «يا بنى عامر إنهم يموتون». أحمد: وقد يروى أنه قال إنهم لا يموتون».

(٢) فى النقائض: «عمرو». (٣) فى النقائض: «بقصدة السيف».

(٤) فى الأصول: «رغب الناس» بالغين المعجمة. والتصويب من النقائض.

(٥) كذا فى النقائض. وفى بعض الأصول: «أخوين أشعرين». وفى بعضها: «أحوين أشعرين». (٦) التكملة من النقائض. (٧) هذه عبارة النقائض. وعبارة الأصول: «فأتوه بجز...». (٨) كذا فى النقائض، وقد سمت العرب خنجرا. وفى أ، م: «نافع ابن الجنجرة» بجيمين. وفى سائر الأصول: «نافع بن الحنجرة بن الحكيم ...».

قَضَيْنا الجَوْنَ عن عَبْسٍ وكانت * مَنِيّــةُ مَعْبَــدٍ فينا هُــزَالَا[1]

قال : وشهدها لَبِيدُ بن رَبِيعــةَ بن مالك بن جعفر وهو آبنُ تسع سنين ، و يقال : كان آبن بِضْعَ عَشْرَةَ سنة ، وعامرُ بن مالك يقول له : اليومَ يَتِمْتَ من أبيــك إن قُتِلَ أعمامك . وقُتل يومئذ زُهَيْرُ بن عمرو بن معاوية ، وُجِدَ مقتــولاً بين ظَهْرانَىْ صفوف بنى عامر حيث لم يبلُغ القِتــالَ[2] ، وهو معاوية الضِّبَاب بنُ كِلَابٍ . فقال أخوه حُصَيْن للذى قتله :

يا ضَــبُعًا عثواء لا تَسْتَأنسى[3] * تلتقم الهَبْرَ من السَّقْبِ الرَّذِى[4]

أقســم بالله وما حجّتْ بَلِى[5] * [وما على العزّى تُعَــزُّه غَنِى

وقد حلفتُ عند مَنْحَرِ الهَدِى[6]] * أُعْطِيكمُ[7] غيرَ صُــدور المَشْرَفى

(١) كذا فى النقائض . وفى أكثر الأصول : « صنيعة معبــد » . وفى جـ : « منيعة معبد » .

(٢) كذا فى جـ والنقائض . وفى سائر الأصول : « ... لم يبلغ القتال هو ومعاوية الضباب... » وهو تحريف . (٣) فى جـ : « عشواء لاستها فسى » . وفى ســائر الأصول : « عشواء لستر ما نسى » . والتصويب من النقائض . والضبع العثواء : الكثيرة الشعر . والعثا : لون الى السواد مع كثرة شعر . (٤) كذا فى النقائض . وورد هذا الشطر مضطربا فى الأصول ؛ ففى جـ ، ب ، س : « تلتهــم الهــبر من الشعب الذوى » . وفى أ ، م : « تلتهــم الخبز من السغب الردى » . والهبر : قطع اللحم . والسقب : ولد الناقة أو هو ساعة يولد . والرذى (بالذال المعجمة) : المهــزول الهالك . والردى : الهالك . (٥) بلى : قبيلة من العرب . (٦) فى الأصول بدل هذين الشطرين : « وما على العدى من الهدى » والتكملة والتصويب من النقائض . والعزى : شجرة من السمر كانت لغطفان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتا وأقاموا عليها سدنة ؛ فبعث إليها رســول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فهدم البيت وأحرق السمرة وهو يقول :

يا عزّ كفرانك لا ســبحانك * إنى رأيت الله قـــد أهانك

وغنىّ : قبيلة من غطفان . والهدى (بفتح أوّله وكسر ثانيه وتشديد الياء مثل الهدى بالفتح) : ما يهدى لمكة من النعم . (٧) يريد : لا أعطيكم . وحذف « لا » النافية فى مثل هــذا الموضع كثير ، وهي أن تكون داخلة على فعل مضارع وقبلها قسم .

فليس مثلى عن زُهَيرٍ بغنى * هو الشُّجاعُ والخطيبُ اللَّوذعى

والفارسُ الحازمُ والشهمُ الأبى * والحاملُ الثِّقلَ إذا ينزلُ بى

وذكروا أنّ طُفَيلَ بن مالك لمّا رأى القتال يوم جَبَلة قال : وَيْلَكم! وأين نَعَمُ هؤلاء! فأغار على نَعَمِ عمرٍو وإخوته وهم من بنى عبد الله بن غَطَفان ثم من بنى الثَّرْماء، فآستاق ألفَ بعير. فلقيه عُبَيْدةُ بن مالك فآستجداه، فأعطاه مائة بعير، وقال: كأنّى بك قد لَقِيتَ ظَبْيانَ بن مُرّةَ بن خالد فقال لك : أعطاك من ألفِه مائةً ! فجئتَ مُغْضَبا. فلقى عُبَيْدةُ ظَبْيانَ، فقال له : كم أعطاك ؟ قال : مائة . فقال: أمائةً من ألفٍ! فغضِب عُبَيدةُ . قال : وذُكِر أن عُبَيدةَ تسرَّع يومئذ إلى القتال، فنهاه أخواه عامر وطُفَيل أن يفعل حتى يرى مُقاتَلاً، فعصاهما وتقدّم، فطعنه رجل[1] فى كتفه حتى خرج السِّنانُ من فوق ثَدْيه فآستمسك فيه السنان، فأتى طُفَيلاً فقال له : دُونَك السِّنانَ فآنْزِعْه، فأبى أن يفعل ذلك غضبًا، فأتى عامرًا فلم يَنْزِعْه منه غضبًا، فأتى سَلْمى[2] بن مالك فآنتزعه منه، وأُلقى جريحًا مع النساء حتى فرَغ القومُ من القتال . وقتلت بنو عامرٍ يومئذ من تميم ثلاثين[3] غلامًا أغْرَلَ[4]. وخرج حاجبُ ابن زُرارة منهزمًا، وتبِعه الزَّهْدمانِ زَهْدَمٌ وقَيْسٌ ابنا حَزْنِ بن وَهْب بن عُوَيمر بن رَواحةَ العَبْسيّان، فجعلا يطرُدان حاجباً ويقولان له : استأسِرْ وقد قَدَرا عليه، فيقول: مَنْ أنتما ؟ فيقولان : الزَّهْدَمانِ، فيقول: لا أَستأسِرُ اليومَ[5] لمولَيَيْن . فبينما هم كذلك إذ أدركهم مالكٌ ذُو الرُّقَيْبة بن سَلَمةَ بن قُشَيْر، فقال لحاجب : آستأْسِرْ . قال :

---

(١) فى الأصول : «فطعنه رجل منهم» . وكلمة «منهم» ليست فى النقائض ولا معنى لها فى السياق .

(٢) فى الأصول «سالم» . والتصويب من النقائض . (٣) فى النقائض : «ثمانين غلاما» . (٤) فى الأصول : «أعزل» . والتصويب من النقائض . وأغرل : أقلف لم تقطع غرلته . يريد أنهم كانوا صغارا . (٥) فى النقائض : «الدهر» .

ومَنْ أنت ؟ قال : أنا مالكُ ذو الرُّقيبة . فقال : أفعلُ ، فلَعَمْرِى ما أدركتَنى حتى كدتُ أن أكونَ عبدًا . فألقَ اليه رمحه ، وآعتنقه زهدمُ فألقاه عن فرسه . فصاح حاجبٌ : يا غَوْثاهْ . [وندر السيف][1] ، وجعل زَهْدَمٌ يُريغ[2] قائم السيف . فنزل مالكٌ فاقتلع زهدمًا عن حاجب . فمضى زهدمٌ وأخوه حتى أتَيا قَيْسَ بن زُهَيْرِ بن جَذِيمةَ فقالا : أخذ مالكٌ أسيرَنا من أيدينا . قال : ومَنْ أسيرُكما ؟ قالا : حاجبُ ابن زُرَارةَ . فخرج قيس يتمثّل قولَ حَنْظَلةَ بن الشَّرْقِىِّ القَيْنِى أبى الطَّمَحَانِ رافعًا صوتَه يقول :

أجَدُّ بنى الشَّرقىّ أُولِعَ أنّنى * متى أسْتَجِرْ جارًا و إنْ عزَّ يَغْدِرِ
إذا قلتُ أوفَى أدركَتْه دَرُوكَةٌ * فيا مُوزِعَ الجِيرانِ بالغىِّ أقْصِرِ

حتى وقف على بنى عامر فقال : إنّ صاحبكم أخذ أسيرنا . قالوا : مَنْ صاحبُنا ؟ قال : مالك ذو الرُّقيبة أخذ حاجبًا من الزَّهْدَمَيْنِ . فجاءهم مالك فقال : لم آخذه منهما ، ولكنه استأسَرَ لى وتركهما . فلم يبرحوا حتى حكّموا حاجبًا فى ذلك وهو فى بيت ذى الرُّقَيبة ، فقالوا : مَنْ أَسَرك يا حاجب ؟ فقال : أمّا مَنْ ردّنى عن قَصْدى ومنعنى أن أنجو ورأى منّى عورةً فتركها فالزهدمان . وأمّا الذى استأسرتُ له فمالكٌ ، فحكّمونى فى نفسى . قال له القوم : قد جعلنا إليك الحُكْمَ فى نفسك . فقال : أمّا مالكٌ فله ألْفُ ناقةٍ ، وللزهدمين مائةٌ . فكان بين قَيْس بن زهير و بين الزهدمين مُغَاضبةٌ [بعد ذلك][1] ، فقال قَيْسٌ :

جَزَانى الزهدمانِ جزاءَ سَوْءٍ * وكنتُ المرءَ يُجْزَى بالكَرَامهْ
وقد دافعتُ قد علِمتْ معدٌّ * بنى قُرْطٍ وعَمُّهُمُ قُدَامهْ

---

(١) زيادة عن النقائض . (٢) يريغ : يطلب . وفى الأصل « يراوغ » . والتصويب من النقائض .

رَكِبتُ بهم طريق الحقِّ حَتَّى * أَثبتُهُم[(١)] بها مائةً ظُلامه

وقال جرير فى ذلك :

ويومَ الشِّعْبِ قد تركوا لَقِيطًا * كأنَّ عليه حُلَّةَ أُرْجُوانِ[(٢)]

وكُبِّل[(٣)] حاجبٌ بَشَمامِ حَوْلًا[(٤)] * فحَكَّم ذا الرُّقَيْبةِ وهو عانِى

وأمّا عمرو بن [عمرو بن] عُدُسٍ فأفلتَ يومئذ. فزعمتْ بنو سُلَيمٍ أنّ الخيل عُرِضتْ ٥
على مِرْدَاس بن أبى عامرٍ يوم جَبَلةَ ، وكان أبْصَرَ الناس بالخيل ، فعُرِضتْ عليه
فرسٌ لغلامٍ من بنى كِلَابٍ ، فقال : والله لا أعجزها ولا أدركها ذكرٌ ولا أنثى ؛
فهذا رِدَائى بها وخَمْسٌ وعشرون ناقةً . فلمّا انهزم الناس يوم جَبَلةَ خرج الكِلابىّ
على فرسه تلك يطلب عمرو بن عمرو . قال الكِلَابىّ[(٥)] : فراكضتُه نهارًا على السَّوَاء ،
والله ما علمتُ أنه سبقنى بمقدارٍ أعْرِفه[(٦)] ، ثم زاد مكانُه ونَقَصتُ ، فقلت : قُمِرَ والله ١٠
مِرْداسٌ . وهَوَى عمرو إلى فرسه فضربها[(٧)] بالسَّوْط فانكشفتْ ، فإذا هى خُنْثَى ،
لا ذَكَرٌ ولا أنثى ، فأخبرتُهم أنى سُبِقْتُ . فقالوا : قُمِر السُّلَمِىُّ . فقلت لا ، ثم أخبرتهم
الخبرَ . فقال مِرداس :

تمطَّتْ كُمَيْتٌ كالهِرَاوة ضامرٌ * لعَمْرِو بن عمرٍو بعد ما مُسَّ باليدِ

---

(١) فى أكثر الأصول : «أتيتهم بها» والتصويب من جـ والنقائض . (٢) الأرجوان : ١٥
صبغ أحمر شديد الحمرة . (٣) وردت هذه الكلمة فى الأصول محرفة ، والتصويب من النقائض .
(٤) شمام : موضع ، ويروى بالكسر على البناء مثل قطام ، و بالفتح على أنه لا ينصرف .
(٥) كذا فى النقائض . وفى الأصول : «وقال الكلابى» بزيادة الواو . (٦) فى الأصول :
«ثم ذلك مكانه ونهضت» . والتصويب من النقائض . (٧) فى جـ والنقائض : « ويهوى
عمرو الى فرسه فيضربها ... » . ٢٠

فلولا مَدى الخُنْثَى وبُعْدُ جِرائها * لَقاظَ ضعيفَ النَّهْضِ حَقَّ مُقَيَّد (١)

تذكَّر رُبْطًا (٢) بالعراقِ وراحـةً * وقد خَفَق الأسيافُ فوق المُقَلَّد (٣)

وزعم علماء بنى عامر أنه لمّا (٤) انهزم الناس خرجت بنو عامر وحُلفاؤهم فى آثارهم يقتُلون ويأسِرون ويسلُبون ، فلحق قيْسُ بن المُنتَفِق بن عامر [بن طُفَيْل] (٥) بن عُقَيْلٍ عمرَو ابن عمرو فأسَره. فأقبل الحارثُ بن الأبْرَص بن رَبيعة بن عُقَيْلٍ فى سَرَعان (٦) الخيل، فرآه عمرو مقبلًا فقال لقيس : إن أدركنى الحارثُ قتلنى وفاتك ما تلتمس عندى ، فهل أنت محسن إلىّ و إلى نفسك ! تجُزّ ناصيتى فتجعلها فى كِنَانتك ، ولك العهدُ لأفِيَنّ لك ، ففعل . وأدركهما الحارثُ وهو ينـادى قيسًا و يقول : أُقْتُلْ أقتل . فلحق عمرو بقومه . فلمّا كان الشهر الحـرام (٧) خرج قَيْسٌ إلى عمرو يستثيبه ، وتبِعه الحارث بن الأبرص حتّى قدِما على عمرو بن عمرو ، فأمر عمرو بن عمرو ابنةَ أخيه آمِنة (٨) بنت زيد بن عمرو فقال : اضربى على قيس الذى أنعم على عمّك هذه القُبَّة . وقد كان الحارث قتـل أباها زيدًا يوم جبلة . فجاءت بالقُبّـة فرأت الحارثَ أهْيَأهما (٩) وأجملَهما ، فظنّته قَيْسًا فضربت القُبّة على رأسـه وهى تقول : هـذا والله رجلٌ

(١) كذا فى حـ والنقائض (صفحة ٦٧١) . ولعله يريد : لولا سرعة الخنثى لوقع أسـيرا فأقام مدّة القيظ ضعيف النهض حق مقيد ، أى مقيدا حق التقييد . وورد هذا الشطر فى سائر الأصول محرفا . ويروى هذا البيت فى النقائض (صفحة ٤٠٩) :

فلولا مدى الخنثى وطول جرائها * لرحت بطىء المشى حق مقيـد

(٢) فى جـ : «ربطا» والربط (بضمتين وسكنت عينه هنا ، وهذا التسكين جائز فى مثل هذا الجمع ، والواحد ربيط) : جماعات الخيل . (٣) خفوق السيف اضطرابه . والمقلد : موضع القلادة من العنق ، وموضع نجاد السيف على المنكبين . (٤) هـذه عبارة النقائض . وفى جـ : «وزعم علماء بنى أنه» . وفى أكثر الأصول : «وزعم علماؤنا أنهم لما انهزم الناس ...» .

(٥) الزيادة من النقائض . (٦) سرعان الخيل (بفتح الراء وسكونها) : أوائلها .

(٧) كذا فى النقائض . وفى الأصول : «فى الشهر الحرام» بزيادة «فى» .

(٨) فى النقائض «أمية» . (٩) فى الأصول : «أحياهما» . والتصويب من النقائض .

لم يُطّلع الدّهرَ عليه بما اطّلَعَ به علىّ. فلمّا رجعت إلى عمّها عمرو قال: يآبنةَ أخى، عَلَى مَنْ ضربتِ القُبّة ؟ فنعتتْ له نعْتَ الحارثِ . فقال : ضربتِها والله على رجلٍ قتل أباك وأمر بقتل عمّك. فجزعتْ مما قال لها عمُّها. فقال الحارث بن الأبرص :

أمَا تَدْرين يآبنةَ آلِ زَيْدٍ * أُمَيْنُ(١) بما أجَنّ اليومَ صدرى

فكم من فارسٍ لم تُرْزَئيه * فَتَى الفتيانِ فى عِيصٍ وقصر(٢)

رأيتُ مكانَه فصددتُ عنه * فأعيا أمرُه وشددتُ أزرى

لقد آمرتُه فعصَى إمَارِى * بأمِّ عزيمةٍ(٣) فى جَنْبِ عمرو

أمرتُ به لتَخْمُشَ(٤) حَنَّتَاهُ * فضيّع أمرَه قيسٌ وأمرى

ـــ الحنّة : الزوجة . يقال حَنَّتُه، وطَلّتُه(٥) ـــ . ثم إن عمرًا قال: يا حار، ما الذى جاء بك ! فوالله ما لك عندى نِعمةٌ، ولقد كنتَ سَيِّئَ الرأى فىّ، قتلت(٦) أخى وأمرت بقتلى . فقال : بل كففتُ [عنك](٧)، ولو شئت إذ أدركتُك لقتلتك . قال : ما لك عندى من يد ، ثم تذمّم منه فأعطاه مائةً من الإبل ، ثم انطلق فذهب الحارث . فلمّا جاء عمرًا قيسٌ(٨) أعطاه إبلًا كثيرةً، فخرج قيسٌ بها، حتى إذا دنا من أهله سمع به

(١) أمين : مصغر آمنة تصغير ترخيم . وفى النقائض : « أمىّ » كروايته الأولى .

(٢) كذا فى الأصول . وفى النقائض (فى صفحة ٦٧٢) : « فى عيص ويسر » ، وفى ٤٠٩ « أخى الفتيان فى عرف ونكر » . (٣) فى الأصول : « بأم غوية » . والتصويب من النقائض (ص ٦٧٢) . وفى ٤٠٩ منها « بأم حزامة » . يشير بهذا الى قوله لقيس بن المنتفق حين أسر عمرو ابن عمرو : اقتل اقتل ، فأبى قيس أن يقتله . (٤) الخمش : الخدش فى الوجه ، وقد يستعمل فى سائر الجسد . يريد : ليقتل فتبكى عليه حنتاه فتخمشا وجوههن من كثرة اللدم لها .

(٥) فى الأصول : « كلته » وهو تحريف . (٦) فى الأصول : « وقتلت » بزيادة الواو وليست فى النقائض . (٧) زيادة من النقائض . (٨) عبارة النقائض : « فلما خلا عمرو بقيس ... » .

الحارثُ بنُ الأبرص فخرج فى فوارس من بنى أبيه حتى عرَض لقيس فأخذ ما كان معه . فلمّا أتى قيسٌ بنى أبيه بنى المنتفق اجتمعوا اليه وأرادوا الخروج . فقال : مَهْلاً ! لا تقاتلوا إخوتكم ؛ فإنه يُوشك أن يرجع وأن يؤول إلى الحق فإنه رجل حَسُودٌ . فلمّا رأى الحارثُ أن قيسًا قد كفّ عنه ردّ اليه ما أخذ منه .

٥ وأمّا عُتَيْبةُ بن الحارث بن شِهَابٍ فإنه أُسِر يومئذ فقُيِّد فى القِدّ ، وكان يبول على قِدّه حتى عفِن . فلمّا دخل الشهر الحرام هرَب فأفلتَ منهم بغير فِداء .

وغَنِم مرداس بن أبى عامر غنائمَ (١) وأخذ رجلاً فأخذ منه مائةَ ناقة (٢)، فانتزعها منه بنو أبى بكر بن كِلاب ؛ فخرج مرداسٌ إلى يزيد بن الصَّعِق ، وكان له خليلاً ، فانتهى اليه مرداس وهو يقول :

١٠ لعمرُك ما ترجو مَعَدٌّ ربيعَها * رجائى يزيدًا بل رجائى أكثرُ
يزيد بن عمرو خير مَنْ شَدّ ناقةً * بأقتادها (٣) إذا الرياحُ تُصَرْصِرُ
تداعت بنو بكر علىّ كأنما * تداعت علىّ بالأحِزّة (٤) بربَرُ
تداعَوْا (٥) علىّ أن رأونى بخَلْوةٍ * وأنتم بأحْدان (٦) الفَوارس أبصر

٤٥ / ١٠

(١) فى الأصول : « أبى غاز » ، والتصويب من النقائض ومن نسخة المرحوم الشنقيطى .

١٥ (٢) فى الأصول : « وأخذ رجلا ومائة ناقة » والتصويب من النقائض . (٣) الأقتاد : جمع قتد (بالتحريك و بالكسر) وهو خشب الرحل أو كل أداة الرحل . وفى ب ، س : «أو اقتادها» وهو تحريف . (٤) كذا فى النقائض . والأحزة : جمع حزيز ، وهو ما غلظ من الأرض وانقاد . وفى جـ : « بالأخرة » (بالخاء المعجمة والراء المهملة) جمع خرير ، وهو المكان المنهبط بين الربوتين ينقاد . وفى سائر الأصول : « بالأخيرة » وهو تحريف : وبربر : جيل من الناس .

٢٠ (٥) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « تداعت » . والتناسب بين الضمائر فى البيت أولى . (٦) كذا فى حـ والنقائض . ووردت هذه الكلمة محرفة فى سائر الأصول . وأحدان : جمع واحد كراكب وركبان ؛ يقال فيه وحدان على الأصل ، وأحدان بقلب الواو همزة .

ويروى «بُوحْدان». فركب يزيد حتى أخذ الإبل من بنى أبى بكر فردّها إليه. فطرَقه البكريّون فسقَوْه الخمر حتى سكِر، ثم سألوه الإبلَ فأعطاهم إيّاها. فلمّا أصبح ندم، نخرج إلى يزيد فوجد الخبر قد جاءه. فقال له يزيد: أصاحٍ أنت أم سكران؟! فانصرف فأطّرد إبلًا من إبل بنى جعفر فذهب بها وأنشأ يقول:

أجُنَّ بلَيْلَى(١) قلبُــه أم تذكّرَا * منازلَ منها حولَ قُرَّى ومَحْضَرَا ٥

تَخُرُّ الهِدَالُ(٢) فوق خَيْماتِ أهْلِها * ويُرْسُون حِسًّا بالعِقال(٣) مُؤَطَّرَا

— الحِسُّ: الفرس الخفيفة. والمؤطَّر: المعطوف —

سآبَى وأستغني كما قد أمرتَنى * وأصرِفُ عنك العُسْرَ لستُ بأفقرا

وإنّ سُلَيْماً والجِجازُ مكانُها * متى آتِهم أجِدْ لبيتى مَهْجَرا

— المَهْجَرُ: الموضع الصالح؛ يقال: هذا أهجر من هذا إذا كان أجْوَد [منه] وأصلح — ١٠

يُفَرِّج عنّى حَدُّهم(٤) وعَدِيدُهم * وأُسْرِج لِبَدْى خارجياً مُصَدَّرًا(٥)

قَصَرْتُ عليه الحالبَيْنِ بجَوْدِه(٦) * إذا ما عدا بلّ الحِزامَ وأمطرا

— الحالبين: الراعيين. يقول احتبستهما —

نُخُذْ إبلًا إنّ العِتابَ(٧) كما ترى * على خَذَمٍ(٨) ثم آرْمِ للنصر جعفرا ١٥

---

(١) فى الأصول: «أحن بليل» والتصويب من النقائض ومعجم البلدان فى كلامه على «محضر». وقرى ومحضر: موضعان. (٢) فى أكثر الأصول: «تحن الهزال». وفى ج: «تحن الهدال». وما أثبتناه عن النقائض. والهدال هنا ضرب من الشجر يكون بالحجاز له ورق عراض، أو هو ما تدلى من الأغصان. (٣) فى الأصول: «بالفعال» والتصويب من النقائض.

(٤) كذا فى النقائض. والحدّ هنا الشوكة والقوّة. وفى الأصول: «عدهم». (٥) المصدّر من الخيل: السابق. (٦) المراد بالجود هنا العرق. (٧) كذا فى الأصول والنقائض!. ٢٠

(٨) الخذم (بالتحريك): السرعة فى السير. وفى النقائض: «ادع» بدل «ارم».

فإنّ بأكناف البِحار الى المَــلا (١) * وذى النَّخل مَصْحًى إن صحَوْتَ ومَسْكَرَا (٢)

وأرْعَى من الأظلاف أثلًا وحَمْضةً (٣) (٤) * وترعَى من الأطْـواء أثْلًا وعَرْعَرَا

وانصرف يومئذ سِنانُ بن أبى حارثة المرّىّ فى بنى ذُبيان على حاميته، فلحق بهم معاويةُ بن الصَّمُوت بن الكامل الكلابىّ (٥)، وكان يسمَّى الأسَدَ المجدَّع، ومعه حَرْملةُ العُكْلىّ ونفرٌ من النّاس، فلحق بسنَانِ بن أبى حارثة ومالكِ بن حمار الفَزارىّ فى سبعين فارسًا من بنى ذُبْيان . فقال سنانٌ : يامالكُ كُرَّ واحْمِنا ولك خَوْلَةُ بنت سنانٍ ابنتى أُزَوِّجُكها . فكرّ مالكٌ فقتل معاوية، ثم اتّبعه حرملة العُكْلىّ وهو يقول :

لأىِّ يوم يَخْبأ المرءُ السَّعَهْ * مُوَدَّعٌ ولا تَرَى فيه الدَّعَهْ (٦)

فكرّ عليه مالكٌ فقتله، ثم اتّبعه رجلٌ من بنى كِلاب، فكرّ عليه مالك فقتله، ثم اتّبعه رجلان من قَيْسِ كُبّةَ من بَجِيلةَ، فكرّ عليهما فقتلهما، ومضى مالكٌ وأصحابُه . فقال مالك فى ذلك :

---

(١) كذا فى النقائض . وفى جـ، ب، س : «فان بأكناف الرحال» وفى أ، م : «فان بأكناف النجار» . وهما تحريف . والبحار : جمع بحرة (بالفتح) وهى الفجوة من الأرض تتسع، أو هى الوادى الصغير يكون فى الأرض الغليظة، أو هى الروضة العظيمة مع سعة . والملا : الأرض الواسعة أو الفلاة . (٢) كذا فى النقائض . وفى الأصول : «إن سمعت» . (٣) فى النقائض : «من الأكلاء» . والأظلاف : جمع ظلف (بالتحريك) وهو ما غلظ من الأرض وصلب .

(٤) كذا فى النقائض . ولعل المراد بالحمضة الحمض لحقته هاء التأنيث . والحمض من النبات : كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له . وفى جـ : «وخضمة» بالضاد المعجمة . وفى أ، م : «وخصمة» بالصاد المهملة . وفى ب، س : «وخطمة» . (٥) كذا فى أكثر الأصول . وفى جـ : «الكاهن» . وفى النقائض : «الكاهل» . ولم نهتد لوجه الصواب فيه .

(٦) فى الأصول : «ولا يرى فيها الدعة» والتصويب من النقائض . والمودّع : المترف المنعم . والدعة هنا : الخفض فى العيش والراحة . يقول : هو مترف منعم ولا ترى عليه آثار النعمة .

ولقد صَدَدْتُ عن الغَنيمة حَرْمَلاً * ولَقِيتُـه لَدَدًا[1] وخيلى تَطْـرُدُ
أقبلتُـه صَـدْرَ الأغرِّ وصارمًا[2] * ذَكَرًا نخرّ على اليَـدَيْنِ الأبعـدُ
وابنَ الصموت تركتُ حين لَقِيتُه * فى صـدر مارنةٍ يقوم ويقعـد
وابنا ربيـعةَ فى الغُبـارِ كلاهما * وابنا غـنِىٍّ عامرٌ والأسْـوَدُ[3]
حتى تنفّس بعـد نَكْظٍ مُجْحَرًا[4] * أذهبتُ عنـه والفَـرائصُ تُرْعَدُ

٤٦ / ١٠ ٥

— النكظ الجهد . قال : —

يعـدو ببَزِّى سابحٌ ذو مَيْعـةٍ * نَهْـدُ المَرَاكلِ ذُو تَليـلٍ أقود[5]

فخطب اليه مالكٌ خَوْلةَ فأبى أن يزوّجه .

وأمّا بنـو جعفر فيزعمون أن عُرْوةَ الرَّحّال بن عُتْبَةَ بن جعفر وجد سِـنَانَ بن أبى حارثةَ وابنَيْه هَرِمًا ويزيدَ على غَديرٍ قد كاد العطش أن يُهلِكَهم، فجزّ نَوَاصيهم ١٠ وأعتقهم . ثم إن عُرْوةَ أتى سنانًا بعد ذلك يَستثيبه ثوابًا يرضاه [فلم يثبه شيئا][6] . فقال عروة فى ذلك :

أَلَا مَنْ مبلـغٌ عنِّى سِـنَانًا * أَلُوكًا لا أُريد بهـا عِتَابَا
أفى الخَضْراءِ تقسِمُ هَجْمَتيكم[7] * وعُرْوةُ لم يُثَبْ الا التُّرَابَا

---

(١) وردت هذه الكلمة فى الأصول مضطربة؛ ففى ب ، س : «لدا» . وفى أ ، م : «لدوا» . ١٥ وفى جـ : «للدا» . والتصويب من النقائض ، والرواية فيها : «وبغيته لددا» . واللدد : مصدر لددت فلانا ألده إذا خصمته وجادلته . (٢) أقبلت الشىء الشىء : جعلته قبالته . (٣) رواية النقائض :

وابنا بجيلة فى الغبار كلاهما وابن الغنى وعامر والأسود

(٤) المجحر : المضطر الملجأ . (٥) فى الأصول : «يعدو ببز» بدون الياء . والتصويب من النقائض . والسابح : الفرس الحسن مدّ اليدين فى الجرى . وميعة كل شىء : أوّله وأنشطه . والنهد : ٢٠ الجسم المرتفع . ومركل الدابة : حيث يركله الراكب برجله ليحثه على السير . والتليل : العنق . والأقود : إن كان وصفا لنهـد فهو المنقاد الذليل ، وإن كان وصفا لتليل فهو الطويل ، ويكون فى البيت إقواء .

(٦) زيادة عن النقائض . (٧) الخضراء من الناس : سوادهم ومعظمهم . والهجمة : القطعة الضخمة من الإبل واختلف فى مقدارها على عدة أقوال .

فلو كان الجعافرُ طاوعونى * غداةَ الشِّعْبِ لم تَذُقِ الشَّرَابا(١)

أَتجزِى القينَ نِعْمَتَها عليكم * ولا تجـزِى بنعمتها كِلابا

وأمّا بنو عامر فيزعمون أن سِنانًا انصرف ذات يوم هو وناسٌ من طيِّئ وغيرهم قبل الوَقْعة، فبلغه أنّ بنى عامر يقولون : مننّا عليه؛ فأنشأ يقول :

٥ والله ما مَنُّوا ولكن شِـكَّتِى * مَنَّتْ وحادرةُ المَنَاكِبِ صِلْدِمُ(٢)

بجرير شول(٣) يومَ يُدْعَى عامرٌ * لا عاجزٌ وَرَعٌ(٤) ولا مستسلِمُ

وأمّا بارقٌ فتدَّعى أسْرَ سِنَانٍ يومئذ على الثَّواب، ثم أتَوْه فلم يصنع بهم خيرًا. فقال معقِّر بن أَوْس بن حِمَار البارقىّ :

مَتَى تكُ فى ذُبْيانَ منك صنيعةٌ * فلا تحْمَدَنْها الدَّهرَ بعـد سِنَانِ

١٠ يَظَـلّ يُمَنِّينا بحسن ثوابه(٥) * لـكم مائةٌ يحـدو بهـا فرسَانِ

مخاضُ أُوَدِّيهـا وجـلّ لقائح(٦) * وأُكْرِمُ مثـوى منكـمُ مَن أتانى

---

(١) فى الأصول : « يذق » بالياء المثناة من تحت . والتصويب من النقائض .

(٢) الشكة : السلاح . وحادرة المناكب : غليظتها . والمناكب : جمع منكب (بكسر الكاف) وهو من الإنسان وغيره مجتمع رأس الكتف والعضد . وقد عللوا ورود الجمع فى مثل هذا فقال اللحيانى :
١٥ هو من الواحد الذى يفرّق فيجعل جمعا ، والعرب تفعل هذا كثيرا . وقياس قول سيبويه أن يكونوا ذهبوا فى ذلك الى تعظيم العضو ، كأنهم جعلوا كل طائفة منه منكبا . وصلدم : صلب شديد أو هو شديد الحافر . ويلحظ أن « حادرة المناكب » وصف لأنثى ، « وصلدما » وصف مذكر ، والأنثى « صلدمة » بهاء التأنيث .

(٣) فى جـ : « بجزير سول » . وفى النقائض : « بجزيز شول » بحاء مهملة وزايين معجمتين . وقد أثبتنا ما ورد فيه .   (٤) الورع : الجبان ، والضعيف فى رأيه وعقله وبدنه .

٢٠ (٥) فى أكثر الأصول : « يظل فينأى محسن بثوابه » والتصويب من جـ والنقائض .

(٦) ورد هذا الشطر فى النقائض هكذا :

* مخاض أؤديها لقائح مائة *

فجئناه للنُّعمى فكان ثوابَه * رَغوثٌ ووَطْبًا حازرٍ مَذِقان (١)

وظلّ ثلاثًا يسأل الحىّ ما يرى * يُؤامرهم (٢) فينا له أملان

فإن كنتَ هذا الدهرَ لابدّ شاكرًا * فلا تثقنْ بالشكر فى غَطَفان (٣)

تاريخ يوم جبلة

قال : وكان جَبَلةُ قبل الإسلام بتسع (٤) وخمسين سنة قبل مَوْلِد النبىّ صلّى الله عليه وسلم بتسع عشرة سنة . ووُلد النبىّ صلى الله عليه وسلم عامَ الفيل ، ثم أوحى الله اليه بعد أربعين سنة ، وقُبض وهو ابن ثلاث وستّين سنة ، وقدِم عليه عامرُ بن الطُّفَيل فى السنة التى قُبض فيها صلّى الله عليه وسلم ، قال : وهو ابن ثمانين سنة . وقال

ما قيل فى هذا اليوم من الشعر

المعقر بن أوس بن حِمارٍ البارقىّ حليفُ بنى نُمَيْرِ بن عامر :

أمِنْ آل شَعْثاءَ (٥) الحُمولُ البواكرُ * مع اللّيل أم (٦) زالتْ قُبَيْلَ الأباعرُ (٧)

وحلّت سُلَيْمَى فى هضابٍ وأيكةٍ * فليس عليها يومَ ذلك قادر

وألقتْ عصاها واستقرّت بها النّوَى * كما قرّ عينًا بالإياب المسافر

وصبّحها أملاكُها بكتيبةٍ * عليها إذا أمستْ من الله ناظرُ

(١) فى أكثر الأصول : «رغوثا ووطبا خازرا» والتصويب من جـ والنقائض . والمراد بالرغوث هنا : ذات اللبن . والوطب : سقاء اللبن . والحازر : الحامض . والمذق : اللبن المخلوط بالماء . يقال : مذقت اللبن أمذقه مذقا (من باب نصر) إذا خلطته بالماء ، فاللبن ممذوق ومذيق ومذق (بفتح فكسر) الأخيرة على النسب . (٢) يؤامرهم : يشاورهم . (٣) كذا ورد هذا البيت فى الأصول . وروايته فى النقائض :

فان كنت هذا الدهر لابدّ منعما * فلا تبغين الشكر فى غطفان

والمعنى على هذه الرواية واضح ؛ إذ هو يقول : إن كنت لابدّ منعما فى دهرك على أحد فلا تنعم على أحد من غطفان ؛ فانهم قوم يكفرون النعمة و يجحدون الصنيع . وظاهر أن الغموض فى رواية الأصل يرجع الى تحريف فيها . (٤) فى النقائض : «بسبع» . (٥) فى ب ، س : «آل شعفاء» بالفاء ، وهو تحريف . (٦) فى الأصول : «أن زالت» والتصويب من النقائض . (٧) كذا فى جـ والنقائض . وفى سائر الأصول : «الأعاصر» وهو تحريف .

٤٧/١٠

معاوية بن الجون ذبيان حوله * وحسان فى جمع الرباب مكاثر

فمـــروا بأطناب البيوت فردهم[1] * رجال بأطراف الرماح مساعر[2]

وقد جمعـوا جمعًا كأن زهـاءه * جراد هـوى فى هبـوة[3] متطاير

فباتوا لنـا ضـيفًا و بتنا بنعمة * لنـا مسمعات بالدفوف وسامر

٥ ولم نقرهم[4] شيئًا ولكن قصـدهم * صبوح لدينا مطلع الشمس حازر

صبحناهم عنـد الشروق كتائبًا[5] * كأركان سلمى شبرها متواتر

كأن نعـام الدو باض عليهـم[6] * وأعينهـم تحت الحبيك جواحر[7]

— الحبيك فى البيض إحكام عملها وطرائقها —

من الضار بين الكبش[8] يمشون مقدمًا * إذا غص بالريق القلـيل الحناجر

١٠ وظن سراة القـــوم ألا يقتـلوا[9] * إذا دعيت بالسفح[10] عبس وعامر

---

(١) الأطناب : حبال تشـد بها البيوت . والمراد بأطناب البيوت هنا : أطرافها ونواحيها ؛ ومن ذلك الحـديث : « مابين طنبي المدينة أحوج منى إليها » أى ما بين طرفيها . والمراد بالبيوت هنا الخيام التى تشد بالأطناب . (٢) مساعر : جمع مسعر (بكسر الميم وفتح العين) يقال : فلان مسعر حرب ، اذا كان يؤرثها ، فتحمى به الحرب . (٣) الهبوة : الغبار الثائر . (٤) فى الأصول :

١٥ ولم يغرهم شيئا ولكن قصـدهم * صبوح لنا من مطلع الشمس خازر

والتصـويب من النقائض . وحازر : حامض . (٥) الكتائب : فرق الجيش ، واحدها كتيبة . وسلمى هنا : جبل فى بلاد طيء . والشبر : الإعطاء . ومتواتر : متتابع . يصف الكتائب بالضخامة كأنها أركان جبـل سلمى المعروف . والمراد باعطائها المتـواتر : فتكها المتواصل .

(٦) يريد تشبيه ما على رءوسهم من بيض الحديد ببيض النعام . (٧) جواحر : غائرات .

٢٠ وفى ب ، س : « جواهر » وهو تحريف . (٨) كبش القوم : رئيسهم وسيدهم أو هو حاميهم والمنظور اليه فيهم . (٩) فى جـ والنقائض : «أن لن يقتلوا» . (١٠) فى الأصول : « بالصفح » والتصويب من النقائض . وسفح الجبـل : أسـفله حيث يسفح فيـه الماء . ولعله يعنى به مكانا بعينه .

ضربنا حَبِيكَ البَيْضِ فى غَمْرِ لُجَّةٍ * فلم يَبْقَ[1] فى الناجين منهم مفاخرُ

ولم ينجُ إلَّا مَنْ يكون طِمِرَّهُ[2] * يُوَائِلُ أو نَهْدٌ مُلِحٌّ مُثَابِرُ

هَوَى زَهْدَمٌ تحت الغُبَار لحاجبٍ * كما انْقَضَّ أقنَى[3] ذو جناحين ماهرُ[4]

هما بطلان يَعْثُرَان كلاهما * أراد رئاس السيف[5] والسيف نادر

ولا فضلَ إلا أن يكون جَرَاءَةٌ * وذُبْيَانُ[6] تسمو والرءوس حواسرُ

يَنُوءُ وكَفًّا زَهْدَمٍ من ورائه * وقد عَلِقَتْ ما بينهن الأظافرُ

يفرِّج عنّا كلَّ ثَغْرٍ نخافُه * مِسَحٌّ[7] كسِرْحان القَصِيمةِ ضامرُ

— القصيمة من الرمل: ما أنبتت الغَضَى والرِّمْث —

وكلُّ طَمُوحٍ فى العِنَان كأنّها * إذا اغتمست فى الماء فَتْخاءُ[8] كاسرُ

لها ناهضٌ[9] فى المهد قد مَهَدَتْ له * كما مَهَدَتْ[10] للبَعْلِ حسناءُ عاقرُ

---

(١) فى النقائض : «فلم ينج فى الناجين» . (٢) فى أكثر الأصول : «بطمره * بوائل» والتصويب من حـ والنقائض . والطمر : الفرس الجواد ، أو المستفز للوثب ، أو هو الطويل القوائم الخفيف . ويوائل : يبادر الى ملجأ لينجو . والنهد : القوى الضخم . يقال فرس نهد ، وشاب نهد .

(٣) القنا : نتوء فى وسط قصبة الأنف وإشراف ، وقيل : هو فى الصقر والبازى اعوجاج فى المنقار .

(٤) فى ا ، م : "قاهر" . (٥) وردت هذه الكلمة محرفة فى الأصول ؛ ففى حـ : « إذا أرد بأس السيف » . وفى سائر الأصول . إذا ردّ بأس السيف » . والتصويب من النقائض . ورئاس السيف مقبضه . ونادر : ساقط . يقول : ان كل واحد منهما يطلب رئاس السيف لقتل صاحبه . (٦) فى النقائض . « وذو بدنين والرءوس » . والبدن هنا الدرع .

(٧) فى النقائض : "جاسر" . والمسح : الفرس الجواد السريع كأنه يصب الجرى صبا ، شبه بالمطر فى سرعة انصبابه . والسرحان : الذئب . (٨) الفتخاء الكاسر : العقاب . والفتخ (بالتحريك) : اللين فى المفاصل وغيرها . والعقاب اذا انحطت كسرت جناحيها وغمزتهما ، وهذا لا يكون الا من اللين ، فهى فتخاء . (٩) الناهض : الفرخ الذى وفر جناحاه حتى استقل للنهوض .

(١٠) فى الأصول : « نهدت » والتصويب من النقائض .

— وبهذا البيت سمّى مُعَقِّراً واسمه سُفيان بن أَوْس . وإنما خصّ العاقر لأنها أقلّ دلًّا[١] على الزوج من الوَلُود فهى تصنع له وتُداريه —

تخاف نِساءً يبتدرن حليلَها * مُحَرَّدةً[٢] قد حَرَّدَتْها الضرائرُ

وقال عامر بن الطُّفَيل بعد ذلك بدَهْرٍ :

٥ ويومَ الجَمع لاقينا لَقِيطاً * كَسَوْنا رأسَه عَضْباً حُساما[٣]

أَسَرْنا حاجباً فثوى بقِدٍّ[٤] * ولم نترك لنسوته سَواما

وجَمعُ الجَوْن[٥] إذ دَلَفُوا إلينا * صَبَحْنا جَمعَهم جيشاً لُهاما[٦]

وقال لَبِيدُ بن رَبِيعة فى ذلك :

وهُمُ حُماةُ الشِّعْب يومَ تواكلت * أَسَدٌ وذُبْيانُ الصَّفَا وتميمُ

١٠ فارتُثّ[٧] كَلْماهم عَشِيّةَ هَزْمِهم * حَىٌّ[٨] بمُنعرَجِ المَسِيلِ مُقيمُ

تم اليومُ والحمد لله .

* * *

صوت

أيجمُلُ ما يُؤْتَى إلى فتياتكم * وأنتم رجالٌ فيكم عَدَدُ النمْلِ

١٥ فلو أننا كنّا رجالاً وكنتمُ * نساءً حِجالٍ لم نُقِرَّ[٩] بذا الفعلِ

(١) فى ح والنقائض : «دالة» . (٢) التحريد هنا : من الحرد بمعنى الغيظ والغضب ، أى إن ضرائرها أغضبنها وغظنها . (٣) العضب : السيف . وحسام : قاطع . (٤) كذا فى ح والنقائض . وفى سائر الأصول : «بقيد» . والقد (بالكسر) : سير يقد من جلد غير مدبوغ . والسوام : الابل الراعية . يريد أنه لم يترك للنساء مالا . (٥) فى الأصول : «وجمع الحزم» . والتصويب
٢٠ من النقائض . (٦) وردت هذه الكلمة فى الأصول محرفة ؛ ففى ح : «كحيا لهاما» . وفى سائر الأصول : «بجبال هاما» . والتصويب من النقائض . واللهام : الكثير . (٧) الارتثاث : أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنته الجراح . والكلمى : جمع كليم وهو الجريح .
(٨) فى ب ، س : «حتى» وهو تحريف . (٩) كذا فى ح وكل الأصول فيما يأتى (ص ١٦٦) . وفى سائر الأصول هنا : «لم نغير» . وفى كتاب الصبح المنير فى شعر أبى بصير (ص ٧٤
٢٥ طبع مطبعة آدلف هولزهوسن بيانة) : «لا نقر على الذل» .

الشعر لعَفِيرةَ بنت عِفارٍ[١] — وقيل بنت عبّاد — الجَدِيسيّة التى يقال لها الشَّمُوس .
والغناء لعَرِيبَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق فى مجرى البنصر . وفيه لحنٌ من الثقيل
الأوّل قديم .

عمليق ملك طسم وجديس وسبب قتله

أخبرنى بهذا الشعر والسبب الذى من أجله قِيل علىّ بن سليمان الأخفش عن
السُّكَّرىّ عن محمد بن حبيبَ عن ابن الأعرابى عن المُفَضّل أن عِمْليقًا مَلِكَ طَسْمٍ
ابن لَاوَذَ بنِ إرَمَ بن سامِ بن نُوحٍ عليه السلامُ، وجَدِيس بن لَاوَذَ بنِ إرَم بن سام
ابن نوح عليه السلام، وكانت منازلهم فى موضع اليَمَامة[٢]، كان فى أوّل مملكته
قد تمادَى فى الظّلم والغَشْمِ والسِّيرة بغير الحقّ، وأنّ امرأةً من جَدِيسٍ كان يقال لها

احتكام امرأة من جديس وزوجها اليه

هُزَيْلَةُ، وكان لها زوج يقال له قرقس[٣]، فطلّقها وأراد أخْذَ ولدها منها، فخاصمته
الى عِمْليقٍ، فقالت : "يأيها الملك إنِّى حملته تسعا، ووضعته دَفْعًا، وأرضعته شَفْعًا،
حتى إذا تمّتْ أوصالُه، ودنا فِصالُه، أراد أن يأخذَه منِّى كَرْهًا، ويتركُنى من بعده
وَرْهَا[٤]". فقال لزوجها : ما حُجّتُك؟ قال : "حُجّتى أيها الملك أنّى قد أعطيتُها المَهْرَ
كاملا، ولم أصِبْ منها طائلا، إلّا وليدًا خاملا[٥]، فافعَلْ ما كنتَ فاعلا". فأمَرَ
بالغلام أن يُنْزَع منهما جميعًا ويُجْعلَ فى غِلْمانه، وقال لهُزَيلة : «ابْغِيه ولدًا،

---

(١) كذا فى الصبح المنير ونسخة من الكامل لابن الأثير أشير اليها فى ذيل النسخة المطبوعة فى أوربا (ج ١ ص ٢٥١). وفى الأصول : بنت «عفان». (٢) فى الأصول الخطية : «وكان...» بزيادة الواو وهو تحريف. (٣) كذا فى حـ. وفى ا، م : «فرس». وفى ب، س : «ماشق». ولم نهتد اليه. (٤) كذا فى الأصول وكتاب الكامل لابن الأثير. والورهاء (بالمد وقصرت هنا للسجع) : الخرقاء. وفى نسخة من كتاب الكامل لابن الأثير أشير اليها فى ذيل النسخة المطبوعة فى أوربا : «ولهى». والوله : الحزن وذهاب العقل لفقدان الحبيب. وهذه الرواية هى المناسبة هنا. (٥) فى الأصول : «حاملا» بالحاء المهملة، والتصويب من الكامل لابن الأثير والصبح المنير.

ولا تَنْكِحى أحدًا، وٱجْزِيه صَفَدًا[1] » . فقالت هزيلة : « أمّا النكاح فإنما يكون بالمَهْر، وأمّا السِّفاح فإنما يكون بالقَهْر، وما لى فيهما من أمر » . فلما سمع ذلك عِمْليقٌ أمر بأن تباعَ هى وزوجها، فيُعْطَى زوجُها خُمْسَ ثمنها، وتُعطَى هُزَيلةُ عُشْرَ ثمن زوجها . فأنشأتْ تقول :

٥ أتينا أخا طسم ليحكم بيننا * فأنفذ حكما فى هزيلة ظالما

لَعَمْرِى لقد حُكِّمْتَ لا مُتَورِّعًا * ولا كنتَ فيما تبرمُ[2] الحكم عالما

نَدِمتُ ولم أنْدَمْ وأنّى بعَـثْرتى[3] * وأصبح بعلى فى الحكومة نادِما

أمر ألا تزوج بكر من جديس حتى يفترعها

فلمّا سمع عمليقٌ قولها أمر ألّا تزوّج بِكْرٌ من جَدِيس وتُهْدَى الى زوجها حتى يفترعها هو قبـل زوجها ، فلقُوا من ذلك بلاءً وجهـدًا وذُلًّا . فلم يزل يفعل هـذا حتى

١٠ زُوِّجت الشَّمُوس وهى عَفِيرةُ بنت عَبّاد أُخت الأسْوَد الذى وقَع[4] الى جبل طيّئ فقتلته طيّئ وسكنوا الجبل مِن بعده . فلمّا أرادوا حَمْلَها الى زوجها آنطلقوا بها الى عِمْلِيقٍ لينالَها قبله ، ومعها القِيانُ يتغنّين :

اِبدِىْ[5] بِعِمْلِيقٍ وقُومِى فٱرْكَبِى * وبَادِرِى الصُّبْحَ لأمرٍ مُعْجِبِ

فسوف تَلْقَيْنَ الذى لم تطلُبِى * وما لِبِكْرٍ عنده[6] من مَهْرَبِ

تحريض عفيرة بنت عباد قومها عليه

١٥ فلمّا أنْ دخلتْ عليه آفترعها وخلّى سبيلَها . فخرجتْ إلى قومها فى دِمائها شاقّةً درْعَها من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ والدّمُ يسيل وهى فى أقبح مَنْظَرٍ، وهى تقول :

لا أحدٌ أذَلّ مِن جَدِيسِ * أهكذا يُفْعَلُ بالعَرُوسِ

٤٩/١٠

(١) الصفد (بالتحريك) : العطاء . (٢) فى الأصول : « يبرم » بالياء المثناة من تحت . وفى الكامل لابن الأثير : « فيمن يبرم » . وفى الصبح المنير : « ممن يبرم » . (٣) كذا فى حـ

٢٠ والكامل لابن الأثير . وفى ب ، س : « لعترتى » . وفى ا ، م : « قدمت ولم أندم وأنى بعترتى » . وكلاهما تحريف . (٤) فى ب ، س : « دفع » . (٥) ابدى : أمر للانثى من « بدأ » مع تسهيل الهمزة . (٦) فى الصبح المنير : « بعد ذا » .

يرضَى بهـذا يا لَقَـوْمِى حُرٌّ[١] * أَهْدَى وقد أعطَى وسِيقَ المَهْرُ
لأخـذَةُ المـوتِ كذا لنفسه * خيرٌ مِنَ أنْ يُفعَلَ ذا بعِـرْسِه

وقالت تحرِّض قومها فيما أُتِيَ اليها :

أيَجْمُـلُ ما يُؤْتَى الى فَتَياتِكـم * وأنتم رجالٌ فيكم عَدَدُ النَّمْـلِ
وتُصْبِـحُ تمشِى فى الدِّماء عَفِيرةً[٢] * جِهاراً[٣] وزُفَّتْ فى النساء الى بعل
ولو أننـا كنا رجالًا وكنتم * نسـاءً لَكُنّا لا نقِـرّ بذا الفعل
فمـوتُوا كِرامًا أو أميتـوا عدُوَّكم * ودِبُّوا لنار الحرب بالحَطَبِ الجَزْل
و إلا تَخَـلُّوا بطنَها وتحمَّـلوا * الى بَـلَدٍ قَفْـرٍ ومُوتوا من الهُزُلِ
فللبينُ خيرٌ من مُقامٍ[٤] على أذًى * ولَلْمَوْتُ خير من مُقامٍ على الذُّلّ
وإن أنتمُ لم تغضبوا بعدَ هـذه * فكونوا نساءً لا تُعابُ[٥] من الكُحْلِ
ودونَكمُ طِيبَ العـروس فإنما * خُلِقتم لأثواب العـروس وللغِسْلِ[٦]
فبُعْدًا وسُحْقـًا للذى ليس دافعـًا * ويختال يمشى بيننا مِشْيَةَ الفَحْل

ائتمار جديس للغدر به و بقومه

فلمّـا سمع الأسود أخوها ذلك وكان سيِّدا مطاعا قال لقومه : يا معشر جَديس ! إن هؤلاء القـوم ليسوا بأعزّ منكم فى داركم إلا بما كان من مُلْك صاحبهم علينا وعليهـم ، ولولا عجزُنا و إدهانُنا[٧] ما كان له فضلٌ علينا . ولو امتنعنا لكان لنا منه النَّصَفُ[٨] . فأطيعونى فيما آمرُكم به ، فإنّه عِزُّ الدهر، وذهابُ ذلّ العمر ، وأقْبلوا

(١) فى الكامل : * يرضى بذا يا قـوم بعل حر *
(٢) فى ج : « فى الدجا » . وفى سائر الأصول : « فى الرغاء » . والتصويب من كتاب الكامل لابن الأثير والصبح المنير . (٣) هـذه رواية الكامل . وفى الأصول : « عفيرة زفت » . وفى الصبح المنير : « عشية زفت » . (٤) كذا فى ج وكتاب الكامل والصبح المنير . وفى سائر الأصول : « من تماد» . (٥) فى الصبح المنير : «لا تغب عن الكحل» . (٦) كذا فى ج وكتاب الكامل . وفى سائر الأصول : « وللنسل » . والغسل (بالكسر) : ما يغتسل به .
(٧) الإدهان : المصانعة واللين مثل المداهنة . (٨) النصف (بالتحريك) : إعطاء الحق مثل النصفة والإنصاف .

رأيى . قال : وقد أحمى جديسًا ما سمعوا من قولها فقالوا : نُطيعك، ولكنّ القومَ أكثر وأحمى وأقوى . قال فإنّي أصنع للملك طعامًا ثم أدعوهم له جميعا . فإذا جاءوا يرفُلون فى الحُـلَلِ ثُرْنا الى سيوفنا وهم غارّون فأهمدناهم بها[١] . قالوا : نفعل . فصنع طعامًا كثيرا وخرج به الى ظهر بلدهم، ودعا عمليقًا وسأله أن يتغدّى عنده هو وأهل بيته، فأجابه[٢] الى ذلك وخرج اليه مع أهله يرفُلون فى الحلى والحُلَل، حتى إذا أخذوا مجالسهم ومدّوا أيديهم الى الطعام، أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم، فشدّ الأسود على عمليق فقتله، وكلُّ رجل منهم على جليسه حتى أماتوهم . فلمّا فرغوا من الأشراف شدّوا على السِّفْلةِ فلم يَدَعوا منهم أحدًا . فقال الأسود فى ذلك :

ذُوقِى ببغيك ياطَسْمُ مجلّلةً * فقد أتيتِ لَعَمْرِى أعجبَ العجبِ
إنّا أبينا[٣] فلم ننفكّ نقتلُهم * والبَغْىُ هيّج منّا سَورةَ الغضب
ولن يعودَ علينا بغيُهم أبدًا * ولن يكونوا كذى أَنْفٍ ولا ذنب
وإن رعَيْتم لنا قُرْبَى مُؤكَّدةً * كنّا الأقاربَ فى الأرحام والنسب

غزوة حسان بن تبع لجديس وهروب الأسود وقتل طيئ له

٥٠
――
١٠

ثم إن بقيّة طسم لجئوا إلى حسّان بن تُبّع، فغزا جديسًا فقتلها وأخرب بلادها. فهرب الأسود قاتل عمليق، فأقام بجبلى طيّئ قبل نزول طيئ إيّاهما . وكانت طيئ تسكن الجُرْفَ من أرض اليمن، وهو اليومَ مَحَلّة مُراد وهَمْدان، وكان سيّدُهم يومئذ أسامة بن لؤىّ بن الغَوْث بن طيّئ، وكان الوادى مَسْبَعةً، وهم قليلٌ عَدَدُهم، وقد كان ينتابهم بعيرٌ فى أزمان الخريف ولم يُدْرَ أين يذهب ولم يَرَوْه الى قابلٍ، وكانت

(١) الغارّ : الغافل . وأهمدناهم : أمتناهم . (٢) فى الأصول : « فأجابهم » .
(٣) كذا فى ج . وفى سائر الأصول : « أتينا » .

الأَزْدُ قد خرجتْ من اليمن أيام العَرِم(١)، فآستوحشت طيٌّ(٢) لذلك وقالت : قد ظَعَن إخواننا فصاروا الى الأرياف . فلما همّوا بالظَّعْنِ قالوا لأُسامة : إنّ هذا البعير يأتينا من بلدٍ رِيفٍ وخِصْبٍ، و إنّا لنرى فى بَعَره النّوَى . فلو أننا نتعهّده عند انصرافه فشخَصنا معه لكنّا نُصيب مكانًا خيرًا من مكاننا هذا . فأَجْمَعُوا أمرَهم على ذلك . فلمّا كان الخريف جاء البعيرُ فضرب فى إبلهم، فلمّا انصرف احتملوا واتّبعوه يسيرون بسيره و يبيتون حيث يبيت حتى هبَط على الجبلين . فقال أُسامة بن لؤىّ :

اِجْعَلْ طَرِيبًا كحَبيبٍ يُنْسَى(٣) * لكل قَوْمٍ مُصْبَحٌ ومُمْسَى

قال : وطَرِيبٌ(٤) اسم الموضع الذى كانوا ينزلون به . فهجمت طيٌّ على النخل فى الشِّعاب وعلى مواشٍ كثيرة، و إذا هم برجلٍ فى شِعْبٍ من تلك الشِّعاب وهو الأسود بن عَبّاد، فهالَهم ما رأَوْا من عِظَم خَلْقه وتخوّفوه، وقد نزلوا ناحيةً من الأرض واستَبرءوها هل يرون بها أحدًا غيرَه فلم يَرَوْا . فقال أُسامة بن لؤىّ لآبن له يقال له الغَوْث : أىْ بُنَىّ ! إنّ قومك قد عرَفوا فضلَك عليهم فى الجَلَد والبأس والرمى، فإن كَفَيْتَنا هذا الرجل سُدْتَ قومَك آخِرَ الدهر، وكنت الذى أنزلتَنا هذا البلد . فآنطلق الغوث حتى أتى الرجلَ فكلّمه وساءله . فعجِب الأسود من صِغَر خَلْق الغوث فقال له : من أين أقبلتم ؟ قال : من اليمن، وأخبره خبرَ البعير ومجيئهم معه،

(١) كذا فى ج وقد صححها كذلك المرحوم الشنقيطى فى نسخته الخاصة من طبعة بلاق . وفى سائر الأصول : « أيام الصرم » وهو تحريف . (٢) فى الأصول « بلى » والتصويب من نسخة الشنقيطى . (٣) كذا صححه المرحوم الشنقيطى فى نسخته . وفى الأصول : « جعلت طريفا كحب يبسا » وفى ج : « ينسى » وهو تحريف . وفى كتاب « صفة جزيرة العرب » لأبى محمد الحسن بن أحمد الهمدانى صفحة ٢٥٣ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٤ م : « وطريب موضع طيّ الذى انتجعوا منه الى الجبلين » . (٤) فى الأصول : « وطريف » وهو تحريف كما تقدّم .

وأنهم رهِبوا ما رأوا من عِظَم خَلْقه وصِغَرهم عنه ، وشغلوه بالكلام ، فرماه الغَوْثُ بسهمٍ فقتله ، وأقامت طيئٌ بالجبلين بعده ، فهم هنالك الى اليوم .

⁂

صــوت

إذا قبّل الإنسانُ آخرَ يشتهى * ثنـاياه لم يَحْرَجْ وكان له أجرا
فإن زاد زاد اللهُ فى حَسَـناته * مثاقيلَ يمحو الله عنه بهـا وِزْرا

الشعر لرجل من عُذْرَةَ . والغناء لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

حديث عمر بن أبى ربيعة عن صاحبه الجعد بن مهجع العذرى

نسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن موسى بن حمّاد قال ذكر الرِّياشىّ قال قال حمّاد الراوية . أتيتُ مكةَ فجلستُ فى حَلْقةٍ فيها عمرُ بن أبى رَبيعةَ، فتذاكروا من العُذْرِيّين ، فقال عمر بن أبى ربيعة : كان لى صديقٌ من عُذْرَةَ يقال له الجَعْدُ ابن مِهْجَعٍ ، وكان أحدَ بنى سَلامانَ ، وكان يَلْقَى مثل الذى ألقى من الصَّبابة بالنساء والوجد بهن ، على أنه كان لا عاهرَ الخَلْوة ولا سَرِيعَ السَّلْوة ، وكان يُوافى الموسمَ فى كلّ سنة ؛ فإذا راث[1] عن وقته تَرَجَّمتُ[2] عنه الأخبارَ ، وتوكّفتُ له الأسفارَ حتى يقدَم . فغمّنى ذاتَ سـنةٍ إبطاؤه حتى قـدِم حُجّاج عُذْرَةَ ، فأتيتُ القومَ أَنْشُـد صاحبى ، وإذا غلامٌ قد تنفّس الصُّعَداء ثم قال : أعَنْ أبى المُسْهِرِ تسأل ؟ قلت : عنه أسأل وإيّاه أردتُ . قال : هيهاتَ هيهات ! أصبح والله أبو المُسْهِرِ لا مُؤْيِساً فيُهْمَل ولا مرجوّا فيعلَّل ، أصبح والله كما قال القائل :

لَعَمْرُكَ ما حُبّى لأسماء تاركى * أعيشُ ولا أقضِى به فأموت

(١) راث : أبطأ . (٢) ترجمت : تظننت ، من الرجم بمعنى الظن والحدس . وتوكفت توقعت وانتظرت . والأسفار : جماعة المسافرين ؛ يقال قوم أسفار، وسفار (بضم السين وتشديد الفاء) وسفر (بفتح فسكون) ، وسافرة .

قال قلت : وما الذى به ؟ قال : مثل الذى بك من تهوُّركما فى الضَّلال ، وجَرِّكما أذيالَ الخَسار ، فكأنكما لم تسمعا بجَنّة ولا نار . قلت : مَنْ أنت منه يابنَ أخى ؟ قال : أخوه . قلت : أمَا واللهِ يابن أخى ما يمنعك أن تسلُكَ مَسْلَكَ أخيك من الأدب وأن تركب منه مركبه إلا أنّك وأخاك كالبُرْدِ والبِجَادِ لا تَرْقَعُه ولا يَرْقَعُك ، ثم صَرَفتُ وجهَ ناقتى وأنا أقول : ٥

أرائحةٌ حُجّاجُ عُذْرَةَ وِجْهةً * ولمّا يَرُحْ فى القوم جَعْدُ بنُ مِهْجَعِ
خليلانِ نشكو ما نُلاقِي من الهوى * متى ما يَقُلْ أَسْمَعْ وإن قلتُ يَسمعِ
ألَا ليت شعرى أىُّ شيءٍ أصابه * فلى زَفَراتٌ هِجْنَ ما بين أضلُعى
فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ خِلًّا فإننى * سألقَى كما لاقيتَ فى كلِّ مَصْرَعِ

ثم انطلقتُ حتى وقفت موقفى من عَرَفات . فبينا أنا كذلك إذ أنا بإنسان قد تغيّر لونُه وساءت هيئته ، فأدنى ناقتَه من ناقتى حتى خالف بين أعناقهما ، ثم عانقنى وبكى حتى اشتدّ بكاؤه . فقلت : ما وراءك ؟ فقال : بَرْحُ العَذْلِ ، وطُولُ المَطْلِ ، ثم أنشأ يقول : ١٠

لئن كانت عُدَيّةُ ذاتَ لُبٍّ * لقد علمتْ بأنّ الحبّ داء
ألم تنظُرْ إلى تغيير جسمى * وأنّى لا يفارقُنى البكاء ١٥
ولو أنّى تكلّفتُ الذى بى * لقَفَّ[1] الكَلْمُ وانكشف الغطاء
فإنّ معاشرى ورجال قومى * حُتُوفُهم الصَّبابةُ واللِّقاء
إذا العُذْرِىُّ مات خَلِيَّ ذَرْعٍ * فذاك العبدُ يبكيه الرِّشاء

---

(١) قف : يبس ، يريد التأم . يقول : لو أنى حاولت الذى بى وتكلفته لسهل على أن أبرأ منه ، ولكنه قدر من الله لا محيص منه . ٢٠

فقلت : يا أبا المُسْهِرِ إنها ساعةٌ تُضْرَب إليها أكباد الإبل من شَرْقِ الأرض وغَرْبها، فلو دعوتَ الله كنتَ قَمِنًا أن تظفَر بحاجتك وأن تُنْصَرَ على عَدُوِّك . قال : فتركنى وأقبل على الدعاء . فلمّا نزلتِ الشمسُ للغروب وهمّ الناسُ أن يُفِيضوا سمعتُه يتكلّم بشىء، فأصغيتُ إليه، فإذا هو يقول :

٥ يا رَبَّ كلِّ غَدْوةٍ ورَوْحَهْ * من مُحْرِمٍ يشكو الضُّحَى ولَوْحَهْ

* أنت حسيبُ الخَلْق يومَ الدَّوْحَهْ *

الجعد بن مهجع يذكر لعمر سبب عشقه ومسعى عمر فى زواجه ممن عشقها

فقلت له : وما يوم الدوحة ؟ قال : والله لأخبرنّك ولو لم تسألنى . فيمّمنا نحو مُزْدَلِفَةَ، فأقبل علىّ وقال : إنى رجلٌ ذو مال كثيرٍ من نَعَمٍ وشاءٍ، وذو المال لا يُصْدِره ولا يُرْوِيه الثِّماد[1] . وقطَر[2] الغيثُ أرضَ كَلْبٍ، فٱنتجعتُ أخوالى منهم، ١٠ فأوسعوا لى عن صدر المجلس وسَقَونى جُمَّةَ[3] الماء، وكنتُ فيهم فى خير أخوال . ثم إنّى عزمتُ على موافقة إبلى بماء لهم يقال له الحَوْذانُ، فركبتُ فرسى وسَمَطت[4] خَلْفى شرابًا كان أهداه إلىّ بعضهم ثم مضيت، حتى إذا كنت بين الحىّ ومَرْعَى النَّعَم رُفِعتْ[5] لى دَوْحةٌ عظيمةٌ، فنزلتُ عن فرسى وشددته بغصن من أغصانها وجلستُ فى ظلِّها . فبينا أنا كذلك إذ سطع غبارٌ من ناحية الحىّ ورُفِعتْ لى شخوصُ ١٥ ثلاثة، ثم تبيّنتُ فإذا فارس يطرُد مِسْحَلًا[6] وأتانًا، فتأمّلته فإذا عليه درعٌ أصفرُ وعمامةُ خزٍّ سوداءُ، و إذا فُروع شعره تضرب خَصْرَيه، فقلت : غُلامٌ حديثُ عهدٍ بعُرْس أعجلته لذّةُ الصيد فترك ثوبَه ولبس ثوب ٱمرأته . فما جاز علىّ إلا يسيرًا حتى طعَن المِسْحَلَ وثنّى طعنةً للأتان فصرَعهما، وأقبل راجعًا نحوى وهو يقول :

52/10

---

(١) الثماد : جمع ثمد (بالتحريك و بالفتح) وهو الماء القليل الذى لا مادّ له . (٢) كذا فى ج . ٢٠ وفى سائر الأصول : « ونضر الغيث » وهو تحريف . (٣) جمة الماء (بالضم) : معظمه . (٤) سمط هنا : علق . (٥) رفع لى الشىء : أبصرته من بعيد . (٦) المسحل : الحمار الوحشي . والأتان : الحمارة الوحشية .

نَطْعنُهم سُلْكَى ومخلوجةً * كَرَّكَ لَأْمَيْنِ على نابِلِ (١)

فقلت : إنك قد تَعِبتَ وأتعبتَ ، فلو نزلتَ ! فثنى رجلَه فنزل فشدّ فرَسَه بغصن من أغصان الشجرة وألقى رمحه وأقبل حتى جلس ، فجعل يحدّثنى حديثا ذكرتُ به قولَ أبى ذُؤَيب :

وإنّ حديثًا منكِ لو تبذُلِينَه * جَنَى النَّحلِ فى ألبان عُوذٍ مَطَافِلِ (٢)

فقمتُ إلى فرسى فأصلحتُ من أمره ثم رجعتُ ، وقد حسَر العمامةَ عن رأسه ، فإذا غلامٌ كأنّ وجهه الدينارُ المنقوش . فقلت : سبحانَك اللّهُمّ ! ما أعظمَ قُدْرتَك وأحسنَ صَنْعتَك ! . فقال : مِمّ ذاك ؟ قلت : مما راعنى من جمالك وبَهرنى من نُورك . قال : وما الذى يروعُك من حبيس التُّراب ، وأكِيل الدوابّ ، ثم لا يدرى أينعَم بعد ذلك أم ييأس . قلت : لا يصنَع الله بك إلّا خيرًا . ثم تحدّثنا ساعة ، فأقبل علىّ وقال : ماهذا الذى أرى قد سَمّطْتَ فى سَرْجِك ؟ قلتُ : شرابٌ أهداه الىّ بعضُ أهلك ، فهل لك فيه من أرَبٍ؟ قال : أنت وذاك . فأتيتُه به ، فشرِب

(١) البيت لامرئ القيس . والسلكى : الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه . والمخلوجة : الطعنة المعوجة عن يمين وشمال . واللأم : السهم عليه ريش لؤام . واللؤام من الريش : ما يلائم بعضه بعضا ، وهو ما كان بطن القذة منه يلى ظهر الأخرى ، وهو أجود ما يكون . فاذا التقى بطنان أو ظهران فهو لغاب ولغب . والنابل : صاحب النبل . يصف الطعن بأنه كان يذهب فيهم و يرجع سريعا كما تردّ سهمين على رام رمى بهما . وقيل سئل امرؤالقيس وهو يشرب مع علقمة بن عبدة عن معنى قوله «كرك لأمين» فقال : مررت بنابل وصاحبه يناوله الريش لؤاما وظهارا ، فما رأيت أسرع منه فشبهت به . وقال القتيبى : إنما هو «كر كلامين» أى تكرير كلام بمعنى قول القائل للرامى : إرم ارم ، أى ليس بين الطعن والطعن إلا بمقدار ارم ارم . وقال زيد بن كندة : يريد أنه يطعن طعنتين مختلفتين و يوالى بينهما كما يوالى هذا القائل بين هاتين الكلمتين . (راجع لسان العرب فى المواد خلج وسلك ولأم ، وشرح ديوان امرئ القيس للوزير أبى بكر عاصم بن أيوب) . (٢) عوذ : جمع عائذ وهى الحديثة النتاج إلى خمسة عشر يوما أو نحوها ثم هى بعد ذلك مطفل .

منه وجعل ينكت أحيانًا بالسَّوط على ثناياه، فجعل والله يتبيّن لى ظِلُّ السوط فيهن. فقلت: مهلًا فإنى خائفٌ أن تكسرهنّ. فقال: ولِمَ؟ قلت: لأنهن رِقاقٌ وهنّ عِذابٌ. قال: ثم رفع عقيرته يتغنّى:

إذا قبّل الإنسانُ آخر يشتهى * ثناياه لَمْ يأثمْ وكان له أجْرًا

٥ فإن زاد زاد الله فى حسناته * مثاقيلَ يمحو الله عنه بها الوِزْرَا

ثم قام إلى فرسه فأصلح من أمره ثم رجع. قال: فبرقتْ لى بارقةٌ تحت الدِّرْع، فإذا ثَدْىٌ كأنه حُقُّ عاجٍ. فقلت: نَشَدْتُك الله أمْرأةٌ؟ قالت: إى والله إلّا أنّى أكره العشيرَ وأحبّ الغَزَل. ثم جلستْ فجعلت تشرب معى ما أفقد من أنسها شيئًا حتى نظرتُ الى عينيها كأنّهما عينا مَهاةٍ مذعورة. فوالله ما راعنى إلّا مَيْلُها على

١٠ الدوحة سَكْرَى. فزُيِّن لى والله الغدرُ وحَسُنَ فى عينى، ثم إنّ الله عصمنى منه، فجلستُ مَجْرةً منها. فما لبثتْ إلّا يسيرًا حتى انتبهتْ فَزِعةً، فلاثت عِمامتها برأسها، وجالت فى مَتْن فرسها، وقالت: جزاك الله عن الصُّحْبة خيرا. قلت: أوَ ما تزوِّدينى منك زادًا؟ فناولتنى يدَها، فقبّلتها فشَمِمْتُ والله منها ريحَ المسك المفتوت، فذكرتُ قول الشاعر:

١٥ كأنها إذ تقضّى النوم وانتبهت * سَحَابةٌ مالها عينٌ ولا أثرُ

قلت: وأين الموعدُ؟ قالت: إنّ لى إخوةً شُرسًا وأبا غَيُورا. ووالله لأن أَسُرّك أحبّ إلىّ من أن أضُرّك، ثم انصرفت. فجعلت أُتبعها بصرى حتى غابت، فهى والله يابنَ أبى ربيعة أحلّتنى هذا المحَلَّ وأبلغتنى. فقلت له: يا أبا المُسْهِر إنّ الغدر بك مع ما تذكر لمليح. فبكى واشتدّ بكاؤه. فقلت: لاتَبْكِ، فما قلتُ لك ما قلتُ

٥٣/١٠

٢٠ إلا مازحًا، ولولم أبلُغ فى حاجتك بمالى لسعيت فى ذلك حتى أقدرَ عليه، فقال لى:

خيرًا. فلمّا انقضى الموسمُ شددتُ على ناقتى وشدّ على ناقته، ودعوت غلامى فشدّ على بعيرله، وحملتُ عليه قبّة حمراء من أَدَمٍ كانت لأبى ربيعة المخزومىّ، وحملتُ معى ألفَ دينار ومِطْرَفَ خَزٍّ، وانطلقنا حتى أتينا بلادَ كَلْبٍ، فنَشَدْنا عن أبى الجارية فوجدناه فى نادى قومه، وإذا هو سيّد الحىّ وإذا الناس حَوْلَه، فوقفتُ على القوم فسلّمت، فردّ الشيخ السلام، ثم قال: مَنِ الرجل؟ قلت: عمر بن أبى ربيعة بن المُغيرة. فقال: المعروف غيرُ المنكر، فما الذى جاء بك؟ قلت: خاطباً. قال: الكُفْءُ والرَّغْبَةُ. قلت: إنى لم آتِ ذلك لنفسى عن غير زَهَادةٍ فيك ولا جهالةٍ بشَرَفك، ولكنى أتيتُ فى حاجة ابن أختكم العُذْرىّ، وهاهو ذاك. فقال: والله إنّه لكَفِىءُ الحَسَب رفيعُ البيت، غيرَ أنّ بناتى لم يَقَعْنَ إلّا فى هذا الحىّ من قُرَيْش. فوَجَمتُ لذلك، وعَرف التغـيُّرَ فى وجهى فقال: أمَا إنّى صانعٌ بك ما لم أصنعه بغيرك. قلت: وماذاك فمثلى مَنْ شَكَر؟ قال: أخَيِّرها فهى وما اختارت. قلت: ما أنصفتَنى إذ تختار لغيرى وتُولِى الخِيارَ غيرَك. فأشار الىّ العُذْرىُّ أن دَعْه يخيّرها. فأرسل إليها: إنّ من الأمر كذا وكذا. فأرسلتْ اليه: ما كنتُ لأَستبدّ برأى دون القرشىّ، فالخيار فى قوله، حكمه. فقال لى: إنها قد وَلَّتْك أمرَها فاقْضِ ما أنت قاض. فحَمِدْتُ الله عزّ وجلّ وأثنيت عليه وقلت: اشهدوا أنّى قد زوّجتها من الجَعْد بن مِهْجَع وأصدقتها هذا الألفَ الدّينارِ، وجعلت تَكْرِمَتها العبدَ والبعير والقبّة، وكسوتُ الشيخ المِطْرَفَ، وسألته أن يبنىَ بها عليه فى ليلته. فأرسل إلى أُمّها، فقالت: أتخرُج ابنتى كما تخرج الأَمَةُ! فقال الشيخ: هجِّرى[1] فى جهازها، فما برحت حتى ضربت القبّة فى وسط الحريم، ثم أهديتْ اليه ليلاً، وبِتُّ أنا عند الشيخ. فلمّا أصبحتُ أتيت القُبّة فصِحْتُ بصاحبى، فخرج إلىّ وقد أثّر السرور

(١) هجّرى: أى بادرى وأسرعى.

فيه، فقلت : كيف كنتَ بعدى وكيف هى بعدك ؟ فقال لى : أبدتْ لى والله كثيرًا مما كانت أخفته عنّى يوم لَقِيتها . فسألتُها عن ذلك فأنشأتْ تقول :

كتمتُ الهوى لمّا رأيتك جازعًا * وقلتُ فتًى بعضَ الصديق يريد
وأنْ تَطْرحَنِى[1] أو تقولَ فُتَيَّةٌ * يَضُرُّ بها بَرْحُ الهوى فتعود
فورّيتُ عمّا بى وفى داخل الحَشَى * من الوجد بَرْحٌ فاعلَمَنّ شديدُ

فقلت : أقِمْ على أهلك، بارك الله لك فيهم، وٱنطلقت وأنا أقول :

كفيتُ أخى العذرىَّ ما كان نابَه * وإنى لأعباء النوائب حَمّالُ
أمَا ٱستُحْسِنتْ منّى المَكارِمُ والعُلا * إذا طُرِحتْ ! إنّى لمالى بَذّال

وقال العذرىّ :

إذا ما أبو الخطّاب خلّى مكانَه * فَأُفٍّ لِدُنْيَا ليس من أهلها عُمَرْ
فلا حَىَّ فِتْيانُ الحجازين بعدَه * ولا سُقِيتْ أرضُ الحجازين بالمطرْ

*
* *

صوت

إنّ الخليطَ قدْ ٱزْمَعوا تَرْكى * فوقفتُ فى عَرَصاتهم أبكى
جِنّيّةٌ بَرَزتْ لتقتُلَنى * مَطْلِيّةُ الأَصداغ بالمسك
عجبًا لمثلكِ لا يكونُ له * خَرْجُ العِراقِ ومِنْبرُ الملكِ

الشعر لابن قَيْس الرُّقَيّات يقوله فى عائشة بنت طلحة . والغناء لمعبد، ثقيلٌ أوّل بالسّبّابة فى مجرى البنصر . والسبب فى قول ٱبن قيس هذا الشعرَ فيها يُذْكَر فى أخبارها إن شاء الله تعالى .

---

(١) فتحنا الهمزة على تقدير وخشية أن تطرحنى الخ ... أى وكتمت الهوى خشية أن يكون ذلك . وفى الأصول : « يطرحنى أو يقول ... » بالياء المثناة من تحت .

أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها

نسب عائشة بنت طلحة

عائشةُ بنت طَلْحَةَ بن عُبَيْد الله بن عُثْمان بن عامر[(١)] بن عَمْرو بن كَعْب بن سعد ابن تَيْم . وأُمّها أُمّ كُلْثُوم بنت أبى بكر الصِّدِّيق . أخبرنى الحسن بن يحيى قال قال حَمّاد قال أبى قال مُصْعَب :

كانت لا تستر وجهها وعتاب مصعب لها فى ذلك

كانت عائشةُ بنت طلحةَ لا تستُر وجهَها من أحد . فعاتبها مُصْعَبٌ فى ذلك ، فقالت : إنّ الله تبارك وتعالى وَسَمنى بِمِيسَم جمالٍ أحببتُ أن يراه الناسُ و يعرفوا فضلى[(٢)] عليهم ، فما كنتُ لأَسْتُرَه ، ووالله ما فىّ وَصْمةٌ يقدِر أن يذكُرَنى بها أحدٌ . وطالت مُرادَّةُ مصعبٍ إيّاها فى ذلك ، وكانت شَرِسةَ الخُلق . قال : وكذلك نساء بنى تيم هنّ أَشْرَسُ خَلْقِ الله وأحظاهُ[(٣)] عند أزواجهن . وكانت عند الحُسَين ابن علىٍّ صلواتُ الله عليهما أُمّ إسحاق بنتُ طَلْحَة ، فكان يقول : والله لَرُبَّما حَمَلَتْ ووضعتْ وهى مُصارِمةٌ لى لا تكلّمنى .

غضبت على مصعب فبعث اليها ابن قيس الرقيات

قال : نالت عائشةُ من مُصْعَبٍ وقالت : عَلَىّ كظَهْر أُمّى ، وقعدتْ فى غُرفة وهيّأتْ فيها ما يُصلحها . فجَهَد مصعبٌ أن تكلّمه فأبتْ . فبعث اليها ابنَ قَيْس الرقيّات ، فسألها كلامَه ، فقالت : كيف بيمينى ؟ فقال : هاهنا الشَّعْبىُّ فقيهُ أهل العِراق فاستفتيه . فدخل عليها فأخبرتْه ، فقال : ليس هذا بشىء . فقالت : أتُحِلُّنى وتخرج خائباً ! فأمرتْ له بأربعة آلاف درهم . وقال ابن قَيْس الرُّقَيّات لمّا رآها :

---

(١) فى الكتب التى وردت فيها ترجمة طلحة بن عبيد الله مثل كتاب المعارف لابن قتيبة وكتب تراجم الصحابة التى بين أيدينا : «عثمان بن عمرو بن كعب ... الخ» وليس فيها «عامر» . (٢) فى ب ، س : « فضله » وهو تحريف . (٣) فى ب ، س : « وأحظى عند أزواجهن » وهو تحريف .

جِنِّيَّـــةٌ بَـــرَزَتْ لتقتلنا ✳ مَطْلِيَّةُ الأقراب(١) بالمِسْـك

وذكر باقىَ الأبيات .

أخبرنى محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا محمد بن إسحاق اليعقوبىّ قال حدّثنا سليمان بن أبى شيخ عن محمد بن الحَكَم قال :

غضبت على مصعب فاسترضاها أشعب فرضيت

٥ كان أشْعَبُ يألَف مصعباً، فغضِبت عليه عائشة بنت طَلْحَة يوماً، وكانت من أحبِّ الناس إليه ، فشـكا ذلك الى أشْعَب . فقال : مالى إن رَضِيتْ ؟ قال : حُكْمُك . قال : عشرة آلاف درهم . قال : هى لك . فٱنطلَق حتى أتى عائشةَ فقال : جُعِلتُ فِدَاءكِ ! قد علمتِ حُبِّى لك ومَيلى قديماً وحديثاً إليك من غير مَنالةٍ ولا فائدة . وهذه حاجةٌ قد عَرَضتْ تقضين بها حَقِّ وترتهنين بها شُكْرِى . قالت : وما عَنَاك؟

١٠ قال : قد جعـل لى الأميرُ عشرةَ آلاف درهم إنْ رَضِيتِ عنه . قالت : ويحك ! لا يمكننى ذلك . قال : بأبى أنتِ فٱرْضَىْ عنه حتى يُعْطِيَنى ثم عُودِى الى ما عوّدك الله من سُوء الخُلق . فضَحِكتْ منه ورضيتْ عن مصعب . وقد ذكر المدائنىُّ أن هذه القصة كانت لهـا مع عمر بن عبيد الله بن معمر ، وأن الرسول اليها والمخاطِب لهـا بهذه المخاطبة ابن أبى عَتيق .

٥٥ / ١٠

وصف عزة الميلاء لها ولعائشة بنت عثمان وأم القاسم بنت زكريا

١٥ وأخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حماد قال أبى حُدِّثت عن صالح بن حسّان قال :

كان بالمدينة امرأة حسناء تُسَمَّى عَزّةَ المَيْلاء يألَفها الأشراف وغيرُهم من أهل المروءات ، وكانت من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النسـاء . فأتاها مصعب بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر وسـعيد بن العاص ، فقالوا : إنّا خطَبنا

(١) الأقراب : جمع قرب (بالضم وبضمتين) وهو الخاصرة . وإنما للانسان قربان ، ولكن العرب

٢٠ يتوسعون فى مثل هذا فيجمعونه .

فانظرى لنا . فقالت لمصعب : يا بن أبى عبد الله ومَنْ خطبتَ ؟ فقال : عائشة بنت طلحة . فقالت : فأنت يا بن أبى أُحَيْحَة ؟ قال : عائشةَ بنت عثمان . قالت : فأنت يا بن الصِّدِّيق ؟ قال : أُمّ القاسم بنت زكريّا بن طلحة . قالت : يا جارية هاتى مَنْقَلىّ (تعنى خُفَّيْها) فلبِسَتْهما وخرجت ومعها خادمٌ لها، فإذا هى بجماعة يزحَم بعضُهم بعضا، فقالت : يا جارية أُنظرى ما هذا . فنظرتْ ثم رجعت فقالت : امرأةٌ أُخِذَتْ مع رجل . فقالت : داءٌ قديم، اِمض ويلَكِ . فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت : فديتُك ! كُنّا فى مَأْدُبة أو مأتم لقريش ، فتذاكروا جمال النساء وخَلْقَهن فذكروك ، فلم أدرِ كيف أَصِفُك فديتُك . فألقى ثيابَكِ ، ففعلتْ فأقبلتْ وأدبرتْ فارتجّ كلُّ شىء منها . فقالت لها عَزّة : خُذى ثوبَك فديتك . فقالت عائشة : قد قضيتُ حاجتَك وبَقِيتْ حاجتى . قالت عَزّة : وما هى بنفسى أنتِ ؟ قالت : تُغَنِّينى صوتًا . فاندفعت تغنّى لحنَها :

صــــوت

خَليلىّ عُوجَا بالمَحَلّة من جُمْلِ * وأترابِها بين الأُصَيْفِرِ والخبلِ[1]

نَقِفْ بمغانٍ قد محا رسمَها البِلَى * تعَاقَبُها الأيّامُ بالريح والوبْلِ

فلو درجَ النملُ الصِّغارُ بجلدها * لأندبَ[2] أعلَى جِلْدِها مَدْرَجُ النملِ

وأحسنُ خلق الله جيدًا ومقلةً * تُشَبَّه فى النسوان بالشادنِ[3] الطِّفْلِ

— الشعر لجميل بن عبد الله بن مَعْمَرٍ العُذْرىّ . والغناء لعزّة الميلاء ثقيلٌ أوّل بالوسطى —

فقامت عائشة فقبّلت ما بين عينيها ودعتْ لها بعشرة أثواب وبطرائف من أنواع

---

(١) لعل صوابها «والحبل» بالحاء المهملة؛ فاننا لم نجد فى المظان «الخبل» بالخاء المعجمة من أسماء الأمكنة . (٢) أندب أعلى جلدها : ترك فيه ندوبا . والندب (بالتحريك) : أثر الجرح . (٣) الشادن من أولاد الظباء : الذى قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه . والطفل بالفتح : الناعم الرخص .

الفِضّة وغير ذلك ، فدفعتْه الى مولاتها فحملتْه . وأتتِ النسوةَ على مثل ذلك تقول ذلك لهن، حتى أتتِ القومَ فى السقيفةِ . فقالوا : ما صنعتِ ؟ فقالت : يا بن أبى عبد الله، أمّا عائشة فلا والله إنْ رأيتُ مثلَها مقبلةً ومدبرةً، محطوطةُ المتنين[١]، عظيمة العجيزة، ممتلئة الترائب[٢]، نقيّة الثغر وصَفْحةِ الوجهِ، فرعاء الشعر[٣]، لفّاء الفَخِذين، ممتلئة الصدر، خميصة البطن[٤]، ذات عُكَنٍ، ضخمة السُّرّة، مُسَرْوَلَةَ الساق، يرتجّ ما بين أعلاها الى قدميها . وفيها عيبان ، أمّا أحدهما فيواريه الخِمار ، وأمّا الآخر فيواريه الخُفّ : عِظَمُ القَدَمِ والأُذُن . وكانت عائشة كذلك . ثم قالت عزّة : وأما أنت يا بن أبى أُحيحة فإنى والله ما رأيتُ مثلَ خَلْقِ عائشةَ بنت عثمان لامرأة قطّ، ليس فيها عيب . والله لكأنما أُفرِغتْ إفراغا، ولكن فى الوجه رَدّة[٥] ، وإن آستشرتنى أشرتُ عليك بوجه تستأنِس به . وأمّا أنت يا بن الصِّدِّيق فوالله ما رأيت مثل أُمِّ القاسم، كأنها خُوط[٦] بانة تنثنى ، وكأنها جَدْلُ عِنَان ، أو كأنها جانٌّ[٧] يتثنّى على رمل ، لو شئتَ أن تعقد أطرافها لفعلتَ . ولكنها شَخْتَةُ الصدر وأنت عريضُ الصدر، فإذا كان ذلك كان قبيحاً ، لا والله حتى يملأ كلٌّ شىء مثلَه .

قال : فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن .

---

(١) محطوطة المتنين ممدودتهما . والمتنان : جنبتا الظهر، و يقال لهما المتنتان . (٢) الترائب : موضع القلادة أو هى عظام الصدر . (٣) فرعاء الشعر : طويلته . واللفف فى الفخذين : التفافهما أو ضخامتهما واكتناز لحمهما .

(٤) خميصة البطن : ضامرته . والعكن : الأطواء فى البطن من السمن ، الواحدة عكنة (بالضم) .

(٥) الردّة : القبح مع شىء من الجمال . (٦) الخوط : الغصن الناعم .

(٧) كذا فى ج . والجان هنا : حية كحلاء العينين لا تؤذى . شبهها بالحية فى اللين . وفى سائر الأصول : « أو كأنها خشف » . والخشف (مثلثة الخاء) : ولد الظبية .

أمها ، وخالتها ، وزواجها من ابن خالها وأولادها منه

أخبرنى الطُّوسىّ وحَرَمىّ عن الزُّبَير عن عمّه ، وأخبرنى الحسين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه عن الزبيرىّ والمدائنىّ ،ونسخت بعض هذه الأخبار من كتاب أحمد ابن الحارث عن المدائنىّ و جمعت ذلك ، قالوا جميعا :

إنّ أُمّ عائشةَ بنتِ طَلْحةَ أُمُّ كلثوم بنتُ أبى بكرٍ الصِّدِّيق ، وأمها حبيبة بنت خارجةَ بن زيد بن أبى زُهَير من بنى الخَزْرَج بن الحارث . قالوا : وكانت عائشة بنتُ طلحة تُشَبَّه بعائشة أمّ المؤمنين خالتها . فزوّجتها عائشةُ عبدَ الله بنَ عبد الرحمن ابن أبى بكر وهو ابن أخيها وابنُ خال عائشة بنت طلحة ، وهو أبو عُذْرِها[1] ، فلم تلد من أحد من أزواجها سواه ؛ ولدتْ له عِمران وبه كانت تُكْنَى ، وعبدَ الرحمن ، وأبا بكر ، وطلحةَ ، ونفيسةَ وتزوّجها الوليد بن عبد الملك ، ولكلّ هؤلاء عَقِبٌ . وكان ابنها طلحةُ من أجواد قريش ، وله يقول الحَزِين الدِّيلىُّ :

فإنْ تك يا طَلْحُ أعطيتَنى * عُذافِرةً[2] تَستخِفّ الضِّفارا[3]

فما كان نَفْعُك لى مَرّةً * ولا مرّتين ولكن مِرارا

أبوك الذى صدّق المصطفى * وسار مع المصطفى حيث سارا

وأُمُّك بيضاء تَيْمِيّةٌ * إذا نُسِب الناس كانوا نُضارا

مصارمتها لزوجها و إيلاؤه منها

قال : فصارمت عائشةُ بنتُ طلحةَ زوجَها ، وخرجت من دارها غَضْبَى ، فمرّت فى المسجد وعليها مِلْحَفةٌ تُريد عائشةَ أمّ المؤمنين ، فرآها أبو هُرَيرةَ فقال : سبحانَ الله ! كأنها من الحُور العِينِ . فمكثت عند عائشة أربعةَ أشهر . وكان زوجُها

(١) أبو عذر المرأة وأبو عذرتها : الذى افتضها وافترعها . (٢) العذافرة : الناقة الشديدة العظيمة . (٣) كذا فى ح . والضفار (بفتح الضاد) : ما يشدّ به البعير من الشعر المضفور . أى تستخف زمامها لقوتها . وفى سائر الأصول : « تستخف العفارا » . ولعله « القفار » بالقاف بدل العين .

قد آلى منها، فأرسلت عائشة: إنى أخاف عليك الإيلاءَ[1]، فضمّها إليه. وكان مُولِيًا منها فقيل له: طَلِّقْها، فقال:

يقولون طَلِّقْها لأصبحَ ثاويًا * مُقيمًا علىّ الهمُّ أحلامُ نائمِ

وإنّ فِراقى أهلَ بيتٍ أُحِبُّهم * لهم زُلفةٌ عندى لَإحدى العظائمِ

٥ فتوفّى عبدُ الله بعد ذلك وهى عنده، فما فتحتْ فاها عليه، وكانت عائشة أمّ المؤمنين تعدّد عليها هذا فى ذُنوبها التى تعدّدها. ثم تزوّجها بعده مُصْعَبُ بن الزبير، فأمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثلَ ذلك. وبلغ ذلك أخاه فقال: إن مصعبًا قدّم أيْرَه، وأخّر خَيْرَه. فبلغ ذلك من قوله عبدَ الملك بن مَرْوانَ فقال: لكنّه أخّر أيْرَه وخيرَه. وكتب ابن الزبير الى مصعب يؤنّبه على ذلك ويُقْسِم عليه أن يلحق به

زواجها من مصعب ابن الزبير

١٠ بمكة ولا ينزلَ المدينة ولا ينزلَ إلا بالبيداء، وقال له: إنى لأرجو أن تكون الذى يُخْسَف به بالبيداء، فما أمرتُك بنزولها إلا لهذا. وصار إليه وأرضاه من نفسه، فأمسك عنه.

قال وحدّثنى المدائنىّ عن سُحَيْم بن حَفْص قال:

كان مصعب بن الزبير لا يقدِر عليها إلا بتَلاحٍ ينالُها منه وبضَرْبِها. فشكا

كانت تعاسر مصعبا فاحتال له كاتبه ابن أبى فروة حتى ياسرته

١٥ ذلك إلى ابن أبى فَرْوَةَ كاتبه. فقال له: أنا أكفيك هذا إن أذِنتَ لى. قال: نَعَمْ! افعلْ ما شئتَ فإنها أفضلُ شىء نِلْتُه من الدنيا. فأتاها ليلًا ومعه أسْوَدان فاستأذن عليها. فقالت له: أفى مثل هذه الساعة! قال نعم. فأدخلتْه. فقال للأسودين: احفِرا هاهنا بئرًا. فقالت له جاريتها: وما تصنع بالبئر؟ قال: شُؤْم

(١) الإيلاء: اليمين، وفى الشرع أن يقسم الزوج ألا يقرب امرأته. وحكمه أن يتربص به أربعة

٢٠ أشهر ثم يوقف، فاما أن يطلق بعد ذلك أو يرجع.

مولاتِك، امرنى هذا الفاجرُ أن أدْفِنَها حَيَّةً وهو أسفكُ خلقِ الله لدَمٍ حرامٍ. فقالت عائشة: فأنْظِرْنى أذْهَبْ إليه. قال: هيهات! لا سبيلَ إلى ذلك، وقال للأسْوَدَيْن: احفِرا. فلمّا رأتِ الجِدّ منه بكتْ ثم قالت: يابن أبى فَـرْوة إنك لَقَاتلى ما منه بُدٌّ؟ قال: نعم، وإنى لأعلم أن الله سيجزيه بعدك، ولكنه قد غضِب وهو كافر الغَضَبِ. قالت: وفى أىِّ شىء غَضَبُه. قال: فى آمتناعك عنه، وقد ظنّ أنك تُبْغِضينه وتتطلّعين الى غيره فقد جُنّ. فقالت: أَنْشُدُكَ اللهَ إلّا عاودتَه. قال: إنى أخاف أن يقتلَنى. فبكتْ وبكى جوارِيها. فقال: قد رَقَقتُ لك، وحلف أنه يغرِّر بنفسه، ثم قال لها: فما أقول؟ قالت: تَضْمَنُ عنِّى ألّا أعودَ أبدًا. قال: فما لى عندك؟ قالت: قيامٌ بحقِّك ما عشتُ. قال: فأعطينى المَوَاثيقَ، فأعطتْه. فقال للأسودين: مَكَانَكما، وأتى مصعبًا فأخبره. فقال له: استوثِقْ منها بالأيمان، ففعلتْ وصلحتْ بعد ذلك لمصعب.

أخبار لها مع مصعب

قال: ودخل عليها مصعبٌ يومًا وهى نائمة متصبِّحة[1] ومعه ثمانى لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار، فأنبهها ونثر اللؤلؤ فى حجرها. فقالت له: نومتى كانت أحبَّ الىَّ من هذا اللؤلؤ.

قال: وصارمت مصعبًا مرة، فطالت مصارمتها له وشقّ ذلك عليها وعليه، وكانت لمصعب حرب فخرج اليها ثم عاد وقد ظفِر، فشكت عائشة مصارمته الى مولاة لها. فقالت: الان يصلح أن تخرجى اليه. فخرجتْ فهنّأته بالفتح وجعلت تمسَح التراب عن وجهه. فقال لها مصعب: إنى أُشفق عليك من رائحة الحديد. فقالت: لهو والله عندى أطيب من ريح المسك الأذفر.

---

(١) التصبح: نوم الغداة.

أخبرني ابن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المسْعَر قال :

كان مصعب من أشدّ الناس إعجابًا بعائشة بنت طلحة، ولم يكن لها شبه في زمانها حسنًا ودَماثةً وجمالًا وهيئة ومتانةً وعِفّةً، وإنها دعت يوما نسوةً من قريش فلمّا جئنها أجلستهن في مجلس قد نُضِد فيه الريحان والفواكه والطِّيب [و][1] المِجْمَرُ، ٥ وخلعت على كل امرأةٍ منهن، خِلعةً تامّة من الوَشْي والخزّ ونحوهما، ودعت عَزّةَ الميلاء ففعلت بها مثلَ ذلك وأضعفت، ثم قالت لعزّة : هاتى ياعَزّةُ فغنّينا، فغنّتهن في شعر امرئ القيس :

وثَغْـرٍ أغرَّ شَتيتِ النبـاتِ * لذيـذِ المُقبَّـلِ والمُبْتَسَـمْ

وما ذقتُـه غيرَ ظَنٍّ به * وبالظن يقضِى عليك الحَكَمْ

١٠ وكان مصعبٌ قريبًا منهن ومعه إخوانٌ له، فقام فانتقل حتى دنا منهن والستورُ مُسْبَلةٌ، فصاح : ياهذه إنّا قد ذُقناه فوجدناه على ماوصفتِ، فبارك الله فيك ياعَزّة ! ثم أرسل الى عائشة : أمّا أنتِ فلا سبيلَ لنا اليك مع مَنْ عندك، وأمّا عزّة فتأذنين لها أن تغنّينا هذا الصوت ثم تعود اليك، ففعلتْ . وخرجتْ عزّة اليه فغنّته هذا الصوت مرارًا وكاد مصعب أن يذهب عقلُه فرحا . ثم قال لها : ياعَزّة إنك ١٥ لَتُحْسِنين القولَ والوصف، وأمرها بالعَـوْد الى مجلسها، وتحدّث ساعةً مع القوم ثم تفرّقوا .

خطبها بشر بن مروان فتزوجت عمر بن عبيد الله

وقال المدائنى، وذكره القَحْذَمى أيضا فى خبره : فلمّا قُتِل مصعبٌ عن عائشة خطبها بِشْرُ بن مروان، وقـدم عُمَرُ بن عُبَيـدِ الله بن مَعْمَرٍ التيمىُّ من الشام فنزل

(١) الزيادة عن ح . والمجمر (بكسر فسكون ففتح و بضم فسكون فكسر) : العود الذى يتبخر به .

الكوفة، فبلغه أن بِشْر بن مروان خطَبها، فأرسل اليها جاريةً لها وقال : قُولى لآبنة عمّى يقرئك السلامَ ابنُ عمك ويقول لك أنا خيرٌ من هـذا المبسور المطحول، وأنا ابن عمّك وأحقّ بك ، وإن تزوّجتُ بك ملأتُ بيتك خيرًا، وحِرَك أيرًا . فتزوّجته فبنى بها بالحِيرة ومهدت له سبعةَ أفرشةٍ عَرْضُها أربعُ أذرُع، فأصبح ليلةَ بنى بها عن تِسْعٍ . قال : فلقيته مولاةٌ لها فقالت : أبا حفص فديتُك ! قد كَمُلْتَ فى كل شىء حتى فى هذا .

وقال مصعب فى خبره إن بشرًا بعث اليها عُمَرَ بن عُبَيد الله بن معمر يخطبها عليه، فقالت له : يامصارع قلة[1] ! أمَا وجد بشرٌ رسولًا الى ابنة عمّك غيرَك ! فأين بك عن نفسك ؟ ! قال : أوَتفعلين ؟ قالت نعم ، فتزوّجها . وقال مصعب الزبيرى فى خبره : لمّا بنى بها عمرُ قال لها : لأقتلنك الليلةَ ، فلم يصنَع إلا واحدةً . فقالت له لمّا أصبح : قُمْ يا قتّالُ . قال : وقالت له حينئذ :

قد رأيناك فلم تَحْلُ لنا * و بلوناك فلم نرض الخبر

وهـذه الحكاية تحاملٌ من مصعب الزبيرى وعصبيّة . والخبر فى رضاها عنه والحكاية فى هذا غيرُ ما حكاه وهو ماسبق .

ما كان فى يوم زواجها من عمر آبن عبيد الله

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مهرويه عن ابن أبى سعد عن القَحْذَمىّ أنّ عمر بن عبيد الله لمّا قَدِم الكوفة تزوّج عائشة بنتَ طلحة، فحمل اليها ألفَ ألفِ درهم : خمسمائة ألف درهم مهرًا وخمسمائة ألف هـديّة ، وقال لمولاتها : لك علىّ ألفُ دينارٍ إن دخلتُ بها اللّيلةَ ؛ وأمر بالمال فحُمل فأُلقى

(١) كذا فى أ كـ الأصول . وفى جـ هكذا : « يامصارع فكه » . وظاهر أنها تريد أن تؤنبه ، بيد أننا لم نهتد الى وجه نطمئن اليه فى هذه الكلمة .

فى الدار وغُطِّى بالثياب . وخرجتْ عائشة فقالت لمولاتها : أهذا فرشٌ أم ثِياب ؟ قالت : انظرِى اليه، فنظرتْ فإذا مالٌ ، فتبسّمت . فقالت : أجزاءُ مَنْ حمل هذا أن يبيت عَزَبًا ! قالت : لا والله ، ولكن لا يجوز دخولُه إلا بعد أن أتزيّن له وأستعدّ . قالت : فيم ذا ! فوجهُك والله أحسنُ من كل زينة، وما تَمُدِّين يدَك الى طيب أو ثوب أو مال أو فرش إلا وهو عندك . وقد عزمتُ عليك أن تأذَنى له . قالت : افعلى . فذهبتْ اليه فقالت له : بِتْ بنا الليلةَ . فجاءهم عند العشاء الآخرة[1] ، فأُدْنِىَ اليه طعامٌ فأكل الطعامَ كلّه حتى أعْرَى الخِوَان ، وغسَل يده ، وسأل عن المتوضَّأ فأخبرتُه فتوضّأ ، وقام يصلّى حتى ضاق صدرى ونِمْتُ ، ثم قال : أعليكم إذنٌ ؟ قلت : نعم ، فادخُلْ ، فأدخلتُه وأسبلتُ السِّتْرَ عليهما . فعددتُ له فى بقيّة الليل على قِلّتها سَبْعَ عشرة مرة دخل المتوضّأ فيها . فلمّا أصبحنا وقفتُ على رأسه فقال : أتقولين شيئا ؟ قلت : نعم ! والله ما رأيتُ مثلك ، أكلتَ أَكْلَ سبعةٍ ، وصلّيت صلاةَ سبعةٍ ، ونِكْتَ نَيْكَ سبعة . فضحك وضرب بيده على مَنْكِبِ عائشة ، فضحِكتْ وغطّت وجهها وقالت :

قد رأيناك فلم تحلُ لنا * وبلوناك فلم نرضَ الخبر

ويدلّ أيضا على بطلان خبره أنه لمّا مات ندبته قائمةً ، ولم تندُب أحدًا من أزواجها الا جالسةً . فقيل لها فى ذلك ، فقالت : إنه كان أكرمَهم علىّ وأمسَّهم رَحِمًا بى ، وأردتُ ألّا أتزوّج بعده . وكانت نُدْبةُ المرأة زوجَها قائمةً مما تفعله من لا تريد أن تتزوّج بعد زوجها . أخبرنى بذلك الحسن بن علىّ عن أحمد بن زُهَيْر ابن حرب عن محمد بن سلّام . وهذا دليل على خلاف ما ذكره مصعب .

---

(١) فى ج ، ب ، س : « الأخيرة » وهو تحريف .

٥٩
١٠

ثم رجع الخبر الى سياقة خبرها :

حديث امرأة عنها وقد اختلى بها عمر

قال المدائنىّ فى خبره : قالت امرأة : كنت عند عائشة بنت طلحة، فقيل لها : قد جاء الأمير، فتنحّيت، ودخل عمرُ بن عُبَيد الله، وكنتُ بحيث أسمع كلامَهما، فوقع عليها فجاءت بالعجائب ثم خرج، فقلت لها : أنت فى نفسك وموضعك وشرفك تفعلين هذا ! فقالت : إنا نتشهّى لهذه الفحول بكل ما حرّكها وكلّ ما قدَرنا عليه . ٥

طلبت ضرتها من مولاة لها أن تراها متجردة ثم ندمت أن رأتها

قال المدائنىّ : وحدّثنى مَسْلَمةُ بن مُحارِبٍ قال :

قالت رَمْلَةُ بنت عبد الله بن خَلَفٍ — وكانت تحت عمر بن عبيد الله بن معمر، وقد ولدت منه ابنَه طلحةَ الجُود — لمولاة لعائشة بنت طلحة : أَرِينى عائشةَ متجرِّدة ولك ألفَا درهم . فأخبرتْ عائشةَ بذلك . قالت : فإنى أتجرَّد، فأَعلميها ولا تعرِّفيها أنى أعلم . فقامت عائشة كأنها تغتسل، وأعلمتها فأشرفتْ عليها مقبلةً ومدبرةً، فأعطتْ رملةُ مولاتَها ألفَىْ درهم، وقالت : لَوَدِدْتُ أنى أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرها . قال : وكانت رملة قد أسنّت، وكانت حسنةَ الجسم قبيحةَ الوجه عظيمةَ الأَنف . وفيها وفى عائشة يقول الشاعر : ١٠

اِنْعَمْ بعائشَ عَيْشًا غيرَ ذى رَنَقٍ * وٱنبِذْ برملةَ نَبْذَ الجَوْرَبِ الخَلَقِ ١٥

ويقال : إنّ رملة قد أسنّت عند عمر بن عُبَيْد الله، فكانت تجتنبه فى أيّام أقرائها ثم تغتسل، تُريه أنها تحيض، وذلك بعد انقطاع حَيْضها . فقال فى ذلك بعضُ الشعراء :

جعل الله كلَّ قَطْرةِ حَيْضٍ * قَطَرتْ منكِ فى حَمَاليقِ عينى

أخبارها مع عمر ابن عبيد الله

أخبرنا بذلك الجوهرىّ عن عمر بن شَبّة .

وذكر هارون بن الزيّات عن أبى مُحَلّم عن أبى بكر بن عيّاش قال :

قال عمر بن عبيد الله لعائشة بنتِ طلحةَ وقد أصاب منها طِيبَ نَفْسٍ : ما مرّ بى مثلُ يومِ أبى فُدَيْك[1] . فقالت له : آعْدُدْ أيّامك وآذكُرْ أفضلَها ، فعدَّ يومَ ٥ سِجِسْتانَ ويوم قَطَرِىٍّ بفارس ونحو ذلك . فقالت عائشة . قد تركتَ يوماً لم تكن فى أيّامك أشجعَ منك فيه . قال : وأىّ يوم ؟ قالت : يوم أرْخَتْ عليها وعليك رملةُ السِّتْرَ . تُريد قُبْحَ وجهها .

قال : فمكثت عائشة عند عمر بن عبيد الله بن معمر ثمانىَ سنين ، ثم مات عنها فى سنة آثنتين وثمانين ، فتأيّمتْ بعده ، فخطبها جماعةٌ فردّتهم[2] ، ولم تتزوج بعده أحدا .

١٠ قال المدائنىّ : كان عمر بن عُبيد الله من أشدّ الناس غَيْرةً ، فدخل يوماً على عائشة وقد ناله حرٌّ شديد وغبارٌ ، فقال لها : انفُضى الترابَ عنّى . فأخذتْ مِنْديلًا تنفُض به عنه التراب ، ثم قالت له : ما رأيتُ الغبارَ على وجه أحدٍ قطُّ كانَ أحسنَ منه على وجه مُصْعَبٍ ، قال : فكاد عمر يموت غيظًا .

وقال أحمد بن حمّاد بن جميل حدّثنى القَحْذَمىّ قال :

١٥ كانت عائشة بنت طلحة من أشدِّ الناس مغايظةً لأزواجها ، وكانت تكون لمن يجىء يحدّثها فى رقيق الثياب ، فإذا قالوا : قد جاء الأمير ضَمّتْ عليها مِطْرَفَها

---

(١) أبو فديك هو عبد الله بن ثور من بنى قيس بن ثعلبة ، كان من الخوارج ، فوجه اليه عبد الملك بن مروان سنة ٧٣ هـ عمر بن عبيد الله بن معمر وأمره أن يندب معه من أحب ، فندب عشرة آلاف من أهل الكوفة وعشرة الاف من أهل البصرة وسار بهم حتى انتهوا الى البحرين . وهنالك التقوا بأبى فديك ٢٠ وأصحابه ، فكانت بينهم وقعة شديدة قتل فيها أبو فديك وكثير من أصحابه ، وأسر منهم فريق . (راجع تاريخ الطبرى القسم الثانى صفحة ٨٥٢ — ٨٥٣) . (٢) فى جـ ، ب ، س : « أبدا » .

وقَطَبتْ . وكانت كثيرا ما تَصِف لعمر بن عُبَيد الله مصعباً وجماله ، تَغيظه بذلك فيكاد يموت .

طلبت من الوليد ابن عبد الملك أعوانا حين حجت

وقال المدائنىّ حدّثنى مَسْلَمةُ بن مُحَارِب وعُبيد الله بن فائد ، وأخبرنا به حرمىّ عن الزبير عن عمه ومحمد بن الضحّاك(١) ، قالوا :

دخلتْ عائشة بنتُ طلحة على الوليد بن عبد الملك وهو بمكّةَ ، فقالت : ياأميرَ المؤمنين ، مُرْ لى بأعوانٍ . فضمّ اليها قومًا يكونون معها ، فحجّت ومعها ستّون بغلا عليها الهوادجُ والرحائلُ . فعرَض لها عُرْوةُ بن الزُّبَيْر فقال :

٦٠ / ١٠

عائشُ ياذاتَ البغالِ الستّينْ * أكُلَّ عامٍ هكذا تحُجّينْ

فأرسلت اليه : نَعَمْ ياعُرَيَّةَ ، فتقدّمْ إن شئتَ ؛ فكفّ عنها . ولم تتزوّج حتى ماتت .

حجت مع سكينة بنت الحسين وكانت أحسن آلة وثقلا

وقال غير المدائنىّ : إن عائشة بنتَ طلحة حجّت وسُكَيْنةَ بنت الحسين عليهما السلام معًا ، وكانت عائشةُ أحسن آلةً وثَقَلًا(٢) . فقال حاديها :

عاش يا ذات البغال الستّين * لا زِلْتِ ما عِشْتِ كذا تحُجّين

فشقّ ذلك على سُكَيْنةَ ، ونزل حاديها فقال :

عاش هذى ضَرَّةٌ تشكوك * لولا أبوها ما آهتدى أبوك

فأمرتْ عائشةُ حاديَها أن يكُفَّ فكَفّ .

بهر موكبها فى الحج عاتكة بنت يزيد

وقال : إسحاق بن إبراهيم فى خبره حدّثنى محمد بن سَلّام عن يزيد بن عِياض قال :

اِستأذنتْ عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية عبدَ الملك فى الحجّ ، فأذن لها وقال : ارفعى حوائجك وآستظهرى ؛ فإنّ عائشةَ بنتَ طلحة تحُجّ ، ففعلتْ فجاءت بهيئة جَهَدتْ

(١) فى ب ، س : «ويحي بن الضحاك» وهو تحريف . (٢) الثقل (بالتحريك) : المتاع .

فيها . فلمّا كانت بين مكة والمدينة إذا مَوْكبٌ قد جاء فضغطها وفرّق جماعتها . فقالت : أرى هذه عائشةَ بنتَ طلحة ، فسألتْ عنها فقالوا : هذه خازنتُها . ثم جاء موكبٌ آخر أعظم من ذلك فقالوا : عائشةُ عائشةُ ، فضغطهم ، فسألتْ عنه ، فقالوا : هذه ماشطتها . ثم جاءت مواكب على هذا الى سنتها[1] . ثم أقبلت كوكبةٌ فيها ثلثمائة راحلةٍ عليها القِبابُ والهوادجُ . فقالت عاتكة : ما عند الله خيرٌ وأبقى .

٥

وقال هارون بن الزيّات حدّثني قَبِيصةُ عن ابن عائشة عن أُمِّه عن سلّامة مولاة جَدَّته أُثَيْلَة بنت المُغيرة بن عبد الله بن مَعْمَرٍ[2] قالت :

كان كبر عجيزتها مثار العجب

زُرْتُ مع مولاتى خالتها عائشة بنت طلحة وأنا يومئذ وصيفةٌ[3]، فرأيتُ عجيزتَها من خلفها وهى جالسة كأنُّها غيرُها ، فوضعتُ أصبعى عليها لأعلمَ ما هى ، فلمّا وجدتْ مسَّ أصبعى قالت : ما هذا ؟ قلت : جُعِلتُ فداءك ! لم أدرِ ما هو ، فجئت لِأنظر . فضحكت وقالت : ما أكثرَ مَنْ يَعْجَبُ مما عَجِبْتِ منه .

١٠

إعجاب أبى هريرة بجمالها

وزعم بكر بن عبد الله بن عاصم مولى عُرَيْنَة عن أبيه عن جَدِّه : أنّ عائشة نازعتْ زوجَها إلى أبى هُرَيْرَة ، فوقع خِمارُها عن وجهها ، فقال أبو هريرة : سُبْحانَ الله! ما أحسنَ ما غَذَّاك أهلُك! لكأنما خرجتِ من الجَنَّة .

وفدت على هشام فأعجب سامروه بعلمها

١٥

قال ابن عائشة وحدّثنى أبى أنّ عائشة بنتَ طلحةَ وَفَدَتْ على هشام ، فقال لها : ما أوفَدَكِ ؟ قالت : حَبَستِ السماءُ المطرَ ، وَمَنع السلطانُ الحَقّ . قال : فإنى أَبُلُّ رَحِمَكِ وأعرِف حقَّكِ ، ثم بعث إلى مشايخ بنى أُمَيَّةَ فقال : إنّ عائشة عندى ، فاسمُروا عندى الليلةَ فحضروا ، فما تذاكروا شيئًا من أخبار العرب وأشعارها وأيّامها

(١) كذا فى ح . وفى ب ، سـ : « أى سنتها » . وفى ١ ، م : « الى يسنها » . وظاهر أن المراد « ثم جاءت مواكب على هذا السنن » . (٢) كذا فى الاصول . ولعل عبد الله بن معمر أبا المغيرة عم عمر بن عبيد الله بن معمر . (٣) أى جارية شابة .

٢٠

إلا أفاضتْ معهم فيه ، وما طلَع نجمٌ ولا غارَ إلا سمّيته . فقال لها هشام : أمّا الأول فلا أُنكره ، وأمّا النجوم فمِنْ أينَ لك ؟ قالت : أخذتُها عن خالتى عائشة . فأمر لها بمائة ألف درهم وردّها الى المدينة .

مر بها النميرى الشاعر فاستنشدته وخبره معها

٦١/١٠ أخبرنى عمّى عن الكُرانىّ عن المُغيرةِ بن محمد المهلّبىّ (١) عن محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدّثنى ابن عمران البزّازىّ قال :

لمّا تأيّمتْ عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكة سنةً ، و بالمدينة سنةً ، تخرج الى مالٍ لها بالطائف عظيم وقصر لها فتتنزّه وتجلس فيه بالعشيّات ، فتُناضل بين الرُّماة . فمرّ بها النُّمَيْرىّ الشاعرُ ، فسألتْ عنه فنُسبَ لها ، فقالت : ائتُونى به . فقالت له لمّا أتَوْها به : أَنشِدْنى ممّا قلتَ فى زينب (٢) . فامتنع وقال : ابنةُ عمّى وقد صارتْ عِظاماً بالية . قالت : أقسمتُ لمّا فعلتَ . فأنشدها قوله :

نزلنَ بفَخٍّ ثم رُحْنَ عشيّةً * يُلبِّينَ للرحمن مُعْتَمِرات (٣)

يُخبِّئنَ أطرافَ الأكُفِّ من التُّقَى * ويخرجن شَطْرَ الليل مُعتَجِرات (٤)

ولمّا رأتْ رَكْبَ النميرىّ أعرضتْ * وكُنَّ مِنَ انْ يَلْقَيْنَه حَذِرات

تضوّع مِسْكاً بطنُ نَعْمانَ أن مَشتْ * به زينبٌ فى نِسوةٍ خَفِرات

فقالت : والله ما قلتَ إلّا جميلاً ، ولا وصفتَ إلا كرما وطيبا وتُقًى ودينا ، أعْطُوه ألفَ درهم . فلمّا كانت الجمعةُ الأُخرى تعرّض لها ، فقالت : علىّ به فجاء . فقالت :

---

(١) فى الأصول : «عن المغيرة عن محمد المهلبى» وهو تحريف . والمغيرة بن محمد المهلبى ذكر كثيرا فى الأغانى . (٢) هى زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف الثقفى .

(٣) فخ : واد بمكة . وفيه يقول بلال يحن اليه :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بفخ وعندى إذخر وجليل

والاعتمار : القصد والزيارة ، وهو فى الشرع : زيارة البيت الحرام بشروط مخصوصة معروفة فى كتب الفقه . (٤) الاعتجار : لىّ الثوب على الرأس من غير أن يدار تحت الحنك .

أَنشِدْنى من شعرك فى زينب . فقال : أوَ أُنْشِدُكِ من قول الحارث فيك ؟ فوثب مَوَاليها ، فقالت : دَعُوه؛ فإنه أراد أن يَسْتَقِيد لابنة عمّه ، هاتِ . فأنشدها :

(١)
ظَعَن الأميرُ بأحسنِ الخَلْقِ * وغَدَوْا بلُبِّكَ مَطْلَعَ الشَّرْق

وتَنُوءُ تُثْقِلُها عَجِيزتُها * نَهْضَ الضعيفِ ينوء بالوَسْقِ

٥ ما صَبَّحتْ زوجًا بطَلْعتها * إلّا غَدَا بكواكب الطَّلْقِ

قُرَشِيَّةٌ عَبِقَ العبيرُ بها * عَبَقَ الدِّهانِ بجانب الحُقِّ

بيضاءُ من تيم كَلِفْتُ بها ، * هذا الجنون وليس بالعشق

قالت : والله ما ذكر إلا جميلًا ، ذكر أنّى إذا صبّحت زوجًا بوجهى غَدَا بكواكب الطَّلْق ، وأنى غدوت مع أمير تزوّجنى إلى الشرق . أَعْطُوه ألفَ درهم واكْسُوه

١٠ حُلَّتين ، ولا تَعُدْ لإتياننا يا نُمَيْرِىّ .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن أبى خَيْثَمَة عن محمد بن سَلّام :

أخر الحارث بن خالد الصلاة لتتم طوافها

أن عبد الملك ولّى الحارثَ بن خالد على مكّة . فأذّن المؤذّن، وخرج للصلاة، فأرسلت اليه عائشةُ بنتُ طلحة : قد بقى من طَوَافى شىءٌ لم آته، وكان يتعشّقها، فأمَرَ المؤذِّنَ فكَفّ عن الإقامة، ففرغت من طوافها. وبلغ ذلك عبدَ الملك فعزَله.

١٥ فقال : ما أهْوَنَ والله غَضَبه وعَزْلَه إيّاىَ علىّ عند رِضَاها عنّى .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال :

كانت معناة بعجيزتها

قال سَلْمُ بن قُتَيْبَة : رأيتُ عائشةَ بنتَ طلحة بِمِنًى أو مَسْجِد الخَيْف، فسألتنى مَنْ أنت ؟ قلت : سَلْمُ بن قُتَيْبَة. فقالت : رَحِم الله مصعبًا ! ثم ذهبتْ تقوم ومعها

---

(١) مرت هذه الأبيات مع اختلاف يسير فى الرواية فى ترجمة الحارث بن خالد المخزومى فى الجزء

٢٠ الثالث صفحة ٣١٩ من هذه الطبعة .

امرأتان تُنهِضانها، فأعجزتْها[(١)] أليتاها من عظمهما، فقالت : إنّى بكما لَمُعَنَّاةٌ، فذكرتُ قولَ الحارثِ :

وتنـــوء تُثْقِلُهـا عَجِيزَتُهـا * نَهْضَ الضعيفِ ينوء بالوَسْقِ

وروى هـذا الخبرَ هارون بن الزيّات عن جعفر بن محمد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى أبو عمرو بن خَلّاد عن المدائنىّ قال : ٥

٦٢ / ١٠

قال أبو هُرَيْرَةَ لعائشـة بنت طلحة : ما رأيتُ شيئًا أحسنَ منك إلّا معاوية أوّلَ يومٍ خطَب على مِنبَرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : والله لأنا أحسنُ من النار فى الليلة القَرَّةِ فى عين المقرور .

خطبها أبان بن سعيد على يد أخيه فأبت

أخبرنى أحمـد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبى شيخ عن محمد ابن الحكم عن عَوانةَ قال : ١٠

كتب أَبَانُ بن سَعيدٍ الى أخيه يحيي يخطُب عليه عائشةَ بنتَ طلحة، ففعل . فقالت ليحيي : ما أنزل أخاك أَيْلَةَ ؟ قال : أراد العُـزْلَةَ . قالت : اكْتُبْ إلى أخيـك :

حَلَلْتَ مَحَلَّ الضَّبِّ لا أنتَ ضائرٌ * عـدوًّا ولا مستنفَعٌ بك نافعُ

صـــوت ١٥

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليك عطاءَه * صنيعةُ تَقْوَى أو صديقٌ تُوامِقُهْ
منَعْتَ وبعضُ المَنْـعِ حَزْمٌ وقُوّةٌ * فلَم يَفْتَلِتْك المـالَ إلّا حقائقُـهْ[(٢)]

---

(١) فى جـ : « فانخزلت أليتاها » أى انقطعتا وتميزتا كأنهما شىء آخر؛ قال الأعشى :
* إذا تقوم يكاد الخصر ينخزل *   (٢) حقائقه أى حقوقه .

عَرُوضه من الطويل . توامقه : تفاعله من المُوامقة ، أى تَوَدّه و يودّك ؛ يقال وَمَقْتُه أَمِقُه أى أحببته . و يفتلتك أى يُخْرِجه من يدك وقَبْضَتِك . الشعر لكُثَيِّر . والغناء لمالك بن أبى السَّمْح ، و يقال إنه للهُذَلِىّ ، خفيفُ ثقيلٍ أول بالبنصر .

سئل ابن عمران الطلحى أن يعاون صيرفيا أفلس فتمثل ببيتين لكثير

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال حدّثنا طلحة بن عبد الله قال حدّثنى أبو مَعْمَرٍ

٥ عافيةُ بن شَيْبَةَ قال حدّثنى العُتْبِىُّ قال :

أفلس صَيْرَفِىٌّ بالمدينة ، فخرج قومٌ يسألون له ، فمرُّوا بآبن عِمْرانَ الطَّلْحِىِّ وقد فتح بابَه واجتمع له أصحابُه ، فسألوه ، فقرَع بِمِخْصَرته[1] ثم رفع رأسَه اليهم فقال :

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليكَ عطاءَه * صنيعةُ تَقْوَى أو صَدِيقٌ تُوامِقُهْ

بَخِلتَ وبعضُ البُخْلِ حَزْمٌ وقوّةٌ * فلم يفتلِتْكَ المالَ إلّا حقائقه

١٠ إنّا والله ما نَحِيدُ عن الحق ، ولا نتدفّق فى الباطل ، و إنّ لنا لحقوقًا تشغَل فضولَ أموالِنا ، وما كلُّ مَنْ أَفْلَسَ من صَيارِفةِ المدينةِ قَدَرنا أن نَجْبُرَه ، قُومُوا . قال : فقُمْنا نستبق الباب .

سأل أنصارى هشاما وكان مسبوقا أن يفرض له فأبى ، فتمثل الأبرش بيتى كثير

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا أبو مَسْلَمَة[2] المَدِينىّ قال أخبرنى أبى قال :

١٥ كان رجلٌ من الأنصار من بنى حارثة مُمْلِقًا ليس فى ديوانٍ ولا عَطاء ، وكان صديقًا لإبراهيم بن هشام بن إسماعيل . فقال له يوما : إنّ أمير المؤمنين مسابقٌ غدًا بين الخيل ، وقد أمرتُ الحَرَسَ ألّا يَعْرِضوا لك حتى تكلّمه . قال : فسبَق هشامًا يومئذ ابنٌ له ، وكان السبق يشتدّ عليه[3] . فعرَض له الأنصارىّ فقال :

---

(١) المخصرة : ما يختصره الإنسان أى يمسكه ليتوكأ عليه مثل العصا والقضيب والمقرعة .

٢٠ (٢) فى ج : « أبو سلمة المدينى » . (٣) هذه عبارة ج . وفى سائر الأصول : « وكان اذا سبق يشتدّ عليه » .

يا أمير المؤمنين، أنا امرؤ من الأنصار، وقد بلغتُ هذه السنَّ (١) ولستُ فى ديوانٍ. فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يَفْرِضَ لى فَعَلَ. قال: فأقبل عليه هشامٌ فقال: والله لا أفرِض لك حتّى مثل هذه الليلة من السنة المُقْبِلة، ثم أقبل على الأبرش فقال: يا أبرش أخطأ أخو الأنصار المسألةَ. فقال: يا أمير المؤمنين، ابن أبى جُمعة يقول:

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليك عطاءَه * صنيعةُ تَقْوَى أو خليلٌ تُوامقه
منعتَ وبعض المنع حزمٌ وقوة * فلم يفتلتك المالَ إلّا حقائقُه

*
* *

صوت

من شعر عمرو بن شأس
٦٣
١٠

فوانَدَمِى على الشباب وواندَمْ * نَدِمتُ وبان اليومَ منّى بغير ذَمّْ
وإذ إخوتى حولى وإذ أنا شامخٌ * وإذ لا أجيب العاذلاتِ من الصَّمَمْ
أرادتْ عِرارًا بالهوان ومن يُرِدْ * عرارًا لعمرى بالهوان فقد ظَلَم
فإن كنتِ منّى أو تريدين صُحْبتى * فكونى له كالسَّمْنِ رُبَّتْ له الأَدَمْ
وإلّا فبِينِى مثلَ ما بان راكبٌ (٢) * تيمّمَ خِمْسًا ليس فى وِرْده يَتَمْ
فإنّ عِرارًا إن يكن ذا شكيمةٍ * تعافينها منه فما أملكُ الشِّيَمْ
وإنّ عِرارًا إن يكن غيرَ واضح * فإنى أُحِبّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ
وإنى لأُعطى غثّها وسمينها * وأَسرى إذا ما الليلُ ذو الظُّلَمِ ادْلَهَمّ
حِذارًا على ماكان قدّم والدى * إذا روّحتهم حَرْجَفٌ تطرُد الصِّرَمْ

عروضه من الطويل. الشعر لعمرو بن شأس الأسدىّ. والغناء فى الأوّل والثانى من الأبيات لمعبد، ثانى ثقيلٍ بالسبّابة فى مجرى الوسطى، عن إسحاق. وذكر عمرو

(١) فى الأصول: «هذا السن» والسن مؤنثة. (٢) ويروى هذا البيت فى ديوان الحماسة:
وإلا فسيرى مثل ما سار راكب * تجشم خمسا ليس فى سيره أمم
والأمم هنا: القرب والقصد.

أن فيهما لمالك خفيف رملٍ بالبنصر . وفى الثامن والتاسع لابن جامع هزَجٌ بالوسطى عن الهشامىّ وعلىّ بن يحيى ، وفيهما لإبراهيم ماخورىٌّ بالبنصر من نسخة عمرو الثانية ، ولابن سُرَيج ثانى ثقيل بالبنصر عن حَبَش ، وفيهما رملٌ مجهولٌ وقيل : إنه لسُلَيم . الشامخ : الذى يشمَخ بأنفه زَهْوًا وكِبْرًا . وأصل الظلم وضع

٥ الشىء فى غير موضعه . والشيمةُ : الطبيعة . رُبّت له : يعنى للسِّمْن فلا تفسده[1] . والأَدَم جمع واحدُها أديمٌ وجمعها أَدَمٌ[2] ، كما يقال أَفِيقٌ وأَفَقٌ[3] . واليَتَمُ : الغفلة[4] والضَّيْعة ؛ واليتيم مأخوذ من هذا . واليتيم من البهائم : ما اختُلِج عن أُمِّه . والعرب تقول : "لا تخلِج الفَصِيلَ عن أمه ، فإنّ الذئب عالمٌ بمكان الفصيلِ [اليتيم][5]" . ويقال : فلان شديد الشكيمة أى شديد اللسان كثير البيان ؛ ومنه شكيمة اللِّجام،

١٠ وجَمْعُها شكائمُ . قال عُوَيْف القَوَافِى :

أقولُ لِفِتْيانٍ كِرامٍ تَرَوَّحوا * على الجُرْدِ فى أفواههن الشكائمُ

والواضح : الأبيض . والجَوْن : الأسود والأبيض أيضا ، وهو من الأضداد . والعَمَمُ : الطويل ؛ يقال رجلٌ عَمَمٌ ، وامرأةٌ عَمَمٌ ، ورجلٌ عَمِيمٌ ، وامرأةٌ عميمةٌ ، ونخلٌ عميمٌ ، ونبتٌ عميمٌ . والسُّرَى : السير ليلًا . وادلهمّ : اشتدّ سواده .

١٥ والحَرْجَفُ : الريح الشديدة الباردة . والصِّرَمُ : جمع صِرْمةٍ[6] وهى القِطْعةُ من الإبل . يعنى أن هذه الريح إذا هبّت طَرَد الرعاءُ الإبلَ الى مُرَاحها وأعطانها فتسكُن فيها .

---

(١) يريد أن الأدم التى هى أوعية السمن إذا دهنت بالرب ، منعت فساد السمن وزادت فى طيب ريحه . والرب : خلاصة التمر بعد طبخه وعصره . (٢) فى ج : « وجمعت أدما » .

(٣) فى الأصول : « أنيق وأنق » وهو تحريف . والأفيق والأديم كلاهما الجلد المدبوع .

٢٠ (٤) قيل معنى اليتم هنا الإبطاء . (راجع لسان العرب فى مادة يتم) . (٥) التكملة من لسان العرب (فى مادة يتم) . (٦) كذا فى ج . وفى سائر الأصول : «جمع صريمة» وهو تحريف .

نسب عمرو بن شأسٍ وأخباره فى هذا الشعر وغيره

نسب عمرو بن شأس

هو عمرو بن شأس بن عُبَيْد بن ثَعْلبة بن ذُؤَيْبة[1] بن مالك بن الحارث بن سعد ابن ثعلبة بن دُودان بن أَسد بن خُزَيمة . وهذا الشعر يقوله فى امرأته أُمّ حسّان وابنه عِرارِ بن عمرو، وكانت تُؤْذيه وتعيِّره بسواده .

كانت امرأته تؤذى ابنه عرارا وتشتمه ويشتمها، فقال هو شعرا يخاطبها به

وأخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن الحسن الأَحْوَل قال قال ابن الأعرابىّ :

كانت امرأة عمرو بن شأس من رَهْطه، ويقال لها أمّ حسّان[2]، واسمها حيّة بنت الحارث بن سعد، وكان له ابن يقال له عِرارٌ من أَمَةٍ له سوداء، وكانت تعيِّره وتُؤْذى عِرارًا وتشتمه ويشتمها . فلمّا أعيتْ عمرًا قال فيها :

٦٤ / ١٠

دِيارَ ابنةِ السَّعْدىِّ هيه[3] تكلّمى * بدافقةِ الحَوْمانِ فالسَّفح من رَمِمْ
لَعَمْرُ ابنةِ السَّعْدىِّ إنّى لأتّقى * خلائقَ تُؤْبى[4] فى الثّراء وفى العَدَمْ
وقفتُ بها ولم أكن قبلُ أرتجى * إذا الحَبْلُ من إحدى حَبائبِىَ انصرم
وإنّى لمُزْرٍ[5] بالمَطِىِّ تنقّلى * عليه وإيقاعِى المُهنَّدَ بالعِصَمْ
وإنّى لأعطى غثَّها وسمينَها * وأَسرى إذا ما الليلُ ذو الظُّلَمِ ادلهمّ

(١) الذى فى شرح التبريزى لديوان الحماسة (طبع مدينة بن سنة ١٨٢٨ م ص ١٣٩) : «رويبة» بدل "ذؤيبة" . (٢) كذا فى أ، م . وفى سائر الأصول : «وأمها» . (٣) هيه : كلمة استزادة للحديث، مثل إيه . والحومان ورمم : موضعان . (٤) تؤبى : تعاف وتكره . (٥) مزر : مستخف متهاون . وتنقلى عليه : بدل من المطى . والعصم : القلائد، واحدتها عصمة، والمراد مواضعها ، يريد أنه كثير الأسفار كثير الإغارة .

إذا الثلجُ أضحى فى الديار كأنه * مَنَاثِرُ مِلحٍ فى السُّهول وفى الأَكَمْ (١)
حِذارًا على ما كان قدّم والدى * إذا روّحتهم حَرْجَفٌ تطرد الصِّرَمْ
وأترك نَدْمانى يجُرّ ثيابَه * وأوصالَه من غير جُرْحٍ ولا سَقَمْ (٢)
ولكنّها من رَيّةٍ بعد رَيّةٍ * مُعتّقةٍ صهباء راووقُها رَذِمْ (٣)
٥ من العانيات من مُدامٍ كأنها * مَذابحُ غِزلانٍ يَطيبُ بها الشَّمَمْ (٤)
وإذ إخوتى حولى وإذ أنا شامخٌ * وإذ لا أجيب العاذلات من الصمم
ألم يأتها أنّى صَحَوْتُ وأنّنى * تحالمتُ حتى ما أُعارِمُ من عَرِمْ (٥)
وأطرقتُ إطراق الشُّجاع ولو يرى * مَسَاغًا لِنَابَيْهِ الشجاعُ لقد أزَمْ (٦)
وقد علمتْ سعدٌ بأنّى عميدُها * قديمًا وأنّى لستُ أَهْضِمُ من هَضَمْ

١٠ — يقول : لا أظلم أحدًا من قومى وأتهضّمُه (٧) فيطلبنى بمثل ذلك ، أى أرفع نفسى عن هذا —

خُزَيْمةُ رَدّانى (٨) الفَعَالَ ومعشرٌ (٩) * قديمًا بَنَوْا لى سُورةَ المجْدِ والكَرَمْ

(١) مناثر : جمع منثر (وزان مكتب) ، وهو اسم مكان من نثر ينثر . وهو يريد كأن الثلج ملح منثور ، فشبه مساقط الثلج بمناثر الملح . والأكم (بفتحتين وبضمتين) : جمع أكمة (بفتحتين) وهى دون الجبل .

١٥ (٢) الندمان : الذى يوافقك فى شرابك . والأوصال : المفاصل ، واحدها وصل (بكسر الواو وضمها) .

(٣) راووق الخمر : ناجودها الذى تروّق فيه . والرذم (بالتحريك) : اسم من الامتلاء وصف به .

(٤) فى الأصول : « من الغانيات » بالغين المعجمة ، وهو تصحيف . والعانيات : الأسيرات ، أى هى من المحتبسات فى دنانها . وقوله « كأنها مذابح غزلان » يريد أن يصفها بطيب الريح ، حتى كأنها مواضع شق نوافج المسك . (٥) يقال : عرم يعرم (من بابى نصر وضرب) وعرم (بكسر

٢٠ عين الفعل) وعرم (بضمها) عرامة وعراما (بضم أوله) إذا اشتدّ . (٦) الإطراق : السكوت فى سكون . والشجاع هنا : الحية الذكر . وأزم عض ؛ يقال : أزمه يأزمه وعليه (من باب ضرب) إذا عضه . (٧) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « وانهضه » . وهو تحريف .

(٨) ردّانى : ألبسنى . والفعال (بالفتح) : الخير . يريد : ورثنى شمائل الخير . (٩) كذا فى الأصول . وقد أثبتها المرحوم الشيخ سيد بن على المرصفى فى كتابه (أسرار الحماسة) : « ومعشرى » بياء

٢٥ المتكلم ، وهي الأنسب بالسياق . وسورة المجد : يريد منزلة المجد . والسورة من البناء : ما حسن وطال .

إذا ما وردنا الماء كانت حماته * بنو أسد يوما على رغم من رغم(١)

أرادت عرارا بالهوان ومن يرد * عرارا لعمرى بالهوان فقد ظلم

لما يئس من الصلح بين امرأته وابنه طلقها ثم ندم وقال شعرا

وذكر باقى الأبيات . قال ابن الأعرابى وأبو بكر الشيبانى : جهد عمرو بن شأس أن يصلح بين ابنه وامرأته أم حسان فلم يمكنه ذلك ، وجعل الشر يزيد بينهما . فلما رأى ذلك طلقها ، ثم ندم ولام نفسه ؛ فقال فى ذلك :

تذكر ذكرى أم حسان فاقشعر * على دبر لما تبين ما ائتمر(٢)

فكدت أذوق الموت لو أن عاشقا * أمر بموساه الشوارب فانتحر(٣)

تذكرتها وهنا وقد حال دونها * رعان وقيعان بها الزهر والشجر(٤)

فكنت كذات البو لما تذكرت * لها ربعا حنت لمعهده سحر(٥)

حفاظا ولم تنزع هواى أثيمة * كذلك شأو المرء يخلجه القدر

قال ابن الأعرابى : الأثيمة الفعيلة من الإثم ، وهى مرفوعة بفعلها ، كأنه قال : [لم] تنزع الأثيمة هواى . تخلجه : تصرفه . شأوه : همه ونيته . قال وقال فيها أيضا :

---

(١) الرغم (مثلث الراء) هنا : الكره والقسر . ورغم : ذل ؛ يقال رغم أنف فلان (بفتح الغين وكسرها وضمها) اذا ذل وانقاد . (٢) دبر كل شىء : آخره . وائتمر هنا : عمل برأيه . والمؤتمر يصيب مرة ويخطئ أخرى . يقول : تذكر أم حسان أخيرا فاقشعر حين تبين له خطأ ما فعل .

(٣) فى العبارة هنا قلب أى أمر موساه بالشوارب . والشوارب هنا : عروق فى الحلق . والانحار هنا : قتل المرء نفسه . (٤) الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه ، أو هو حين يدبر الليل ، ومثله الموهن . ورعان : جمع رعن (بالفتح) وهو أنف يتقدم الجبل ، والجبل الطويل . والقيعان جمع قاع ، وهو أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . (٥) البو : جلد ولد الناقة أو البقرة يحشى تبنا أو نحوه ثم يقرب إلى أمه فتعطف عليه وتدر . والربع (بضم ففتح) : الفصيل ينتج فى الربيع وهو أول النتاج ، فان نتج فى آخره فهو هبع (بضم وفتح) .

ألم تعلمى يا أمَّ حسّانَ أننى * إذا عَبْرةٌ نَهْنَهْتُها[١] فتجلّت
رجعتُ الى صدرٍ كجَرّة حنتمٍ[٢] * إذا قُرِعتْ صِفْرًا من الماء صلّت

٦٥ / ١٠

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّةَ عن إسحاق بن محمد بن سلّام، وأخبرنى إبراهيم بن أيوب عن ابن قُتَيْبَةَ قال قال ابن سلّام:

خبر ابنه عرار مع عبد الملك حين جاءه رسولا من قبل الحجاج

٥ لمّا قتل الحجاجُ عبدَ الرحمن بن محمد بن الأشعث بعث برأسه مع عِرار بن عمرو بن شأس الأسَدىّ، فلمّا ورد به وأوصل كتابَ الحجاج، جعل عبدُ الملك يعجَب من بيانه وفصاحته مع سواده، فقال متمثّلا:

وإنّ عِرارًا إن يكُنْ غيرَ واضحٍ * فإنّى أُحبُّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ

فضحِك عرارٌ من قوله ضحكًا غاظ عبدَ الملك، فقال له: مِمَّ ضحِكتَ ويحك؟! قال:
١٠ أتعرف عرارًا يا أمير المؤمنين الذى قيل فيه هذا الشعر؟ قال لا. قال: أنا والله هو. فضحِك عبد الملك ثم قال: حَظٌّ وافق كلمةً، وأحسنَ جائزتَه وسرَّحه.

قال شعرا فى قتل ملك من غسان يقال له عدىّ

وقال الطوسىّ: أغار ملكٌ من ملوك غسّان يقال له عَدِىٌّ وهو ابن أخت الحارث بن أبى شَمِرٍ الغسّانىّ على بنى أَسَدٍ، فلقيَتْه بنو سَعْدِ بن ثعلبةَ بن دُودَانَ بالفُرات ورئيسهم ربيعةُ بن حُذار[٣]، فاقتتلوا قتالًا شديدا، فقتلت بنو سعدٍ عَدِيًّا،
١٥ اشترك فى قتله عمرو وعمير ابنا حُذَار أخوا ربيعة، وأُمُّهما امرأة من كِنانة يقال لها تُماضِرُ إحدى بنى فِراس بن غَنْم وهى التى يقال لها مقيِّدة الحمار. فقالت فاختة بنت عدىٍّ:

---

(١) العبرة: الدمعة قبل أن تفيض. ونهنهتها: كففتها. (٢) فى الأصول: «... الى صبر كطسة حنتم». والتصويب من اللسان (فى مادة حنتم). والحنتم: جرار خضر تضرب
٢٠ الى الحمرة. وصلت: صوّتت. (٣) وقيل فى ضبطه إنه ككتاب.

لَعَمْرُكَ ما خَشِيتُ على عَدِىٍّ * رِماحَ بنى مُقَيِّدة الحمارِ
ولكنّى خشيتُ على عدىٍّ * رماحَ الجنّ أو إيّاكَ حار

— تعنى الحارثَ بن أبى شمر خالَه —

قَتِيلٌ مّا قتيلُ ابنىْ حُذَارٍ * بعيدُ الهمِّ طَلّاعُ النِّجارِ

ويروى : «جواب الصحارى» . فقال عمرو بن شأس فى ذلك : ٥

صــوت

متى تَعْرِفِ العينانِ أطلالَ دِمْنة * لليلَى بأعلى ذى مَعَارِكَ[1] تَدْمَعَا
على النحر والسِّرْبالِ حتى تَبُلَّهُ[2] * سُجُومٌ ولم تَجْزَعْ على الدار مَجْزَعَا
خليلىَّ عُوجَا اليومَ نَقْضِ لُبَانةً * وإلّا تَعُوجَا اليومَ لا نَنْطَلِقْ مَعَا
وإن تنظُرانى اليومَ أَتْبَعْكُما غدًا * قِيادَ الجَنيبِ[3] أو أذلَّ وأطوعا ١٠

وهى قصيدة . غنّى فى هـذه الأبيات إبراهيم ثقيلًا أوّلَ بالوسطى عن الهشامى .
والدمنة فى هذا الموضع : آثار الناس وما سوّدوا ، وهى فى غير هذا الموضع الحِقْدُ ؛
يقال : فى صدره عَلَىَّ إِحْنةٌ ، وتِرةٌ ، وضَبٌّ ، وحَسِيكةٌ ، ودِمْنـةٌ . وعُوجَا : احبِسا
وتلبّثا ، عاجَ يَعُوجِ عِياجًا[4] . وما أَعِيجُ[5] بكلامك أى ما ألتفت إليه . واللُّبانة : الحاجةُ ؛

---

(١) ذو معارك : موضع فى ديار بنى تميم . وفى الأصول : « ذى معازل » والتصويب من كتاب ١٥
معجم ما استعجم وطبقات الشعراء لابن سلام . (صفحة ٤٧ طبعة مدينة ليدن سنة ١٩١٦ م) .

(٢) الضمير المرفوع فى « تبله » وما بعده مراد به العين . وجائز فى مثل هذا المثنى أن يعود الضمير
اليه مفردا . وفى طبقات الشعراء « رشاشا » بدل « سجوم » . وقوله : ولم تجزع على الدار، يريد أن
تذراف العين بالدموع لم يكن لجزعها على الدار، وإنما كان على أهلها الذين فارقوها .

(٣) رواية طبقات الشعراء : * أذل قيادا من جنيب وأطوعا * ٢٠

(٤) الذى فى القاموس : عاج عوجا ومعاجا . (٥) عين هذا الفعل ياء، وعين الأول واو.
وبنو أسد يقولون : ما أعوج بكلامك .

يقال : لى فى كذا لُبَانةٌ ولبونة ولُمَاسةٌ(١)، ووَطَرٌ، وحَوْجاء ممدودةً . وقوله «لا ننطلق معا » ، يقول إن لم تَقِفَا تأخّرت عنكما فتفرّقنا . وتنظُرانى تُنْظِرانى؛ يقال نظرته أنظُره ، وأنظرته أُنظِره إنظارًا ونَظِرةً أيضا إذا أخّرته؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ . والجنيب : المجنوبُ من فرس وغيره، والجنيب أيضا الذى يشتكى

٥ رِئته من شدّة العَطَش .

خطب بنت رجل كان مجاورا له فلما أحس منه امتناعا أراد أن يصيبها سبية ثم تذمم وقال شعرا

وقال الطوسى قال الأصمعى : جاور رجلٌ من بنى عامر بن صَعْصَعة عمرو ابن شأس ومعه بنت له من أجمل الناس وأظرفهم، فخطبها عمرو الى أبيها . فقال أبوها : أمّا ما دمتُ جارًا لكم فلا، لأنى أكره أن يقول الناس غصبه أمرَه ، ولكن إذا أتيتُ قومى فاخْطُبْها إلىّ أُزَوِّجْكَها . فوجَد عمرو من ذلك فى نفسه

٦٦ / ١٠

١٠ وآعتقد ألّا يتزوّجها أبدًا إلا أن يُصيبها مَسْبِيّة . فلمّا ارتحل أبوها همّ عمرٌو بغزو قومها، فسار فى أثر أبيها . فلمّا وقعت عينه عليه وظفِر به استحيا من جُواره وما كان بينهما من العهد والميثاق، فنظر إلى الجارية أمامهم وقد أخرجتْ رأسها من الهَوْدَج تنظُر اليه . فلمّا رآها رجع مُسْتَحْيِيًا متذمّمًا منها . وكان عمرو مع شجاعته ونجدته من أهل الخير، فقال فى ذلك :

١٥ صـــوت

إذا نحن أدْلَجْنا(٢) وأنتِ أمامنا * كَفَى لمطايانا بوجهك هاديا

أليس يزيدُ العِيس(٣) خِفّةَ أذْرُعٍ * وإن كُنّ حَسْرَى أن تكونى أماميا

(١) لم نجد هذه الكلمة فيما لدينا من كتب اللغة . (٢) الإدلاج : سير الليل .

(٣) العيس من الإبل : البيض مع شقرة يسيرة، الواحد أعيس وعيساء . والحسرى : جمع حسير

٢٠ وهى الدابة المعيية المتعبة .

ولولا اتّقاءُ اللهِ والعهدُ قد رأى * مَنِيّتَه منِّى أبوك اللّياليا

ونحن بنو خيرِ السِّباع أكِيلةً * وأحْرِبه[1] إذا تنفّس عاديا

بنو أَسَدٍ وَرْدٍ يَشُقّ بنابِه * عظامَ الرجالِ لا يُجيب الرَّواقِيا[2]

متى تَدْعُ قيسًا أَدْعُ خِنْدِفَ إنّهم * إذا مادعَوا أسمعتَ ثَمَّ الدَّواعيا

لنا حاضرٌ لم يَحْضُرِ الناسُ مثلَه * وبادٍ إذا عدُّوا علينا البَوادِيا

٥

الغناء لإسحاق الموصلىّ ثانى ثقيل فى الأوّل والثانى من الأبيات ، وفيه لحنٌ قديم .

سئل ابن سيرين عن النسيب فأنشد بيتين من شعره دلالة على جوازه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرَوَيْهِ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا الحِزامىّ قال حدّثنا مَعْنُ بن عيسى عن رجل عن سُوَيْد بن أبى رُهْم قال : قلت لابن سِيرين : ما تقول فى الشعر؟ قال : هو كلامٌ، حَسَنه حسنٌ، وقبيحُه قبيحٌ . قلتُ : فما تقول فى النَّسيبِ؟ قال : لعلك تُريد مثلَ قول الشاعر :

١٠

إذا نحن أدلجنا وأنتِ أمامنا * كفى لمطايانا بوجهك هاديا

أليس يزيد العيسَ خِفّةَ أَذْرُعٍ * وإن كُنَّ حَسْرَى أن تكونى أماميا

قال : وأراد بإنشاده إيّاهما أنك قد رأيتَنى أحفَظ هذا الجنسَ وأرويه وأنشدتُك إياه، فلوكان به بأسٌ ما أنشدتُه .

١٥

صوت

فإنْ تَكُنِ القتلَى بَواءً فإنّكم * فتًى مّا قتلتم آلَ عَوْفِ بنِ عامرِ

فتًى كان أَحْيَا من فتاةٍ حَيِيّةٍ * وأشْجَعَ من لَيْثٍ بخَفّانَ خادرِ

(١) وأحربه : يريد أنه أحرب السباع أى أشدها فى الحرب والمقاتلة . والعادى من السباع : الظالم الذى يفترس الناس . (٢) هذا كناية عن أن فريسته لا سبيل الى شفائها وسلامتها .

٢٠

عَرُوضُه من الطويل . البَوَاء بالباء : التكافؤ ، يقال ما فلانٌ لفلانٍ بَبَوَاء ، أى ما هو له بكفء أن يُقْتَلَ به . و « ما » فى قولها « فتى ما قتلتم » صلة . وآل عوف نداء . وخَفّان : موضع مشهور . وخادر : مقيم فى مَكْمَنه وغِيله ، وهو مأخوذ من الخِدْر[1] .

٥ الشعر لليلَى الأخْيَلية تَرْثى تَوْبَةَ بنَ الحُمَيِّر . والغناء لإسحاق بن إبراهيم الموصلىّ ، رملٌ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر . وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش . وفى هذه القصيدة عدّةُ أغانٍ تُذْكَرُ مع سائر ما قاله توبةُ فى ليلَى وقالت فيه من الشعر عند انقضاء الخبر فى مَقْتَله إن شاء الله تعالى .

٦٧ / ١٠

(١) من معانى الخدر (بالكسر) : أجمة الأسد ، ومن معانى الخدر (بالفتح) : الإقامة .

ذكر ليلى ونسبها وخبر توبة بن الحُمَيِّر معها وخبر مقتله

نسب ليلى الأخيلية

هى ليلى بنت عبد الله بن الرَّحّال — وقيل ابن الرحّالة — بن شَدّاد بن كَعْب بن مُعاوية، وهو الأَخْيَل وهو فارس الهَرّار[1]، ابن عُبادة بن عُقَيل بن كَعْب بن رَبيعة ابن عامر بن صَعْصَعة . وهى من النساء المُتَقَدِّمات[2] فى الشعر من شعراء الإسلام . ٥

كان توبة بن الحمير يهواها ونسبه

وكان تَوْبَةُ بن الحُمَيِّر يهواها . وهو تَوْبَةُ بن الحُمَيِّر بن حَزْم بن كَعْب بن خَفَاجة بن عمرو بن عُقَيْل .

أخبرنى ببعض أخبارهما أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ومحمد بن حَبيب ابن نصر المُهَلَّبىّ قالا حدّثنا عبد الله بن أبى سعد[3] الورّاق قال حدّثنا محمد ابن علىّ أبو المُغيرة قال حدّثنا أبى عن أبى عُبَيْدة قال حدّثنى أُنَيْس بن عمرو العامرىّ قال : ١٠

كان توبةُ بن الحميِّر أحدَ بنى الأَسَدِيّة، وهى عامرة بنت والبةَ بن الحارث، وكان يتعشّق ليلى بنتَ عبد الله بن الرحّالة ويقول فيها الشعر، فخطبها الى أبيها فأبى أن يزوّجه إيّاها وزوّجها فى بنى الأَدْلَع . فجاء يومًا كما كان يجىء لزيارتها، فإذا هى سافرة ولم يرَ منها اليه بشاشةً، فعلم أنّ ذلك لأمرٍ مّا كان، فرجع الى راحلته فركبها ومضى، وبلغ بنى الأَدْلَع أنّه أتاها فتبِعوه ففاتهم . فقال توبة فى ذلك : ١٥

جاءها توبة يوما فسفرت له لتحذره

---

(١) ورد اسم هذا الفرس فى الأصول هنا محرفا . وقد تقدم فى صفحتى ٨٥ و ٨٧ من هذا الجزء.

(٢) فى ا ، م : «المقدمات» . (٣) فى الأصول هنا : «عبد الله بن عمرو بن أبى سعد الوراق» . وقد ورد كثيرا فى الأجزاء الماضية كما أثبتناه .

نأتْـــكَ بليـلَى دارُهـا لا تزورُها * وشـطَّتْ نَوَاهـا واستمَرّ مَرِيرُها (١)

وهى طويلة ، يقول فيها :

وكنتُ إذا ماجئتُ ليـلَى تبرقعتْ * فقد رَابَنى منهـا الغَـداةَ سُفُورُها

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال :

٥ كان توبةُ بن الحميّر إذا أتى ليلَى الأخْيَلِيّة خرجتْ اليه فى بُرْقُع . فلمّا شُهِر أمرُه شَكَوْه الى السُّلْطان، فأباحهم دَمَه إن أتاهم . فمكثوا له فى الموضع الذى كان يلقاها فيه . فلمّا علمتْ به خرجتْ سافرةً حتى جلستْ فى طريقه . فلمّا رآها سافرةً فَطَنَ لِمَـا أرادتْ وعلِمَ أنه قد رُصِد ، وأنها سَفَرتْ لذلك تحذِّره ، فركض فرسَه فنجا . وذلك قوله :

١٠ وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ * فقـد رابنى منهـا الغداةَ سفورُها

قال أبو عُبَيـدَةَ وحدّثنى غيرُ أُنَيْس أنه كان يُكْثِر زيارتَهـا ، فعاتبه أخوها وقومُها فلم يعتِبْ (٢)، وشَكَوْه الى قومه فلم يُقْلِـع ، فتظلّموا منه الى السُّلْطان فأهدر دمَه إن أتاهم . وعلمتْ ليلى بذلك، وجاءها زوجُها وكان غيوراً فحلف لئن لم تُعْلِمْـه بمجيئه لَيقتلنّها، ولئن أنذرتْه بذلك لَيقتلنّها . قالت ليلى : وكنت أعرِفُ الوجهَ الذى

١٥ يجيئنى منه ، فرصَدوه بموضعٍ ورصدته بآخر، فلمّا أقبل لم أقدِرْ على كلامه لليمين ، فسفرتُ وألقيتُ البُرْقُعَ عن رأسى . فلمّا رأى ذلك أنكره فركب راحلتَه ومضى ففاتهم .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى أحمد ابن معاوية بن بكر قال حدّثنى أبو زيادٍ الكِلَابىُّ قال :

ضافها رجل من بنى كلاب وخبره معها ومع زوجها

(١) يقال : نآه ونأى عنه اذا بعد عنه . وشطت . بعدت . والنوى هنا : الوجه الذى ينويه المسافر

٢٠ من قرب أو بعد، ومثله النية . واستمر : استحكم . والمرير هنا : العزيمة ، ومثله المريرة . يقال : استمرت مريرة فلان على كذا اذا استحكم أمره عليه وقويت شكيمته فيه وألفه واعتاده . (٢) أى لم يرضهم .

خرج رجلٌ من بنى كِلَابٍ ثم من بنى الصحمة(١) يبتغى إبلاً له حتى أَوْحَش وأَرْمَل(٢)، ثم أمسى بأرض فنظر الى بيت بِوَادٍ، فأقبل حتى نزل حيث ينزل الضيفُ، فأبصر امرأة وصِبْياناً يدورون بالخِباء فلم يكلِّمه أحدٌ. فلمّا كان بعد هَدْأةٍ من الليل سمِع جَرْجَرة إبلٍ رائحةٍ، وسمِع فيها صوتَ رجلٍ حتى(٣) جاء بها فأناخها على البيت، ثم تقدّم فسمِع الرجلَ يُناجى المرأةَ ويقول: ما هذا السَّوَادُ حِذاءَك؟ قالتْ: راكبٌ أناخ بنا حين غابتِ الشمسُ ولم أُكلّمه. فقال لها: كذبتِ، ما هو إلا بعضُ خُلّانك، ونَهض يضرِبها وهى تناشده. قال الرجل: فسمعتُه يقول: والله لا أترك ضَرْبَكِ حتى يأتىَ ضيفُك هذا فيُغيثَكِ. فلمّا عِيلَ صبرُها(٤) قالت: يا صاحبَ البعير يارَجُلُ! وأخذ الصحمىّ هِرَاوتَه ثم أقبل يَحْضُرُ(٥) حتى أتاها وهو يضربها، فضربه ثلاث ضَرَبات أو أربعاً، ثم أدركتْه المرأة فقالت: يا عبد الله، مالك ولنا! نَحِّ عنّا نفسَك، فانصرف فجلس على راحلته وأدلج ليلتَه كلَّها وقد ظنّ أنه قتل الرجل وهو لا يدرى مَنِ الحىُّ بعدُ(٦)، حتى أصبح فى أَخْبِيةٍ من الناس، ورأى غنماً فيها أمَةٌ مولَّدة، فسألها عن أشياء حتى بلَغ به الذكرُ(٧)، فقال: أخبرينى عن أُناس وجدتُهم بِشِعْبِ كذا(٨). فضحِكَت وقالت: إنك لتسألنى عن شىء وأنت به عالم. فقال: وما ذاك لله بلادُك؟ فوالله ما أنا به عالم. قالت: ذاك خِباء ليلَى الأَخْيَلِيَّة، وهى أحسنُ الناس وجهاً، وزوجُها رجلٌ غَيُورٌ فهو يعزُب بها عن الناس

(١) فى مختار الأغانى: «من بنى الصمح» وكذلك ورد فى الشعر الآتى: «أنا الصمحىّ» ولم نهتد لوجه الصواب فيه. (٢) أوحش هنا: جاع. وأرمل: نفد زاده. (٣) كلمة «حتى» ليست فى ج. (٤) فى مختار الأغانى لابن منظور: «فلما عيل صبرها غوّثت وقالت ...». (٥) فى ب، س: «يحفز» وهو تحريف. والاحضار: العدو. (٦) زاد فى مختار الأغانى: «ولا من الرجل». (٧) كذا فى مختار الأغانى. وفى الأصول: «... بها الذكر». (٨) كذا فى مختار الأغانى. وفى الأصول: «بشعب كذا وكذا» ولا معنى لتكرار هذه الكلمة.

فلا يَحُلّ بها معهم، والله ما يَقْرَبُها أحدٌ ولا يَضِيفها، فكيف نزلتَ أنت بها؟ قال: إنما مررتُ فنظرتُ الى الخباء ولم أقْرَبْه، وكتمها الأمرَ. وتحدَّثَ الناسُ عن رجل نزل بها فضربها زوجُها فضربه الرجلُ ولم يُدْرَ مَنْ هو. فلمّا أخبر[1] باسم المرأة وأقرّ على نفسه تغنّى بشعر دلّ فيه على نفسه وقال:

٥ أَلَا ياليـلَ أختَ بنى عُقَيْـلٍ * أنا الصّـحْمِىُّ إنْ لم تَعـرِفينى
دَعَتْنى دعوةً فَجَـزتُ[2] عنها * بصَكّاتٍ رفعتُ بهـا يمينـى
فإنْ تَـكُ غَيرةً أُبْرِئكَ منهـا * وإن تَكُ قد جُنِنْتَ فذا جُنونى[3]

سألها الحجاج هل كان بينها وبين توبة ريبة وجوابها له

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا رشد[4] بن خَنْتَم الهِلالىّ قال حدّثنى أيُّوب ابن عمرو عن رجل يقال له وَرْقاء قال:

١٠ سمعتُ الحَجَّاجَ يقول لليلى الأخْيَليّة: إنّ شبابَكِ قد ذهب، واضمحلّ أمرُكِ وأمرُ توبة، فأُقسم عليك إلّا صَدَقْتِنى، هل كانت بينكما رِيبةٌ قَطُّ أو خاطبكِ فى ذلك قطّ؟ فقالت: لا والله أيّها الأمير إلا أنّه قال لى ليلةً وقد خَلَوْنا كلمةً ظننتُ أنه قد خضَع فيها لبعض الأمرِ، فقلتُ له:

وذى حاجةٍ قلنا له لا تَبُحْ بها * فليس إليها ما حَيِيتَ سبيلُ
١٥ لنا صاحبٌ لا ينبغى أن نخونَه * وأنت لأُخْرَى فارغٌ وحَليـلُ[5]

(١) فى مختار الأغانى: «فلما أخبر باسم المرأة أقر على نفسه بشعر قاله وهو ...».
(٢) ججزت: كففت ودفعت. (٣) فى ح: «فذو جنون». وكلا الرسمين يستقيم به المعنى. ومعنى البيت: إن كان ما حملك على ضرب زوجك غيرة فأنا أشفيك منها، وإن كان جنونا فأنا ذو جنون يغلب جنونك، أو فهذا الذى رأيته منى جنونى. وفى مختار الأغانى: «فذق جنونى».
٢٠ (٤) لم نعثر على ضبط هذا الاسم، وقد سموا رشدا (بضم فسكون) ورشدا (بالتحريك).
(٥) فى بعض الأصول: «وخليل». وفى كتاب الأمالى لأبى على القالى (ج ١ ص ٨٨ طبع مطبعة دار الكتب المصرية): «صاحب» بدل «فارغ». وحليل المرأة زوجها، وهى حليلته، لأن كليهما يحال الآخر أى يكون معه فى محل واحد.

فلا والله ما سمعت منه رِيبةً بعدها حتى فرق بيننا الموتُ . قال لها الحجاج : فما كان منه بعد ذلك ؟ قالت : وجّه صاحبًا له الى حاضرنا فقال : إذا أتيتَ الحاضرَ من بنى عُبادةَ بن عُقَيل فاعْلُ شَرَفًا ثم ٱهْتِفْ بهذا البيت :

عفا الله عنها هل أبِيتَنَّ ليلةً * من الدهرِ لا يَسْرِى إلىّ خيالُها

فلمّا فعل الرجل ذلك عرفتُ المعنى فقلتُ له :

وعنه عفا ربِّى وأحسنَ حِفْظَه[1] * عزيزٌ علينا حاجةٌ لا ينالُها

٦٩/١٠

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء ، وهو أجمع فى قصيدة توبة :

* نأتك بليلى دارها لا تزورها *

صوت

حمامةَ بطن الواديَيْن ترنّمى * سقاكِ من الغُرّ الغوادى مَطِيرُها

أبِينى لنا لا زالَ رِيشُكِ ناعمًا * ولا زلتِ فى خَضْراءَ دانٍ بَرِيرُها[2]

وأُشْرِفُ بالقَوْزِ اليَفَاعِ[3] لعلّنى * أرى نارَ ليلى أو يرانى بصيرُها[4]

وكنتُ إذا ماجئتُ ليلى تبرقعتْ * فقد رابنى منها الغداةَ سُفورُها

على دماءُ البُدْنِ[5] إن كان بعلُها * يرى لِىَ ذنباً غيرَ أنّى أزورُها

وأنّى إذا ما زرتُها قلتُ يا ٱسْلَمِى * وما كان فى قولى ٱسْلَمِى ما يَضِيرُها

---

(١) فى الأمالى : « ... وأحسن حاله * فعزت ... » .

(٢) فى الأمالى : « غض نضيرها » . والبرير : ثمر الأراك . (٣) كذا فى جـ . والقوز : الكثيب من الرمل . واليفاع : المشرف . وفى بعض الأصول « بالغور » بالغين المعجمة ، وفى بعضها الآخر « بالفور » بالفاء وهو تصحيف . (٤) أى أو يرانى البصير المجاور للنار ، فأضاف البصير الى النار لهذه المناسبة . وظاهر أنه يريد بالبصير ليلى . (٥) البدن (بالضم ، وبضمتين أيضا) : جمع بدنة (بالتحريك) وهى الناقة أو البقرة تسمن وتذبح بمكة .

وغيّرني إن كنتِ لمّا تغيّري * هَوَاجِرُ تَكْتَنِنُهَا(١) وأسيرُها(٢)

وأدماء(٣) من سِرِّ المَهَارَى كأنّها * مَهَاةُ صُوَارٍ(٤) غيرَ ما مَسَّ كُورُها

قطعتُ بها أجوازَ كلِّ تَنُوفةٍ * مَخُوفٍ رَدَاهَا كلّما آستنّ مُورُها(٥)

ترى ضُعَفَاءَ القومِ فيها كأنّهم * دَعَامِيصُ(٦) ماءٍ نَشَّ(٧) عنها غديرُها

٥ غنّى في الأربعة الأبيات الأُوَل فُلَيْحُ بن أبي العَوْراء ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو. وغنّى في الثالث والرابع ابن سُرَيْج رملًا بالوسطى عن الهشاميّ وعليّ بن يحيى المنجّم، وذكر غيرُهما أنه لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بَزِيع. وغنّى فيها الهذليّ ثقيلًا أوّل بالبنصر عن حَبَشٍ. وغنّى آبن محرز في «عليّ دماءُ البُدْن» والذي بعده خفيفَ رملٍ بالبنصر عن عمرو. وعن آبن مِسْجَحٍ في:

١٠ * وغيّرني إن كنتِ لمّا تغيّري *

---

(١) تقدّمت هذه الأبيات الأربعة التي أوّلها هذا البيت في الأغاني (ج ٣ ص ٢٨٠ من هذه الطبعة). (٢) وردت هذه الكلمة محرفة هاهنا في الأصول، والتصويب مما تقدّم في الجزء الثالث وكتاب منتهى الطلب من أشعار العرب.

(٣) الأدمة في الابل: لون مشرب سوادا أو بياضا أو هو البياض الواضح. والمهارى: جمع مهرية وهي ١٥ إبل منسوبة الى مهرة بن حيدان أبي حي من العرب، وقيل: هي منسوبة الى بلد. وقال الأزهري: هي نجائب تسبق الخيل. وسرها: محضها وأفضلها. وفي أكثر الأصول هنا: «من حر المهارى» وما أثبتناه هو ما في جـ والرواية فيما تقدّم. وفي كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب: «من سرالهجان».

(٤) كذا في جـ ومنتهى الطلب والرواية فيما تقدّم. وفي سائر الأصول: «مهاة صحار». والمهاة: البقرة الوحشية. والصوار: قطيع البقر. (٥) أجواز: جمع جوز، وجوز كل شيء وسطه. ٢٠ والتنوفة: الفلاة التي لا ماء فيها. واستن: هاج وثار. والمور: الغبار تثيره الرياح.

(٦) الدعاميص: دود أسود يكون في الغدران اذا نشّت. (٧) كذا في جـ ومنتهى الطلب وفيما تقدّم. وفي سائر الأصول هنا: «جف». ونش: يبس ونضب.

وما بعده لحنٌ ذكَر أنّ عبد الله بن جعفر روّاه الأبياتَ وأمره أن يُغَنِّىَ بها، أخبرنى بذلك إسماعيل بن يونس الشِّيعىّ عن عمر بن شبّة عن إسحاق الموصلىّ عن ابن الكلبىّ فى خبرٍ قد ذكرته فى أخبار ابن مِسجحٍ[1]، وذكر الهشامىّ أن اللحن ثقيلٌ أوّل بالوسطى.

رأى الأصمعىّ فيما تضمنه شعر لتوبة

حدّثنا أحمد بن عُبَيْد الله بن عمار قال حدّثنى محمد بن يعقوب بالأنبار قال حدّثنى مَنْ أنشد الأصمعىّ[2]:

على دماءُ البُدْنِ إن كان زوجُها * يرى لِىَ ذنبًا غيرَ أنّى أزورها

وأنّى اذا ما زرتُها قلت ياَ اسْلَمِى * فهل كان فى قولى اسْلَمِى مايَضِيرُها

فقال الأصمعىّ: شكوى مظلومٍ، وفعلُ ظالم.

مقتل توبة وسببه وكيف كان

أخبرنى بالسبب فى مقتل توبةَ محمدُ بن الحسن بن دُرَيد إجازةً عن أبى حاتم السِّجِسْتانىّ عن أبى عُبَيدةَ، والحسنُ بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا محمد بن علىّ بن المُغيرة عن أبيه عن أبى عُبيدةَ، وأخبرنى علىّ ابن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السُّكّرىّ عن محمد بن حبيبَ عن ابن الأعرابى، ورواية أبى عُبَيْدةَ أتمُّ واللّفظُ له. قال أبو عبيدةَ:

كان الذى هاج مقتلَ توبةَ بنِ الحُمَيِّر بن حَزْم[3] بن كَعْب بن خَفَاجةَ بن عمرو بن عُقَيْل بن كَعب بن ربيعةَ بن عامر بن صعصعة أنه كان بينه وبين بنى عامر بن عوف بن عُقَيْلٍ لِحاءٌ[4]، ثم إنّ توبةَ شهِد بنى خَفاجةَ وبنى عَوْفٍ وهم يختصمون عند همّام ابن مُطرف العُقَيلىّ فى بعض أمورهم. قال: وكان مَرْوانُ بن الحَكَم يومئذ أميرًا

(١) راجع الجزء الثالث صفحة ٢٨٠ من هذه الطبعة. (٢) فى الأصول: «من أنشده الأصمعى ... الخ». (٣) فى جـ هنا: «جون» بدل «حزم». وفى منتهى الطلب: «حزن». وفى المختلف والمؤتلف للآمدىّ: «سفيان». وسيأتى فى صفحة ٢٢٢: «... حمير بن ربيعة» وهى رواية أبى عبيدة عن مزرع. (٤) لحاء: مصدر لاحاه ملاحاة ولحاء اذا نازعه.

على المدينة فى خلافة مُعاوية بن أبى سُفْيان، فاستعمله على صَدَقات بنى عامر.
قال: فوثب ثَوْرُ بن أبى سِمْعان بن كعب بن عامر بن عَوْف بن عُقَيل على توبة بن
الحمير فضربه بجُرْزٍ[1] وعلى توبة الدرعُ والبَيْضةُ، فجرح أنفَ البيضة وجهَ توبة.
فأمر همام بثَوْر بن أبى سِمْعانَ فأُقْعِدَ بين يَدَى توبة، فقال: خُذْ بحقِّك يا توبة.
٥ فقال له توبة: ما كان هذا إلّا عن أمرك، وما كان ليجترئ علىّ عند غيرك. وأمّ
همّام صوبانة بنت جَوْن[2] بن عامر بن عَوْف بن عُقَيل، فاتّهمه توبةُ لذلك،
فانصرف ولم يقتصّ منه. فمكثوا غير كثير، وإنّ توبة بلغه أنّ ثور بن أبى سِمْعانَ
خرج فى نفرٍ من رَهْطه الى ماء من مياه قومه يقال له قوباء[3] يريدون مالَهم[4] بموضع
يقال له جُرَيْرٌ بتَثْلِيث — قال: وبينهما فلاةٌ — فاتّبعه توبةُ فى ناس من أصحابه، فسأل
١٠ عنه وبحث حتى ذُكِر له أنه عند رجلٍ من بنى عامر بن عَقِيل يقال له ساريةُ بن
عُمَيْر[5] بن أبى عدىّ وكان صديقًا لتوبة. فقال توبة: والله لأَنْظُرَقُهم[6] عند سارية
الليلةَ حتى يخرجوا عنه. فأرادوا أن يخرجوا حين يُصبحون. فقال لهم ساريةُ:
ٱدّرِعُوا الليلَ[7]، فإنّى لا آمَنُ توبةَ عليكم الليلةَ فإنه لا ينام عن طلبكم. قال: فلمّا
تَعَشَّوا ٱدّرعوا الليلَ فى الفلاة. وأقعد له توبةُ رجلين فغفل صاحبا توبة. فلمّا

١٥ (١) الجرز (بالضم) عمود من حديد. (٢) فى مختار الأغانى: «طوبانة بنت حزن». ولم نهتد لوجه الصواب فيه. (٣) كذا فى أكثر الأصول. وفى جـ: «قويا». وفى مختار الأغانى: «هوفا». ولم نجد شيئا من هذه الرسوم فى المظانّ. وفى كتاب صفة جزيرة العرب لأبى محمد الهمدانىّ: «القوفاء» وردت فى قصيدة لشاعر نجدى يقال له الحزازة العامرىّ، وقد كان ذهب مع قومه الى البيت الحرام يستسقون، فوصف أرضهم بلدا بلدا وواديا واديا وجبلا جبلا، وورد فى هذه القصيدة
٢٠ بعد «القوفاء» بقليل «تثليث». فلعل ما فى الأصول محرف عنه. (٤) فى جـ ومختار الأغانى: «يريدون ماء لهم يقال له جرير ...». (٥) فى مختار الأغانى: «سارية بن عريم ...».
(٦) فى ب، س: «والله لأنظرنهم». (٧) فى جـ، ب، س: «ادّرعوا الليلة». يقال: ٱدّرع الليل وتدرعه اذا دخل فيه يسرى، كأنه لبس ظلمته.

ذهب الليلُ فزِع توبة وقال : لقد اغتررتُ الى رجلين ما صنعَا شيئا ، وإنّى لأعلم أنهم لم يُصبحوا بهذه البلاد، فاقتصّ آثارهم، فإذا هو بأثر القوم قد خرجوا، فبعث الى صاحبيه فأتياه، فقال : دُونَكما هذا الجملَ فأوْقِراه من الماء فى مَزادَتَيْه ثم آتّبِعا أثَرى ،فإنْ خَفِى عليكما أن تُدْرِكانى فإنى سأُنوِّر لكما إن أمسيتما دونى . وخرج توبة فى أثر القوم مسرعًا ، حتى إذا آنتصف النهارُ جاوز عَلَمًا يقال له أُفيح (١) فى الغائط . فقال لأصحابه : هل تَرَوْنَ سَمُراتٍ الى جنب قُرونِ بَقَرٍ؟ — وقرون بقر مكان هنالك — فإنّ ذلك مَقيلُ القوم لم يتجاوزوه فليس وراءه ظِلٌّ (٢) . فنظروا فقال قائلٌ : أرى رجلًا يقود بعيرًا (٣) كأنه يقوده لصيدٍ . قال توبة : ذلك ابن الحَبْتَريّة ، وذلك من أرمَى مَنْ رمى . فمَنْ له يختلِجه (٤) دون القوم فلا يَنْذَرون (٥) بنا؟ قال : فقال عبد الله أخو توبة : أنا له . قال : فآحْذَرْ لا يَضرِبنَّك ، وإن استطعتَ أن تحولَ بينه و بين أصحابه فَافْعَلْ . نخلّى طريق فرسه فى غَمْضٍ (٦) من الأرض ، ثم دنا منه فحَمَل عليه ، فرماه آبن الحَبْتَريّة — قال : وبنو الحَبْتَرِ (٧) ناسٌ من مَذْحِجٍ فى بنى عُقَيل — فعقر (٨) فرسَ عبدِ الله أخى تَوْبَة واختلَّ (٩) السهمُ ساقَ عبد الله ، فآنحاز الرجل حتى أتى أصحابَه فأنذرَهم، فجمعوا رِكابَهم وكانت متفرِّقةً . قال : وغَشِيهم توبةُ ومَنْ معه، فلمّا رأوا ذلك صَفُّوا رِحالَهم وجعلوا السَّمُراتِ فى نُحورهم وأخذوا سِلاحَهم ودَرَقَهم،وزحف اليهم توبةُ،فآرتمى القومُ لا يُغْنِى أحدٌ منهم شيئا

(١) ضبط الأصمعى « أفيح » بضم أوّله وفتح ثانيه ، وضبطه غيره بفتح أوّله وكسر ثانيه .

(٢) عبارة مختار الأغانى : « فان ذلك مقيل لم يتجاوزه القوم وليس لهم وراءه ظل » .

(٣) فى الأصول : « نرى رجلا يقود بعيرا له ... الخ » والتصويب عن مختار الأغانى .

(٤) يختلجه : ينتزعه . (٥) فلا ينذرون بنا : فلا يعلمون . (٦) الغمض : المطمئن المنخفض من الأرض . (٧) فى الأصول : « وبنو الحبترية » والتصويب من مختار الأغانى .

(٨) فى الأصول : « فعقروا » بضمير الجمع ، وهو تحريف . (٩) اختله السهم : أصابه ونفذه .

فى أحد . ثم إنّ توبةَ وكان يُتَرِّسُ(١) له أخوه عبدُ الله، قال : يا أخى لا تُتَرِّسْ لى ؛ فإنى رأيت ثورًا كثيرًا ما يرفع التُّرْسَ ، عسى أن أوافق منه عند رَفْعِه(٢) مَرْمًى فأرميَه . قال : ففعل ، فرماه توبةُ على حَلَمَةِ ثديه فصرعه . وجال(٣) القومُ فغَشِيَهم توبةُ وأصحابُه فوضعوا فيهم السِّلاحَ حتى تركوهم صَرْعَى وهم

71 / 10

٥ سبعةُ نفرٍ . ثم إنّ ثورًا قال انتزِعوا هذا السهمَ عنِّى . قال توبةُ : ما وضعناه لننتزعَه . فقال أصحابُ توبة : انْجُ بنا نأخُذ آثارَنا ونَلْحَقُ راويتَنا ، فقد أخَذْنا ثأْرنا من هؤلاء وقد مُتْنا عَطَشًا(٤) . قال توبةُ : كيف بهؤلاء القومِ الذين لا يمنَعون ولا يمتنعون ! . فقالوا : أبعدهم الله . قال توبةُ : ما أنا بفاعلٍ وماهم إلّا عشيرتُكم ، ولكن تجىء(٥) الراوية فأضَعُ لهم ماءً وأغْسِلُ عنهم دماءَهم وأُخَيِّلُ(٦) عليهم من السِّباع

١٠ والطير لا تأكُلهم حتى أُوذِنَ قومَهم بهم بعمْقٍ(٧) . فأقام توبةُ حتّى أتته الراويةُ قبل اللّيل، فسقاهم من الماء وغسَل عنهم الدماء، وجعل فى أساقيهم(٨) ماءً، ثم خَيَّل لهم بالثّياب على الشجر، ثم مضى حتى طرَق من اللّيل ساريةَ بن عُوَيْمر(٩) بن أبى عَدِىّ العُقَيْلىّ فقال : إنّا قد تركنا رهطًا من قومكم بسَمُراتٍ من قُرون بقر، فأدرِكوهم، فَمَنْ كان حيًّا فدَاوُوه ، ومَنْ كان مَيِّتًا فادْفِنوه ، ثم انصرف فلحِق بقومه . وصبّح

١٥ (١) يترس له : يستره بالترس . (٢) فى الأصول : «عند رميه» والتصويب من مختار الأغانى .
(٣) فى الأصول : « وجاء القوم » والتصويب من مختار الأغانى . (٤) كذا فى مختار الأغانى . وعبارة الأصول : « ... انج بنا فقد أخذنا ثأرنا ونلق راويتنا فقد متنا عطشا » .
(٥) فى مختار الأغانى : « ولكن حتى تجىء ... » بزيادة « حتى » . (٦) التخييل هنا : وضع خيال على الشىء لتفزع منه السباع ، يقال : خيل له ، وخيل عليه . (٧) عمق : موضع .
٢٠ وفى مختار الأغانى : « حتى أوذن قومهم يغمونهم » . (٨) الأساقى : جمع أسقية ، والأسقية : جمع سقاء (بالكسر) وهو وعاء الماء . فالأساقى جمع الجمع . وفى مختار الأغانى : « وجعل لهم فى أشنانهم ماء » . والأشنان : جمع شن ، وهو القربة الخلق ، وهى طيبة الماء لأنه ذهب منها ما يغير ماءها . (٩) تقدم فى صفحة ٢١١ «سارية بن عمير ...» ولم نهتد لوجه الصواب فيه .

ساريةُ القومَ فاحتملهم وقد مات ثور بن ابى سِمْعانَ ولم يَمُتْ غيره. فلم يزل توبةُ خائفا.
وكان السَّليلُ بن ثَوْرٍ المقتول راميًا كثيرَ البَغْى والشرّ، فأُخبر[1] بغِرّةٍ من توبة وهو بقُنّةٍ[2]
من قِنان الشَّرَف يقال لها قُنّةُ بنى الحُمَيِّر، فركب فى نحو ثلاثين فارسًا حتى طرقَه، فترقّى
توبةُ ورجلٌ من إخوته فى الجبل، فأحاطوا بالبيوت، فناداهم وهو فى الجبل : هأنذا
مَنْ تبغُون فاجْتَنِبوا[3] البيوت. فقالوا : إنكم لن تستطيعوه وهو فى الجبل، ولكن خُذوا
ما آستدفّ[4] لكم من ماله، فأخذوا أفراسًا له ولإخوته وانصرفوا. ثم إنّ توبة غزاهم،
فمرّ على أفْلَتَ[5] بن حَزْن بن مُعاوية بن خَفَاجةَ ببَطْنِ بِيشةَ[6]. فقال : ياتوبة أين تُريد؟
قال : أريد الصبيان من بنى عَوْف بن عُقَيْلٍ. قال : لا تفعَل فإنّ القوم قاتلُوك،
فمَهْلًا. قال : لا أقلع عنهم ما عِشتُ، ثم ضرب بطنَ فرسه فاستمرّ به يُحْضِرُ[7] و[هو][8]
يرتجز و يقول :

تنجُو اذا قِيل لها يَعَاطِ[9] * تنجو بهم من خَلَلِ الأمشاطِ

حتى آنتهى الى مكانٍ، يقال له حَجَرُ الرّاشدةِ، ظليلٍ، أسْفَلُه كالعمود، وأعلاه منتشر،
فاستظلّ فيه [هو][8] وأصحابه. حتى إذا كان بالهاجرة مرّتْ عليه إبلُ هُبَيْرةَ بن السَّمين أخِى

---

(١) كذا فى مختار الأغانى. وفى الأصول : «وأخبر». (٢) فى الأصول : «وهم»
والتصويب من مختار الأغانى. (٣) فى الأصول : «هذا من تبغون فأجيبوا» والتصويب من مختار
الأغانى. (٤) كذا فى ج. واستدف : تهيأ وأمكن. يقال خذ ما دف لك واستدف، أى خذ ما تهيأ
وأمكن وتسهل. وفى سائر الأصول : «ما استدنى». (٥) فى الأصول : «قاب بن حزن» والتصويب
من مختار الأغانى. (٦) فى الأصول : «يبطن نفسه». والتصويب من مختار الأغانى.
(٧) كذا فى ج ومختار الأغانى. والإحضار : عدو سريع. وفى سائر الأصول : «يحظر».
(٨) زيادة عن مختار الأغانى. (٩) فى الأصول : «يجو اذا قيل لهم معاط»
وفى ج : «يعاط» صحيحة. والتصويب من مختار الأغانى. وقد ورد البيت فيه هكذا :

تنجو اذا قيل لها نعاط * تنجو ولو من خلل الأمشاط

ويعاط (وزان قطام) : زجر للإبل، ويزجر به الذئب وغيره. وتنجو : تسرع.

بنى عَوْف بن عُقَيْـلٍ وارادةً ماءً لهم يقال له طَلُوبُ، فأخذها وخلّى طريق رَاعِيها، وقال له : إذا أتيتَ صُـدْغَ البقرة (١) مولاك فأخْبِرْه أنّ توبةَ أخذ الإبلَ، ثم انصرف توبةُ [يَطْرُدُ الإبلَ (٢)] . قال : فلمّا ورد العبدُ على مولاه فأخبره نادَى فى بنى عَوْف وقال : حَتّامَ هـذا ! . فتعاقدُوا بينهم نحوًا من ثلاثين فارسًا ثم اتّبعوه . ونهضت امرأةُ من بنى خَثْعَمٍ منْ بنى الهِزّةِ (٣) كانت فى بنى عَوْف وكانت تُؤَخِّذ لهم (٤)، فقالت : أَرُونى أثَرَه ، فخرجوا بهـا فأرَوْها أثَرَه ، فأخذتْ من تُرابه فسافتْـه فقالت : اطلُبوه فإنّه [سَيُحْبَس (٢)] عليكم . فطلبوه فسبقهم ، فتَلاوَمُوا [بينهـم (٢)] وقالوا : ما نرى له أثرًا ، وما نراه إلا وقـد سبقكم . قال : وخرج توبةُ حتى إذا كان بالمضجع من أرض بنى كِلَاب جعـل نِذارَته (٥) وحبَس أصحابَه . حتى إذا كان بِشِعْبٍ من هَضْبةٍ يقال لها هِنْـدُ (٦) من كِبِد المَضْجع جعل ابنَ عَمٍّ (٧) له يقال له قابضُ ابن عبد الله رَبِيئةً [له (٢)] على رأس الهَضْبة فقال : انظُرْ إنْ شخص لك شىء فأعْلِمْنا .

(١) فى مختار الأغانى : «ضرع البقرة» . (٢) زيادة عن مختار الأغانى .

(٣) فى مختـار الأغانى : « من بنى الهـدة » . (٤) تؤخذ لهم أى تعالج لهم السحر .

(٥) النذارة : الإنذار . وإذا صح ما فى الأصول فلعله يريد : وضع من ينذره أمر العدو أى وضعه حيث يعلم أمرهم إن قدموا فيخبره بهـم ، فاستعمل النذارة فى المنـذر . وعبارة مختار الأغانى : « ... جعل يحبس أصحابه » . (٦) كذا فى الأصول . وفى كتاب معجم ما استعجم فى الكلام على هيـدة (بالدال المهملة) : « ... ولم تختلف الرواية عن أبى عبيدة فى كتابيه كتاب أيام العـرب وكتاب مقاتل الفرسان أن الهضبة التى قتل فيها توبة اسمها بنت هند، على لفظ اسم المرأة ... » .

(٧) فى الأصول : «ابن عمـة له» . والتصويب من مختار الأغانى . وفى كتاب معجم ما استعجم فى الكلام على هيدة ذكر قول ليلى الأخيلية ترثى توبة :

تخلى عن أبى حرب فولى * بهيدة قابض قبل القتال

ثم قال : «تعنى قابض بن عبد الله المسلم لابن عمه توبة ... » .

فقال عبد الله بن الحُمَيِّر[١] : يا توبةُ إنّك حائنٌ[٢]، أذكّرك الله ، فوالله ما رأيتُ يومًا أشبهَ بسَمُراتِ بنى عوفٍ يومَ أدركناهم فى ساعتهم التى أتيناهم فيها منه[٣]، فانجُ إن كان بك نجاةٌ . قال : دَعْنِى ، فقد جعلتُ ربيئةً ينظر لنا . قال : ويَرْجِع بنو عوف ابن عُقَيل حين لم يجدوا أثر توبةَ فيلقَوْنَ رجلًا من غَنِىٍّ ، فقالوا له : هل أحسستَ فى مجيئك أثرَ خيلٍ أو أثرَ إبلٍ؟ قال: لا والله. قالوا: كذبتَ وضربوه . فقال: ياقومُ لا تضربونى، فإنى لم أجِدْ أثرًا، ولقد رأيتُ زُهاءَ كذا وكذا إبلًا شُخوصًا فى هاتيك الهَضْبة ، وما أدرى ما هو . فبعثوا رجلًا منهم يقال له يزيدُ بن رُوَيْبَةَ لينظرَ ما فى الهَضْبة . فأشرف على القوم، فلما رآهم ألْوَى بثوبه لأصحابه حتّى جاءوا، فحمَل أولُهم على القوم حتى غَشِى[٤] توبةَ، وفزِع توبةُ وأخوه الى خيلهما، فقام توبةُ إلى فرسه فغلبتْه لا يقدر على أن يُلْجِمَها ولا وقفتْ له ، نخلّى طريقها ، وغَشِيه[٤] الرجلُ فاعتنقه، فصرَعه توبةُ وهو مدهوشٌ وقد لبِس الدِّرْعَ على السيف فانتزعه ثم أهوى به ليزيد بن رُوَيْبَةَ فاتّقاه بيده فقطع منها ، وجعل يزيدُ يُناشده رَحِمَ صَفِيّةَ، وصفيّةُ أمٌّ له[٥] من بنى خَفاجة .وغَشِى القومُ توبةَ من ورائه فضربوه فقتلوه، وعَلِقَهم عبدُ الله بن الحمِيّر يَطْعُنهم بالرُّمْح حتى انكسر . قال : فلمّا فرَغوا من توبة لَوَوْا على عبد الله بن الحمِيّر فضربوا رجلَه فقطعوها . فلمّا وقع بالأرض أشرع سيفَه وحدَه ثم جثا على رُكبتيه وجعل يقول : هَلُمُّوا ، ولم يشعُر القوم بما أصابه . وانصرف بنو عوف بن عُقَيل ، وولّى قابضٌ منهزمًا حتى لحِق بعبد العزيز بن زُرارةَ الكِلابىّ

(١) فى ب ، س : « عبد الله ابن جسوسا بن الحمير » وهو غلط سببه أن قارئا لنسخة جـ فسر « ربيئة » فقال « أى جاسوسا » فكان التفسير فوق « عبد الله » فظن الناشر أنه أبوه .

(٢) الحائن : الهالك . وفى ب، س : « حائر » وهو تحريف .

(٣) عبارة مختار الأغانى : « من هذه الساعة من هذا اليوم » . (٤) غشيه هنا : لحقه وأدركه .

(٥) كذا فى مختار الأغانى . وفى الأصول : « وصفية امرأة من بنى خفاجة » .

فأخبره الخبر . قال : فركب عبدُ العزيز حتى أتى توبةَ فدفَنه وضمّ أخاه . ثم ترافع القومُ إلى مَرْوان بن الحكَم ، فكافأ بين الدَّمين[(١)] وحُمِلَت الجراحاتُ . ونزل بنو عَوْف ابن عُقَيْلٍ[(٢)] الباديةَ ولحِقوا بالجزيرة والشام .

رواية لأبى عبيدة فى مقتله وسببه

قال أبو عُبيدة : وقد كان توبةُ أيضا يُغير زَمَنَ مُعاويةَ بن أبى سُفْيانَ على قُضاعةَ وخَثْعَمٍ ومَهْرَةَ وبنى الحارث بن كَعْبٍ . وكانت بينهم وبين بنى عُقَيْلٍ مُغَاوراتٌ[(٣)] ، فكان توبةُ إذا أراد الغارةَ عليهم حمل الماءَ معه فى الرَّوايا ثم دفنه فى بعض المفازة على مَسيرةِ يومٍ منها ؛ فيُصيبُ ما قدر عليه من إبلهم فيُدخلها المفازةَ فيطلبه القوم[(٤)] ، فإذا دخل المفازةَ أعجزهم فلم يقدروا عليه فآنصرفوا عنه . قال : فمكث كذلك حينا . ثم إنه أغار فى المرّة الأولى التى قُتِل فيها هو وأخوه[(٥)] عبد الله بن الحُمَيِّر ورجلٌ يقال له قابض ابن أبى عُقَيْل[(٦)] ، فوجد القومَ قد حَذِروا فآنصرف توبةُ مُخْفِقًا لم يُصِبْ شيئا . فمرّ برجل من بنى عَوْف بن عامر بن عُقَيْلٍ مُتَنَحِّيًا[(٧)] عن قومه ، فقتله توبةُ وقتل رجلًا كان معه من رَهْطِه وآطّرد إبلَهما ، ثم خرج عامدًا يريد عبدَ العزيز بن زُرارة بن جَزْء بن سُفْيان بن عَوْف بن كِلاب ، وخرج ابنُ عمٍّ لثور بن أبى سِمْعان[(٨)] المقتول ، فقال له خُزَيْمةُ : صِرْ إلى بنى عَوْف بن عامر بن عُقَيْلٍ فأخْبِرْهم الخبرَ . فركبوا فى طلب توبةَ فأدركوه فى أرض بنى خَفَاجةَ ، وقد أمِن فى نفسه فنزَل ، وقد كان أسْرى يومَه وليلتَه ، فآستظلّ ببُرْدَيْه وألقى عنه دِرْعَه وخلّى عن فرسه الخَوْصاءِ تتردّد

---

(١) فى ج : « بين الدميين » . ويقال فى تثنية الدم دمان ودميان ، وشذ دموان .

(٢) فى الأصول : « وبنو عقيل » والتصويب من مختار الأغانى . (٣) فى ب ، س : « غارات » . (٤) فى ب ، س : « فيطلبهم » وهو تحريف . (٥) معطوف على فاعل « أغار » .

(٦) تقدّم فى صفحة ٢١٥ : « قابض بن عبد الله » . فلعل « أبا عقيل » جدّ من أجداده ، أو هو تحريف . (٧) الذى تقدّم فى صفحة ٢١٤ أنه « مرت عليه إبل هبيرة بن السمين أخى بنى عوف ابن عقيل » . (٨) فى الأصول هنا : « أبى سفيان » وهو تحريف .

قريبًا منه (١)، وجعل قابضًا ربيئةً له ونام ، فأقبلتْ بنو عوف بن عامر مُتقاطرين لئلا يَفْطِنَ لهم أحدٌ ، فنظر قابض فأبصر رجلًا منهم فأقبل الى توبة فأنبهه . فقال توبةُ : ما رأيتَ؟ قال : رأيتُ شخصَ رجلٍ واحد ، فنام ولم يكترث له ، وعاد قابضٌ الى مكانه فغلبتْه عيناه فنام . قال : فأقبل القومُ على تلك الحال فلم يَشْعُر بهم قابضٌ حتى غَشُوه ، فلما رآهم طار على فرسه . وأقبل القومُ إلى توبة ، وكان أوّلَ من تقدّم غلامٌ أمردُ على فرس عُرْيٍ (٢) يقال له يزيد بن رُوَيْبَةَ بن سالم بن كَعْبِ بن عَوْف بن عامر بن عُقَيْل ؛ ثم تلاه ابن عمّه عبدُ الله بن سالم ثم تتابعوا . فلمّا سمع توبةُ وَقْعَ الخيلِ نَهَضَ وهو وَسْنانُ فلبِس دِرْعَه على سيفه ثم صوّت بفرسه الخَوْصاء فأتته ، فلمّا أراد أن يركَبَها أهوتْ تَرْمَحه (٣) ثلاثَ مرّاتٍ ، فلمّا رأى ذلك لطَم وجهها فأدبرت ، وحال القومُ بينه و بينها . فأخذ رُمْحَه وشدَّ على يزيدَ بن رُوَيْبَةَ فطعَنه فأنفذ فخذيه جميعا (٤) . وشدّ على توبة ابن عمّ الغلام عبد الله بن سالم فطعنه فقتله ، وقطعوا رجلَ عبد الله . فلمّا رجع عبد الله بعد ذلك الى قومه لاموه وقالوا له : فَرَرْتَ عن أخيك ، فقال عبد الله بن الحميِّر فى ذلك (٥) . قال أبو عُبيدة وحدّثنى أيضا مُزَرِّع بن عبد الله بن همّام بن مُطَرِّف بن الأعلم قال :

كان أهلُ دارٍ من بنى جُشَم بن بكر بن هَوَازِنَ يقال لهم بنو الشَّرِيد حلفاء لبنى عداد بن خَفاجةَ فى الإسلام ، فكان بينهم وبين نَحِيس بن رَبيعة رَهْط قَوْمِه (٦) قتالٌ على ماءةٍ تُدْعَى الحُلَيْفَةَ وعامتها لجَدّ بن همّام . قال وشهِد عبدُ الله بن الحميّر ذلك وهو

---

(١) فى ج : « قريبة منه » . (٢) فى الأصول : « على فرس عربى » . والفرس العرى (بضم العين وسكون الراء) : الذى لا سرج عليه . (٣) ترمحه : ترفسه . (٤) فى أ ، م : « فطعنه فقتله » . (٥) أى قال القصيدة الآتية التى مطلعها : * تأوبنى بعارمة الهموم *
(٦) لم نجد هذا الاسم فى مظانه .

أعرج، عَرِجَ يوم قُتِل توبةُ فلم يُغنِ كثيرَ غناءٍ . فقالت بنو عُقَيْل : لو توبةُ تلقّاهم لبُلُوا [منه](١) بغير أفوق ناصل(٢) . فقال عبد الله بن الحُمَيِّر يعتذر إليهم :

قصيدة لعبد الله ابن الحمير يعتذر فيها الى قومه بعد قتل أخيه

تأوّبني(٣) بعارمة الهمومُ * كما يعتادُ ذا الدَّيْنِ الغريمُ

كأنّ الهمَّ ليس يُريدُ غيرى * ولو أمسى له نَبَطٌ ورُوم

٥ عَلامَ تقومُ عاذلتى تلومُ * تُؤرّقنى(٤) وما انجاب الصَّريمُ(٥)

فقلتُ لها رُوَيْدًا كى تجلَّى * غَوَاشِى النَّوْمِ والليلُ البهيمُ

ألمّا تعْلَمِى أنّى قديمًا * إذا ما شئتُ أَعِصى مَنْ يلومُ

وأنّ المرءَ لا يَدْرِى إذا ما * يَهُمُّ عَلَامَ تحمِله الهُمومُ

وقد تُعْدِى(٦) على الحاجات حَرْفٌ * كرُكْنِ(٧) الرَّعْنِ ذِعْلِبَةٌ عقيمُ

١٠ مُدَاخَلةُ الفَقَارِ(٨) وذاتُ لَوْثٍ * على الحُزّانِ(٩) مُقْحِمةٌ غشُومُ

---

(١) زيادة عن ح . (٢) الأفوق من السهام : الذى كسر فوقه وهو مشق الوتر منه . والناصل من السهام : ذو النصل ، والذى سقط نصله . والمراد هنا ساقط النصل . ونصل السهم : الحديدة التى فى رأسه . وفى حديث علىّ كرم الله وجهه يؤنب قوما : « ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل » .

(٣) تأوّبنى الشىء : رجع إلى ليلا . ويحتمل أن يكون «تأوّبنى» هنا فعلا مضارعا أى تتأوّبنى .

١٥ وعارمة : موضع . وفى الأصول : «بغازية» والتصويب من كتاب منتهى الطلب . (٤) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : «تؤنبنى» . (٥) الصريم : الليل ، والصريم : الصبح ، ضد . وقد وردت هذه الكلمة فى الأصول محرّفة . وانجاب : انشق . (٦) تعدى : تعين . والحرف هنا : الناقة الصلبة الضامرة ، شبهت بحرف الجبل فى الصلابة . (٧) كذا فى ح وكتاب منتهى الطلب . وفى ب ، س : « كركب الرعن» وفى أ ، م : « كرعب الرعن» وهو تحريف . والرعن الجبل الطويل ،

٢٠ وأنف يتقدم الجبل . وذعلبة : سريعة . (٨) فى منتهى الطلب : «مداخلة الفقارة ذات لوث» . واللوث هنا : القوة . (٩) كذا فى ح ومنتهى الطلب . والحزان (بالضم وبالكسر) : جمع حزيز وهو المكان الغليظ المنقاد . وفى أ ، م : «الحران» بالراء المهملة وهو تصحيف . وفى ب ، س : « الحرات » . جمع حرة وهى أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار . ومن معانى المقحم : البعير الذى يسير فى المفازة من غير راع ولا سائق . ولعل المراد بمقحمة هنا أنها تلق بنفسها فى السير

٢٥ من غير روية . وغشوم : يريد أنها جريئة ماضية تركب رأسها إذا سارت لا يثنيها شىء عن هواها .

كأنّ الرَّحْلَ منها فوق جَأْبٍ[(١)] * بذاتِ الحاذِ[(٢)] مَعْقِلُه الصَّرِيمُ

طَبَاه برِجْلةِ البَقّارِ برقٌ[(٣)] * فبات الليلَ مُنْتَصِبًا يَشِيمُ

فبينا ذاك إذ هَبَطتْ عليه * دَلُوحُ[(٤)] المُزْنِ واهيةٌ هَزِيمُ

تَهُبُّ لها الشَّمالُ فتمتريها[(٥)] * ويَعْقُبُها بنافحةٍ نَسِيمُ

يُكِبُّ[(٦)] إذا الرَّذاذُ جرى عليه * كما يُصْغِى[(٧)] الى الآسى الأَمِيمُ ٥

إذا ما قال أقْشَعَ جانباه * نَشَتْ[(٨)] من كلّ ناحيةٍ غيوم

فأَشْعِرَ ليلَه أرقًا وقُرًّا[(٩)] * يُسَهِّره كما أرِقَ السليم

---

(١) الجأب (بالهمز وقد تسهل همزته) : الغليظ الصلب من الحمر الوحشية والثيران الوحشية . وتشبيه الناقة بالحمار الوحشى أو الثور الوحشى فى القوة والصلابة كثير مستفيض فى الشعر العربى القديم .

(٢) الحاذ : ضرب من الشجر واحده حاذة ، والحاذ : موضع بنجد . قال طرفة بن العبد : ١٠

حيثما قاظوا بنجد وشَتوا * حول ذات الحاذ من ثنى وقر

والصريم هنا : القطعة المنقطعة من معظم الرمل ، ومثله الصريمة . ويحتمل أنه يريد مكانا بعينه .

(٣) طباه هنا : دعاه أو قاده . ورجلة البقار : موضع . ويشيم : ينظر . (٤) الدلوح من السحاب : كثيرة الماء . والمزن : السحاب أو أبيضه أو ذو الماء . والواهية من السحاب : التى تنبثق بالماء انبثاقا شديدا . وهزيم هنا : تبعج بالماء لا تستمسك . (٥) تمتريها : تحتلبها ١٥ أى تنزل ماءها . والنافحة : وصف من نفحت الريح إذا هبت . (٦) كذا فى منتهى الطلب . وفى الأصول : « يلث اذا الرباب » وفى جـ : « الرثاث » بمثلثة بدل « الرباب » وكله تحريف . و يكب : يريد أنه يطأطئ رأسه . (٧) كذا فى جـ . ومنتهى الطلب . و يصغى يميل . وفى أكثر الأصول « يصفى » بالفاء وهو تصحيف . والآسى : الطبيب . والأميم : المشجوج فى أم رأسه أى دماغه . يصف الجأب بأنه يميل رأسه إذا جرى عليه ماء المطر كما يفعل مشجوج الرأس حين يميل رأسه للطبيب . ٢٠

(٨) نشت : أصله نشأت ، سهلت الهمزة ثم حذفت لالتقاء الساكنين .

(٩) أى جعل القر والأرق شعارا له فى ليله . ويجوز أن يرفع « ليله » على أن يجعل الأرق والقر شعارا له تجوزا فى الإسناد ، كما يقال نهار فلان صائم ، وليله قائم . والسليم : اللديغ .

ألَا مَنْ يشترى رِجلًا بِرِجْلٍ * تَخَوَّنَهَا السِّلاحُ فما تَسُومُ[١]

٧٤/١٠

تلومُكَ فى القتال بنو عقيلٍ * وكيف قِتالُ أعرجَ لا يقوم

ولو كنتُ القتيلَ وكان حيًّا * لَقَاتَلَ لا ألَفُّ[٢] ولا سئوم

ولا جَثَّامةٌ[٣] وَرَعٌ هَيُوبٌ * ولا ضَرَعٌ إذا يُمسِى[٤] جَثُوم

قال : ثم إنّ خَفاجةَ رَهْطَ تَوْبةَ جمعوا لبنى عَوْفِ بن عامر بن عُقَيْل الذين قتلوا توبةَ، فلمّا بلغهم الخبرُ لحِقوا ببنى الحارث بن كعب، ثم افترقتْ بنو خَفاجةَ. فلمّا بلغ ذلك بنى عوف رجعوا، فجمعتْ لهم بنو خَفاجةَ أيضًا قبائلَ عُقَيْل. فلمّا رأت ذلك بنو عَوْف بن عامر بن عُقَيْل لحِقوا بالجزيرة فنزلوها؛ وهم رهط إسحاق بن مُسَافِر بن ربيعةَ بن عاصم بن عمرو بن عامر بن عُقَيْل. ثم إنّ بنى عامر بن صعصعة صاروا فى أمرهم الى مَرْوان بن الحَكَم وهو والِى المدينة لمعاوية بن أبى سُفْيان، فقالوا : نَنْشُدُكَ[٥] اللهَ أنْ تَفَرَّقَ جماعتُنا، فعَقَل[٦] توبةَ وعقَل الآخرينَ مَعاقِلَ العرب مائةً من الإبل، فأدّتها بنو عامر. قال : فخرجتْ بنو عوف بن عامر قَتَلَةُ توبة

---

(١) تخوّنها : تنقصها وغيّر حالها. والسوم هنا : سرعة المر. (٢) الألف هنا : الثقيل الكثير اللحم، وهو عيب فى الرجال دون النساء. والألف أيضا المقرون الحاجبين وهو غير مراد هنا. وسئوم : ملول.

(٣) الجثامة هنا : النؤوم الذى لا ينهض للمكارم أو البليد، والجثامة أيضا : السيد الحليم وهو غير مراد هنا. والورع : الجبان والصغير الضعيف لا غناء عنده. والضرع (بالتحريك) : الضعيف والجبان، يستوى فيه المفرد والجمع؛ والضرع (بالكسر) : المتذلل الخاضع. والجثوم : الذى يلزم مكانه فلا يبرح، والذى يتلبد بالأرض. (٤) كذا فى جـ ومنتهى الطلب. وفى سائر الأصول : «يمشى» بالشين المعجمة، وهو تصحيف. (٥) أى نسألك بالله أن تتلافى تفرق جماعتنا. يقال : نشدتك الله وبالله أى سألتك واستحلفتك بالله. (٦) عقل فلانا : وداه أى دفع ديته.

فلحقوا بالجزيرة، فلم يبق بالعالية[1] منهم أحدٌ، وأقامت بنو رَبيعة بن عُقَيل وعُروة ابن عُقَيل وعُبادة بن عُقَيل[2] بمكانهم بالبادية .

روايةأبى عبيدة عن مزرّع فى مقتله وسببه

قال أبو عُبَيْدة وحدّثنا مُزَرّع[3] بن عمرو بن همّام — قال أبو عُبيدة : وكان معى أبو الخطّاب وغيرُه — قال : تَوْبةُ ابن حُمَيِّرِ بن رَبيعة بن كَعْب بن خَفَاجة بن عَمْرو ابن عُقَيل، وأمّه زُبَيْدةُ . فهاج بينه وبين السَّلِيل بن ثَوْر بن أبى سِمْعانَ بن عامر ابن عَوْف بن عُقَيْل كلامٌ، وكان شِرِّيراً ونظيرَ توبةَ فى القُوة والبأس، فبلغ الحَوَرُ[4] (وهو الكلام) إلى أن أوعد كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه، فالتقى بعد ذلك توبةُ والسَّلِيلُ على غَديرٍ من ماء السماء، فرمَى توبةُ السليلَ فقتله . ثم إنّ توبةَ أغار ثانيةً على إبل بنى السَّمينِ بن كَعْب بن عَوْف بن عُقَيْلٍ واردةً ماءَهم فأطّردَها . واتبعوه وهم سبعة نفر : يزيد بن رُوَيْبةَ، وعبدُ الله بن سالم، ومُعاويةُ بن عبدِ الله — قال أبو عُبَيْدة : ولم يذكر غيرَ هؤلاء — فانصرفوا يجنُبون[5] الخيل يحملون المَزَادَ، فقصُّوا أثر توبةَ وأصحابه فوجدوهم وقد أخذوا فى المَضْجَع من أرض بنى كِلَابٍ فى أرض دَمِثةٍ تَرِبةٍ[6]، فضلّتْ فرسُ توبةَ الحَوْصاءُ من اللّيل، فأقام واضطجع حتى أصبح، وساق أصحابُه الإبلَ، وهم ثلاثة نفرٍ سوى تَوْبةَ : المُحْرِزُ أحدُ بنى عمرو بن كِلَابٍ، وقابِضُ[7] بن أبى عُقَيل أحدُ بنى خَفَاجةَ، وعبد الله بن حُمَيِّر أخو توبةَ لأمّه وأبيه . فلمّا

(١) العالية : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها الى تهامة ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهى السافلة . (٢) فى الأصول : « عبادة بن معقل » وهو تحريف . (٣) تقدّم فى صفحة ٢١٨ : «مزرّع بن عبد الله بن همام» . (٤) الحور : الاسم من المحاورة . يقال : إن فلانا لضعيف الحور، أى المحاورة، وهى المراجعة فى الكلام . (٥) جنب الدابة : قادها الى جنبه . وفى الأصول : «يجيبون» وهو تصحيف . (٦) فى الأصول : « دمنة » وهو تصحيف . والأرض الدمثة : السهلة اللينة . (٧) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول هنا : « قابض بن عقيل » . (راجع الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢١٧ من هذا الجزء) .

أصبح توبةُ إذا فرسُه الخوصاءُ راتعةٌ أدْنى ظَلَمٍ(١) قريبةً(٢) منه ليس دونها وجاحٌ(٣) فأشلاها(٤)
حتى أتته ، ثم خرج يعـدُو حتى لحق بأصحابه ، فانتهَوْا الى هَضْبةٍ بكَبِد المَضْجَع ،
فآرتقى توبةُ فوقَها ينظر الطَّلَبَ(٥) ، فرآه القومُ ولم يَرَهم عند طلوع الشمس ، وبالت
الخوصاء حين انتهتْ الى الهَضْبة ، فقال القوم : إنه لطائر أو إنسان . فركب يزيدُ
٥ ابن رُوَيْبةَ وكان أحدثَ القوم سِنًّا ، وأمُّه بنت عَمِّ توبةَ ، فأغار ركْضًا حتى انتهى
الى الهضبة ، فإذا بولُ الفرس وعليه بقيَّةٌ من رَغْوته ، واذا أثرُ توبةَ يعرفونه ، فرجَع
نخبَّر أصحابَه . وآندفع توبةُ وأصحابُه حتى نزلوا إلى طَرَف هَضْبةٍ يقال لها الشُّجْرُ
من أرض بني كِلَاب ، فقالوا بالظَّهيرة ، فلم يَشْعُرْ شِعْرَه إلّا والإبلُ قد نَفَرتْ ، وكانت
بُرْكًا(٦) بالهاجرة ، من وئيد(٧) الخيل . فوثب توبةُ ، وكان لا يضع السيف ، فصَبّ الدِّرْعَ
١٠ على السيف متقلِّدَه وَهَلًا ، وداجت(٨) القوم ، فطلب قائمَ السيف فلم يقدِر عليه تحت
الدِّرع فلم يستطع سَلَّه ، فطار إلى الرُّمح فأخذه ، فأهْوَى به طَعْنًا الى يزيد بن رُوَيْبةَ ،
وقد كان يزيد عاهد الله ليقتُلَنَّه أو ليأخُذَنَّه ، فأنفذ نَحْذَ يزيدَ ، وآعتنقه يزيدُ فعضَّ
بوجنتَيْه ، وآستدبره عبدُ الله بالسيف ففلَق رأسَ توبة . وهَيَّتَ(٩) توبةُ حين آعتوره
الرجلان بقابِضٍ : يا قابض فلم يَلْوِ عليه ، وفرّ قابضٌ [و] الكلابيّ ، وذبّ عبدُ الله

75 / 10

١٥ (١) أدنى ظلم أى أدنى شىء . وقد شرح المؤلف هذه الكلمة فيا تقدّم (صفحة ٧٩ من هذا الجزء) .
(٢) فى ج : «قريبا منه» . (٣) الوجاح (مثلث الأوّل) : الستر . وفى الأصول : «وجاج»
بجيمين وهو تصحيف . (٤) أشلى الدابة : دعاها اليه . (٥) الطلب هنا : جمع لطالب .
(٦) البرك هنا : جماعة الإبل الباركة ، الواحد بارك والأنثى باركة . (٧) الوئيد هنا :
الصوت العالى الشديد (٨) كذا فى أكثر الأصول . وفى ج : « ودامت القوم » . وظاهر
٢٠ أن فيه تحريفا ، ويحتمل أن يكون صوابه : « وزاحف القـوم » أو « وواجه القوم » أو ما يشبه
ذلك ، ويحتمل أن يكون محرفا عما يدل على القدوم أو الهجوم على أن يكون « القوم » فاعلا .
(٩) هيت بفلان : صاح به ودعاه .

ابن حُمَيِّر عن أخيه؛ فأهوى له مُعاويةُ بن عبد الله بالسيف فأصاب رُكْبته فآختلعتْ (أى سقطتْ) . فأتى قابضٌ من فَوْره ذلك عبدَ العزيز بن زُرارةَ أحدَ بنى أبى بكر ابن كِلَابٍ فقال : قُتِل توبة . فنادى فى قومه، فجاءه أبوه زُرارةُ فقال : أين تريد؟ فقال : قُتِـل توبةُ . فقال أبوه طوط سُحْقًا[1] لك ! أتطلب بدم توبةَ أنْ قتلتْه بنو عُقَيْلٍ ظالمـًا لها باغيًا عاديًا عليها ! قال لكنّى أُجِنُّه[2] إذًا . قال أبوه . أمّا هذه فنَعَمْ . فألقى السِّلاحَ وآنطلق حتى أجَنّه، وحمل أخاه عبدَ الله بن حميِّر . قال : فأهلُ البادية يزعمون أنّ مُحْرِزًا سُحِـر فأخذ عن سيفه . فقالت ليلى الأخيلية بنت عبد الله ابن الرّحالة بن شدّاد بن كَعْب بن مُعاوية فارس الهرّار ابن عُبادة بن عُقَيْلٍ :

رثت ليـلى توبة بعدّة قصائد

نظـرتُ ورُكْنٌ من ذِقَانَيْنِ دونه * مَفَاوِزُ حَوْضَى[3] أىَّ نَظْـرةِ ناظرِ

(١) كذا وردت هذه الكلمة فى أكثر الأصول . وفى جـ : « ظوط » بظاء معجمة فى أوله فطاء مهملة فى آخره . ولم نجد فى معانى هذه الكلمة ما يناسب المقام هنا . والظاهر من السياق أن المراد بها التهكم به، أو لعلها من زيادات النساخ . (٢) أجنه : كفنه وستره . (٣) وردت هذه الكلمة محرّفة فى الأصول، بين «دفانين» و «دفاتين» و «دنانين» . والتصويب من معجم ما استعجم . وذقان (بكسر الذال) اسم جبل، وهما جبلان أحدهما لبنى عمرو بن كلاب، والآخر لبنى أبى بكر بن كلاب . (راجع معجم ما استعجم للبكرى) . وورواية هذا البيت فى منتهى الطلب من أشعار العرب :

نظرت ودونى من عماية منكب * وبطن الركاء أى نظـرة ناظر

وفى الكامل للبرد (طبعة أوربا) :

نظرت وركن من بوانة دوننا * وأركان حسمى أى نظرة ناظر

ويجوز فى « أى نظرة ناظر » النصب والرفع ، فالنصب على أنه معمول لنظرت، أى نظرت أىَّ نظرة ناظر، ومعناه نظرت نظرة كاملة، كما تقول أنت رجل أى رجل ، أى أنت رجل كامل فى الرجوليـة . والرفع على القطع والابتداء والمخرج مخرج استفهام، وتقديره أى نظرة هى؛ كما تقول سبحان الله أى رجل زيد . (راجع الكامل للبرد) . وحوضى هنا : نجد من منازل بنى عقيل ، وحوضى أيضا : ماء لبنى طهمان ابن عمرو بن سلمة بن سكن بن قريط بن عبـد بن أبى بكر بن كلاب الى جنب جبل فى ناحيـة الرمل . (راجع معجم البلدان) .

لأونسَ إنْ لم يَقْصُرِ الطَّرْفُ عنهمُ[١] * فلم تَقْصُرِ الأخبارُ والطَّرْفُ قاصرى[٢]

فوارسَ أجلى شأوُها عن عَقِـيرةٍ * لِعَاقِـرِها فيهـا عَقِـيرةُ عاقـر

ـ شأوها : سُرْعتها وهو الطَّلَق وجريها[٣]، وقال غيره : غايتها . عقيرة : تعنى توبةَ .
لعاقرها : تعنى لعاقر توبة ، تُريد يزيدَ بن رُوَيْبَةَ . ووجهٌ آخر[٤] : فى عَقِيرةِ عاقرٍ معنى
٥ مَدْحٍ أىْ عقيرة كريمة لعاقرها . ووجهٌ آخر : عَقِيرة لعاقرها : فيها الهلاكُ بعَقْرها ـ

فآنسـتُ خيـلًا بالرَّقِيِّ[٥] مُغِـيرةً * سَـوَابِقُها[٦] مثـلُ القطَا المُتَـواتِرِ

قَتِيـلُ بنى عَـوْفٍ وأَيْصُرُ[٧] دونَه * قتيـلُ بنى عَـوْفٍ قتيـلُ يُحَـابِرِ[٨]

تَوَارَدَه أسـيافُهُـم فـكأنّمـا * تَصَادَرْنَ عن أَقْطاع[٩] أبيـضَ باتر

---

(١) فى ب ، س : « لآنس » وهو تحريف . (٢) فى منتهى الطلب : « دونهم » .
١٠ (٣) الذى فى لسان العرب . « الشأو : الطلق والشوط ، والشأو : الغاية والأمد » .
(٤) ذكر المؤلف فى معنى قوله : « لعاقرها فيها عقيرة عاقر » وجهين ، وهذا الوجه هو الأول ،
وهو كقولهم « ثأر منيم » وهو الذى إذا أصابه المثئر هدأ واستقر لأنه أصاب كفؤا . ثم ذكر الوجه الثانى بعد .
(٥) الرقىّ : موضع . (٦) فى منتهى الطلب : « أوائلها » . والمتواتر : الذى يجىء
بعضه فى إثر بعض . (٧) كذا فى رغبة الآمل من كتاب الكامل للأستاذ المرحوم سيد بن علىّ
١٥ المرصفى . وأيصر : موضع ببلاد بنى عقيل ، وقد ورد هذا الاسم أيضا فى شعر ليلى الأخيلية :

ولم يملك الجرد الجياد يقودها * بسرة بين الأشمسات فأيصر

وسيأتى هـذا البيت فى قصيدة لليلى فى صفحة ٢٣٢ وفى الأصول المخطوطة : « و يتبرونه » وفوق الواو
فى أ ، م همزة . وفى ب ، س : « و يثبر دونه » . وفى منتهى الطلب :

* قتيـل بنى عوف فوا ترتا له *

٢٠ والترة : الثأر . (٨) كذا فى جـ ومنتهى الطلب . ويحابر : قبيلة . وفى سائر الأصول : « قتيل
لجابر » . وفى رغبة الآمل من كتاب الكامل : « قتيل لعامر » . ولعل هذه الرواية هى المناسبة للسياق .
(٩) فى منتهى الطلب : « عن حامى الحديدة » . والأقطاع : جمع قطع (بكسر فسكون) وهو ماقطع
من حديد أو غيره . والأبيض الباتر : السيف .

من الهِنْدُوانيات فى كلّ قِطْعةٍ * دَمٌ زلّ عن أثْرٍ من السَّيف ظاهر (١)

أتتْه المنايا دون زَغْفٍ حصينةٍ (٢) * وأسمرَ خَطِّىٍّ وخَوْصاءَ ضامر

على كلّ جَرْداء السَّراة (٣) وسابحٍ * دَرَأْنَ (٤) بشُبَّاكِ الحديد زوافر

عَوابسَ تعدُو الثَّعْلبيَّةَ ضُمَّراً (٥) * وهُنّ شَوَاحٍ بالشَّكيم الشواجر

فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يا تَوْبُ (٦) إنّما * لِقاءُ المنايا دارعًا مثلُ حاسر (٧)

فإلّا تَكُ القتلَى بَوَاءً (٨) فإنّكم * سَتَلْقون يومًا وِرْدُه غيرُ صادر

وإنّ السليلَ إذ يباوِى قتيلَكم * كمرحومةٍ من عَرْكِها غيرِ طاهر (٩)

(١) الأثر (بالفتح) والإثر (بالكسر) : فرند السيف ورونقه . وزاد فى لسان العرب «الأثر» بضمتين، وزاد فى القاموس «الأثير» . (٢) الزغف : الدروع المحكمة . والأسمر الخطى : الرمح . والخوصاء الضامر : الفرس . (٣) الجرداء من الخيل : القصيرة الشعر، وهو مدح فى الخيل . والسراة : الظهر . والسابح من الخيل : الحسن مدّ اليدين فى الجرى . (٤) كذا فى رغبة الآمل . والدرء : الدفع . وفى الأصول : «لهن» . وفى منتهى الطلب : «درأت» . وشباك الحديد هنا : اللجم المشتبكة . وزوافر : مخرجات أنفاسهن . تصف الخيل بسرعة الاندفاع . (٥) الثعلبية : أن يعدو الفرس عدو الكلب . وشواح : فاتحات أفواهها . والشكيم : واحدته شكيمة وهى الحديدة المعترضة فى الفم من اللجام . والشواجر : المشتبكة . وورد هذا البيت فى الأصول هكذا :

عوابس تعدو التغلبية ضمرا * وهن شواج بالشكيم السواجر

والتصويب من منتهى الطلب ورغبة الآمل ونسخة الشنقيطى . (٦) كذا فى جـ ومنتهى الطلب . وفى سائر الأصول : «فلا يبعدنك الله توبة» . (٧) تريد : إنما لقاء المنايا دارعا مثل لقائها حاسرا . (٨) فى منتهى الطلب : «فان تكن القتلى» . (٩) يباوى : يساوى، وأصله الهمز . تريد : إذ يقتل بقتيلكم . وفى الأصول : «يبارى» وهو تحريف . ومرحومة : بها داء فى الرحم؛ يقال رحمت المرأة (بالبناء للمفعول) رحما (بالفتح) اذا أخذها داء فى رحمها فهى تشتكى منه، ويقال أيضا رحمت رحما (وزان فرح فرحا) فهى رحمة، ورحمت (بضم عين الفعل) رحامة فهى رحوم ورحماء . والعرك : الحيض؛ يقال عركت المرأة تعرك (بالضم) عروكا فهى عارك . تقول : إن السليل الذى قتلناه منكم صغير القدر لا يباوى قتيلكم الذى قتلتموه منا، فهو مثل المرأة العارك . ويشبه الساقطون من الرجال بالنساء العوارك؛ قال الشاعر :

أفى السلم أعيارا جفاء وغلظة * وفى الحرب أمثال النساء العوارك

وفى الأصول : «كمرجومة» بالجم، وهو تصحيف .

فإن تكن القتلى بواءً فإنكم * فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر
فتى لا تخطّاه الرّفاق ولا يرى * لقدرٍ عيالاً دون جارٍ مجاور
ولا تأخذ الكوم الجلاد رماحها * لتوبة فى نحس الشتاء الصنّابر (١)
إذا ما رأته قائماً بسلاحه * تقتّه الخفاف بالثقال البهازر (٢)
إذا لم يجد منها برسلٍ فقصره * ذرى المرهفات والقلاص التواجر (٣)
قرى سيفه منها مشاشاً وضيفه * سنام المهاريس السّباط المشافر (٤)
وتوبة أحيا من فتاة حييّة * وأجرأ من ليثٍ بخفّان خادر (٥)

(١) الكوم : جمع كوماء وهى العظيمة السنام من الابل . والجلاد من الابل : الغزيرات اللبن كالمجاليد أو مالا لبن لها ولا نتاج . يقال : أخذت الابل رماحها اذا حسنت فى عين صاحبها فامتنع من نحرها نفاسة بها . وأخذ الابل رماحها انما هو على التمثيل . ونحس الشتاء : ريحه الباردة . وصنابر الشتاء : شدّة برده . والصنابر : جمع صنبر (بكسر الصاد وتشديد النون المفتوحة وتكسر ، وسكون الباء) ؛ يقال غداة صنبر . ولعل الصنابر وصف للشتاء باعتبار أيامه ولياليه ، أو وصف لنحس الشتاء على أن يكون المراد بنحس الشتاء جمعا . ورواية البيت فى منتهى الطلب :

ولا تأخذ الابل الزهارى رماحها * لتوبة عن صرف السرى فى الصنابر

(٢) كذا فى جـ ومنتهى الطلب . وفى سائر الأصول : «بسلاحه اتـ*ـقته» . ويقال أتقاه وتقاه (مثل قضى يقضى) بمعنى واحد . والبهازر من الإبل : العظام ، واحدتها بهزرة (بضم الباء والزاى وسكون الهاء بينهما) . (٣) الرسل «بالكسر» : اللبن . والمرهفات الدقيقات . والقلاص : جمع قلوص وهى الشابة من النوق كالجارية من النساء . والتواجر هنا : الابل النافقة فى التجارة وفى السوق . وفى الأصول الخطية : «النواحر» . وفى ب ، س : «النواجر» والتصويب من منتهى الطلب .

(٤) كذا فى جـ ومنتهى الطلب ورغبة الآمل . وفى سائر الأصول «منهن شأسا» وهو تحريف . والمشاش : رءوس العظام مثل الركبتين والمرفقين ، الواحدة مشاشة . والمهاريس من الإبل : الجسام الثقال ، سميت بذلك لشدّة وطئها كأنها تهرس ما وطئته وتدقه . وفى الأصول : «البهاريس» والتصويب من منتهى الطلب ورغبة الآمل . وسباط المشافر : طويلتها ، وواحد السباط سبط ككتف . وفى بعض الأصول : «السياط» بالمثناة وهو تصحيف . والمشفر للبعير كالشفة للانسان . (٥) خفان : موضع قرب الكوفة وهو مأسدة . وخادر مقيم .

ونِعْمَ الفتى إنْ كان توبةُ فاجرًا (١) * وفوق الفتى إنْ كان ليس بفاجر

فتى يَنْهَلُ الحاجاتِ ثم يَعُلُّها * فيُطلِعُها عنه ثَنَايا المَصادِرِ

صوت

كأنّ فتى الفِتْيانِ تَوْبةَ لم يُنِخْ * قلائصَ يَفْحَصْنَ الحَصَا بالكَرَاكِرِ (٢)

ولم يَبْنِ أبرادًا عِتَاقًا (٣) لِفِتْيةٍ * كِرَامٍ ويَرْحَلْ قبلَ فَيْءِ (٤) الهواجر

ـ فى هذين البيتين لحنٌ من الثَّقيل الأوّل لمحمد بن إبراهيم قريض وهو من خاصّ صنعته وغنائه ـ

ولم يَتَجَلَّ الصُّبْحُ عنه وبَطْنُه * لَطِيفٌ كطَىِّ السِّبِّ (٥) ليس بحادِرِ

فتًى كان للمولَى (٦) سناءً ورفعةً * وللطارق السارى قِرًى غيرَ باسر

ولم يُدْعَ يومًا للحِفَاظِ وللنَّدَا (٧) * وللحَرْبِ (٨) يرمى نارَها بالشرائر

(١) كذا فى منتهى الطلب . وفى الأصول :

* ونعم فتى الدنيا و إن كان فاجرا *

(٢) الكراكر : جمع كِرْكِرة (بالكسر) وهى هنا رحى زور البعير أو صدره . (٣) فى الكامل : « أبرادا رقاقا » ثم شرحها المبرد فقال : « تريد الخيام » . (٤) كذا فى جـ والكامل للبرد . ثم قال المبرد : « وقولها : ويرحل قبل فىء الهواجر، تريد أنه متيقظ ظعان » . وفى سائر الأصول : « قبلهم فى الهواجر » . (٥) السب : الثوب الرقيق . والحادر هنا : الغليظ السمين . وفى أكثر الأصول « بحاذر » بالذال المعجمة؛ والتصويب من جـ ومنتهى الطلب . تصفه بهضم الكشح، وهو مدح؛ قال زياد بن منقذ :

يغدو أمامهم فى كل مربأة * طلاع أنجدة فى كشحه هضم

ورواية البيت فى منتهى الطلب :

ولم يتخل الضيف عنه وبطنه * خميص كطى السبت ليس بحادر

(٦) المولى هنا : ابن العم أو الحليف الذى ينضم اليك فيعز بعزك ويمتنع بمنعتك . وباسر : عابس . وفى رغبة الآمل « ... قرى غير قاتر » . وغير قاتر : غير ضيق ، من قتر عيشه يقتر (بالكسر والضم) قترا وقتورا فهو قاتر ضاق لا يمسك إلا الرمق . (٧) كذا فى جـ ومنتهى الطلب . وفى سائر الأصول : « وللعدا » . (٨) فى منتهى الطلب : « يذكى » .

وللبـازلِ الكَوْماءِ يرغـو حُوَارُها * وللخيـلِ تعـدو بالـكُماةِ المَسَاعرِ[(١)]

كأنّك لم تَقْطَـعْ[(٢)] فـلاةً ولم تُنِـخْ * قِلاصًا لدى فأْوٍ[(٣)] من الأَرض غائرِ[(٤)]

وتُصْبِحْ بمَوْماةٍ[(٥)] كأنّ صَرِيفَها * صَريفُ خَطَاطِيفِ الصَّرى فى المَحَاوِرِ

طوتْ نَفْعَها عنّا كِلَابٌ وآسَدَتْ[(٦)] * بنا أجْهَلِيها بين غاوٍ وشاعرِ

٥ وقـد كان حقًّا أن تقولَ سَرَاتُهم * لَعًا[(٧)] لأخينا عاليًا[(٨)] غـيرَ عاثرِ

---

(١) البازل : الناقة التى انشق نابها ؛ وهى ما استكملت السنة الثامنة وطعنت فى التاسعة . وهذا اللفظ مما يستوى فيـه المذكر والمؤنث ؛ يقال : ناقة بازل وجمل بازل . والكوماء : الناقة العظيمة السنام . والحوار (بالضم وقد يكسر) : ولد الناقة من حين يوضع الى أن يفطم ، أو هو حوار ساعة تضعه أمه خاصة . والمساعر : جمع مسعر (بكسر الميم وسكون السين وفتح العين) . والمسعر هو الذى يوقد نار الحرب . يقال :
١٠ فلان مسعر حرب اذا كان يؤرثها ، أى تحمى به الحرب . وفى الأصول : «المشاعر» بالشين المعجمة . والتصويب من منتهى الطلب ، وقد صححها كذلك المرحوم الشنقيطى فى نسخته . (٢) فى أكثر الأصول : «كأن لم تكن تقطع» وفى ح : «كأنما لم تقطع» . والتصويب من منتهى الطلب . (٣) كذا فى ح . وفى أكثر الأصول : «لدى بأو» وهو تحريف . والفأو : بطن من الأرض تطيف به الرمال . وفى منتهى الطلب «لدى واد» . (٤) فى الأصول : «غابر» بالموحدة وهو تصحيف .

١٥ (٥) فى منتهى الطلب «جنوحا بموماة» . والموماة : المفازة الواسعة أو التى لا ماء فيها ولا أنيس بها . والصريف : الصـوت . والخطاطيف : جمـع خطاف (بالضم) ، وهو حديدة حجناء تعقل بها البكرة من جانبيها وفيها المحور . والصرى : المـاء الذى طال مكثه فتغير . وهـذه رواية ح ومنتهى الطلب . وفى سائر الأصول : «خطاطيف المدى فى المحافر» وهو تحريف . والمحاور : جمع محور وهو الحديدة التى تجمع بين الخطاف والبكرة ، وهو أيضا الخشبة التى تجمع المحالة . (٦) كذا فى ح ومنتهى
٢٠ الطلب . وفى أ ، م : «وآسرت» . وفى ب ، س : «وأثرت» وكلاهما تحريف . وآسدت : هيجت وأغرت . يقال : آسدت الكلب وأوسدته (بقلب الهمزة واوا) بالصيد إذا أغريته به .

(٧) فى أكثر الأصـول : «لما» . والتصويب من ح ومنتهى الطلب . ولعا : كلمة يدعى بها للعاثر بأن ينتعش . يقال : لعا لفلان عاليا إذا دعى له ، فاذا دعى عليه قيل : لا لعا له .

(٨) فى الأصول : «عائشا» وهو تحريف .

وَدَوِّيّةٍ قَفْرٍ يحارُ بها القَطا * تَخَطَّيْتَها بالنّاعجات(١) الضّوامر

فتَالله تَبْنِي بيتَها أُمُّ عاصمٍ(٢) * على مثله أُخْرَى(٣) الليالى الغوابر

فليس شِهابُ الحربِ تَوْبةُ بعدَها * بغازٍ ولا غادٍ بِرَكْبٍ مُسَافِر(٤)

وقد كان طَلّاعَ النّجادِ(٥) وبَيِّنَ اللِّـ * ـسان ومِدْلاجَ(٦) السُّرَى غيرَ فاترِ

وقد كان قبل الحادثاتِ إذا انتحى(٧) * وسائق أو معبوطةً لم يُغادِرِ

وكنتَ إذا مولاكَ خاف ظُلامةً * دعاك ولم يَهْتِفْ(٨) سواك بناصر

فإنْ يَكُ عبدُ الله آسَى ابنَ أمِّه * وآبَ بأسلاب الكَمِيِّ(٩) المُغاوِرِ

وكان(١٠) كذات البَوِّ تَضْرِب عنده * سِباعاً وقد ألْقَيْنَه فى الجَرَاجِرِ(١١)

(١) الدوية، ومثلها الداوية : الفلاة الواسعة المستوية . والناعجات من الابل : البيض الكريمة، أو هى التى يصاد بها نعاج الوحش من الظباء والبقر . والنعج (بفتح فسكون) ضرب من سير الابل سريع .

(٢) فى منتهى الطلب : «أم عامر» . (٣) فى الأصول : «احدى الليالى» والتصويب من منتهى الطلب . والغوابر هنا : الباقيات . تقول : إن هذه المرأة لا يشتمل بيتها على مثله آخر الدهر؛ فان الدهر بمثله بخيل . (٤) فى بعض الأصول : «مماقر»، وفى بعضها «مماقر» . والتصويب من منتهى الطلب . (٥) يقال : فلان طلاع النجاد، وطلاع أنجد، وطلاع أنجدة، اذا كان ضابطا للأمور غالبا لها . وقال الجوهرى : يقال فلان طلاع أنجد وطلاع الثنايا اذا كان ساميا لمعالى الأمور . (عن لسان العرب) . (٦) فى منتهى الطلب : «ومجذام السرى» .

(٧) انتحى : قصد . والوسيقة : الجماعة من الابل ونحوها كالرفقة من الناس، وصف من الوسق بمعنى الطرد لأنها اذا سرقت طردت معا . والمعبوطة : المذبوحة من غير داء ولا كسر . تريد أنه اذا قصد إبلا مغصوبة أو معبوطة لم يتركها تفلت منه . (٨) كذا فى منتهى الطلب . وفى الأصول : «ولم يعدل» . (٩) آساه هنا : شاركه أو أصابه بخير . والكمى : الشجاع المتكمى فى سلاحه لأنه كمى نفسه أى سترها بالدرع والبيضة، والجمع كماة كأنهم جمعوا كاميا مثل قاض وقضاة . والمغاور : المقاتل الكثير الغارات، ومثله المغوار . (١٠) كذا فى منتهى الطلب . وفى الأصول : «فكان» بالفاء؛ وجواب الشرط إنما هو قوله : «فانك قد فارقته ...» البيت الذى بعده .

(١١) الجراجر : الحلوق .

فإنك قد فارقتَه لك عاذرًا[1] * وأَنَّى لِحَىٍّ عُذْرُ مَنْ فى المَقَابِرِ
فأقسمتُ أبكى[2] بعد تَوْبَةَ هالكًا * وأحفِلُ مَنْ نالتْ صروفُ المَقَادرِ
على مثلِ هَمَّامٍ ولابنِ مُطَرِّفٍ * لِتَبْكِ[3] البَوَاكى أو لِبِشْرِ بن عامرِ

٧٧ / ١٠

غُلامان كانا آستَوْرَدَا كلَّ سَوْرَةٍ[4] * من المَجْدِ ثم آستوثقا فى المَصَادرِ
رَبِيعَىْ حَيًا كانا يَفِيضُ نَدَاهُما * على كُلِّ مغمورٍ نَداهُ[5] وغامرِ
كأنَّ سَنا نارَيْهما كلَّ شَتْوَةٍ * سَنَا البَرْقِ يبدو للعيون النواظر

وقالت أيضا ترثى توبةَ — عن أُمِّ حُمَيِّرٍ، وأُمُّها ٱبنةُ أخى تَوْبةَ، عن أُمِّها . قال أبو عُبَيْدَةَ: أم حُمَيِّرٍ أُختُ أبى الجَرَّاح العُقَيْلىّ . قال: وأمها بنت أخى توبة بن حُمَيِّر . قال: وكان الأصمعىّ يُعْجَبُ بها — :

أيا عَيْنُ بَكِّى توبةَ ٱبنَ حُمَيِّرٍ * بِسَحٍّ كفيض الجَدْوَلِ المُتَفَجِّرِ
لِتَبْكِ عليه من خَفَاجةَ[6] نسوةٌ * بماء شؤون العَبْرة المتحدِّر
سَمِعْنَ بِهَيْجَا[7] أرهقتْ فذكرنَه * ولا يبعثُ الأحزانَ مثلُ التذكُّر

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصول هكذا :

فان تك قد فارقته لك غادرا * وأى لحى غدر من فى المقابر

والتصويب من منتهى الطلب . والشطر الثانى فى منتهى الطلب .

* وأنى وأنى عذر من فى المقابر *

(٢) فأقسمت أبكى : أى لا أبكى . وحذف «لا» فى مثل هذا كثير . (٣) فى الأصول : « لتبكى » . وفى منتهى الطلب : « تبكى » . (٤) السورة (بالفتح) من المجد : أثره وعلامته وارتفاعه . (٥) فى ب ، س : « تراه » وهو تحريف . (٦) خفاجة : رهط توبة وهو جدّ له . (٧) الهيجا (بالمد والقصر) : الحرب . وأرهقت : أدركت ، أو ألحقت وأغشت ، أى جعلت من فيها من المحاربين يغشون خصمهم و يلحقونه . وفى منتهى الطلب : « أضلعت » ، أى أثقلت . وفى الكامل للمبرد : « أزحفت » .

كأنّ فتى الفتيان توبة لم يَسِرْ (١) * بنجدٍ ولم يطلُعْ مع المتغوِّرِ (٢)

ولم يَرِدِ الماء السِّدامَ اذا بدا (٣) * سَنا الصُّبح فى بادى الحواشى منوّرِ (٤)

ولم يَغْلِبِ الخصمَ الضِّجاجَ ويملأ الـ * ـجِفانَ سَديفاً يوم نكْباء صَرْصَرِ (٥)

ولم يَعْلُ بالجُرْدِ الجيادِ يقودُها * بسُرّةَ بين الأشْمُساتِ فأيْصُرِ (٦)

وصحراءَ مَوْماةٍ يحارُ بها القَطا * قطعْتَ على هَوْلِ الجَنان بمِنْسَرِ (٧) ٥

يقودون قُبّاً كالسَّراحينِ لَاحَها * سُراهُمْ وسَيْرُ الراكبِ المُتَهجِّرِ (٨)

---

(١) فى الكامل للبرد (ص ٧٣٣ طبعة أوربا) : « لم ينخ » . (٢) كذا فى أ ، م ومنتهى الطلب والكامل . وفى سائر الأصول : « من المتغور » . والمتغور : الذى يأتى الغور . والغور : ما انخفض من الأرض . والنجد : ما أشرف من الأرض . (٣) الماء السدام : القديم المندفن .

(٤) رواية الكامل : « فى أعقاب أخضر مدبر » وهى الرواية الواضحة المعنى . والأخضر هنا : الليل . والعرب تسمى الأسود أخضر . (٥) فى الكامل : « ولم يقدع الخصم الألد » . والقدع . الكف . والألد : الشديد الخصام . والضجاج . مصدر ضاجه مضاجة وضجاجا إذا جادله وشاره وشاغبه ، والاسم الضجاج (بالفتح) . وهو وصف بالمصدر للمبالغة . والسديف : قطع السنام . والنكباء : الريح التى تنحرف فى مهبها فتجىء بين ريحين . والصرصر : الشديدة الصوت أو البرد . ١٠

(٦) ورد فى هذا الشطر تحريف فى الأصول وفى منتهى الطلب . وقد صوّبناه من كتاب معجم ما استعجم ، وفيه : « ولم يملك الجرد » بدل : « ولم يعل بالجرد » . وأشمس (بفتح أوّله وسكون ثانيه وفتح الميم وضمها معا) : جبل فى شق بلاد بنى عقيل . وجمعته ليلى لأنها أرادت الجبل وما يليه من البقاع . كذا ذكر البكرى فى معجمه . وسرة وأيصر : موضعان . (٧) المنسر (وزان منبر ومجلس) هنا : قطعة من الجيش تمر قدّام الجيش الكبير ، وهو أيضا الجماعة من الخيل ، وفى مقدارها عدّة أقوال ، وليس هذا المعنى مرادا هنا . (٨) القب : الدقاق الخصور ، والواحد أقب وقباء . والسراحين : الذئاب واحدها سرحان . ولاحها : غيّرها . والسرى : سير الليل . والمتهجر : الذى يسير فى الهاجرة وهى نصف النهار عند زوال الشمس الى العصر ، والمراد سير النهار ، أى غيرها سير الليل وسير النهار . ١٥ ٢٠

فلمّا بدتْ أرضُ العدوّ سَقَيْتَها * مُجاجَ بَقِيّاتِ المَزادِ المُقَيَّرِ (١)

ولمّا أهابُوا بالنِّهابِ حَوَيْتَها * بخاظِي البَضِيعِ كَرُّه غيرُ أعْسَرِ (٢)

مُمَرٍّ (٣) كَكَرِّ الأنْدَرِيِّ مُثابِرٍ * إذا ما وَنَيْنَ (٤) مُهْلِبِ (٥) الشَّدِّ مُحْضِرِ

فألوتْ بأعناقٍ طِوالٍ وراعَها * صَلاصِلُ (٦) بَيْضٍ سابغٍ وسَنَوّرِ

٥ ألم تَرَ أنّ العبدَ يقتلُ ربَّه * فيظهرَ جَدُّ العبدِ من غيرِ مَظْهَرِ

قتلتم فتىً لا يُسْقِطُ الرَّوْعُ رُمْحَه * إذا الخيلُ جالت فى قَنًا متكسِّرِ

فيا تَوْبَ للهَيْجا ويا تَوْبُ للنَّدَى * ويا تَوْبُ للمُسْتَنْبِحِ (٧) المتنوِّرِ

ألا ربَّ مكروبٍ أجَبْتَ ونائلٍ * بذلتَ ومعروفٍ لديكَ ومُنْكَرِ

---

(١) فى أكثر الأصول : « المغبر » والتصويب من حـ ومنتهى الطلب . ورواية منتهى الطلب :

١٠ فلما بدت أولى العدو سقيتها * صبابة مثلوب المزاد المقير

وسقيتها أى الخيل . والمجاج (بضم الميم) : اسم لما تمجه من فيك . والمزاد : الأسقية ، الواحدة مزادة . والمقير : المطلى بالقار وهو الزفت . (٢) النهاب : جمع نهب وهو الغنيمة . والخاظى : المكتنز اللحم . والبضيع : اللحم . يريد جوادا هذه صفته .

(٣) الممر : اسم مفعول من أمر فلان الحبل إذا أجاد فتله . تريد أنه مجدول الخلق . والكر هنا :

١٥ الحبل الغليظ أو حبل يصعد به على النخل . والأندرى : المنسوب إلى أندرين قرية كانت بالشام .

(٤) ونين : فترن وضعفن ، تريد الخيل . تصف الجواد بالمثابرة على العدو إذا فترت الخيل التى معه وضعفت . (٥) إلهاب الفرس للشد : متابعته للجرى ؛ يقال : هلب (مثل كتب) الفرس وأهلب إذا تابع جريه . وإحضار الفرس : ارتفاعه فى عدوه . (٦) راعها : أفزعها . وصلاصل البيض : أصواتها ، واحدتها صلصلة . والبيض من الحديد : ما يتقى به الرأس من السلاح ، واحدته

٢٠ بيضة وهى الخوذة . والسنور : جملة السلاح ، وخص بعضهم به الدروع . (٧) المستنبح : الذى يكون فى مضلة فيخرج صوته على مثل نباح الكلب ليسمعه كلب الحى فيتوهمه كلبا فينبح ، فيستدل بنباحه فيهتدى . والمتنور : الذى يبصر النار من بعيد .

وقالت ترثيه :

أقسمتُ أرثى[(١)] بعد توبةَ هالكًا * وأَحفِلُ مَنْ دارت عليه الدوائرُ

لَعَمْرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفتى * اذا لم تُصِبْه فى الحياةِ المَعايرُ

وما أحدٌ حَىٌّ وإنْ عاش سالمًا * بأخْلَدَ ممن غيّبته المقابر

ومَنْ كان مما يُحْدِثُ الدهرُ جازعًا * فلا بُدَّ يومًا أن يُرَى وهو صابر ٥

وليس لِذِى عيشٍ عن الموتِ مَقصرٌ[(٢)] * وليس على الأيّامِ والدهرِ غابرُ[(٣)]

ولا الحىُّ مما يُحْدِثُ الدهرُ مُعتَبٌ[(٤)] * ولا المَيْتُ إن لم يَصْبِرِ الحىُّ ناشرُ

وكلُّ شبابٍ أو جديدٍ إلى بِلًى * وكلُّ امرئٍ يومًا إلى الله صائر

وكُلُّ قرينَىْ أُلْفَةٍ لِتَفَرُّقٍ * شَتَاتًا وإنْ ضَنّا وطال التّعاشُرُ

فلا يُبْعِدَنْكَ الله حيًّا ومَيّتًا * أخا الحرب إن دارتْ عليك الدوائرُ ١٠

ويُرْوَى :

(فلا يُبْعِدَنْك الله يا توبُ هالكًا * أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر)

فآليتُ لا أنفكّ أبكيك ما دعتْ * على فَنَنٍ ورقاءُ أو طارَ طائرُ

قتيلُ بنى عَوفٍ فيا لَهْفَتَا له * وما كنتُ إيّاهم عليه أحاذر

ولكنما أخشَى عليه قبيلةً * لها بدروب الروم بادٍ وحاضرُ ١٥

---

(١) أى أقسمت لا أرثى ... ولا أحفل . وحذف « لا » فى مثل هذا الموضع جائز وكثير .

(٢) تريد : ليس عنه محيد ولا مصرف . (٣) غابر هنا : باق .

(٤) معتب : اسم مفعول ؛ يقال أعتبت فلانا اذا أرضيته . وناشر : وصف من نشر اللازم ؛ يقال : نشر الله الميت ، فنشر الميت ، فهو لازم متعد .

وقالت ترثيه :

كم هاتف بك من باكٍ وباكيةٍ * يا توبُ للضيف إذ تُدعى وللجار
وتوبُ للخصم إن جاروا وإن عدلوا (١) * وبدّلوا الأمر نقضًا بعد إمرار (٢)
إن يُصدروا الأمر تُطلِعْه (٣) موارده * أو يوردوا الأمر تحلُلْه بإصدار

وقالت ترثيه :

هراقت بنو عوفٍ دمًا غير واحدٍ * له نبأٌ نجديّة (٤) سيغور
تداعت له أفناءُ عوفٍ (٥) ولم يكن * له يوم هضب الردهتين نصير

وقالت ترثيه :

يا عين بكّى بدمعٍ دائم السَّجَم (٦) * وابكى لتوبة عند الرّوع والبُهَم (٧)
على فتًى من بنى سعدٍ (٨) فُجعتُ به * ماذا أجنّ به فى الحفرة الرَّجَم (٩)
من كلّ صافيةٍ صِرفٍ وقافيةٍ * مثل السِّنان وأمرٍ غير مقتسَم
ومُصدرٍ حين يعيى القومَ مَصدرهم * وجفنةٍ عند نحس الكوكب الشَّبِم (١٠)

وقالت تعيّر قابضًا :

جزى الله شرًّا قابضًا بصنيعه * وكلُّ امرئ يُجزى بما كان ساعيا

---

(١) كذا فى مختار الأغانى . وفى الأصول : «وإن عندوا» وهو تحريف . (٢) فى الأصول : « بعد ابرارى » والتصويب من مختار الأغانى . (٣) فى مختار الأغانى : « يطلعه » فى الموضعين وبضمير الغائب . (٤) فى الأصول : «نجدية» . (٥) أفناء الناس : أخلاطهم وهم النزاع من هاهنا وهاهنا . (٦) ظاهر أنها تريد دائم القطران ، فحركت الجيم للشعر . أما السجم (بالتحريك) فهو الماء والدمع . (٧) البهم هنا : مشكلات الأمور، واحدتها بهمة (بالضم) . (٨) يلاحظ أن ليس فى نسب توبة المتقدّم «سعد» . وهذا مما يبعث الريب فى هذا الشعر . (٩) الرجم (بالتحريك) هنا : القبر . (١٠) كذا فى حـ . والشبم : البارد . ونحس الكوكب الشبم كناية عن الشتاء . وفى سائر الأصول : « الشئم » بالهمز وهو تصحيف .

دعا قابضًا والمُرْهَفاتُ يَرِدْنَه[1] * فقُبِّحْتَ مدعوًّا ولَبَّيْكَ داعيا

وقالت لقابض وتَعْذِر عبدَ الله[2] أخا توبةَ :

دعا قابضًا والموتُ يَخْفِق ظِلُّه * وما قابضٌ إذ لم يُجِبْ بنَجِيبِ

وآسَى عُبَيْدُ الله ثَمَّ ابنَ أُمِّه * ولو شاء نَجَّى يومَ ذاك حَبِيبِى

خرج توبة الى الشام فلقيه زنجى وخبره معه

أخبرنى الحسن بن علىّ[3] عن عبد الله بن أبى سَعْد عن أحمد بن مُعاوية بن بكر قال حدّثنى أبو الجراح العُقَيْلىّ عن أُمِّه دِينار بنت خُبَيْرِىّ بن الحُمَيِّر عن توبة بن الحُمَيِّر قال :

خرجتُ إلى الشام ، فبينا أنا أسير ليلةً فى بلادٍ لا أنيسَ بها ذاتِ شجرٍ نزلتُ لأُرِيح ، وأخذتُ تُرْسى فألقيتُه فوقى ، وألقيتُ نفسى بين المُضْطَجع والبارك . فلمّا وجدتُ طَعْمَ النَّوْمِ إذا شىءٌ قد تجلّلنى عظيمٌ ثقيلٌ قد بَرَكَ علىّ ، ونشزتُ[4] عنه ثم قَمَصْتُ منه قِمَاصًا[5] فرميتُ به على وجهه ، وجلستُ إلى راحلتى فانتضيت السيفَ ، ونَهَض نحوى فضربتُه ضربةً انخزل منها ، وعُدْتُ إلى موضعى وأنا لا أدرى ما هو أإنسان أم سَبُعٌ ، فلمّا أصبحتُ إذا هو أسْوَدُ زِنْجِىٌّ يضرب برجليه وقد قطعتُ وَسَطَه حتى كِدتُ أبريه ، وانتهيتُ إلى ناقةٍ مُنَاخةٍ مُوقَرةٍ ثيابًا من سَلَبه ، وإذا جاريةٌ شابّةٌ ناهدٌ وقد أوثقها وقرنها بناقته . فسألتها عن خبرها ، فأخبرتنى أنه

(١) فى الكامل : « ينشنه » أى يتناولنه . (٢) فى الكامل : « عبيد الله » بالتصغير . وقد ورد كذلك فى البيت الأخير من البيتين الآتيين . ولكنه تقدّم غير مرة فى ترجمة توبة فى الشعر والنثر « عبد الله » . فلعله صغر هنا للشعر . (٣) فى الأصول هنا : « ... الحسن بن على بن عبد الله ابن أبى سعد » وهو تحريف . (٤) فى الأصول : « ونشرت عنه » بالراء المهملة وهو تصحيف . يريد ارتفعت وبعدت . وفى مختار الأغانى : « وثرت عنه » . (٥) القماص (بالضم وبالكسر معا) : الوثب .

قتَـل مولاها وأخذها منـه . فأخذتُ الجميع وعدتُ إلى أهلى . قال أبو الجـرّاح
قالت أمّى : وأنا أدركتُها فى الحىّ تخدِم أهلَنا .

حديث معاوية مع ليلى فى توبة

أخبرنا اليزيدىّ عن ثعلب عن ابن الأعرابىّ قال أخبرنا عَطَاء بن مُصْعَب
القُرَشىّ عن عاصم اللّيْثىّ عن يونس بن حبيبٍ الضَّبّىّ عن أبى عمرو بن العلاء قال :
٥ سأل مُعَاويةُ بن أبى سُفْيانَ ليلى الأخيليّـة عن توبةَ بن الحُمَـيِّر فقال : ويحكِ
يا ليلى ! أكما يقول الناس كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقـول
الناس حقّا ، والناس شجرةُ بغْيٍ يحسُـدون أهلَ النِّعَم حيث كانوا وعلى من كانت .
ولقد كان يا أمير المؤمنين سَبْطَ البَنَانِ ، حديدَ اللِّسان ، شَجًا للأقران ، كريمَ المَخْبَر[1] ،
عفيفَ المِئْزَر ، جميلَ المَنْظَر . وهو يا أميرَ المؤمنين كما قلتُ له . قال : وما قلتِ له ؟
١٠ قالت قلت ولم أتعدّ الحقّ وعلمى فيه :

بَعيـدُ الثَّرَى لا يبلُغ القومُ قَعْـرَه * أَلَدُّ مُلِدٌّ[2] يَغْلِبُ الحـقَّ بَاطِـلُهْ
اذا حلّ رَكْـبٌ فى ذَرَاه وظلّه * لِيَمْنَعَهـم ممـا تُخَـافُ نَوازِلُهْ
حماهم بنَصْلِ السَّيْف من كلّ فادحٍ[3] * يخـافونه حـتى تموتَ خَصَائلُهْ[4]

فقال لها معاويةُ : ويحكِ ! يزعُم الناسُ أنه كان عاهرًا خاربًا[5] . فقالت من ساعتها :

١٥ مَعَاذَ إلٰهى كان واللهِ سَـيِّدًا * جَوَادًا على العِلّاتِ[6] جَمًّـا نَوَافِلُهْ
أَغَرَّ خَفَاجِيًّا[7] يرى البُخْلَ سُـبَّةً * تَحَلَّبُ كفّاهُ النَّـدَى وأنامِلُهْ

(١) فى الأصول : « كريم المختبر » . (٢) الألد : الكثير الجدل والخصومة الشحيح الذى لا يزيغ الى الحق . وملد وصف من ألددت بفلان إذا عسرت عليه فى الخصومة . (٣) فى الأصول : « من كل قادح » بالقاف . والفادح هنا : الخطب من خطوب الدهر . (٤) الخصائل :
٢٠ جمع خصيلة ، وهى كل لحمة فيها عصب . والظاهر أنها كنت بموت خصائل الفادح عن سكونه وذهابه .
(٥) خارب : لص . (٦) على العلات : أى على كل حال من عسره ويسره .
(٧) خفاجى : منسوب إلى خفاجة وهو من آباء توبة .

عفيفًا بعيدَ الهَمِّ صُلبًا قناتُه * جميلًا مُحَيَّاه قليلًا غوائلُه

وقد علِم الجوعُ الذى بات سارياً * على الضَّيْف والجيرانِ أنك قاتلُه

وأنك رَحْبُ الباع يا توْبُ بالقِرَى * إذا ماالئيمُ القومِ ضاقت مَنازِلُه

يَبِيتُ قريرَ العينِ مَنْ بات جارَه * ويُضْحِى بخيرٍ ضيفُه ومُنازِلُه

فقال لها معاويةُ : ويحك يا ليلى ! لقد جُزْتِ بتوبةَ قَدْرَه . فقالت : واللهِ يا أميرَ المؤمنين لو رأيتَه وخبرتَه لعرفتَ أنِّى مقصِّرة فى نَعْته وأنِّى لا أبلُغ كُنْهَ ما هو أهلُه . فقال لها معاويةُ : مِنْ أىِّ الرجال كان ؟ قالت :

أتتْه المَنَايَا حين تَمَّ تَمامُه * وأقصر عنه كلُّ قِرْنٍ يُطَاوِلُه[1]

وكان كليث الغابِ يحمِى عَرِينَه * وترضَى به أشبالُه وحلائلُه

غَضُوبٌ حليمٌ حين يُطْلَبُ حِلْمُه * وسُمٌّ زُعافٌ[2] لا تُصَابُ مَقَاتِلُه

قال : فأمر لها بجائزةٍ عظيمة وقال لها : خَبِّرِينى بأجْوَدِ ما قُلتِ فيه من الشعر . قالت : يا أمير المؤمنين ، ما قلتُ فيه شيئًا إلّا والذى فيه من خصال الخير أكثرُ منه . ولقد أجدتُ حين قلتُ :

جزى اللهُ خيرًا والجزاءُ بِكَفِّه * فتًى من عُقَيْلٍ ساد غيرَ مُكَلَّفِ

فتًى كانتِ الدُّنيا تهونُ بأَسْرِها * عليه ولا ينفكّ جَمَّ التَّصَرُّفِ

ينالُ عَلِيّاتِ الأمورِ بهَوْنَةٍ[3] * إذا هى أعيتْ كلَّ خِرْقٍ مُشَرَّفِ

(١) فى ب ، س : «يصاوله» . (٢) السم الزعاف (ومثله الذعاف بالذال) : القاتل لساعته . وفى ب ، س : «ذعاق» بالقاف وهو تصحيف . (٣) الهونة : الرفق والسهولة . وأعياه الشئ : أكله وأعجزه . والخرق (بالكسر) : السخىّ أو الظريف فى سخاوة ، أو الفتى الحسن الكريم الخليقة . ومشرف : جعل له شرف .

هو الذَّوْبُ بل أَرْىُ الخَلَايَا شَبيهُـه * بدِرْياقةٍ من خمر بَيسانَ قَرقف[١]

فياتوبُ مافى العيش خـيرٌ ولا نَدًى * يُعَـدّ وقـد أمسيتَ فى تُرْب نَفْنَفِ[٢]

ومانِلْتُ منك النَّصْفَ حتى ارتمت بك الـ * ـمنايا بسهمٍ صائب الوقـع أَعْجَفِ[٣]

فيا أَلْفَ ألفٍ كنتَ حيًّا مُسلَّمًا * لألقاكَ مثـلَ القَسْـوَرِ المُتَطَرِّفِ[٤]

٥ كما كنتَ إذ كنتَ المُنَحَّى من الرَّدَى * إذا الخيـلُ جالت بالقَنَا المُتَقَصِّفِ[٥]

وكمْ من لهَيفٍ مُحْجَرٍ[٦] قـد أجبتَه * بأبيضَ قطَّاعِ الضَّريبَـةِ مُرْهَفِ

فأنقـذته والمـوتُ يحرِقُ[٧] نابَـه * عليـه ولم يُطْعَنْ ولم يَتَنَسَّفِ

ما كان بين توبة وجميل أمام بثينة

أخبرنى الحسن بن علىّ عن ابن مهرويه عن ابن أبى سعد قال حُدِّثت عن القَحْذَمىّ عن مُحارِب بن غُصَين[٨] العقيلىّ قال:

١٠ كان توبةُ قد خرج الى الشام، فمرّ ببنى عُذْرَةَ، فرأتْه بُثَينةُ فجعلتْ تنظر اليه، فشقّ ذلك على جميلٍ، وذلك قبل أن يُظهر حبّه لها. فقال له جميل: مَنْ أنت؟

---

(١) كذا ورد هذا الشطر فى ج . وفى سائر الأصول:

* هو الذوب بل أسدى الخلايا شبيهة *

وفى معجم البلدان (فى الكلام على بيسان):

١٥ * هو الذوب أو أرى الضحالى شبته *

ولعل صوابه:

* هو الذوب بل أرى الخليات شبته *

والذوب: العسل. والأرى: العسل أيضا. والشوب: الخلط والمزج. والدرياقة: الخمر. وبيسان بلدة كانت بالشام مشهورة بالخمر. والقرقف: الخمر يرعد عنها صاحبها. (٢) النفنف هنا: المفازة.

٢٠ (٣) فى ج: «وما نيل» بدل: «وما نلت». والنصف هنا: إعطاء الحق، مثل الإنصاف والنصف والنصفة (محركين). والسهم الأعجف: الرقيق. (٤) القسور: الأسد. والمتطرف: المغير. (٥) القنا المتقصف: المتكسر. وجولان الخيل: كناية عن الحرب. (٦) المحجر: المضيق عليه. (٧) حرق الأنياب: حكها بعضها ببعض، وهو كناية عن الغضب والغيظ. وتنسف فى الصراع: قبض بيده على خصمه ثم عرض له رجله فعثره. (٨) فى ا، م: «ابن غص».

٢٥ وفى سائر الأصول: «ابن غضين» بالغين والضاد المعجمتين. وقد سموا غصينا وغصنا.

قال: أنا توبة بن الحميِّر. قال: هل لك فى الصِّراع؟ قال: ذلك إليك، فشدّت عليه بثينة مِلْحَفة مُوَرَّسة[(1)] فأتزر بها، ثم صارعه فصرَعه جميلٌ. ثم قال: هل لك فى النِّضال[(2)]؟ قال نعم، فناضله فنضَله جميلٌ. ثم قال له: هل لك فى السِّباق؟ فقال نعم، فسابقه فسبقه جميل. فقال له توبة: يا هذا إنما تفعل هذا بريح هذه الجالسة، ولكن آهبِطْ بنا الوادىَ، فصرَعه توبةُ ونضَله وسبَقه. ٥

سأل عبد الملك ابن مروان ليلى عما رآه توبة فيها فأجابته

أخبرنا إبراهيم بن أيُّوب عن آبن قُتَيْبَة قال:

بلغنى أنّ ليلى الأخيليّة دخلت على عبد الملك بن مَرْوان وقد أسنّت وعجَزَتْ، فقال لها: ما رأى توبةُ فيك حين هَوِيَك؟ قالت: مارآه الناس فيك حين ولَّوْك. فضحِك عبد الملك حتى بدتْ له سِنٌّ سَوداء كان يُخفيها.

وفود ليلى على الحجاج وحديثه معها

وأخبرنى الحسن بن علىّ عن [ابن] أبى سعد عن أحمد بن رشيد بن حكيم الهلالىّ عن أيّوب بن عمرو عن رجلٍ من بنى عامر يقال له وَرْقاء قال: ١٠

كنتُ عند الحجّاج بن يوسف، فدخل عليه الآذِنُ فقال: أصلح الله الأمير، بالباب آمرأة تَهْدِر كما يهدِر البعيرُ النادّ[(3)]. قال: أدْخِلْها. فلمّا دخلت نسَبها فآنتسبتْ له. فقال: ما أتى بك يا ليلَى؟ قالت: إخلافُ النُّجوم[(4)]، [وقِلّةُ الغيوم][(5)]، وكَلَبُ[(6)] البَرْد، وشدّة الجَهْد، وكنتَ لنا بعدَ الله الرِّدّ[(7)]. قال: فأخبرينى عن الأرض. قالت: الأرضُ مُقْشعِرّة[(8)]، والفِجاج مُغْبَرّة، وذو الغنى مُخْتَلّ، وذو الحَدّ مُنفَلّ. قال: وما سببُ ذلك؟ ١٥

(١) مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر. (٢) النضال: المباراة فى الرمى. ونضله: سبقه فيه.
(٣) الناد: الشارد. (٤) إخلاف النجوم: تريد امتناع المطر. (٥) زيادة من كتاب الأمالى لأبى على القالى. (٦) كلب البرد: شدته. (٧) الرد (بالكسر): الكهف والمعقل.
(٨) اقشعرار الأرض: تقبضها من المحل. والفجاج: جمع فج، وهو كل سعة بين نشازين. ومختل: محتاج، من الخلة (بالفتح) وهى الحاجة. ومنفل: منكسر متثلم. ٢٠

قالت : أصابتنا سِنُونَ[1] مُجْحِفَةٌ مُظْلِمةٌ ، لم تَدَعْ لنا فصيلا ولا رُبَعًا ، ولم تُبقِ عافطةً ولا نافِطةً ، فقد أهلكت الرجال ، ومزّقت العِيال ، وأفسدتِ الأموال ، ثم أنشدته الأبيات التى ذكرناها مُتَقَدِّمًا[2] . وقال فى الخبر : قال الحجّاجُ : هذه التى تقول[3] :

نحنُ الأخايِلُ لا يزالُ غُلامُنا * حتّى يَدِبَّ على العصا مشهورَا

تَبْكِى الرِّماحُ إذا فَقَدْنَ أَكُفَّنا * جَزَعًا وتَعْرِفُنا الرِّفاقُ بُحُورا

ثم قال لها : يا ليلى ، أَنْشِدِينا بعضَ شعرِكِ فى تَوْبة ، فأنشدته قولَها :

لَعَمْرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفتَى * إذا لم تُصِبْه فى الحياةِ المعَايِرُ

وما أحدٌ حَىٌّ وإن عاش سالمًا * بأخْلَدَ ممن غيّبته المقابر

فلا الحَىُّ[4] مما أحدث الدَّهْرُ مُعْتِبٌ * ولا المَيْتُ إنْ لم يَصْبِرِ الحىُّ ناشِرُ

وكلُّ جديدٍ أو شَبَابٍ إلى بِلًى * وكلُّ امرئٍ يومًا إلى الموت صائر

قتيلُ بنى عَوْفٍ فَيَا لَهْفَتَا له * وما كنتُ إيَّاهم عليه أحاذر

ولكنّنى أخشَى عليه قبيلةً * لها بدُروب الشأم بادٍ وحاضر

(١) السنون هنا : القحوط . ومجحفة : قاشرة تجترف المال وتذهب به . وفى كتاب الأمالى : « مباطة » بدل « مظلمة » . والمبلطة : المفقرة ، أى تلزق الناس بالبلاط ، وهو الأرض المستوية . والفصيل : ولد الناقة أو البقرة اذا فصل من أمه للفطام . وفى كتاب الأمالى : « لم تدع لنا هبعا ... » بضم الهاء وفتح الباء ، وهو المناسب لما بعده . والهبع : ما نتج فى الصيف . والربع ما نتج فى الربيع . والعافطة : الضائنة . والنافطة : الماعزة . (٢) لم تتقدم أبيات تتصل بالحجاج . والذى فى الأمالى أنها أنشدته الأبيات التى أوّلها :

أحجاج لا يفلل سلاحك إنها الـ * ـمنايا بكف الله حيث تراها

وستأتى هذه الأبيات فى صفحة ٢٤٨ (٣) فى أ ، م : « هذه التى يقول فيها قوله » . وفى سائر الأصول : « هذه التى يقول فيها » . والتصويب من كتاب زهر الآداب للحصرى .

(٤) تقدمت هذه الأبيات فى صفحة ٢٣٤ مع أبيات أخرى . (فراجع ما كتب على هذا البيت هناك) .

فقال الحجّاج لحاجبه : ٱذْهَبْ فٱقطَعْ لسانَها . فدعا لها بالحجّام ليقطَعَ لسانَها، فقالت : ويلك ! إنّما قال لك الأميرُ ٱقطَعْ لسانَها بالصِّلة والعطاء، فٱرجِعْ إليه وٱستأْذنه . فرجع إليه فٱستأمره[1]، فٱستشاط عليه وهمَّ بقطع لسانه، ثم أمَرَ بها فأُدخلتْ عليه، فقالت : كادَ وعهدِ الله يقطَع مِقْوَلى، وأنشدتْه :

حَجّاجُ أنت الذى لا فوقه أحـدٌ * إلّا الخليفــةُ والمُسْتغفرُ الصَّمَدُ ٥

حَجّاجُ أنت سِنانُ الحَرْبِ إنْ نَهِجتْ[2] * وأنت للنّاسِ فى الداجى لنـا تَقِدُ

أخبرنا الحسن قال حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعد قال حدّثنى أبو الحسن ميمون الموصلىّ عن سَـلَمَةَ بن أيُّوبَ بن مَسْلَمَةَ الهَمْدانىّ قال : كان جدّى عند الحجاج، فدخلتْ عليه ٱمرأةٌ بَرْزةٌ[3]، فٱنتسبتْ له فإذا هى ليلى الأخيليّة . وأخبرنى بهذا الخبر محمـد بن العبّاس اليزيدىّ[4]، وأخبرنا أحمد بن عبـد العزيز الجوهرى قال : كنتُ ١٠ عند الحجاج . وأخبرنى وكيعٌ عن إسماعيل بن محمد عن المدائنى عن جُوَيْرِيَةَ عن بِشْر[5] ابن عبـد الله بن أبى بكر : أنّ ليلى دخلتْ على الحَجّاج، ثم ذكَرَ مثلَ الخبر الأوّل ، وزاد فيه : فلمّا قالت :

* غُلامٌ إذا هزّ القناةَ سقاها *

قال لها : لا تقولى "غلامٌ"، قولى "هُمَامٌ" . وقال فيه : فأمر لها بمائتين. فقالت : ١٥ زِدْنى، فقال : ٱجعلوها ثلاثَمائة . فقال بعضُ جُلَسائه : إنّها غَنَمٌ . فقالت : الأميرُ

---

(١) استأمره : استشاره . (٢) كذا فى الأصول . ونهجت : سلكت . ويخيل إلينا أن هذه الكلمة محرّفة عن «لقحت» كما وردت فى الأمالى . ورواية هذا البيت فيه :

حجاج أنت شهاب الحرب إن لقحت * وأنت للنـاس نور فى الدجى يقـد

(٣) المرأة البرزة : المتجاهرة الكهلة الجليلة تبرز للقوم يجلسون إليها ويتحدثون وهى عفيفة ، ٢٠ والبرزة أيضا : البارزة المحاسن . (٤) كذا فى ا ، م . وصاحب الأغانى يروى عن محمد بن العباس اليزيدى ، وعن أحمد بن عبد العزيز الجوهرى . وفى سائر الأصول : « ... اليزيدى أخبرنا ابن عبد العزيز الجوهرى » ، وهو تحريف . وظاهر أن فى السند نقصا . (٥) فى ا ، م : «بشير» . ولم نهتد اليه .

أكرمُ من ذلك وأعظمُ قَدْرًا من أن يأمرَ لى إلّا بالإبل . قال . فآستحيا وأمر لها بثلاثمائة بعير، وإنما كان أمر لها بغنمٍ لا إبل .

وأخبرنا [به](١) وكيع عن إبراهيم بن إسحاق الصالحىّ عن عمر بن شَبّة عن عمرو ابن أبى عمرو الشيبانىّ عن أبيه ، وقال فيه : ألَا قلتِ مكانَ غُلامٍ هُمَامُ! وذكر باقىَ الخبر الذى ذكره مَنْ تقدّم ، وقال فيه : فقال لهـا : أنشدينا ما قُلتِ فى توبة، فأنشدتْه قولهـا :

فإنْ تَكُنِ القتْـلَى بَوَاءً(٢) فإنكم * فَتًى مّا قلتم آلَ عَوْفِ بن عامرِ

فتًى كان أحْيَا من فتـاةٍ حَيِيّةٍ * وأشْجَعَ من لَيْثٍ بخَفّـانَ خادرِ

أتته المنايا دون دِرْعٍ حَصِينةٍ * وأسْمَـرَ خَطّىٍّ وجَرْداءَ ضامرِ

فنِعْمَ الفتى إنْ كان توبةُ فاجرًا * وفوق الفتى إن كان ليس بفاجرِ

كأنّ فتى الفِتْيـانِ تَوْبةَ لم يُنِخْ * قلائصَ يَفْحَصْنَ الحَصَا بالكَراكِرِ

فقال لها أسماء بن خارجة : أيتها المرأة إنك لَتَصِفينَ هذا الرجلَ بشىء ما تعرفه العرب فيـه . فقالت : أيها الرجل هـل رأيتَ توبة قطُّ ؟ قال لا . فقالت : أمَا والله لو رأيته لَوَدِدْتَ أنّ كلَّ عاتقٍ(٣) فى بيتك حاملٌ منه؛ فكأنّما فُقِئَ فى وجه أسماء حَبُّ الرُّمّان . فقال له الحجاج : وما كان لك ولها !.

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن أبى سَعْد عن محمد بن علىّ بن المُغيرة قال سمعتُ أبى يقول سَمِعتُ الأصمعىَّ يذكر أنّ الحَجّاجَ أمر لهـا بعشرة آلاف درهم ، وقال لها : هل لكِ من حاجةٍ ؟ قالت : نَعَمْ أصلح اللهُ الأميرَ ، تحمِلنى الى آبن عمّى

---

(١) تكملة يقتضيها سياق الكلام . (٢) وردت هـذه الأبيات فى قصيدة تقدّمت (صفحة ٢٢٤ وما بعدها . فليراجع الكلام عليها هناك) . (٣) العاتق : الشابة .

قُتَيْبَةَ بن مُسْلِمٍ، وهو على خُرَاسانَ يومئذ، فحملها إليه، فأجازها وأقبلت راجعةً تُرِيد البادية، فلمّا كانت بالرّىّ ماتت، فقبرُها[1] هناك . هكذا ذكر الأصمعىّ فى وفاتها وهو غلطٌ . وقد أخبرنى عمّى عن الحزنْبل الأصبهانىّ عمّن أخبره عن المدائنىّ، وأخبرنى الحسن بن علىّ عن ٱبن مَهْدِىّ عن ٱبن أبى سَعْدٍ عن محمد بن الحسن النَّخَعىّ عن ٱبن الخَصِيبِ الكاتب، واللّفظُ فى الخبر للحزنْبل، وروايتُه أتمّ :

وفاتها وكيف كانت

٥

أنّ ليلى الأخيليّة أقبلتْ من سَفَرٍ، فمرّتْ بقبر تَوْبَةَ ومعها زوجُها وهى فى هَوْدَجٍ لها . فقالت : والله لا أبرَح حتى أُسَلِّم على توبة، فجعل زوجها يمنَعها من ذلك وتأبى إلّا أن تُلِمّ به . فلمّا كثُر ذلك منها تركَها، فصَعِدتْ أَكَمَةً عليها قبرُ توبة، فقالت : السلامُ عليك يا توبةُ، ثم حوّلت وجهَها إلى القوم فقالت : ما عَرَفْتُ له كَذِبَةً قَطُّ قبلَ هذا . قالوا : وكيف؟ قالت : أليس القائلَ :

١٠

صـــوت

ولو أنّ ليـلَى الأَخْيَلِيّةَ سَلّمتْ * علىّ ودونى تُرْبَةٌ[2] وصـفائحُ

لَسَلّمتُ تسليمَ البَشَاشةِ أو زَقَا[3] * إليها صَدًى من جانب القبر صائح

وأُغْبَطُ من ليـلَى بمـا لا أناله * ألَا كُلُّ ما قَرّتْ به العينُ صالح

فما بالُه لم يُسَلِّم علىّ كما قال! . وكانت الى جانب القبر بُومةٌ كامنةٌ، فلمّا رأتِ الهودجَ واضطرابَه فَزِعتْ وطارت فى وجه الجمـل، فنفَر فرمَى بليلَى على رأسها، فماتت من وقتها، فدُفِنتْ الى جنبه . وهذا هو الصحيح من خبر وفاتها .

١٥

(١) فى ب، س : «فقبرت هناك» . (٢) فى جـ : «وفوقى» . ويروى «جندل» بدل «تربة» . (٣) زقا : صاح . والصدى هنا : طائر كالبومة كانت العرب تزعم أنه يخرج من رأس القتيل و يصيح اسقونى اسقونى حتى يؤخذ بثأره .

٢٠

غنّى فى الأبياتِ المذكورة آنِفًا حَكَمٌ الوادىّ لَحْنَيْنِ، أحدُهما رملٌ بالوسطى عن عمرو، والآخرُ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن حَبَشٍ، وقال حبش: وفيها لحنان لجميلة والمَيْلاء رَمَلانِ بالبنصر، وذكر أبو العُبَيْس بن حمدون أنّ الرمل لعُمَر الوادىّ.

كان توبة شريرا كثير الغارات

٥ قال أبو عُبَيْدَةَ: كان توبةُ شِرِّيرًا كثيرَ الغارةِ على بنى الحارث بن كعب وخَثْعَمٍ وهَمْدانَ، فكان يزور نساءً منهن يتحدّث اليهن، وقال:

أَيَذْهَبُ رَيْعانُ الشَّبابِ ولم أَزُرْ * غرائرَ من هَمْدانَ بِيضًا نُحورُها

قال أبو عبيدة: وكان توبةُ ربّما ارتفع الى بلاد مَهْرَةَ فيُغير عليهم، وبين بلاد مَهْرَةَ و بلاد عُقَيْلٍ مَفازةٌ مُنْكَرَةٌ لا يقطَعها الطَّيرُ، وكان يحمِل مَزادَ الماء فيدفِن منه

١٠ على مَسيرةِ كلِّ يوم مزادةً ثم يُغير عليهم فيطلبونه فيركب بهم المفازةَ، وإنما كان يتعمّد حَمارّةَ القَيْظِ وشدّة الحرّ، فإذا ركب المفازةَ رجعوا عنه.

خبر ليلى مع عبد الملك بن مروان حين رآها عند زوجته عاتكة

أخبرنى حَرَمىّ عن الزُّبَيْر عن يحيى بن المِقْدامِ الرَّبَعىّ عن عمِّه موسى ابن يعقوب قال:

دخل عبد الملك بن مَرْوان على زَوْجته عاتكةَ بنت يَزِيدَ بن مُعاويةَ، فرأى

٨٣ / ١٠

١٥ عندها امرأةً بدويّةً أنكرها، فقال لها: مَنْ أنت؟ قالت: أنا الوالهةُ الحَرَّى ليلى الأَخْيَلِيّة. قال: أنت التى تقولين:

أرِيقتْ[1] جِفانُ ابنِ الخَلِيعِ فأصبحتْ * حِياضُ النَّدَى زَالَتْ[2] بهنّ المراتبُ

---

(١) تريد أنه قد مات فأريقت جفانه ومات الندى بموته. والخليع: من آباء توبة. وفى شرح القاموس: «وقال ابن الكلبى: ولد ربيعة بن عقيل رباحا وعمرا وعامرا وعويمرا وكعبا وهم الخلعاء». وكعب أحد هؤلاء الخلعاء من آباء توبة. (٢) كذا فى مختار الأغانى لابن منظور.

٢٠ وفى الأصول: «زات».

فعُفَاتُه لهَفَى يطوفون حوله (١) * كما ٱنقضّ عرشُ البئر والوِرْدُ عاصبُ (٢)

قالت : أنا ٱلتى أقول ذلك . قال : فما أبْقيْتِ لنا؟ قالت : الذى أبقاه الله لك . قال : وما ذاك؟ قالت : نَسبًا قُرشيًّا، وعيشًا رَخيًّا، وإمْرةً مُطاعةً . قال : أفْردْتِه بالكَرَم! قالت : أفردتُه بما أفرده الله به . فقالت عاتكة : إنّها قد جاءت تستعين بنا عليك فى عينٍ تُسْقيها (٣) وتَحْميها لها . ولستُ ليزيدَ إن شَفّعْتُها فى شىء من حاجاتها، لتقديمها أعرابيًّا جِلْفًا على أمير المؤمنين . قال : فوثَبَتْ ليلَى فقامتْ على رِجْلها واندفعتْ تقول :

ستَحْمِلُنى ورَحْلى ذاتُ وَخْدٍ (٤) * عليها بنتُ آباءٍ كرامِ

إذا جعلتْ سوادَ الشّأم جَنْبًا * وغُلِّق دونَها بابُ اللِّئامِ

فليس بعائدٍ أبدًا اليهم * ذووا الحاجات فى غَلَس الظّلام

أعاتِكُ لو رأيتِ غداةَ بِنّا * عَزاءَ النّفْس عنكمُ وٱعتزامى

إذا لَعلمتِ وٱستيْقنْتِ أنّى * مُشَيَّعةٌ ولم تَرْعَىْ ذِمامِى

أأجعلُ مثلَ توبةَ فى نَداهُ * أبا الذِّبّانِ (٥) فُوهُ الدّهْرَ دامِى

(١) فى الأصول : * فلهى وعفى بطن قود وحوله *
والتصويب من مختار الأغانى . على أن فيه عيبا فى الوزن وهو حذف الحرف الثالث من « فعولن »، وهو واقع فى وتد، والأوتاد لا تدخلها العلل والزحافات . وإنما الجائز فى الوتد من « فعولن » حذف أوّله إذا وقع فى أوّل قصيدة . وهذا الحذف يسمى الخرم . على أنه يحتمل أن يكون صوابه « فعفاؤه » (بضم العين وتشديد الفاء) جمع عاف . وهذا الجمع فى « فاعل » وصفا معتل العين نادر؛ يقال قوم غُزًّى وغُزّاء، جمعا لغاز . والعفاة : طالبو المعروف . واللهف (بالتحريك) : الحزن والتحسر، والوصف منه لهف (ككتف) ولهيف ولهفان . (٢) المناسب من معانى الورد هنا : الماء المورود . وعاصب هنا : جامع . أى كما انقض عرش البئر وقد جمع الورد المستقين . ويحتمل أن يكون «عاصب» هنا شديدا، على أن يكون « الورد » العطش . (٣) تسقيها أى تجعلها لها سقيا .

(٤) كذا فى مختار الأغانى . والوخد : ضرب من السير . وفى الأصول : « ذات رحل » .

(٥) أبو الذبان : كنية عبد الملك بن مروان لشدّة بخره وموت الذباب إذا دنت من فيه . (عن كتاب ما يعول عليه فى المضاف والمضاف إليه) .

مَعَاذَ اللهِ ما عَسَفتْ (١) بِرَحْلِي * تُغِـذّ (٢) السَّيْرَ للبلد التَّهَـامِي (٣)

أَقُلْتِ خليفةٌ فَسواه أَحْجَى * بِإِمْرَتِه وأَوْلَى بِاللِّئَـامِ

لِئَـامِ الملك حين تُعَدُّ كَعْبٌ (٤) * ذووالأخطاروالخُطَطِ الجِسَامِ

فقيل لها : أيُّ الكَعْبَين عَنَيْتِ ؟ قالت : ما أخالُ كَعْبًا (٥) كَكَعْبِي .

رواية أخرى في وفودها على الحجاج

٥ أخبرنا اليزيدى عن الخليل بن أَسَدٍ عن العُمَرِى عن الهيثم بن عدى عن أبى يعقوب الثَّقفى عن عبد الملك بن عُمَيْرٍ عن محمد بن الحجّاج بن يوسف قال :

بينَا الأميرُ جالسٌ إذ ٱستُؤْذِن لليلى . فقال الحجّاج : ومَنْ ليلَى؟ قيل : الأَخيليّة صاحبة تَوْبَةَ . قال : أَدْخِلوها . فدخلتْ ٱمرأةٌ طويلةٌ دَعْجاء العَيْنَين حَسَنةُ المِشْيَة إلى الفوه (٦) ما هي ، حَسَنةُ الثَّغْر، فسلَّمتْ فردّ الحجّاج عليها ورحّب بها فدَنَتْ ، فقال

١٠ الحجّاج : دَرَاكِ (٧) ضَعْ لهـا وِسادةً يا غلام ، فجلستْ . فقال : ما أَعْمَلَكِ إلينا ؟ قالت : السـلامُ على الأمير، والقضاءُ لحقّـه ، والتعرّض لمعروفه . قال : وكيف خلفتِ قومَكِ ؟ قالت : تركتُهم فى حال خِصْبٍ وأَمْنٍ ودَعَةٍ . أمّا الخِصْبُ ففى الأموال والكَلأ . وأمّا الأَمْنُ فقد أمّنهم الله عزّ وجلّ بك . وأمّا الدعة فقد خامرهم من خَوْفك ما أصلح بينَهم . ثم قالت : ألَا أُنْشدك؟ فقال : إذا شئتِ .

١٥ فقـالت :

---

(١) عسفت : سارت وخبطت . (٢) فى الأصول : «تعد» بالعين والدال المهملتين ، وهو تصحيف . (٣) فى مختار الأغانى : «للبلد الحرام» . (٤) فى الأصول :

... ... تعـد بكر * ذوو الأخطار والخطى الحسام

وفى جـ : « والخطو الحسام » والتصويب من مختار الأغانى .

٢٠ (٥) كعب : من آباء ليلى . (٦) الفوه : سعة الفم . (٧) كذا فى جـ . ودراك : اسم فعل بمعنى أدرك . وفى سائر الأصول : « وراءك » .

[أَحَجّاجُ إنّ الله أعطاك غايةً * يُقَصِّرُ عنها مَنْ أرادَ مَدَاها][1]
أَحَجّاجُ لا يُفْلَلْ سِلاحُك إنّما الـ * ـمَنايا بكَفِّ الله حيث تراها
إذا هبط الحجّاجُ أرضًا مريضةً * تَتَبَّعَ أقصى دائها فشفاها
شفاها من الدّاء العُضَالِ الّذى بها * غُلامٌ إذا هَزّ القناةَ سَقَاها
سَقَاها دِماءَ المارقينَ وعَلَّها * إذا جَمَحتْ يومًا وخِيفَ أذاها ٥
إذا سَمِع الحجّاجُ رِزَّ[2] كَتِيبةٍ * أعدّ لها قبل النُّزول قِراها
أعدّ لها مصقولةً فارسيَّةً * بأيدى رِجالٍ يَحْلُبون صَرَاها[3]
أَحَجّاجُ لا تُعْطِ العُصاةَ مُناهُمُ * ولا اللهُ يُعْطِى للعُصاةِ مُنَاها
ولا كلَّ حَلّافٍ تَقَلّدَ بيعةً * فأعْظَمَ عهدَ الله ثم شَرَاها

فقال الحجّاج ليحيي بن مُنْقِذٍ: لله بلادُها ما أشعرها! . فقال: مالى بشعرها علمٌ. ١٠
فقال: علَيَّ بعُبَيْدَةَ بن مَوْهَبٍ وكان حاجبَه، فقال: أنشِديه فأنشدتْه، فقال: عُبَيْدَةُ: هذه الشاعرة الكريمةُ، قد وجب حقُّها . قال: ما أغناها عن شَفَاعتِك! يا غلام مُرْ لها بخمسمائة درهم، واكْسُها خمسةَ أثواب أحدُها كِساءُ خَزٍّ، وأَدْخِلْها على ٱبنة عمّها هند بنت أسماء فقُلْ لها: حَلِّيها . فقالت: أصلح الله الأمير. أَضَرَّ بنا العَرِيفُ فى الصدقة، وقد خَرِبت بلادُنا، وٱنكسرتْ قلوبُنا، فأخذ خِيارَ المال. ١٥
قال: ٱكتبوا لها الى الحَكَم بن أيّوب فليبتَعْ لها خمسةَ أجمال وليجعَلْ أحدَها نَجِيبًا[4]،

(١) زيادة عن مختار الأغانى . (٢) كذا فى جـ والأمالى لأبى على القالى . والرز : الصوت تسمعه من بعيد . وفى سائر الأصول : « صوت كتيبة » . (٣) كذا فى الأمالى : وفيه « مسمومة » بدل « مصقولة » . وفى ا ، م : « يحلبون مراها » وهو تحريف . وفى سائر الأصول : « يحسنون غذاها » . والصرى هنا بقية اللبن . والصرى أيضا : اللبن يبقى فيتغير طعمه . ٢٠
(٤) النجيب : الكريم .

وآكتبوا الى صاحب اليمامة بعَزْلِ العريف الذى شكتْه . فقال ابن مَوْهَبٍ : أصلَح الله الأمير، أأصِلُها؟ قال نعم، فوصلها بأربعمائة درهم، ووصلتْها [هند](١) بثلاثمائة درهم، ووصلها محمد بن الحجّاج بوصيفتين .

قال الهيثم : فذكرتُ هذا الحديث لإسحاق بن الجَصّاص فكتبه عنّى، ثم حدّثنى عن حمّاد الراوية قال : لمّا فرَغتْ ليلى من شعرها أقبل الحجّاج على جُلَسائه فقال لهم : أتدرون مَنْ هذه؟ قالوا : لا! والله ما رأينا آمرأةً أفصحَ ولا أبلغَ منها ولا أحسنَ إنشادًا . قال : هذه ليلى صاحبة توبة . ثم أقبل عليها فقال لها : بالله يا ليلى أرأيتِ من توبة أمرًا تكرَهينه أو سألكِ شيئًا يُعاب؟ قالت : لا والله الذى أسألُه المغفرةَ ماكان ذلك منه قطّ . فقال : إذا لم يكن فيرحَمنا الله وإيّاه .

أخبرنى أحمد(٢) بن عبد العزيز الجوهرى عن آبن شَبّةَ عن عبد الله بن محمد ابن حَكيم الطائىّ عن خالد بن سَعيد عن أبيه قال : كنت عند الحجّاج فدخلتْ عليه ليلى الأخيليّة، ثم ذكر مثلَ الخبر الأوّل، وزاد فيه : فلمّا قالت :

* غلامٌ إذا هزّ القناةَ سقاها *

قال : لا تقولى غلامٌ، قولى هُمَامٌ .

صوت

سألَنِى الناسُ أينَ يَعْمِدُ هذا * قلتُ آتِى فى الدّار قَرْمًا سَرِيًّا

ما قطعتُ البلادَ أسْرِى ولا يَمّـ * ـمْتُ إلّا إيّاكَ يا زكريّا

كَمْ عطاءٍ ونائلٍ وجزيلٍ * كان لى منكمُ هَنِيئًا مَرِيًّا

---

(١) التكلة من مختار الأغانى .

(٢) فى الأصول : «محمد بن عبد العزيز» . وهو تحريف .

عَرُوضُه من الخفيف ، الشّعرُ للأُقَيْشر الأسَدىّ. والغناء لدَحْمانَ، وله فيه لحنانِ،
أحدُهما خفيفُ ثقيلٍ من أصوات قليلةِ الأشباه عن إسحاق ، [والآخر] ثقيلٌ أوّل
بالبنصر فى الثالث والثانى عن عمرو ، وذكر يونس أنه للأبجر ولم يجنّسه ، وذكر
الهشامىّ أنّ لحن الأبجر خفيفُ ثقيلٍ، وأنّ لحن ٱبن بَلُوعٍ فى الثالث ثانى ثقيل.
وليحيى ابن واصل ثقيلٌ أوّل بالوسطى . ٥

ذكر الأقيشر وأخباره

نسب الأقيشر واسمه ولقبه وكنيته

٨٥ / ١٠ الأُقَيْشِرُ : لَقَبٌ [غَلَب عليه] (١) ؛ لأنه كان أحمرَ الوجه أقْشَر (٢)، واسمه المُغيرة بن عبد الله بن مُعْرِض بن عَمْرِو بن أسَد بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة بن إلْياس بن مُضَر بن نِزار. وكان يُكْنَى أبا مُعْرِض، وقد ذكر ذلك فى شعره فى مواضع عِدّة، منها قولُه :

٥ فإنّ أبا مُعْرِضٍ إذ حَسَا * من الرّاحِ كأسًا على المِنْبَرِ

خَطيبٌ لَبيبٌ أبو مُعْرِضٍ * فإنْ لِيمَ فى الخَمْرِ لم يَصْبِرِ

وعُمِّر عُمْرًا طويلًا، فكان أَقعدَ (٣) بنى أسَدٍ نَسَبًا، وما أخْلَقَه بأن يكون وُلِد فى الجاهليّة ونشأ فى أوّل الإسلام؛ لأنّ سِماك بن مَخْرَمَةَ الأسَدىّ صاحبَ مسجدِ سِماكٍ بالكوفة بناه فى أيّام عمر، وكان عُثْمانيًّا، وأهلُ تلك المَحَلّةِ إلى اليوم كذلك. فيَرْوِى أهلُ

١٠ الكوفة أنّ علىّ بن أبى طالب — صلواتُ الله عليه — لم يُصَلِّ فيه، وأهلُ الكوفة إلى اليوم يجتنبونه. وسِماكٌ الذى بناه هو سِماكُ بن مَخْرَمَة بن حُمَيْن بن بَلْث (٤) بن عمرو ابن مُعْرِض بن عمرو بن أسَدٍ، والأُقيشر أقعَدُ (٥) نسبًا منه. وقال الأقيشر فى ذكر مسجد سِماكٍ شعرًا.

---

(١) زيادة عن مختصر الأغانى. وفى الأصول: «الأقيشر لقب به». (٢) الأقشر: وصف

١٥ من القشر (بالتحريك) وهو شدة الحمرة. (٣) أقعدهم نسبا أى أقلهم آباء الى الجد الأكبر.

(٤) ورد هذا النسب فى الأصول محرفا؛ ففى جـ : «سماك بن عمير بن ثلب بن عمرو... الخ». وعمير محرف عن "حمين" و"ثلب" مصحف عن "بلث". وفى أ، م : «سماك بن حرب بن ثابت ابن عوف بن عمرو بن معرض ...» وفى ب، س : سماك بن عمير بن ثابت بن عمرو ...» والتصويب من القاموس (فى مادتى حمن وبلث) ومعجم البلدان (فى مسجد سماك). (٥) فى الأصول :

٢٠ «أبعد» وهو تحريف.

أخبرنى محمد بن الحسن الكِنْدىّ الكوفىّ قال أخبرنى الحسن بن عُلَيْل العَنَزِىّ عن محمد بن مُعَاوِيَة — وكنيته أبو عبد الله محمد بن معاوية — قال : الأُقَيْشِرُ من رَهْط خُرَيْم (١) بن فاتِكٍ الأسدىّ. وخُرَيم إنما نُسِب الى جَدّ أبيه فاتِك، وهو خُرَيْم بن الأخرم [ابن شدّاد] (٢) ابن عمرو بن فاتِكٍ الأَسَدىّ ، وفاتِكُ ابن قُلَيْب ابن عَمْرو بن أَسَد. والأُقيشر هو المُغيرةُ بن عبد الله بن مُعْرِض بن عمرو بن أَسَد . قال : وهو القائل لمّا بنى سِمَاكُ بن مَخْرَمَة مسجده الذى بالكوفة، وهو أكبر مسجدٍ لبنى أَسَد، وهو فى خِطَّة بنى نَصر بن قُعَيْن :

قال فى مسجد سماك بالكوفة شعرا ذم فيه بنى دودان ثم ترضاهم ببيت

غَضِبتْ دُودانُ من مَسْجِدِنا * وبه يَعْرِفُهم كلُّ أَحَدْ

لو هَدَمْنا غُدْوةً بُنْيانَه * لَانْمحتْ أسماؤهم طُولَ الأبَدْ

اِسْمُهم فيه وهم جِيرانُه * واسْمُه الدَّهْرَ لعمرو بن أَسَدْ

كُلَّما صَلَّوْا قَسَمْنَا أَجْرَه * فلَنَا (٣) النِّصْفُ على كلِّ جَسَدْ

فحلَف بنو دُودانَ لَيَضْرِبُنّه . فأتاهم فقال : قد قلتُ بيتاً محوتُ به كلَّ ما قلتُ . قالوا : وما هو يا فاسق؟ قال قلت :

وبنو دُودانَ حَىٌّ سادةٌ * حَلّ بيتُ المَجْدِ فيهم والعَدَدْ

فتركوه .

---

(١) خريم بن فاتك هذا صحابى شهد بدرا . وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الرجل خريم الأسدى لولا طول جمته وإسبال إزاره » . فبلغ ذلك خريما فقطع جمته إلى أذنه ورفع إزاره إلى نصف ساقه .

(٢) زيادة من الكتب التى ترجمت للصحابة رضوان الله عليهم .

(٣) فى الأصول : « فلها » والتصويب من مختار الأغانى . وفيه : « على كل أحد » .

كان خليعا ماجنا مدمنا لشرب الخمر

أخبرنى وكيع عن إسماعيل بن مُجَمِّع عن المدائنىّ قال، وأخبرنى أبو أيّوب المَدِينىّ عن محمد بن سَلّام قال :

كان الأقيشر كُوفيًّا خَليعًا ماجنًا مُدمِنًا لشرب الخمر، وهو الذى يقول لنفسه :

فإنّ أبا مُعـرِض إذ حَسَـا * من الرّاح كأْسًا على المنـْبَرِ

٥ خطيبٌ لبيبٌ أبو مُعْرِض * فصار خليعًا على المَكْبِرِ[1]

أحَلّ الحـرامَ أبو مُعْـرِض * فإنْ لِيمَ فى الخمـر لم يَصْـبِرِ

يُحِلّ[2] اللِّئـامَ ويَلْحَى الكرامَ * و إن أقصروا عنه لم يُقْصِرِ

اجتاز على مجلس لبنى عبس فناداه أحدهم بلقبه وكان يغضب منه فهجاه

٨٦ / ١٠

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنىّ، وأخبرنى عبد الوهّاب بن عُبَيْد الصّحّاف الكُوفىّ عن قَعْنَب بن مُحْرِزٍ الباهلىّ عن المدائنىّ :

١٠ أنّ الأقيشر مرّ يُرِيدُ الحِـيرَةَ[3]، فآجتاز على مجلسٍ لبنى عَبْسٍ، فناداه أحدُهم : يا أُقيشر، وكان يغضَب منهـا، فزجَره الأشياخُ، ومضى الأُقَيْشر ثم عاد اليه ومعه رجلٌ وقال له : قِفْ معى، فإذا أنشدتُ بيتًا فقُلْ لى : ولِمَ ذلك، ثم آنْصرِفْ، وخُذْ هذين الدرهمين . فقال له : أنا أصير معك إلى حيث شئتَ يا أبا مُعْرِض ولا أرزؤك شيئًا، قال : فآفعَلْ . فأقبل به حتى أتى مجلسَ القوم، فوقف عليهم ثم تأمّلهم وقد

١٥ عرَف الشابَّ، فأقبل عليه وقال :

أتدعونى الأُقَيْشرَ ذلك آسمى * وأدعوك آبنَ مُطْفِئةِ السِّراجِ

فقال له الرجل : ولِمَ ذاك ؟ فقال :

تُناجِى خِدْنَهـا باللّيـلِ سِرًّا * وربُّ الناس يعلَمُ ما تُناجِى

قال قَعْنَبٌ فى خبره : فلُقِّب ذلك الرجلُ آبنَ مُطْفِئة السراج .

---

٢٠ (١) وضع هذا الشطر فى ب، س موضع الشطر الذى بعده والذى بعده موضعه . والمكبر (وزان منزل) الكبر فى السن . (٢) فى ج : «يحب» . (٣) كذا فى مختار الأغانى . وفى الأصول : «بدير الحيرة» .

كتب له أبو الضحاك التميمى شعرا يذمه فرد عليه وتكرر ذلك

وقال قَعْنَبٌ فى خبره عن المدائنىّ أخبرنا به اليزيدىّ عن الخرّاز عن المدائنىّ فى كتاب الجوابات، ولم يَرْوِه الباقون :

كان الأقيشر يَكْتَرِى بغلة أبى المَضَاء المُكَارِى فيركبها إلى الخمّارين بالحيرة. فركبها يومًا ومضى لحاجته، وعند أبى المَضاء رجل من تميمٍ يُكْنَى أبَا الضّحّاك، فقال له : مَنْ هذا ؟ قال : الأُقيشر . فأخذ طَبَقَ المِيزان وكتب فيه :

عَجِبْتُ لشاعرٍ من حَىِّ سَوْءٍ * ضَئِيلِ الجسمِ مِبطانٍ هَجِينِ

وقال لأبى المَضاء : إذا جاء فأَقْرِئه هذا . فلمّا جاء أقرأه . فقال له الأُقيشر : ممن هو؟ قال : مِنْ بنى تميم . فكتَبَ الأُقيشر تحت كتابه :

فلا أَسَدًا أَسُبُّ ولا تَميِمًا * وكيف يجوزُ سَبُّ الأكرمينِ

ولكنّ التَّيمى حال بينى * وبينك يا ٱبنَ مُضْرِطةِ العَجِينِ[(١)]

فهَرَب إلى الكوفة فلم يَزِدْ على هذا .

وقال قَعْنَبٌ فى خبره عن المدائنىّ : فجاء التميمى فقرأ ما كتب، فكتب تحته :

يأيها المُبْتَغِى حُشًّا[(٢)] لحاجته * وجهُ الأُقَيْشِرِ حشٌّ غيرُ ممنوعِ

فلمّا قرأه قال : اللهم إنى أستعديك عليه، وكتب تحته :

إنِّى أتانى مقالٌ كنت آمَنُه * فجاء من فاحِشٍ فى الناس مخلوعِ

عبدِ العزيز أبو الضحّاك كُنْيَتُه * فيه من اللُّؤْمِ وَهْىَ غير ممنوعِ

ولم تَبِتْ أُمُّه إلّا مُطَاحَنَةً[(٣)] * وأن تُؤاجَر فى سوق المراضيعِ

---

(١) يريد أن أمه يستخدمها الناس فى شؤونهم ومنها ملك العجين ، فكنى بمضرطة العجين عن أنها خادم . واضراط العجين : مايسمع عند ملكه من صوت . وهذا المعنى واضح فى البيت الثالث من الأبيات العينية الآتية . (٢) الحش هنا : بيت الخلاء . (٣) يريد أن الناس يؤاجرونها لطحن برهم .

ينساب ماء البرايا فى آستها سَرِبًا(١) * كأنما آنساب فى بعض البلاليع
مِنْ ثَمّ جاءت به والبَظْرُ حَنَّكَه(٢) * كأنه فى آستها تِمْثالُ يُسروع

فلمّا جاءه جزِع ومشى إليه بقوم من بنى تميم، فطلبوا أن يكُفّ ففعل. وأمّا عبد الله ابن خَلَفٍ فذكر عن أبى عَمْرو الشيبانىّ أنّ الأُقيشر قال هذا فى مِسْكين.

٥ والشعر الذى فيه الغناءُ يقوله الأُقيشر فى زكريّا بن طلحة الذى يقال له الفيّاض، وكان مَدّاحا له.

٨٧/١٠

مدح عبد الملك بن مروان شعرا له فى طلحة الفياض فمدحه

أخبرنى الحسن بن علىّ عن العَنَزىّ عن [محمد بن] مُعاوية قال: غَنّتْ جاريةٌ عند عبد الملك بن مَرْوانَ بشعرِ الأُقيشر:

قرّب اللهُ بالسلامِ وحيّا * زَكَرِيّا بنَ طَلْحَةَ الفَيّاضُ
١٠ مَعْدِنُ الضَّيْفِ إنْ أناخوا إليه * بعد أَيْنِ(٣) الطلائحِ الأنقاض
ساهماتُ العيونِ خوصٌ رَذَايَا(٤) * قد براها الكَلالُ بعد اياض(٥)
زادَه خالدُ ابنُ عمّ أبيه * مَنْصِبًا كان فى العُلَا ذا آنتقاض
فَرْعُ تَيْمٍ من تَيْمِ مُرّةَ حقًّا * قد قضَى ذاك لابن طلحةَ قاض

(١) سربا: سائلا. (٢) حنكه هنا: أحكمه. واليسروع (بفتح الياء وضمها، ويقال
١٥ فيه الأسروع بضم الهمزة وفتحها أيضا والجمع الأساريع): دودة حمراء الرأس بيضاء الجسد أو هى مخططة بسواد وحمرة. (٣) معدن: اسم من عدن بالمكان إذا أقام به. والأين: التعب. وفى الأصول: «ابن» بالموحدة وهو تصحيف. والطلائح: جمع طليح وطليحة، وهو الذى أعياه السير. وفى الأصول ما عدا ج: «الطلائع»، وهو تحريف. والأنقاض: جمع نقض (بالكسر) وهو المهزول من السير.
(٤) ساهمات العيون: متغيراتها. والمعروف فى هذا أن يقال ساهم الوجه أى متغيره. قال عنترة:
٢٠ والخيل ساهمة الوجوه كأنما * يسق فوارسها نقيع الحنظل
وخوص: غائرات العيون، الواحد أخوص وخوصاء. ورذايا: مهزولات، والواحد رذى ورذية.
(٥) كذا فى أكثر الأصول. وفى ج هكذا: «أباض» بالباء الموحدة. ولم نهتد الى مانطمئن اليه فى هذه الكلمة.

فقال عبد الملك للجارية : وَيْحكِ ! لمن هذا ؟ قالت : للأُقيشر . قال : هذا المدحُ لا على طَمعٍ ولا فَرَقٍ ، وأشعرُ الناس الأُقيشر .

لقيه الكميت فسمع من شعره وأثنى عليه

وذكر عبد الله بن خَلَف أنّ أبا عمرو الشيبانىّ أخبره أنّ الكُمَيْتَ بن زيد لقِىَ الأُقيشر فى سَفْرةٍ[(1)]، فقال له : أين تَقْصِدُ يا أبا مُعْرِض ؟ فقال :

سالنى الناس أين يَقْصِدُ هذا * قلتُ آتى فى الدار قَرْمًا سَرِيّا

وذكر باقىَ الأبيات التى فيها الغناء ، فلم يزل الكميت يستعيده إيّاها مرارًا ، ثم قال : ما كذَب مَنْ قال إنك أشعرُ الناس .

كان عنينا فقال شعرا فى ضدّ ذلك داعب به رجلا من قيس

أخبرنى عَمّى عن الكُرَانىّ عن ابن سلّام قال :

كان الأُقيشر عِنّينًا ، وكان لا يأتى النساء ، وكان كثيرًا ما كان يَصِف ضِدّ ذلك من نفسه . فجلس إليه يومًا رجلٌ من قَيْس ، فأنشده الأُقيشر :

ولقد أروح بِمُشْرِفٍ ذى شَعْرةٍ[(2)] * عَسِرِ المَكَرَّةِ ماؤه يتفَصّدُ

مَرِحٍ يطيرُ من المِراح لُعَابُهُ * وتكاد جِلْدتُه به تتقدّد[(3)]

ثم قال للرجل : أتُبْصِرُ الشعرَ ؟ قال نَعَمْ . قال : فما وصفتُ ؟ قال : فرسًا . قال : أفكنتَ لو رأيتَه ركِبتَه ؟ قال : إى والله وأَثْنِى عِطْفَه . فكشَف عن أَيْره وقال : هذا وصفتُ ، فقُمْ فارْكَبْه . فوثب الرجلُ من مجلسه وجعل يقول له : قَبَحك اللهُ من جليسٍ ! سائرَ اليوم .

(1) فى الأصول : «فى سفره» . (2) فى ا ، م : «ذى كرة» . ويتفصد : يسيل . وقد أورد هذين البيتين ومعهما ثالث الخطيب التبريزى فى شرح ديوان الحماسة لأبى تمام هكذا :

ولقد غدوت بمشرف يأفوخه * عسر المكرة ماؤه يتفصد
مرح يمج من المراح لعابه * ويكاد جلد إهابه يتقدّد
حتى علوت به مشق ثنية * طورا أغور بها وطورا أنجد

(3) المراح (وزان كتاب) : اسم من المرح وهو الأشر والنشاط . وتتقدد : تتقطع .

دعاه عابس وهو في جنازة بنت زياد العصفري لغداء وشراب فقال شعرا

ونسخت من كتاب عبد الله بن خَلَف : حدّثني أبو عمرو الشيبانيّ قال :
ماتتْ بنتُ زِيَادٍ العُصْفُرِيّ، فخرج الأُقيشر في جنازتها، فلمّا دفنوها آنصرف. فلقيه عابسٌ مولَى عائذ الله، فقال له : هل لَكَ في غَدَاء وطِلاء[1] أُتيتُ به من طِيزَنَابَاذَ[2] ؟ قال نعم. فذهب به الى منزله فغدّاه وسقاه، فلمّا شرب قال :

٥ فليتَ زِيادًا لا يَزَلْنَ[3] بَنَاتُه * يَمُتْنَ وألقى كُلَّمَا عِشتُ عابسَا
فذلك يومٌ غاب عنِّي شَرُّه * وأنجحتُ فيه بعد ما كنتُ آيِسا

أخذه الشرط من حانة فتخلص منهم برشوة وقال شعرا

ونسخت من كتابه : حدّثني أبو عمرو قال :
شرب الأُقيشر في بيت خمّار بالحِيرة، فجاءه الشُّرَطُ ليأخذوه، فتحرّز منهم وأغلق بابه وقال : لست أشرَب، فما سبيلُكم عليّ! قالوا : قد رأينا العُسَّ[4] في كَفِّك وأنت تشرَب. قال : إنما شَرِبتُ من لبن لِقْحةٍ[5] لصاحب الدار، فلم يبرَحوا حتى أخذوا منه درهمين. فقال :

إنَّما لِقْحَتُنا بَاطِيَةٌ * فإذَا ما مُزِجتْ كانت عَجَبْ
لَبَنٌ أصفرُ صافٍ لونُه * يَنْزِع الباسورَ من عَجْبِ الذَّنَبْ
إنما نشرَب من أموالنا * فسَلُوا الشُّرْطِيَّ ما هذا الغَضَبْ

٨٨/١٠

سأل عبد الملك وفد بني أسد عنه وقال إنه شاعرهم

١٥ أخبرني الحسن بن عليّ عن العَنَزِيّ عن محمد بن مُعاوية قال :
دخل وَفْدُ بني أَسَدٍ على عبد الملك بن مَرْوانَ، فقال : مَنْ شاعرُكم يابني أَسَد؟ قالوا : إنّ فينا لشعراءَ ما يرضَى قومُهم أن يفضِّلوا عليهم أحدا. قال لهم : فما

---

(١) الطلاء : من أسماء الخمر. (٢) طيزناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق. (٣) أثبت الأقيشر هاهنا علامة الجمع في الفعل وهو غير الفصيح. (٤) العس : القدح العظيم. (٥) اللقحة (بالكسر ويفتح) : الناقة الحلوب.

فعل الأُقَيْشِر؟ قالوا : مات . قال : لم يَمُتْ ، ولكنه مشتغلٌ بعِشْقه ، وما أَبْعدُ أن يكون شاعرَكم إلّا أنه يُضيع نفسه . أليس هو القائل :

يأيُّها السائل عمّا مضى * مِنْ عِلْمِ هذا الزّمن الذاهبِ
إن كنتَ تبغِى العلمَ أوْ أهلَه * أو شاهدًا يُخْبِرُ عن غائبِ
فاعتبرِ الأرضَ بأسمائها * وآعتبرِ الصاحبَ بالصاحبِ ٥

سأل جارا له طحانا كان يقرض الناس فلم يعطه فقال فيه شعرا

وذكر عبدُ الله بن خَلَفٍ عن أبي عمرو الشيبانى أن جارًا للأُقَيْشِر طَحّانًا كان يُنسِئ الناسَ[1] يُكْنَى أبا عائشة . فأتاه الأُقَيْشِر يسألُه فلم يُعْطِه، فقال له :

يُرِيدُ النساءَ ويأبى الرجالَ * فما لِي وما لأبى عائشه
أدامَ له اللهُ كَدَّ الرِّجالِ * وأثكله آبنتَه عائشه

فأعطاه ما أراد وآستعفاه من أن يزيد شيئا . ١٠

تعرض له رجل من هجيم فهجاهم فاستكفوه فكف

نسختُ من كتاب عُبَيْد الله بن محمد اليزيدى بخطّه : قال الهيثم بن عدى حدّثنى عَطّاف بن عاصمِ بن الحَدَثانِ قال :

مرّ أعرابىٌّ من بنى تميمٍ كان يهزأ بالأُقيشر ، فقال له :

أبا مُعْرِضٍ كن أنتَ إن مُتُّ دافِنِي * إلى جَنْبِ قبرٍ فيه شِلْوُ المُضَلَّلِ
فعلِّى أنْ أنجو من النارِ إنّها * تُضَرَّمُ للعبد اللئيمِ المُبَخَّلِ ١٥
بذلك أوصاها الإلهُ ولم تزلْ * تُحَشُّ[2] بأوصالٍ وتُربٍ وجَنْدَلِ
وأنت بحمدِ الله إن شئتَ مُفْلِتِي * بحَزْمِك فاحْزُمْ يا أقيشرُ وٱعْجَلِ

---

(١) ينسئ الناس : يريد ينسئ الناس الدين أى يقرضهم ويؤخرهم بالدين .

(٢) حش النار أوقدها . والأوصال : المفاصل ، واحدها وصل (بضم أوله وكسره وسكون ثانيه) . والوصل : كل عظم على حدة لا يكسر ولا يخلط بغيره ولا يوصل به غيره . والجندل : الحجارة . ٢٠

فقال له : ممن أنت؟ قال : من بنى تميم ثم أحدِ بنى الهُجَيْمِ بن عمرو بن تميمٍ .
فقال الأُقيشر :

تميمَ بنَ مُرٍّ كَفكِفُوا عن تعمُّدِى * بذُلٍّ فإنِّى لستُ بالمتذلِّلِ
أيهزأ بى العبدُ الهُجَيمىُّ ضَلَّةً * ومثلِى رمى ذا التُّدْرَإِ(١) المتضلِّلِ
بداهيةٍ دَهْياءَ لا يستطيعُها * شماريخُ(٢) من أركانِ سَلْمَى ويَذْبُلِ
وباللهِ لولا أنّ حِلمِى زاجِرِى * تركتُ تميماً ضُحْكَةً كلَّ مَحْفِلِ(٣)
فكُفُّوا رماكم ذو الجلالِ بخِزْيةٍ * تُصَبِّحكم فى كلِّ جَمْعٍ ومنزلِ
فأنتم لئامُ الناسِ لا تُنْكِرونه * وألأمُكم طُرًّا حُرَيثُ بن جَنْدَلِ

فصار اليه شيوخٌ من بنى الهُجَيمِ واعتذروا إليه واستكفوه فكَفّ .

شرب مع مقعد وأعمى وغناهم مغن فطربوا فقال هو شعرا

أخبرنى الأخفش قال حدّثنى أبو الفيّاض بن أبى شُراعةَ عن أبيه قال :

شرِب الأُقيشر بالحِيرة فى بيتٍ فيه خَيّاطٌ مُقْعَدٌ ورجلٌ أعمى ، وعندهم مُغَنٍّ مُطْرِب ، فطرِب الأُقيشر، فسقاهم من شرابه ، فلمّا انتشَوْا وثب الأعمَى يسعَى فى حوائجهم ، وقفز الخيّاط المُقْعَد يرقُص على ظَلْعِه(٤) ويجهَد فى ذلك كلَّ جَهْدٍ .
فقال الأقيشر :

89/10

---

(١) فى الأصول الخطية : «ذا الندرا» بالنون والذال المعجمة . وفى ب ، س : «ذا الناذر» وهما تحريف . يقال : فلان ذو تدرإ أى ذو حفاظ ومنعة وقوة على أعدائه ومدافعة ، يكون ذلك فى الحرب وفى الخصومة . والمتضلل إن جعل وصفا لذى تدرإ كان جره للجاورة ؛ كما قال امرؤ القيس :

كأنّ ثبيرا فى عرانين وبله * كبير أناس فى بجاد مزمل

وإن جعل وصفا لتدرإ أى حفاظ وقوة كان الوصف به على التجوز ، ويكون المعنى : ومثلى رمى ذا الحفاظ الأحمق العنيف .

(٢) الشماريخ هنا : رءوس الجبال ، واحدها شمراخ . وسلمى ويذبل جبلان .

(٣) يريد : صيرتهم ضحكة فى كل محفل . (٤) الظلع : العرج .

ومُقْعَدِ قومٍ قد مشى من شَرابِنا * وأَعْمَى سَقيناه ثلاثًا[1] فأبصرا
شرابًا كريح العَنْبر الوَرْدِ رِيحُه * ومَسْحوقِ هِنْدِىٍّ من المسك أذفرا[2]
من الفَتَيات الغُرِّ مِنْ أرضِ بابلٍ * إذا شَفَّها[3] الحانى من الدَّنّ كبّرا
لها من زُجاج الشام عنقٌ غريبة * تأنّق فيها صانعٌ وتخيّرا
ذخائرُ فرعونَ التى جُبِيَتْ له * وكلٌّ يُسَمَّى بالعتيق مشهَّرا
إذا ما رآها بعد إنقاء غَسْلِها * تدور علينا صائمُ القوم أفطرا

كان صاحب شراب وندامى فتفرق أصحابه فقال شعرا

أخبرنا علىّ بن سليمان قال حدّثنى سَوّار قال حدّثنى أبى قال :

كان الأُقيشر صاحبَ شرابٍ ونَدَامَى، فأشخص الحجّاجُ بعضَ نُدَمائه إلى بعض [النواحى][4]، ومات بعضهم، ونَسَك بعضهم، وهرَب بعضهم؛ فقال فى ذلك :

غُلِبَ الصَّبْرُ فاعترتْنى هُمُومُ * لفِرَاقِ الثِّقاتِ من إخوانى
مات هذا وغاب هذا وهذا * دائبٌ فى تِلَاوةِ القُرْآن
ولقد كان قبل إظهاره النُّسْـ * ـكَ قديمًا من أظرف الفتيان[5]

شعره فى بغل أبى المضاء وكان يكتريه فيركبه الى الحيرة

وأخبرنى أبو الحسن الأسدىّ عن العَنَزىّ قال قال ابنُ الكلبىّ حدّثنى سَلَمةُ ابن عبد سُوَاع[6] عن أبيه قال :

كان الأُقيشر لا يسأل أحدًا أكثر من خمسة دراهم، يجعل درهمين فى كِراء بغل الى الحِيرة، ودرهمين للشراب، ودرهما للطعام . وكان له جارٌ يكنى أبا المَضَاء له بغلٌ يُكْرِيه، وكان يُعطيه درهمين و يأخذ بغلَه فيركبه الى الحِيرة، حتى يأتى بيت

(١) فى جـ : « شرابا » . (٢) المسك الأذفر : البالغ الغاية فى الجودة .
(٣) كذا فى الأصول ! . والحانى هنا : بائع الخمر، نسبة الى الحانيـة وهى الحانوت : المكان الذى تباع فيه الخمر، أو نسبة الى الحانة . وخففت ياء النسب للشعر . (٤) زيادة يقتضيها السياق .
(٥) فى حـ : «فى أظرف الفتيان» . وفى ا ، م : « فى أظهر الفتيان » .
(٦) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «عبد سراع» بالراء .

الخمّار فينزل عنده ويَرْبُطه بلجامه وسَرْجه — فيقال إنه أعطى ثمنَه فى الكِرَاء — ثم يجلس فيشرب حتى يُمْسِى، ثم يركبه وينصرف . فقال فى ذلك :

يابَغْلُ بَغْلَ أبى المضاء تَعَلَّمَنْ * أنّى حلفتُ ولليمين نُذُورُ

لتُعَسِّفَنَّ وإن كَرِهْتَ مَهَامِهًا(١) * فيما أُحِبّ وكلُّ ذاك يسيرُ

٥ بالرغمِ يا ولدَ الحمارِ قطعتَها * عمدًا وأنت مُذَلَّلٌ مصبور

حتى تزور مُسَمِّعًا(٢) فى داره * وترى المُدَامةَ بالأَكُفّ تدورُ

لا يرفعون بما يسوءُك نَعْرةً * وإذا سَخِطْتَ فخَطْبُ ذاك صغيرُ

خدعته امرأة بأنها أم حنين الخمار وأخذت منه درهمين، فأخذ يهجو أم حنين حتى استرضاه حنين

قال : فأتى يومًا من الأيّام بيت الخمّار الذى كان يأتيه فلم يُصادفه فجعل ينتظره، ودخلتِ الدار امرأةٌ عِبادية(٣)، فقال لها : ما فعل فلان ؟ قالت : مضى ١٠ فى حاجةٍ وأنا امرأته ، فما تُريد ؟ قال : نبيذا . قالت بكَمْ ؟ قال : بدرهمين . قالت : هَلُمَّ دِرْهَمَيْك وانتظِرْنى . قال لا(٤) . قالت : فذلك اليك، ومضتْ وتبِعها، فدخلت دارًا لها بابان وخرجت من أحدهما وتركته . فلمّا طال جلوسه خرج اليه بعضُ أهل الدار، قالوا : وما يُجْلِسك؟ فأخبرهم . فقالوا له : تلك امرأةٌ محتالة يقال لها أمّ حُنَيْنٍ من العبادِيّين . فعلم أنه قد خُدِع ، فانصرف الى خمّاره فأخبره بالقصة ١٥ وقال له : أَنْسِئْنى(٥) اليوم فاسْقِنى ففعل . وأنشأ الأُقيشر يقول :

---

(١) عسف المفازة (بالتشديد) مثل عسفها واعتسفها وتعسفها أى قطعها بغير قصد ولا هداية . والمهامه : جمع مهمه، وهو المفازة البعيدة والبلد القفر . (٢) فى ح : «سميعا» . ويجب أن يكون مشدّد الياء ليستقيم الوزن، وإنما سمى العرب سميعا (وزان زبير) . (٣) عبادية : نسبة الى العباد وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة . (٤) يريد : لا أنتظر، ٢٠ أما الدرهمان فيدل سياق الكلام على أنه أعطاهما إياها . (٥) كذا فى ح . والإنساء والنسىء : التأخير فى الدين وفى العمر . وفى سائر الأصول : «أنشنى اليوم فامتعنى» .

٩٠
١٠

لم يُغَرَّرْ بذاتِ خُفٍّ سِوَانَا * بعد أُختِ العِبَادِ أُمِّ حُنَيْنِ
وَعَدَتْنا بدرهمين نبيذًا * أو طِلاءً مُعَجَّلاً غيرَ دَيْنِ
ثم ألوتْ بالدرهمين جميعاً * يا لَقَوْمِى لِضَيْعَةِ الدرهمين[1]

وذكر هذا الخبرَ عبدُ الله بن خَلَفٍ عن أبى عمرو الشَّيبانىّ وزاد فيه: أنّ الخمّار كان يسمَّى بحُنَيْنٍ، وأنّ المرأة المحتالة قالت له: إنها أمّ حُنَيْنٍ الخمّارِ الذى كان يُعامله حتى أخذتِ الدرهمين ثم هربتْ منه، وذكر الأبياتَ الثلاثةَ التى تقدّمتْ، وبعدها: ٥

عاهدتْ زوجَها وقد قال إنّى * سوف أغدُو لحاجتى ولدَيْنِى
فدعَتْ كالحِصانِ أبيضَ جَلْدًا * وافرَ الأيرِ مُرْسَلَ الخُصْيَتَيْنِ
قال ما أَجْرُ ذا هُدِيتِ فقالت * سوف أُعطيك أجرَه مرّتين
فابدأِ الآنَ بالسِّفَاحِ فلمّا * سافحتْه أرضَتْه بالأُخْرَيَيْنِ ١٠
تَلَّها[2] للجَبِينِ ثُمّ امتطاها * عَالِمُ الأيرِ أفْحَجُ[3] الحالبين
بينما ذاك منهما وهى تحوِى * ظهرَه بالبَنَانِ والمِعْصَمَيْنِ
جاءها زَوْجُها وقد شام فيها * ذا انتصابٍ مُوَثَّقَ الأَخْدَعَيْنِ[4]
فتأسَّى وقال وَيْلٌ طويلٌ * لِحُنَيْنٍ من عارِ أُمِّ حُنَيْنِ

قال: فجاء حُنَيْنٌ الخمّار فقال له: يا هذا ما أردتَ بهجائى وهجاء أُمّى؟!. قال: ١٥ أخذتْ منّى درهمين ولم تُعْطِنى شَراباً. قال: والله ما تعرِفك أُمّى ولا أخذتْ منك شيئا قطُّ، فانظُرْ الى أُمّى فإن كانت هى صاحبتَك غَرِمْتُ لك الدرهمين. قال: لا والله ما أعرف غيرَ أُمِّ حنين، ما قالت لى إلّا ذلك، ولا أهجو إلّا أُمَّ حُنَيْنٍ

---

(١) كذا فى ج. وفى سائر الأصول: «لصعبة الدرهمين» وهو تحريف.
(٢) تلها للجبين: صرعها. يريد أنه قلبها وألقاها على وجهها. (٣) أفحج الحالبين: ٢٠ متباعد ما بينهما. (٤) الأخدعان: عرقان فى جانبى العنق.

وابنها ، فإن كانت أُمّك فإيّاها أعْنِي ، وإن كانت أمّ حُنين أخرى فإيّاها أعني .
فقال : إذًا لا يفرّق الناسُ بينهما . قال : فما علَىّ إذًا ! أترى دِرهمى يَضيعان !
فقال له : هَلُمّ إذًا أغرَمْهما لك وأقمْ ما تحتاج إليه، لا بارَكَ الله لك! ففعل .

استكتبه العريان ابن الهيثم من ملحه ثم أرسل له خمسين درهما فاستقلها وهجاه، ثم استرضاه أبوه الهيثم

قال عبد الله وحدّثنى أبو عمرو قال :

٥ كان العُرْيان بن الهَيْثَم النَّخَعىُّ صديقًا للأُقيشر، فقال له : يا أُقيشر إنّى أُريد أن أمتدّ الى الشأم فأَكْتِبْنِي[1] من مُلَحك فأكْتَبَه . فخرج إلى الشأْم فأصاب مالًا، فبعث الى الأُقَيْشر بخمسين درهما، ففعل[2] وقال : هاتِ . قال المولى : على أن تهجوَه إذ وَضَع منك ؟ قال نعم، فأعطاه خمسين درهمًا . وقال الأُقَيْشِرُ :

وسألتَنى يومَ الرَّحيـلِ قصائدًا * فَمَلأتُهنّ قصائدًا وكتابَا
١٠ إنّى صَدَقتُك إذ وجدتُك صادقًا[3] * وكَذَبْتَنى فوجدتَنى كَذّابا
وفتحتُ بابًا للخيانةِ عامـدًا * لمّا فتحتَ من الخيانةِ بابا

وكان أبو العُرْيان على الشُّرْطةِ ، فخافه الأُقَيْشرُ من هجاء ابنه . وبلَغ الهيثمَ هذه الأبياتُ فبعث اليه بخمسمائةِ درهم وسأله الكَفّ عن ابنه وألّا يُشهِّره[4] ، فأخذها وفعل .

خطب رجل من حضرموت امرأة من بنى أسد وسأله عنها فهجاه

١٥ قال أبو عمرو : وخطَب رجلٌ من حَضْرَمَوْتَ امرأةً من بنى أَسَدٍ ، فأقبل يسأل عنها وعن حَسَبها وأمّهاتها ، حتى جاء الأُقَيْشَرَ فسأله عنها . فقال له : مِنْ [أيْنَ][5] أنت ؟ قال : من حَضْرَمَوْتَ . فأنشأ يقول :

٩١/١٠

(١) الإكتاب هنا : الاملاء . وفى ب، س : « فاكتب لى » وهو تحريف .
(٢) كذا فى الأصول . والكلام هنا غير واضح ؛ وأحسب أنه وقع بين الأقيشر والمولى رسول العريان
٢٠ حوار سقط من النساخ . (٣) فى الأصول : « كاذبا » وهو تحريف . (٤) كذا فى ج .
وفى سائر الأصول : « والاستهزاء » وهو تحريف . (٥) زيادة يقتضيها السياق .

حَضْرَمَوْتُ فَتَّشْتُ أحسابَنا * وإلينا حَضْرَمَوْتُ تَنْتَسِبْ
إخوةُ القِـرْدِ وهم أعمـامُه * بَرِئَتْ منكم إلى الله العَـرَبْ

طلبت اليه عمته أن يصلى فقال اختارى إما الصلاة أو الوضوء

أخبرنى الحسن بن علىّ عن أبى أيّوب المدينىّ قال قال أبو طالب الشاعر حدّثنى رجلٌ من بنى أَسَدٍ قال :

سَمِعتُ عَمّة الأُقَيْشِرِ تقول له يوما : اِتّقِ الله وقُمْ فصَـلِّ ، فقال : لا أُصلّى . فأكثرت عليه ، فقال : قد أبرَمْتِنى ، فاختارِى خَصْلةً من خَصْلتَيْنِ : إمّا أنْ أُصَلِّىَ ولا أتطهّـر ، و إمّا أن أتطهّر ولا أُصلِّىَ . قالت : قَبحك الله ! فإن لم يكن غيرُ هذا فَصَلِّ بلا وضوء .

جاءه شرطى وهو يشرب فخافه وسقاه بأنبوب من ثقب الباب

قال أبو أيُّوب : وحُدِّثت أنه شرِب يومًا فى بيت خَمّـار بالحِيرة ، فجاء شُرَطِىٌّ من شُرَطِ الأمير ليدخل عليه ، فغلّق الباب دونه . فناداه الشُّرَطِىّ اَسْقِنِى نبيذًا وأنت آمِنٌ . فقال : والله ما آمَنُكَ ، ولكن هذا ثَقْبٌ فى الباب فاَجلِس عنده وأنا أَسقيك منه ، ثم وضَع له أُنبوبًا من قَصَبٍ فى الثَّقْب وصَبّ فيه نبيذًا من داخل والشرطىّ يشرَب من خارج الباب حتّى سكِر . فقال الأُقيشر :

سأل الشُّرَطِىُّ أن نَسْقِيَه[1] * فَسَقيناه بأنبـوب القَصَبْ
إنمـا نشرَب من أموالنا * فسَلُوا الشُّرْطِىَّ ماهذا الغضب

أعطاه قيس بن محمد مالا ونجمه له فكرر ذلك مرارا فرده فهجاه

أخبرنى عَمّى عن الكُرَانىّ عن قَعْنَب بن المُحْرِز[2] ، وحدّثنا محمد بن خَلَف عن أبى أيّوب المدينىّ عن قَعْنَبِ بن الهَيْثَم بن عَدِىّ[3] قال :

كان قَيْسُ بن محمد بن الأشْعَث ضرِيرَ البصر ، فأتاه الأُقَيْشِر فسأله ، فأمر قَهْرمانَه[4] فأعطاه ثلاثمائة درهم ، فقال : لا أُريدها جمـلةً ، ولكن مُرِ القَهْرمانَ أن

(١) فى ب ، س : «سالنى» . (٢) فى أكثر الأصول : «قال حدثنا محمد بن خلف ...» . والتصويب من جـ . والمؤلف يروى كثيرا عن محمد بن خلف وكيع عن أبى أيوب المدينى . (٣) لم نجد هذا الاسم فى الرواة . ويخيل الينا أن فى السند تحريفا . (٤) القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج .

يُعْطِينى فى كلِّ يومٍ ثلاثةَ دراهمَ حتى تَنْفَد . فكان يأخذها منـه ، فيجعل درهمـًا لطعامه ، ودرهما لشرابه ، ودرهما لدابّة تحمـله الى بيوت الخمّارين . فلمّا نفِـدت الدراهم أتاه الثانيةَ فسأله فأعطاه وفعل مثلَ ذلك ، وأتاه الثالثةَ فأعطاه وفعل مثلَ ذلك ، وأتاه الرابعةَ فسأله . فقال له قَيْسٌ : لا أبَا لَكَ ! كأنّك قد جعلتَ هذا خَرَاجًا

٥ علينا . فآنصرف وهو يقول :

ألم تَرَ قَيْسَ الأكْمَهَ ابنَ محمد * يقـول ولا تلقاه للخير يفْعَـلُ

رأيتُكَ أعمى العَيْنِ والقلبِ مُمْسِكًا * وما خيرُ أعمى العينِ والقلب يبخَلُ

فـلو صَمَّ تَمّتْ لَعْنـةُ الله كلُّها * عليه وما فيـه من الشرِّ أفضـلُ

فقال قيس : لو نجا أحدٌ من الأُقَيْشِر لنجوتُ منه .

كان سكران فحكموه فى الصحابة فقال شعرا

١٠ أخبرنى أبو الحسن الأسدىُّ عن العَنَزىِّ عن محمد بن مُعَاويةَ قال :

اِختصم قومٌ بالكوفة فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ ، فقالوا : نجعَل بيننا أوّلَ مَنْ يَطْلُع علينا . فطلَع الأُقيشر عليهم وهو سـكرانُ . فقال بعضهم لبعض : أُنظروا مَنْ حَكَمُنا . فقالوا : يا أبا مُعرِضٍ قد حَكّمناك . قال : فيماذا ؟ فأخبروه . فمكث ساعةً ثم أنشأ يقول :

١٥ إذا صَلّيتُ خمسًا كلَّ يومٍ * فإنّ الله يغفِر لى فُسوقى

ولم أُشْرِكْ بربّ النـاس شيئًا * فقد أمسكتُ بالحَبْلِ الوثيقِ

وهـذا الحقُّ ليس به خَفَاءٌ * ودَعْنِى من بُنَيّـات الطّريقِ[1]

(١) بنيات الطريق : الطرق الصـغار المتشعبة من الطريق الأعظم . و يضرب بها المثـل فيقال : « دع عنك بنيات الطريق » أى عليك بمعظم الأمر ودع الروغان . (عن كتاب مايعول عليه فى المضاف

٢٠ والمضاف إليه) .

أعطاه ابن رأس البغل مهر ابنة عم له فمدحه فاعترض عليه فأجابه

قال محمد بن معاوية : وتزوّج الأقيشر ابنةَ عمٍّ له يقال لها الرَّبابُ ، على أربعة آلاف درهم ، ويقال على عشرة آلاف درهم ، فأتى قومَه فسألهم فلم يُعْطوه شيئا ؛ فأتى ابنَ رأسِ البَغْلِ وهو دِهْقانُ الصِّين وكان مجوسيّا ، فسأله فأعطاه الصَّداقَ . فقال الأُقيشر :

كفانى المَجُوسىُّ مَهْرَ الرَّبابِ * فِدًى[1] للمجوسىِّ خالِى وعمّْ
شَهِدتُ بأنّك رَطْبُ[2] المُشَاشِ * وأنّ أباك الجوادُ الخِضَمّْ
وأنّك سيِّدُ أهلِ الجحيم * اذا ما تَرَدَّيْتَ فيمن ظَلَمْ
تُجَاوِرُ قارونَ فى قَعْرِها * وفِرْعَوْنَ والمُكْتَنِى بالحَكَمْ

فقال له المجوسىّ : وَيْحَكَ ! سألتَ قومَك فلم يُعطوك وجئتنى فأعطيتُك، فجزيتنى هذا القولَ ولم أُفلِتْ من شِعْرِك وشَرِّك ! قال : أوَ ما ترضَى أنْ جعلتك مع الملوك وفوق[3] أبى جَهْلٍ ! . ثم جاء إلى عِكْرِمةَ بن رِبْعِىٍّ التيمىّ فلم يُعْطِه، فقال فيه :

ذهب إلى عكرمة ابن ربعى فلم يعطه فهجاه

سألتُ رَبيعةَ مَنْ شَرُّها * أبًا ثم أُمًّا فقالوا لِمَهْ
فقلتُ لأعْلَمَ مَنْ شَرُّكُمْ * وأجعلَ بالسبِّ فيه سِمَهْ[4]
فقالوا لعِكْرِمةَ المُخْزِياتُ * وما ذا يرى الناسُ فى عِكْرِمَهْ
فإنْ يكُ عبدًا زكا مالُه * فما غيرُ ذا فيه من مَكْرُمَهْ

شرب بما معه وبثيابه ثم جلس فى تبن وحديث الخمار معه

قال ابن الكلبىّ : وشرب الأُقيشر فى حانةِ خَمّار حتى أنفد ما معه، ثم شرب بثيابِه حتى غَلِقتْ[5] فلم يَبْقَ عليه شىءٌ ، وجلس فى تِبْنٍ إلى جانب البيتِ إلى حَلْقه مستدفئًا به . فمرّ رجلٌ به يَنْشُد ضَالّةً، فقال : اللّهمّ ارْدُدْ عليه واحْفَظْ علينا . فقال

(١) فى ج : «خال وعم» . (٢) يقال : فلان لين المشاش إذا كان طيب النحيزة عفيفا عن الطمع . ويقال : فلان طيب المشاش اذا كان كريم النفس . (٣) فى أ ، م : «ودون» .
(٤) سمة : علامة . (٥) الغلق هنا : ضد الفك . وهو يريد هنا حتى صارت حقا للخمار .

له الخمّار : بَخِنتْ عينُك ! أىّ شئ يحفَظ عليك ربّك ؟ قال : هذا التِّبن لا تأخذه فأموتُ من البَرْدِ . فضحِك الخمّار وردّ عليه ثيابَه وقال : آذهَبْ فاطلُبْ ما تشرَب به، ولا تجئنى بثيابك فإنّى لا أشتريها بعد ذلك .

لقيه هشام الشرطى وهو سكران فحاوره فى سكره

قال آبن الكلبىّ : وآجتاز الأُقَيْشِرُ برجلٍ يقال له هِشَامٌ [(١)] وكان على شُرْطَةِ عمرو ابن حُرَيْثٍ وهو سكرانُ، فدعا به فقال له : أنت سكران؟ قال لا . قال : فما هذه الرائحة ؟ قال : أكلتُ سَفَرْجَلًا، ثم قال :

يقولون لى اِنْكَهْ [(٢)] شَرِبتَ مُدامةً * فقلت كذبتمْ بل أكلتُ سفرجلا

فضحِك منه ثم قال : فإنْ لم تكن سكرانَ فأخبِرْنى كم تصلّى فى كلّ يوم . فقال :

يسائلنى هشامٌ [(٣)] عن صلاتى * صلاةِ المسلمين فقلتُ خمسُ

صلاةُ العصرِ والأولى ثمانٍ * مُوَاتَرةٌ فما فيهنّ لَبْسُ

وعند مَغيبِ قَرْنِ الشمس وِترٌ * وشَفْعٌ بعدها فيهنّ حَبْسُ

وغُدْوةَ اثنتانِ معًا جميعًا * ولمّا تبدُ للرائين شَمْسُ

وبعدهما لوقتهما صَلاةٌ * لِنُسْكٍ بالضَّحاء إذا نَبَسُّ [(٤)]

---

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول هنا : « هشيم » . ولم نهتد لوجه الصواب فيه . وقد ذكر هذا الاسم فى هذا الخبر أربع مرات وسننبه على رسمه فى كل موضع .

(٢) نكه فلان (من بابى ضرب ومنع) : أخرج نفسه إلى أنف آخر، ونكهه (من بابى سمع ومنع) واستنكهه : شم ريح فمه .

(٣) فى كل الأصول هنا : « هشيم » .

(٤) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « تبس » بالتاء . وللبس عدّة معان، وكل منها معناه عمل من أعمال الحياة . ولعله يريد أن صلاة النسك بالضحاء تكون حين نقوم بشؤوننا فى الحياة .

أأحصيتُ الصلاةَ أباهشامًا(١) * فذاك مُكَدَّرُ الأخلاقِ جِبْسُ(٢)

تَعَوَّدَ أن يُلامَ فليس يومًا * بحامده من الأقوامِ إنْسُ(٣)

قال : فضحك هشام وقال : بلى قد أخبرتنا يا أبا مُعْرِض(٤)، فآنصرِف راشدًا .

٩٣ / ١٠

استنشد قتيبة ابن مسلم مرداس ابن جذام شعره فى قدامة بن جعدة

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ عن أبى عُبيدة قال :

قدِم رجلٌ من بنى سَلُول على قُتيبة بن مُسْلِم بكتاب عامله على الرىّ وهو المُعَلَّى ابن عمرو المُحَارِبىّ، فرآه على الباب قُدامةُ(٥) بن جَعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ المخزومىّ وكان صديقًا لقُتيبة، فدخل عليه فقال له : ببابِك أَلْأَمُ العرب، سَلُولىٌّ رسولُ مُحَارِبىٍّ إلى باهلىٍّ . فتبسَّم قتيبةُ تبسُّما فيه غيظٌ . وكان قُدَامةُ بن جَعْدَةَ يُتَّهَم بشرب الخمر، وكان الأُقيشر يُنادمه . فقال قُتيبة : ادعوا لى مِرْدَاسَ بن جُذَامٍ الأَسَدِىّ فدُعى . فقال له : أنشِدْنى ما قال الأقيشر فى قُدامةَ بن جعدةَ وهو بالحِيرة . فأنشده [قوله](٦) :

رُبَّ نَدْمانٍ كريمٍ ماجدٍ * سَيِّدِ الجَدَّيْنِ من فرعَىْ مُضَرْ

قد سَقَيْتُ الكأسَ حتى هَرَّها(٧) * لم يُخالِطْ صَفْوَها منه كَدَرْ

قلتُ قُم صَلِّ فصلَّى قاعدًا * تتغشَّاه سَمَادِيرُ(٨) السَّكَرْ

قرَنَ الظُّهْرَ مع العصر كما * تُقرَنُ الحِقَّةُ(٩) بالحِقِّ الذَّكَرْ

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «أبا هشام» . (٢) فى الأصول : «حبس» . والجبس : الجامد الثقيل الروح، والفاسق، والجبان، واللئيم . ولعله يعرّض بشخص آخر .
(٣) كذا فى أ، م . وفى سائر الأصول : «الى الأقوام» . (٤) فى كل الأصول هنا : «هشام» . (٥) فى الأصول ما عدا جـ : «فرأى» وهو تحريف .
(٦) زيادة عن جـ . (٧) هرها : كرهها . ووردت هذه الكلمة فى الأصول محرفة، ففى بعضها «هرما» . وفى بعضها «مرها» . (٨) السمادير هنا : شىء يتراءى للانسان من ضعف بصره عند السكر . (٩) الحقة من الإبل : الداخلة فى السنة الرابعة .

تَرَكَ الفجرَ فما يقرؤها * وقرا الكوثرَ من بين السُّوَرْ

قال: فتغيّر لونُ وجهِ القُرشىّ[1] وخجل. فقال له قتيبةُ: هذه بتلك، والبادئ أظلم.

استنشده عبد الملك أبياته فى الخمر وحاوره فيها

أخبرنى الأخفش عن محمد بن الحسن بن الحَرُون[2] قال حدّثنا الكِسْرَوىّ[3] عن الأصمعىّ قال:

٥ قال عبد الملك للأُقيشر: أَنْشِدْنى أبياتَك فى الخمر، فأنشده قولَه:

تُرِيكَ القَذَى من دونها وهى دونه * لوَجْهِ أخيها فى الإناء قُطوبُ

كُمَيْتٌ إذا فُضَّتْ وفى الكأس وَرْدَةٌ * لها فى عِظام الشار بين دبيبُ

فقال له: أحسنتَ يا أبا مُعْرِض! ولقد أجدتَ وصفَها، وأظنّك قد شربتَها. فقال: والله يا أمير المؤمنين إنه لَيَرِيبُنى منك مَعْرِفتُك بهذا.

قصة له مع بعض ندمائه فى حانة

١٠ أخبرنى الحسن بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن ٱبن الكلبىّ عن رجلٍ من الأَزْد قال:

كان الأُقيشر يأتى إخوانًا له يسألهم فيُعْطونه، فأتى رجلًا منهم فأمَرَ له بخمسمائة درهم، فأخذها وتوجّه الى الحانةِ ودفعها إلى صاحبها وقال له: أَقِمْ لى ما أحتاج إليه ففعل ذلك، وٱنضمّ إليه رُفَقاء له، فلم يَزَلْ معهم حتى نَفِدتِ الدّراهم، فأتاهم بعد

١٥ إنفاقها بيومٍ ثم أتاهم من غدٍ فٱحتملوه، فلمّا أتاهم فى اليوم الثالث نظر إليه أصحابه من بعيدٍ فقالوا لصاحب الحانة: أَصْعِدْنا إلى غُرْفتك هذه وأَعْلِمِ الأقيشر أنّا لم نأتِ اليومَ. فلمّا جاء الأُقيشر أعلمه ما قالوه له. فعلِم الأُقيشر أنه لا فَرَج له عند صاحب

---

(١) كذا فى الأصول. ولعل صوابه «المخزومى» فانه كذلك تقدم، وإن كان بنو مخزوم من قريش. (٢) راجع الحاشية رقم ٤ صفحة ٢٦ من الجزء الثانى من هذه الطبعة.

٢٠ (٣) فى أكثر الأصول: «السكرى» والتصويب من ج. (وراجع الحاشية رقم ٥ صفحة ٢٦ ج ٢).

الحانة إلا برهنٍ، فطرح اليه ثيابَه وقال له : أقِمْ لى ما أحتاج إليه ففعل .
فلما أخذ فيه الشرابُ أنشأ يقول :

يا خليلَيّ آسقيانى كاسا * ثم كأسًا حتّى أخِرّ نُعاسا
إنّ فى الغُرفةِ التى فوق رأسى * لأُناسًا يُخادِعون أُناسا
يشرَبون المُعتَّقَ الراحَ صِرْفًا * ثم لا يرفعون بالزَّوْرِ راسا ٥

٩٤ / ١٠

فلمّا سمع أصحابُه هذا الشعر فَدَّوْه بآبائهم وأُمَّهاتهم ثم قالوا له : إمّا أن تصعدَ إلينا أو ننزلَ إليك، فصعِد إليهم .

قصته مع عمه وبشر ابن مروان حين مدح بشرا فوصله

أخبرنى الحسن بن علىّ عن ابن مَهْروية قال حدّثنى أبو مُسلِم المُسْتَمْلِى عن المدائنى قال :

مدح الأُقيشر بِشْرَ بن مَرْوانَ ودخل إليه فأنشده القصيدةَ[(١)] وعنده أيْمنُ بن خُرَيْمِ ١٠ ابن فاتك الأسدىّ، فقال أيْمَنُ : هذا والله كلامٌ حَسَنٌ من جَوْفِ خَرِبٍ . فأجابه بالبيت المذكور[(١)] . وقال أبو عمرو أيضًا فى خبره : فلمّا صار الأُقيشر إلى منزله بعث عمَّه فأخذ منه الألفَ الدِّرْهمِ وقال : والله لا أُخَلِّيك تُفسِدها وتشرَب بها الخمر . قال : فتصنَع بها ماذا ؟ قال : أكسوك وأكسو عِيالَك وأُعِدُّ لك قوتَ عامك . فتركه ودخل على بشر فقال له : ١٥

أَبلِغْ أبا مَرْوانَ أنّ عطاءه * أزاغ[(٢)] به مَنْ ليس لى بعِيالِ

قال : ومَنْ ذلك ؟ فأخبره الخبر . فأمر صاحبَ شُرْطَته أن يُحضِرَ عمَّه وينتزعَ منه الألفَ الدرهمِ ويسلِّمها إليه، وقال : خُذْها ونحن نقوم لعيالك بما يُصلحهم .

---

(١) سياق هذا الخبر يدل على أن فى الكلام سقطا من النساخ؛ فان الكلام كله هاهنا مضطرب .
(٢) كذا فى الأصول ! . ٢٠

مدح خمارة بشعر داعر فسرّت به

أخبرنى هاشم بن محمد عن أبى غسّان دَمَاذَ عن أبى عُبَيْدة قال :

مرّ الأُقيشر بخمّارة بالحيرة يقال لها دَوْمةُ، فنزل عندها فآشترى منها نبيذًا، ثم قال لها جَوِّدى لى الشَّراب حتى أُجيدَ لكِ المَدْحَ ففعلتْ . فأنشأ يقول :

أَلَا يا دَوْمُ دامَ لك النَّعيمُ * وأَسْمرُ مِلْءُ كَفِّكِ مستقيمُ

٥ شديدُ الأسْرِ يَنْبِضُ[1] حالباه * يُحَمُّ كأنَّه رجلٌ سقيمُ

يُرَوِّيه الشرابُ فيَزْدَهِيه * ويَنْفُخُ فيه شيطانٌ رجيمُ

قال : فسُرَّتْ به الخمّارةُ وقالت : ما قِيل فِىَّ أحسنُ من هذا ولا أسَرُّ لى منه .

مدح فاتك بن فضالة حين وفد على عبد الملك

أخبرنى أبو الحسن الأسَدىّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَبايةَ قال : كان فاتكُ بن فَضَالةَ بن شَرِيكٍ الأسَدىُّ كريمًا على بنى أُمَيَّة ، وهو ١٠ الوافدُ على عبد الملك بن مَرْوانَ قبل أن يَنْهَضَ الى حرب آبن الزُّبَيْر، فضَمِن له على أهل العراق طاعتَهم وتسليمَ بلادِهم اليه، وأن يُسْلِموا مُصْعبًا إذا لقيه ويتفرّقوا عنه. وله يقول الأُقَيْشرُ فى هذه الوِفادة :

وَفَدَ الوفودُ فكنتَ أفضلَ وافدٍ * يا فاتكُ بنَ فَضَالةَ بنِ شَرِيكِ

تولى الكوفة رجل من بنى تميم فانكسر المنبر من تحته فهجاهم

أخبرنى علىّ بن سُلَيمان الأخفش عن السُّكَّرىّ قال حدّثنى ابنُ حبيبَ قال :

١٥ وَلِىَ الكوفةَ رجلٌ من بنى تميم يقال له مَطَرٌ[2]، فلما علا المِنْبرَ انكسرت الدَّرَجةُ من تحته فسقط عنها؛ فقال الأُقَيْشرُ :

---

(١) الأسر : شدّة الخلق . وينبض : يتحرك . (٢) فى جـ ، ب ، س : « مطرف » وهو تحريف . وهو مطر بن ناجية اليربوعى ، كان غلب على الكوفة أيام الضحاك بن قيس الشارى . (راجع كتاب الشعر والشعراء صفحة ٣٥٣) وفيه بعد البيتين اللذين ذكرهما المؤلف :

٢٠ خلعوا أمير المؤمنين وبايعوا * مطرا لعمرك بيعة لا تظهر

واستخلفوا مطرا فكان كقائل * بدل لعمرك من يزيد أعور

أبنى تَمِيمٍ ما لِمِنْبَرِ مُلْكِكُمْ * ما يَسْتَقِرُّ قرارُه يَتَمَرْمَرُ[(١)]

إنَّ المنابرَ أنكرتْ أستاهَكم * فادعوا خُزَيْمةَ يَسْتَقِرَّ المنبرُ

سئل عن قريظة ابن قرظة فتكاسل عن ذكر اسمه فهجاه فرد عليه

أخبرنى محمد بن مَزْيَدٍ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال:

مرّ رجلٌ من مُحارِبٍ يقال له قُرَيْظةُ بن يَقَظَةَ بالأُقَيْشِر الأسَدىّ وهو فى مجلسٍ من مجالس بنى أَسَدٍ، فسلَّم على الأُقَيْشِر وكان به عارفاً . فقال له القومُ : مَنْ هذا يا أبا مُعْرِض؟ وكان مخمورًا، فقال :

٩٥ / ١٠

ومَنْ لِى بأنْ أستطيعَ أن أذكُرَ ٱسْمَه * وأَعْيا عِقالًا أن يُطيقَ له ذِكرا[(٢)]

قال : فضحك القومُ وقالوا : سبحانَ الله! أىُّ شىء تقول ؟ فقال : ٱسْمُه ونَسَبُه أعظمُ من أن أقدِر على ذكرهما فى يومٍ، فإنْ شئتُمْ سمّيته اليومَ ونسبتُه غدًا، وإنْ شئتُمْ نسبتُه اليومَ وسمَّيته غدًا . قالوا : هاتِ اسمَه اليومَ . فقال : قُرَيْظةُ[(٣)] . فقال رجل منهم : ينبغى أن يكونَ ابنَ يَقَظةَ . فقال الأُقَيْشِر : صدقتَ واللهِ وأصبتَ، ولقد أثقلنى اسمُه حين ذكرتَه أن أقولَ نَعَمْ . فبلغ قريظةَ[(٣)] قولُه وكان شاعرا فقال :

لِسانُك من سُكْرٍ ثقيلٌ عن التُّقَى * ولكنّه بالمُخْزِيات طليقُ

وأنتَ حقيقٌ يا أُقَيْشِرُ أن تُرَى * كذاك إذا ما كنتَ غيرَ مُفيقِ[(٤)]

تَسَفُّ من الصهباء صِرفاً تخالُها * جَنَى النَّحلِ يُهْدِيه إليكَ صديقُ

فبلغ الأُقَيْشِرَ قولُ المُحارِبىّ وكان يُكْنَى أبا الذيّال، فأجابه فقال :

عَدِمْتُ أبَا الذيّالِ من ذِى نَوالةٍ[(٥)] * له فى بيوتِ العاهراتِ طريقُ

---

(١) يتمرمر : يهتز ويضطرب . (٢) كذا فى الأصول . ويحتمل أن يكون صوابه «وأعيا عقالا أن أطيق له ذكرا» أى أعيا أنا أن أطيق له ذكرا لاعتقال لسانى . على أننا لم نجد «عقالا» فى معجمات اللغة بمعنى اعتقال اللسان . (٣) فى ج « قرظة » . (٤) فى هذا البيت إقواء .

(٥) كذا فى الأصول! .

أبا الخمر عيّرت امرأً ليس مُقلعًا * وذلك رأىٌ لو علمت وثيقُ
سأشربها مادُمتُ حيًّا وإن أمُتْ * ففى النّفس منها زفرةٌ وشهيقُ

سمع الرشيد من يتغنى بشعر له فى توبته من الخمر فأعجب به

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال :
بلغنى أنّ الرشيدَ سمع ليلةً رجلًا يغنّى :

٥ إنْ كانتِ الخمرُ قد عزّتْ وقد مُنِعتْ * وحال من دونها الإسلامُ والحَرَجُ
فقد أباكرها صِرفًا وأشربُها * أَشْفِى بها غُلّتى صِرفًا وأمتزجُ[1]
وقد تقومُ على رأسى مُغنّيةٌ * لها إذا رجّعتْ فى صوتها غُنُجُ
وترفع الصوتَ أحيانًا وتخفضُه * كما يطنّ ذُبابُ الرّوضةِ الهزِجُ

قال : فوجّه فى أثر الصوت مَنْ جاءه بالرجل وهو يُرعَدُ، فقال : لا تُرَعْ فإنّما أعجبنى
١٠ حُسْنُ صوتك . فقال : والله يا أميرَ المؤمنين ما تغنّيت بهذا الشعر إلّا وأنا قد تُبْتُ
من شرب النّبيذ، وهذا شعرٌ يقوله الأقيشرُ فى توبته من النبيذ . فقال له الرشيدُ :
وما حمَلَكَ على تركه ؟ قال : خَشْيةُ الله . وإنّى فيه يا أميرَ المؤمنين كما قال زيدُ
ابن ظَبْيان :

جاءوا بقاقُزّةٍ[2] صفراءَ مُترعةٍ * هل بين ذى كَبْرةٍ والخمرِ من نَسَبِ
١٥ بئس الشّرابُ شرابًا حين تَشْرَبُه * يُوهى العظامَ وطورًا مُفْتِرُ العصبِ
إنّى أخافُ مليكى أنْ يعذّبنى * وفى العشيرةِ أن يُزرى على حَسَبِ

---

(١) فى ديوان أبى محجن (نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية) :

فقد أباكرها ريا وأشربها * صرفا وأطرب أحيانا فأمتزج

وقال شارحه : « أراد فقد باكرتها وشربتها صرفا وربما طربت فمزجتها . وكان ينبغى أن يقول شربتها
٢٠ ممزوجة وربما طربت فأصرفتها . ولما قاله وجه، وهو أنه اذا طرب مزجها لئلا تدخله فى السكر .
وجاء بلفظ المستقبل وهو يريد الماضى » . (٢) القاقزة : الصغيرة من القوارير (أى الكأس
الصغيرة) ، ويقال فيها « قاقوزة » و « قازوزة » فارسية معربة .

فقال له الرشيد: أنتَ وما اخترتَ أعلمُ(١)، فأعِدِ الصوتَ، فأعاده. وأمر بإحضار المغنّين واستعادَه، وأمرَهم بأخْذِه عنـه فأخذوه، ووصَله وآنصرف، وكان صوتَ الرّشيدِ أيّاما. هكذا ذكر إسماعيل بن يونُس عن عُمر بن شَبّةَ فى هـذا الخبر أنّ الأبيات للأُقيشر، ووجدتُها فى شعر أبى مِحْجَنٍ الثّقفى له لمّا تاب من الشّراب.

٩٦ / ١٠

خرج لغـزو الشام فباع حماره وأنفق ثمنه فى الفجور ثم رجع مع الغـازين

أخبرنى علىُّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سَعيدٍ عن محمد بن حَبيبَ قال:

كان القُبَاعُ(٢)، وهو الحارثُ بن عبد الله بن أبى رَبيعةَ، قد أخرج الأُقَيْشِرَ مع قومه لقتال أهل الشّأْم، ولم يكن عند الأُقيشر فرسٌ فخرج على حمارٍ، فلمّا عبرَ جِسْرَ سُورا(٣) فوصل لقريةٍ يقال لها قنّين(٤) تَوارَى عند خَمّارٍ نَبَطىٍّ يُبْرِزُ زوجتَه للفُجور، فباع حِمارَه وجعل يُنفقه هناك ويشرَب بثَمنه ويفجُر إلى أنْ قفَل الجيشُ، وقال فى ذلك:

خرجتُ من المِصْرِ الحَوَارِىِّ(٥) أهلُه * بلا نَدْبةٍ فيها آحتسابٌ ولا جُعْلِ
إلى جَيْشِ أهلِ الشّأْمِ أُغْزِيتُ(٦) كارهًا * سَفَاهًا بلا سيفٍ حديد ولا نَبْلِ
ولكنْ بِتُرْسٍ ليس فيه حِمالةٌ(٧) * ورُمْحٍ ضَعيفِ الزُّجِّ مُنْصَدِعِ النَّصْلِ

---

(١) الواو هنا بمعنى الباء، أى أنت أعلم بما اخترت. (٢) راجع فى الأغانى (ج ١ صفحة ١١٠ من هذه الطبعة) بعض سيرته وسبب تلقيبه بالقباع. (٣) سورا (بالضم والقصر): قرية بالعراق من أرض بابل، وقد نسبوا اليها الخمر. وسوراء (بالضم والمدّ): موضع قرب بغداد، وقيل هو بغداد نفسها. وقد وردت هذه الكلمة فى شعر الأقيشر الآتى ممدودة، فالظاهر أنه يريد الأخيرة، ويحتمل أن يكون أراد الأولى فمدها كما مدّها عبيد الله بن الحر فى قوله:

ويوما بسوراء التى عند بابل * أتانى أخو عجل بذى لجب مجر

(٤) لم نهتد الى هذه القرية فى مظانها. (٥) أى الصديق أهله.

(٦) فى الأصول: «أغريت» بالراء المهملة. وهو تصحيف. وأغزاه: حمله على الغزو.

(٧) فى الأصول «فيها».

حَبَانى به ظُلْمُ القُبَاعِ ولم أَجِدْ * سوى أمرِه والسَّيْرِ شيئًا من الفِعْلِ

فأزمعتُ أمْرِى ثم أصبحتُ غازيًا * وسَلّمتُ تسليمَ الغُزَاةِ على أهلى

وقلتُ لَعَلّى أنْ أُرَى ثَمّ راكبًا * على فرس أو ذَا مَتَاعٍ على بَغْلِ

جَوادِى حمارٌ كان حينًا لِظَهْرِه * إكافٌ وإشناقُ (1) المَزَادةِ والحبل

وقد خان عينيه بياضٌ وخانه * قوائمُ سَوْءٍ حين يُزْجَرُ فى الوَحَلِ (2)

إذا ما انتحَى فى الماء والوَحْلِ لم تَرِمْ * قوائمُه حتّى يُؤَخَّرَ بالحَبْلِ

أنادِى الرِّفاقَ بارَكَ الله فيكمُ * رُوَيْدَكُمُ حتّى أجوزَ إلى السَّهْلِ

فسِرْنَا الى قنّين يومًا وليلةً * كأنّا بغَايَا ما يَسِرْنَ الى بَعْلِ

إذا ما نزلنا لم نَجِدْ ظِلَّ ساحةٍ * سوى يابس الأنهار (3) أو سَعَفِ النخلِ

مَرَرْنَا على سُورَاءَ نَسْمَعُ جَسْرَها * يَئِطُّ (4) نَقِيضًا عن سفائنه الفضلِ (3)

فلمّا بدا جسرُ السَّراةِ وأَعرضت * لنا سُوق فُرّاغ الحديثِ إلى شُغْلِ

نزلنا إلى ظِلٍّ ظليلٍ وباءةٍ (5) * حَلالٍ برغم القلطبان (6) وما نفلِ (7)

يُشَارِطُه (8) مَنْ شاء كان بدرهمٍ * عَرُوسًا بما بين السَّبِيئة (3) والنَّسْلِ

فأتبعتُ رُمْحَ السَّوْءِ سمية (3) نصله * وبِعْتُ حمارى واسترحتُ من الثِّقْلِ

---

(1) كذا فى الأصول. والذى فى كتب اللغة أنه يقال شنق المزادة وأشنقها اذا أوكاها وربطها. والبيت بعد ذلك غير واضح. (2) الوحل (بسكون الحاء): لغة قليلة فى الوحل (بالتحريك). (3) كذا فى الأصول! (4) يئط: يصوّت. والنقيض: الصوت مثل صوت المحامل والرحال اذا ثقل عليها الركبان. (5) الباءة: النكاح. (6) كذا فى الأصول. وأحسب أنها محرفة عن «القلطبان» وهو الديوث الذى لا غيرة له على أهله مثل القرطبان. (7) كذا فى الأصول. وأحسب أن صوابه: «وما نغلى» أى نبلغ ما نريد من الباءة وغيرها دون أن نعطى ثمنا غاليا. ويجوز أن يكون «وما يغلى» أى لا يطلب القلطبان ثمنا غاليا. (8) كذا فى ج. وفى سائر الأصول: «بشارطة».

تقول ظبايا قل قليلا ألا ليا * فقلتُ لها إصوى فإنّى على رِسْلِ(١)
مهرت لها جديقة فتركتُها * بمرها كطرْفِ العين شائلةَ الرِّجْلِ(٢)

مما يغنى فيه من شعره

ومما يُغَنَّى فيه من شِعْر الأُقَيْشِر :

صوت

لَا أَشْرَبَنْ(٣) أبدًا راحًا مُسارِقةً(٤) * إلّا مع الغُرّ أبناءِ البَطاريقِ(٥)
أفنى تِلَادِى وما جَمَّعتُ من نَشَبٍ(٦) * قَرْعُ القَوَاقيزِ أفواهُ الأباريقِ(٧)

الغناء لِحُنَيْنٍ هزجٌ بالبنصر عن عمرو. وفيه لعمر الوادى رملٌ بالبنصر عن الهشامى. وفيه ثقيلٌ أوّل يُنْسَب إلى حُنَيْنٍ وعُمَر وحَكَمٍ جميعًا. وهذا الغناء المذكور من قصيدة للأقيشر طويلة، أوّلها :

٩٧ / ١٠

إنّى يذكّرنى هندًا وجارتَها * بالطَّفِّ صوتُ حَماماتٍ على نيقِ(٨)

(١) كذا ورد هذا البيت فى الأصول. وأحسب أن بعض كلماته نبطىّ أورده الشاعر حكاية لما كان بينه وبين من ظفر بها من بنات النبط من حوار. (٢) كذا ورد هذا البيت فى الأصول!.
(٣) فى الشواهد الكبرى للعينى : «لا تشربن» وهى الرواية التى توافق سياق القصيدة؛ إذ قبل هذا البيت :

عليك كل فتى سمح خلائقه * محض العروق كريم غير ممذوق
ولا تصاحب لئيما فيه مقرفة * ولا تزورن أصحاب الدوانيق

وأحسب أن ما هاهنا من تغيير المغنين. (٤) فى حاشية الأمير على مغنى اللبيب (فى الباب الخامس): «مسردة» وفسر المسردة بالمتوالية. (٥) الغر هنا : السادة الأشراف؛ يقال رجل أغر إذا كان كريم الأفعال واضحها. والبطاريق : جمع بطريق وهو القائد أو العظيم من الروم. ويقال : إن البطريق عربى وافق العجمى. (٦) التلاد : المال القديم من تراث وغيره. والنشب : المال الثابت كالدار ونحوها، أو هو المال الأصيل من الناطق والصامت. (٧) القواقيز : ضرب من الرواطيم وهو الكؤوس الصغيرة. وإضافة القرع إلى القواقيز من إضافة المصدر إلى فاعله، وأفواه الأباريق مفعوله. ويروى برفع الأفواه، فيكون المصدر مضافا إلى مفعوله، والأفواه فاعله.
(٨) الطف : موضع بناحية الكوفة. والنيق : حرف من حروف الجبل، وأرفع موضع فيه.

صوت

دَعانى دَعْوةً والخيلُ تَرْدِى * فلا أدرِى أبِٱسْمِى أمْ كَنَانِى

وكان إجابتِى إيَّاهُ أَنِّى * عَطَفْتُ عليه خَوَّارَ العِنَانِ

الشعر لابن الغَرِيزَةِ النَّهْشَلىّ. والغناء ليحيى المكىّ رملٌ بالوسطى عن الهشامىّ. وقد جعل المُغنُّون معه هذا البيتَ ولم أجِدْه فى قصيدته، ولا أدرى أهُوَ له أم لِغيره :

أَلَا يا مَن لِذَا البَرْقِ اليَمَانِى * يلوحُ كأنّه مِصْباحُ بَانِ (١)

(١) البانى هنا : الداخل بأهله . وأصله أنه كان كل من أراد منهم الزفاف بنى قبة على أهله، ثم قيل لكل داخل بان وان كان قد دخل عليها دارا قد بنيت قبله . ويضرب بمصباح البانى المثل فيما يبقى ليله ولا يزول . (راجع ما يعول عليه فى المضاف والمضاف اليه) .

أخبار آبن الغَرِيزَة ونسبه (١)

نسب ابن الغريزة

كَثِيرُ بن الغريزة التميمىّ أحدُ بنى نَهْشَلٍ . والغَرِيزَةُ أمّه . وهو مُخَضْرَمٌ، أدركَ الجاهليّة والإسلام، وقال الشعرَ فيهما . وهذا الشعر يقوله ابنُ الغَرِيزة فى غَزاةٍ غزاها الأقْرَعُ بن حابسٍ وأخوه بالطَّالَقانِ (٢) وجُوزَجَانَ وتلك البلادِ ، فأصِيبَ مِنْ أصحابِهِ قومٌ بالطَّالَقانِ فرثاهم آبنُ الغَرِيزة . ٥

قصيدته التى يذكر فيها يوم الطالقان ويرثى من قتل فيه

أخبرنى الصُّولىّ عن الحَزَنْبَلِ عن آبن أبى عمرو الشَّيْبانىّ عن أبيه قال :

بعث عُمَرُ بنُ الخطّاب الأقْرَعَ بنَ حابسٍ وأخاه على جيشٍ إلى الطَّالَقان وجُوزَجَانَ وتلك البلادِ، فأُصيب من أصحابه قومٌ بالطَّالَقان ، فقال آبن الغَرِيزة النَّهْشلىّ وقد شهِد تلك الوَقْعة يَرْثِيهم ويذكر ذلك اليوم :

سَقَى مُزْنُ السَّحابِ إذا آستهلّتْ * مَصارِعَ فِتْيةٍ بالجُوزَجانِ ١٠
إلى القَصْرَيْنِ من رُسْتاق خُوطٍ (٣) * أبادَهُمُ هناكَ الأَقْرَعانِ (٤)
وما بِى أَنْ أكونَ جَزِعْتُ إلّا * حنينَ القلبِ للبَرْقِ اليَمانى
ومَحْبُورٍ بِرُؤْيَتِنا يُرَجِّى الـ * ـلقاءَ ولن أَراه ولن يَرانِى

(١) كذا فى شرح التبريزى لديوان الحماسة (صفحة ٤٦٠ طبعة مدينة « بن » سنة ١٨٢٨م) ومعجم البلدان فى الكلام على «جوزجان» ومعجم الشعراء للمرزبانى . وفى الأصول فى كل المواضع : «الغريرة» بالراء المهملة . (٢) الطالقان : بلدتان، إحداهما بخراسان بين مرو الروز وبلخ، بينهما وبين مرو الروز ثلاث مراحل . والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر ، وبها عدّة قرى يطلق عليها هذا الاسم . (عن معجم البلدان لياقوت باختصار) . وجوزجان : كورة واسعة من كور بلخ بخراسان ، وهى بين مرو الروز وبلخ . (٣) القصران هنا : مدينة السيرجان بكرمان كانت تسمى القصرين . (عن معجم البلدان) . وخوط هنا : من قرى بلخ . ورستاقها : سوادها وقراها . ١٥ ٢٠

(٤) يريد بالأقرعين الأقرع بن حابس وأخاه .

وَرُبَّ أخٍ أصاب الموتُ قَبْلِي * بَكَيْتُ ولو نُعِيتُ له بَكَانِي
دعانِي دعوةً والخيلُ تَرْدِى[1] * فما أدرِى أباسْمِي أم كَنَانِي
فكان إجابتى إيَّاهُ أنِّى * عَطَفْتُ عليه خَوَّارَ العِنَانِ[2]
وأىَّ فَتًى دَعَوْتَ وقد تولَّتْ * بِهِنّ الخيلُ ذاتُ العنظوانِ[3]
وأىَّ فَتًى إذا ما مُتُّ تدعُو * يُطَرِّفُ[4] عنكَ غاشيةَ السِّنانِ
فإنْ أَهْلِكْ فلم أَكُ ذا صُدُوفٍ[5] * عن الأقْرانِ فى الحَرْبِ العَوانِ
ولم أُدْلِجْ لِأَطْرُقَ عِرْسَ جارى[6] * ولم أجْعَلْ على قَوْمِي لِسَانِى[7]
ولكنِّى إذا ما هَايَجُونِى * مَنِيعُ الجارِ مُرْتَفِعُ البَنَانِ
ويَكْرَهُنى إذا آستَبْسَلْتُ قِرْنِى * وأَقْضِى واحدًا ما قد قضانى
فلا تَسْتَبْعِدَا يَوْمِى فإنِّى * سَأُوشِكُ مَرَّةً أنْ تَفْقِدانى
ويُدْرِكُنى الَّذى لا بُدَّ منه * وإنْ أشفقْتُ من خوفِ الجَنَانِ[8]
وتَبْكِينى نوائحُ مُعْوِلاتٌ * تُرِكْنَ بدارِ مُعْتَرَكِ الزَّمانِ
حَبَائسُ بالعراقِ مُنَهْنِهَاتٌ[9] * سَوَاجِى الطَّرْفِ كالبَقَرِ الهِجَانِ

---

(١) ردت الفرس تردى (وزان رمى) رديا (بالفتح) ورديانا (بالتحريك): رجمت الأرض بحوافرها، أو هو ضرب من السير بين العدو والمشى. (٢) خوّار العنان من الخيل: السهل المعطف الكثير الجرى. (٣) كذا فى الأصول! . (٤) يقال: طرّف عن العسكر إذا قاتل عن أطرافه. وإنما أراد هنا يحميك ويصرف عنك غاشية السنان أى يجعلها عنك فى طرف وناحية. (٥) فى الأصول: «ذا صروف» وهو تحريف. والصدوف: الإعراض. يريد أنه لا يعرض عن أقرانه ولا يفر من لقائهم. (٦) الإدلاج: السير من أوّل الليل. وعرس الرجل: زوجه. (٧) يريد أنه لا يشتم قومه ولا يهجوهم.

(٨) لعل الجنان هنا: الظلام، على أن يكون المخوف ظلام القبر.

(٩) نهنه فلان دمعه: كفه. وسواجى الطرف: ساكنات العيون. والهجان: البيض.

أَعاذِلَتَىَّ مِنْ لَوْمٍ دَعَانِى * وللرَّشَدِ المُبِينِ فَاهْدِيانى
وَعَاذِلَتَىَّ صَوْتُكما قريبٌ * ونَفْعُكما بعيدُ الخَيْرِ وانِى
فَرُدَّا المَوتَ عنِّى إن أتانى * ولَا وأبِيكُما لا تفْعَلانِ

* * *

٥

صـوت

دارٌ[1] لقاتِلةِ الغَرانِقِ ما بها * غيرُ الوُحوشِ خلتْ له وخلا لَها[2]
ظَلَّتْ تُسائل بالمُتَيَّمِ ما به * وهِىَ التى فعلتْ به أفعالَها

الشعرُ لأعْشَى بنى تَغْلِب من قصيدة يمدح بها مَسْلَمَةَ بنَ عبدِ الملك ويهجو جريرًا ويُعين الأخطلَ عليه . ويُروَى "رَبْعٌ لِقانصة الغَرَانِق"[3] وهو الصحيحُ هكذا ، ويُغَنَّى "دارٌ لقاتلةٍ" لأنّه يقول فى آخر البيت "خَلَتْ له وخلا لها"[4] . والغناء لعبد الله ١٠ ابن العَبّاس ثانى ثَقيلٍ بالبنصر عن عَمْرو بن بانةَ وآبن المَكّىّ . وفيه لمُخارِقٍ رملٌ من جميع أغانيه .

---

(١) قبل هذا البيت :

ألمم على دمن تقادم عهدها * بالجزع واستلب الزمان جمالها

والغرانق — ومثله الغرانيق — : جمع غرنوق (بالضم) وغرنوق (بكسر فسكون ففتح) ١٥ وغرنيق (بالكسر) وهو الشاب الناعم .

(٢) فى الأصول : « خلت لها » والتصويب من شعر الأعشين ، ويدل عليه كلام المؤلف بعد .

(٣) فى شعر الأعشين : « رسم لقاتلة الغرانق » .

(٤) فى الأصول : « خلت لها » وهو لا يساير سياق الكلام .

أخبار أعشى بنى تَغْلِبَ ونسبه

نسب أعشى تغلب وكان نصرانيا

قال أبو عمرو الشيبانىّ : اسمه ربيعةُ. وقال ابنُ حَبيب : اسمه النُّعْمان بنُ يحيى ابن مُعَاوية، أحدُ بنى مُعاوية بن جُشَم بن بَكْرِ بن حُبَيْب بن عمرو بن تَغْلِبَ بن وائل ابن قاسِط بن هِنْبِ بن أَفْصَى بن دُعْمِىِّ بن جَدِيلةَ بن أَسَدِ بن رَبيعةَ بن نِزَارٍ، شاعرٌ من شُعراء الدولة الأمويّة، وساكنى الشأْم إذا حَضَر، و إذا بَدَا نزَل فى بلاد قومه بنواحى المَوْصِل وديار رَبيعةَ . وكان نَصْرَانيًّا، وعلى ذلك مات .

قصته مع الحر ابن يوسف

أخبرنى علىُّ بن سليمانَ الأخفشُ عن أبى سَعيدٍ السُّكَّرِىِّ[1] قال حدّثنا محمد بن حَبِيبَ عن أبى عمرو الشيبانىّ قال :

كان أعشى بنى تَغْلِبَ يُنادم الحُرَّ بن يُوسُفَ بنِ يحيى بن الحَكَم . فشرِبا يومًا فى بُسْتانٍ له بالمَوْصِلِ، فسكِرَ الأعْشَى فنام فى البستان . ودعا الحُرُّ بجواريه فدخلنَ عليه قُبَّتَه . واستيقظ الأعشى فأقبل ليدخلَ القبّة، فمانعه الخَدَمُ، ودافعهم حتى كاد أن يهجُم على الحُرِّ مع جواريه، فلطَمه خَصِىٌّ منهم؛ فخرج إلى قومه فقال لهم : لَطَمنى الحُرُّ . فوثب معه رجلٌ من بنى تَغْلِبَ يقال له ابن أَدْعَجَ وهو شِهَابُ بن هَمَّامِ ابن ثَعْلَبَةَ بن أبى سَعْدٍ، فاقتحما الحائطَ[2] وهجَما على الحُرِّ حتى لطَمه الأعْشَى ثم رجعا. فقال الأعشى :

كأنّى وابنَ أدعَجَ إذ دَخَلْنا * على قُرَشِيِّكَ الوَرِعِ[3] الجَبَانِ

(١) فى الأصول : « السدى » وهو تحريف . ورواية على بن سليمان الأخفش عن أبى سعيد السكرى عن محمد بن حبيب وردت كثيرا فى الأغانى، ومن ذلك ما ورد فى الجزء الثالث (صفحة ١٠ سطر ١٦) .

(٢) الحائط : البستان .

(٣) الورع : الضعيف الجبان .

هِـزَبْرًا غَابَةٍ وَقَصَا حِمارًا [(١)] * فَظَلَّا حَوْلَه يَتَناهشان

أنا الجُشَمِىُّ من جُشَم بن بَكْرٍ * عَشِيَّةَ رُعْتُ طَرْفَكَ بالبنانِ

— أى لطمتُك . وقوله « أنا الجشمى » أى مِثْلِى يفعل ذلك بمثلك —

فما يسطيع ذو مُلْكٍ عِقَابِى * إذا اجترمتْ يَدِى وجَنَى لِسانى

عَشِيَّةَ غاب عنك بنو هشامٍ * وعثمانُ اسْتُها وبنو أَبَانِ ٥

تَرُوحُ إلى مَنَازِلها [(٢)] قُرَيْشٌ * وأنت مُخَيِّمٌ بالزَّرَّقان

والزَّرَّقانُ : قريةٌ كانت للحُرِّ بِسِنْجار [(٣)] .

٩٩ / ١٠

مدح مدركا الكنانى فأساء ثوابه فهجاه

قال ابن حَبِيب : مدح أعشى بنى تَغْلِب مُدْرِكَ بن عبد الله الكِنَانىَّ أحد بنى أُقَيْشِر بن جَذِيمةَ بن كَعْب فأساء ثوابَه ؛ فقال الأعشى :

لَعَمْرُكَ إنّى يومَ أَمْدَحُ مُدْرِكًا * لَكَالْمُبْتَنِى حَوْضًا على غيرِ مَنْهَلِ ١٠

أَمَرَّ الهَوَى دُونِى وفَيَّلَ [(٤)] مِدْحَتِى * ولَوْ لكَرِيمٍ قُلْتُها لم تُفَيَّلِ

شعره فى شمعلة بن عامر حين قطع الخليفة بضعة من فخذه

قال ابنُ حَبِيب : كان شَمْعَلةُ بن عامرِ بن عَمْرِو بن بَكْرٍ أخُو بنى فائدٍ وهم رَهْطُ الفرس [(٥)] نَصْرانيًّا وكان ظريفًا ، فدخل على بعض خُلَفاء بنى أُمَيَّةَ ، فقال : أَسْلِمْ ياشمعلةُ . قال : لا والله أُسلم كارهًا أبدًا ، ولا أُسلم إلّا طائعًا إذا شئتُ . فغضب فأمر به فقُطِعتْ بَضْعةٌ من فَخِذه وشُوِيتْ بالنار وأطعمها . فقال أعشى بنى تَغْلِبَ فى ذلك : ١٥

أَمِنْ حُذَّةٍ [(٦)] بالفَخْذ منك تباشرتْ * عِدَاكَ فلا عارٌ عليك ولا وِزْرُ

وإنّ أميرَ المؤمنين وجَرْحَه * لَكَالدَّهْرِ لا عارٌ بما فعل الدهرُ

(١) وقص عنقه : كسرها ودقها . (٢) كذا صححه الشنقيطى بقلمه فى نسخته . وفى الأصول : « منازلنا » . وهو تحريف . (٣) سنجار : مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة بينها و بين الموصل ثلاثة أيام . (عن معجم البلدان) . (٤) فيله : قبحه وخطأه . يريد أن الممدوح لم يقدر مدحته قدرها ولم يثبها ثوابها . (٥) كذا فى الأصول ! . (٦) فى الأصول : « جذوة » بالجيم وهو تحريف . والحذة (بالضم) : القطعة من اللحم . ٢٠

وفد على عمر بن عبد العزيز فلم يعطه فقال شعرا

وقال ابن حبيبَ قال أبو عمرو :

كان الوليدُ بن عبد الملك محسناً الى أعشى بنى تَغْلِب، فلمّا وَلِىَ عمرُ بن عبد العزيز الخلافةَ وفَد إليه ومدَحه فلم يُعْطِه شيئا، وقال : ما أرى للشُّعراء فى بيت المال حقًّا، ولو كان لهم فيه حقٌّ لَمَا كان لك، لأنّك امرؤٌ نصرانىٌّ. فانصرف الأعشى وهو يقــول : ٥

لَعَمْرِى لقد عاش الوليدُ حياتَه * إمامَ هُدًى لا مُسْتزادٌ ولا نَزْرُ

كأنّ بنى مَرْوانَ بعــدَ وفاته * جلاميدُ لا تَنْدَى و إنْ بَلَّها القَطْرُ

شعره حين قعد مالك بن مسمع عن معاونة بنى شيبان

وقال ابن حبيبَ عن أبى عمرو: كانتْ بين بنى شَيْبانَ و بين تَغْلِبَ حروبٌ، فعاون مالكُ بن مِسْمَع بنى شَيْبانَ فى بعضها ثم قعَد عنهم. فقال أعشى بنى تَغْلِبَ فى ذلك :

بنى أُمِّنا مَهْــلًا فإنّ نفوسَــنا * تُمِيتُ عليكم عَتْبَها ومَصَالَها[(١)] ١٠

وترعَى بلا جهلٍ قَرابةَ بَيْنِنا * و بَيْنِكُمُ لَمّا قَطَعْتُمْ وِصَالَها

جزى اللهُ شيباناً وتَيْماً مَلامةً * جزاءَ المُسِىءِ سَعْيَها وفِعالَها

أبَا مِسْمَعٍ مَنْ تُنْكِرِ الحقَّ نَفْسُه * وتَعجِزْ عن المعروفِ يَعْرِفْ ضَلالَها

أأوقدتَ نارَ الحربِ حتّى إذا بَدَا * لنفسِك ما تجنى الحروبُ فهالَها

نزعْتَ وقد جَرّدْتَها ذاتَ مَنْظَرٍ * قَبِيحٍ مُهِينٍ حيثُ ألقتْ حِلالَها[(٢)] ١٥

ألَسْنا إذا ما الحربُ شَبَّ سعيرُها * وكان صَفِيحُ[(٣)] المَشْرَفِىِّ صِلالَها[(٤)]

---

(١) المصال : لعله هنا مصدر صال يصول اذا سطا . (٢) الحلال هنا : متاع الرحل .

(٣) كذا فى ا ، م . وفى سائر الأصول : « سفيح » بالسين . والصفيح : جمع صفيحة وهى هنا السيف العريض . والمشرفىّ : المنسوب الى المشارف وهى قرى قرب حوران تنسب اليها السيوف المشرفية ، نسب الى المفرد . وقال الأصمعىّ : المشرفيــة منسوبة الى مشارف وهى قرى ٢٠ من أرض العرب تدنو من الريف ، وحكى الواحدى أنها بأرض اليمن . وأحسب أن صوابه « وكان الصفيح المشرفىّ » . (٤) كذا !.

أجارتَنا حِلٌّ لكم أنْ تَناولوا[(١)] * مَحارِمَها وأن تَمِيزُوا[(٢)] حَلالَها
كذبتم يَمِينُ اللهِ حتى تَعاوَرُوا * صُدورَ العوالى بيننا ونِصالَها[(٣)]
وحتى ترى عينُ الذى كان شامتاً * مَزَاحِفَ[(٤)] عَقْرَى بيننا ومَجالَها

* * *

صـــوت

٥

ويَفْرَحُ بالمولود من آل بَرْمَكٍ * بُغَاةُ النَّدَى والرُّمْحِ والسَّيْفِ والنَّصْلِ
وتَنْبَسِطُ الآمالُ فيه لِفَضْلِه * ولا سِيَّمَا إنْ كان من وَلَدِ الفَضْلِ

١٠٠/١٠ الشعرُ لأبى النَّضِيرِ. والغناء لإسحاق، ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو بن بانَةَ من مجموع إسحاق . وقال حَبَشٌ : فيه لإبراهيم الموصلىّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو ابن بانةَ من مجموع إسحاق . وقال حبشٌ : فيه لابراهيم الموصلىّ ثقيلٌ آخَرُ بالوُسْطَى . ولقَضِيبَ وبَرَاقِشَ جاريتى يحيى بن خالد فيه لحنان .

١٠

---

(١) فى ب ، س : «أن تنازلوا» وهو تحريف . (٢) فى أ ، م : «أوأن تميزوا» . وكلمة « تميزوا » هاهنا غير واضحة فى السياق ، ولم نهتد الى ما نطمئن اليه فى تصويبها .

(٣) تعاوروا الشىء : تداولوه . والعوالى : أطراف الرماح ، الواحدة عالية . والنصال : جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح ، وهو حديدة السيف ما لم يكن لها مقبض ، فان كان لها مقبض فهو سيف .

١٥

(٤) المزاحف : جمع مزحف وهو مكان الزحف أى المشى . وعقرى : جمع عقير ، كجريح وجرحى .

أخبار أبي النَّضيرِ ونسبه

اسم أبي النضير ونسبه

أبو النضير اسمُهُ عُمَرُ بن عبدِ المَلِكِ، بَصْرِيٌّ، مولًى لبني جُمَحَ .

أخبرنا بذلك عمِّي عن ابن مهروية عن إسحاق بن محمد النَّخَعيِّ عن إسحاق ابن خَلَفٍ الشاعرِ قال : قلت لأبي النَّضِير بن أبي الياس[1] : لمن أنت ؟ فقال : لبني جُمَحَ . وذكر أبو يحيي اللّاحِقيُّ أنّ اسمَه الفضلُ بن عبد الملك . شاعرٌ من شعراء البصريِّين، صالحُ المَذْهَبِ، ليس من المعدودين[2] المتقدّمين ولا من المولَّدين الساقطين . وكان يغنِّي بالبَصْرةِ على جَوارٍ له مولَّدات، ويُظْهِرُ الخَلاعةَ والمُجونَ والفِسْق، ويُعاشر جماعةً ممن يُعْرَفُ بذلك الشأن . وكان أبَانُ اللاحِقيُّ يُعاشره ثم تَصارَمَا، وهجاه وهجا جواريَه وافترقا على قِلًى، ثم آنقطع أبو النَّضيرِ إلى البرامكة فأغْنَوْه الى أن مات .

هو شاعر بصري انقطع الى البرامكة فأغنوه

قال إسحاق الموصلي إنه أظرف الناس

أخبرنا ابن أبي الأزهر عن حمّاد بن إسحاق قال سمعتُ أبي يقول : لو قِيل لي مَنْ أظرفُ مَنْ رأيتَه قطُّ أو عاشرتَه، لقلتُ : أبو النَّضيرِ .

دخل على الفضل ابن يحيي فهنأه بمولود ارتجالا

أخبرني عيسى الورّاق عن الفضل اليزيدي عن إسحاق، وأخبرني محمد بن مَزْيَدٍ عن حمّاد عن أبيه قال :

وُلِد للفَضْلِ بن يحيي مولودٌ، فوَفَد عليه أبو النَّضير ولم يكن عرف الخبر فيُعِدَّ له تهنئةً، فلمّا مثل بين يديه ورأى الناس يهنِّئونه نثرًا ونظمًا قال آرتجالًا :

(١) كذا في ا، وتبعتها ب، س المطبوعتان . وفي م : «من أبي الياس لمن أنت» . وفي جـ : «ابن أبي الناس أنت» . وظاهر أن فيها جميعا تحريفا من النساخ . ولعل صوابه : «... قلت لأبي النضير من أي الناس أنت ؟ فقال : من بني جمح» أو « ... لأي الناس أنت ؟ فقال لبني جمح» .

(٢) في الأصول : «المعمودين» .

وَيَفْرَحُ بالمولودِ من آلِ بَرْمَكٍ * بُغاةُ النَّدى والسَّيْفِ والرُّمْحِ والنَّصْلِ
وتَنْبَسِطُ الآمالُ فيـه لِفَضْلِه * ... ...

ثم أُرْتِجَ عليه فلم يَدْرِ ما يقولُ . فقال الفضل يُلَقِّنُه :

* ولا سِيَّمَا إنْ كان من وَلَدِ الفَضْلِ *

فآستحسن الناسُ بديهةَ الفضلِ فى هذا، وأمَر لأبى النَّضيرِ بصلةٍ . ٥

نقد الفضل بن يحيي شعرا له فى مدحهم فأجابه

وأخبرنى حبيبُ بن نَصْرٍ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزَّيَّات قال حدّثنى بعض المَوَالى قال :

حضرتُ الفَضْلَ بنَ يحيي وقد قال لأبى النَّضيرِ : يا أبا النضيرِ أنت القائلُ فينا :

إذا كنتُ من بَغْدادَ فى رَأْسِ فَرْسَخٍ * وجدتُ نسيمَ الجُودِ مِن آل بَرْمَكِ

لقد ضَيَّقْتَ علينا جِدًّا . قال : أفَلِأَجل ذلك أيها الأميرُ ضاقتْ علىَّ صِلَتُك وضاقت ١٠ عنِّى مكافأتُك وأنا الذى أقول :

تشاغلَ النّـاسُ ببُنْيانِهِـمْ * والفضلُ فى بُنْيانه جاهِـدُ
كلُّ ذوى الفَضْلِ وأهلِ النُّهى * للفَضْـلِ فى تدبيره حامـدُ

وعلى ذلك فما قلتُ البيتَ الأَوَّلَ كما بلغ الأميرَ، وإنّما قلتُ :

إذا كنتُ من بَغْدادَ مُنْقَطَعَ الثَّرى[1] * وجدتُ نسيمَ الجُودِ من آل برمكِ ١٥

فقال الفضلُ : إنّما أخَّرتُ عنك لأُمازِحك، وأمَر له بثلاثين ألفَ درهمٍ .

١٠١ / ١٠

أخبرنى ٱبن عَمَّارٍ عن أبى إسحاق الطَّلْحىّ عن أبى سُهَيْلٍ[2] قال :

كتب الى عنان وكان يهواها فأجابته

كان أبو النضير يهوَى عِنانَ جاريةَ النَّاطِفىّ، وكتَب إليها :

إنَّ لى حاجةً فرأْيَك فيها * لكِ نفسى الفِدَا مِنَ الأوصاب

(١) أحسب أن صوابه « الندى » بمعنى الخير والمعروف . ٢٠

(٢) فى جـ هنا : « أبى سهل » وتبعتها ب ، س . وقد تكرر هذا السند فى أخبار أبى النضير، وفى المواضع الآتية فى الأصول جميعا : « أبو سهيل » .

وهْىَ ليستْ ممّا يُبلِّغُه غيـ * ـرِى ولا أستطيعه بكتابِ
غيرَ أنّى أقولها حين ألقا * كِ رُوَيْدًا أُسِرُّها من ثيابى

فأجابتْه وقالت :

أنا مشغولةٌ بمَنْ لستُ أهْوا * هُ وقلبى مِنْ دونِه فى حِجَابِ
٥ فإذا ما أردتَ أمْرًا فأسْرِرْ * هُ ولا تجعلنّه فى كتاب

قال : وقال أبو النَّضير فيها :

شعرله فى عنان

صوت

أنا واللهِ أهْوَاكِ * وأهواكِ وأهواكِ
وأهوَى قُبْلةً مِنْكِ * على بَرْدِ ثَنَاياكِ
١٠ وأهوى لكِ ما أهْوَى * لِنَفْسِى وكَفَى ذاكِ
فهَلْ يَنْفَعُنى ذلِـ * ـكِ يومًا حين ألقاكِ
أنا والله أهواك * وما يَشْعُرُ مولاكِ
فإيّاك بأنْ يَعْلَـ * ـمَ إيّاكِ وإيّاكِ

فيه لعلىّ بن المارِقىّ رَمَلٌ بالبنصر عن الهِشَامىّ .

طلبت منه مكتومة المغنية صوتا كان يغنيه فمازحها

١٥ حدّثنا ابن عَمّار عن الطَّلْحىّ عن أبى سُهَيْلٍ قال :

كان أبو النضير يُغَنِّى غناءً صالحًا ، فغنّى ذاتَ يومٍ صوتًا كان استفاده ببغداد . فقالت له قَيْنةٌ كانت ببغداد يقال لها مكتومةُ : اطْرَحْ علىّ هذا الصوتَ يا أبا النَّضير . فقال : لا تَطِيبُ نفسى به مُحَابِيًا ، ولكنِّى أَبيعك إيّاه . قالت : بِكَمْ ؟ قال : برأْس مالِه . قالت : وما رأسُ مالِه ؟ قال : نا كَنى فيه الذى أخذتُه منه . فغطّتْ وجهَها
٢٠ وقالت : عليك وعلى هذا الصوت الدَّمَارُ .

شعر له فى مدح أبى جعفر عبد الله ابن هشام

أخبرنى آبن عمّار عن الطَّلْحىّ عن أبى سُهَيْل قال :

قال أبو النضير، وفيه غناءٌ لإبراهيم، :

صـــوت

أيصحو فُؤادُكَ أمْ يَطْـرَبُ * وكيف وقـد شَحَطتْ زينبُ

جرى النـاسُ قبل أبى جعفرٍ * زمانًا فـلم يُـدْرَ مَنْ غَلَّبُـوا

فلمّـا جـرى بأبى جعفـر * بنـو تَغْلِبٍ سَـبَقتْ تَغْلِبُ

قال أبو سُهَيْلٍ : وأبو جعفرٍ الذى عناه أبو النَّضِـير هو عبدُ الله بن هِشَامِ بن عمرو التَّغْلَبىّ الذى يذكره العَتَّابىُّ فى شعره ورسائله ، وكان جوادًا سَخِيًّا . وكان آبنُ هشامٍ وَلِىَ السِّنْدَ، وفيه يقول أبو النَّضير :

ألا أيُّها الغيثُ الّذى سحّ وَبْـلُه * كأنّك تَحْكِى راحةَ آبنِ هشامِ

كأنّك تَحكيها ولكنّ جُودَه * يدومُ وقـد تأتى بغير دوامِ

وفيك جَهامٌ[1] ربّمـا كان مُخْلِفًا * وراحتُه تغـدُو بغير جَهَامِ

كان يرى أن الغناء على تقطيع العروض

١٠٢ / ١٠

أخبرنى آبن عمّار عن الطَّلْحىّ عن أبى سُهَيْلٍ قال :

كان أبو النَّضِير يزعُم أنّ الغِناء على تقطيع العَرَوض، ويقول : هكذا كان الذين مَضَوْا يقولون ، وكان مستهزئًا بالغناء حتى تعاطَى أنْ يُغَنِّى ، وكان إبراهيم الموصلىّ يُخالفـه فى ذلك ويقول : العَرُوضُ مُحْدَثٌ ، والغناء قبلَه بزمانٍ . فقال إسحاق بن إبراهيم ينصر أباه :

سَكَتُّ عن الغِناء فـلا أُمَارِى * بَصِيرًا لَا ولا غـيرَ البصـيرِ

مَخافَـةَ أنْ أُجَنَّنَ فيـه نَفْسِى * كما قـد جُنَّ فيـه أبو النَّضِيرِ

(١) الجهام : السحاب لا ماء فيه ، والسحاب الذى هراق ماءه .

قاطعه أبان اللاحق وقال شعرا يهجوه

أخبرني الحسن بن علىّ عن ٱبن مهرويه قال حدّثنى أبو طَلْحَةَ الخُزَاعىّ عن اللّاحِقىّ قال :

كان جدّى أبانُ يَشْرَبُ مع إخوانٍ له على شاطئ دِجْلَةَ بعد مُصارمته أبا النَّضير، وكان القومُ أصدقاءَ له ولأبى النضير، فذكروه . فقال جدّى : إنْ حضر ٱنصرفتُ، فأمسكوا . فقال جدّى فيه :

رُبَّ يومٍ بشَطِّ دِجْلةَ لَذٍّ * ولَيالٍ نَعِمتُ فيها لِذاذ

غَيْبةٌ لم تَطُلْ علىّ وماذا * خيرُ قُرْبِ المُطَرْمِذِ المَلَّاذ [1]

تركَ الأشرِباتِ ليس بعاطٍ * لِرَساطُونِها ولا الرّاقياذ [2] [3]

وحَكَى الأحمقَ الذى ليس يَدْرِى * أنّ خيرَ الشرابِ [4] هذا اللذاذ

ضَلَّ رَأْىُ أراه ذاك كما ضَلَّ * غُواةٌ لاذُوا بشَرِّ مَلاذِ

أنت أعمى فيما ٱدَّعَيتَ كما لَسْـ * ـتَ لِصَوْغِ الألحانِ بالأُستاذِ

كان ذنبًا أتوبُ منه إلى اللّٰـ * ـه ٱختيارِيكَ صاحبًا وٱتّخاذى

إنّ لِلّهِ صومَ شهرَيْنِ شُكرًا * أنْ قَضَى منك عاجلًا إنقاذى

لا لِدينٍ ولا لِدُنْيا ولا يَصْـ * ـلُحُ [5] فى علم ما ادّعَى بنَفاذِ

---

(١) المطرمذ : الذى يقول ولا يفعل ، والذى لا يحقق فى الأمور . والملاذ : المطرمذ المتصنع الذى لا تصح مودته . (٢) العاطى : المتناول . والرساطون : شراب يتخذه أهل الشام من الخمر والعسل ، والكلمة رومية . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى ج : « الراقباذ » بالباء الموحدة . ولم نهتد اليه فى المظان التى راجعناها . وظاهر أن المراد به ضرب من الشراب .

(٤) فى ج : « الشباب » . واللذاذ : مصدر لذذت الشىء لذاذا ولذاذة أى وجدته لذيذا . وظاهر أن فى هذا الشطر تحريفا لم نهتد اليه . (٥) فى الأصول : « تصلح » بتاء الخطاب ، ولا يستقيم به سياق الكلام .

كتب الى حماد عجرد يسأله عن حاله فى الشراب فأجابه

حدّثنى ابن عمّار عن الطّلحىّ عن أبى سُهَيْل قال :

كتب أبو النّضير الى حمّاد عَجْرَد يسأل عن حاله فى الشّراب وشُرْبه إيّاه ومَنْ يُعَاشر عليه . فكتب إليه حمّادٌ :

أبَا النّضيرِ اسْمعْ كلامِى ولا * تَجْعَلْ سوَى الإنصافِ من بالكا

سألتَ عن حالى، وما حالُ مَنْ * لم يَلْقَ إلّا عابدًا ناسكا

يُظْهِرُ لِى ذَا فتى يفْتَرِضْ[1] * شيئًا تَجِدْه عاديًا فاتكا

يعنى حُرَيْثَ بن عمرو . وكان حمّادٌ نزَل عليه ، وكان حُرَيْثٌ هذا مشهورًا بالزّندقة ، وكذلك حمّادٌ هذا كان مشهورًا بها ، فنزل عليه لذلك .

كتب الى حمدان اللاحقى يشكو اليه عمر بن يحيى ويهجوه

أخبرنى الحسن بن علىّ عن ابن مهروية عن أبى طَلْحة الخُزاعىّ عن أبى يحيى اللّاحِقىّ قال :

كتَب أبو النضير إلى عمّى حَمْدان[2] بن أبَان ، وكان له صديقًا ، يشكو اليه عُمَر ابن يحيى الزِّيادىّ وكان عَرْبَد عليه وشتَمه :

أقْرِ حَمْدانَ سلامَ الـ * ـلّهِ مِن فَضْلٍ وقُلْ لَهْ

يا فتًى لستُ بحمدِ الـ * ـلّهِ أخْشَى أنْ أمَلَّهْ

ذاك أنْ اللهَ قد أنْـ * ـهَله الظّرْفَ وعَلَّهْ

وذُرَا بيت رَقَاش[3] * وعُلَاها قد أحَلَّهْ

إنَّ شَتْمَ السِّفْلَةِ الكَشْـ[4] * ـخانِ ذى القرْنَيْنِ ضَلَّهْ[5]

(١) افترص الشىء : انتهزه وأصابه واغتنمه . (٢) كذا فى ب ، م . وفى سائر الأصول : «حماد» وهو تحريف . وقد ورد فى أول الشعر الآتى « حمدان » صحيحا . ولحمدان بن أبان هذا شعر ورد فى كتاب الكامل للمبرد (ص ٤٧٥ طبعة أوربا) . (٣) جدّ حمدان الأعلى كان مولى لبنى رقاش ، ونسبه : حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفر مولى بنى رقاش . (٤) الكشخان (بالفتح ويكسر) : الديوث الذى لا غيرة له على أهله . (٥) أى ضلال .

ولَو انّ القلبَ هاجَى[1] * عُمَرًا يومًا لَغَلَّهْ[2]

ذاكَ أنّ اللهَ قد أخـ * ـزى ابنَ يحيي وأذَلَّهْ

مَنْ يُهاجِي رَجُلًا يَسْـ * ـتوعِبُ الجُرْدانَ[3] كُلَّهْ

ما يسيلُ الأَيْرُ إلّا * أدخلَ الأَيْرَ وبَلَّهْ

٥ وإذا عايَنَ أيرًا * وافَى الفَيْشَةِ[4] غَلَّهْ

هٰذه قِصَّةُ مَنْ قد * جعَلَ المُرْدانَ شُغْلَهْ

أنشد الفضل بن الربيع شعرا فى امرأة تزوجها وطلقها

حدّثني عمّي عن أبي العيناء عن أبي النَّضِير قال :

دخلتُ على الفَضْلِ بن الرَّبيع فقال : هل أحدثتَ بَعْدى شيئًا؟ قلتُ : نعم، قلتُ أبياتًا فى امرأةٍ تزوّجْتُها وطلّقتها لغير عِلّةٍ إلّا بُغْضى لها، وإنّها لبيضاءُ بَضَّةٌ، كأنّها سَبِيكةُ فِضّةٍ . فقال لى : وما قلتَ فيها ؟ فقلت قلتُ :

رَحلتْ سُكَيْنةُ بالطَّلَاقِ * فأَرَحْتُ[5] من غُلِّ الوَثاقِ

رحلتْ فَلَمْ تألَمْ لها * نَفْسِي ولم تَدْمَعْ مَآقِي

لو لَمْ تَبِنْ بطَلَاقِها * لأبنتُ نفسى بالإِباقِ

وشِفاءُ ما لا تَشْتَهِيـ * ـهِ النَّفْسُ تعجيلُ الفِراقِ

١٥ فقال : يا غلامُ ، الدواةَ والقِرطاسَ ، فأُتِيَ بهما ، فأمرنى فكتبتُ له الأبياتَ ، ثم قلتُ له : أنتَ واللهِ تُبْغِضُ بنتَ أبي العبّاس الطُّوسى . فقال : اسْكُتْ أخزاكَ اللهُ! ثم ما لبِثَ أنْ طَلّقها .

---

(١) كذا فى الأصول . وأحسب أن كلمة « القلب » محرفة عن « الكلب » أو نحوه .

(٢) غله هنا : وضع الغل فى عنقه أو يده . على أنه يحتمل أن يكون « لفلّه » بالفاء بمعنى كسره أى غلبه وظهر عليه . (٣) الجردان : قضيب ذوات الحافر أو هو عام . (٤) الفيشة : أعلى هامة الذكر . وغله هنا : أدخله . (٥) أراح فلان : وجد راحة . ويجوز أن يكون « أرحت » مبنيا للمفعول .

صــــوت

ما بالُ عَيْنِكَ جائلاً أقذاؤها * شَرِقتْ بعَبْرَتِها وطال بُكاؤها

ذكرتْ عَشيرتَها وفُرْقةَ بَيْنِها * فطوتْ لذلك غُـلَّةً[1] أحشاؤها

الشعر لعبد الله بن عُمَرَ العَبَلِيّ . والغناءُ لأبى سَعِيدٍ مولَى فائدٍ، رَمَلٌ مطلقٌ فى مَجْرَى الوُسْطَى عن ابن المكىّ، وذكره إسحاق فى هذه الطريقة ولم يَنْسُبْه الى أحدٍ، وقيل: ٥
إنه من منحول يحيي الى أبى سعيدٍ .

---

(١) الغـلة : العطش أو شـدته ، والمراد هنا حرارة الحزن . وطوت هنا : أضمرت . والمعنى : فانطوت أحشاؤها لذلك على غلة من الحزن .

أخبار العَبْلى ونسبه

نسبه، وهو من مخضرمى الدولتين

اسْمُه عبدُ الله بنِ عُمَرَ بن عبد الله بن علىّ بن عَدِىّ بن رَبِيعَةَ بن عبد العُزَّى ابن عبد شَمْسِ بن عبد مَنَافٍ، ويُكْنَى أبا عَدِىٍّ (١)، شاعرٌ مُجِيدٌ من شُعَرَاء قُرَيْش، ومن مُخَضْرَمِى الدَّوْلتين، وله أخبارٌ مع بنى أُمَيَّةَ وبنى هاشمٍ تُذْكَرُ فى غير هذا الموضع.

سبب نسبه الى العبلات

٥ و يقال له عبد الله بن عُمَرَ العَبْلِىّ، وليس منهم؛ لأنّ العَبَلاتِ من وَلَدِ أُمَيَّةَ الأصْغر ابن عبد شَمْسٍ. سُمُّوا بذلك لأنّ أُمَّهم عَبْلَةُ بنتُ عُبَيْدِ بن حَارِكِ (٢) بن قَيْسِ بن مالك ابن حَنْظَلَةَ بن مالكِ بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تميمٍ، وهؤلاء يقال لهم بَرَاجِمُ بنى تَمِيمٍ، وَلَدَتْ لعبد شَمْسِ بن عبدِ مَنَافٍ (٣) أُمَيَّةَ الأصغرَ، وعبدَ أُمَيَّةَ ونَوْفَلًا (٤)، وأمّه من بنى عبد شمس، فهؤلاء يقال لهم العَبَلاتُ، ولهم جميعًا عَقِبٌ. أمّا أُمَيَّةُ الأصغرُ فإنّهم بالحجاز، وهم ١٠ بنو الحارث بن أُمَيّة، منهم علىُّ بن عبد الله بن الحارث، ومنهم الثُّرَيَّا صاحبةُ ابن أبى ربيعةَ. وأمّا بنو نَوْفَل وعبدِ أُمَيَّة (٥) فإنّهم بالشام كثيرٌ. وعبد العُزَّى بن عبد شمس كان يقال له أَسَدُ البطحاء. وإنّما أدخلهم النّاسُ فى العَبَلاتِ لَمّا صار الأمرُ لبنى أُمَيَّةَ الأكبرِ وسادوا وعَظُم شأنُهم فى الجاهليّة والإسلام وكَثُر أشرافُهم، فجعل

١٠٤ / ١٠

(١) فى الأصول هنا: «أبا علىّ» وهو تحريف.

١٥ (٢) كذا فى الأصول. وفى تاج العروس (فى مادة عبل): «... قال الدارقطنى: هى عبلة بنت عبيد بن جادل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وقال غيره: هى عبلة بنت نافذ ابن قيس بن حنظلة». وفى كتاب الأنساب للسمعانى (فى الكلام على العبلى): «... وعبلة بنت عبيد بن حافل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ...». (٣) فى الأصول: «لعبد شمس بن مناة» وهو تحريف. (٤) كذا فى الأصول. وجملة «وأمه ٢٠ من بنى عبد شمس» غير واضحة. (٥) فى كتاب المعارف لابن قتيبة أن عبد أمية مات وهو ابن ثمان سنين.

سائرَ بنى عبد شمسٍ مَنْ لا يعلَم قبيلةً واحدةً ، فسمَّوْهم أُميّـةَ الصُّغْرى ، ثم قيل لهم العَبَلات لشُهرة الاسم .

وعلىّ بن عَدِىٍّ جدُّ هذا الشاعر شهِد مع عائشة يومَ الجَمَلِ . وله يقول شاعر بنى ضَبّة لعنةُ الله عليه :

يا ربِّ أُكْبُبْ(١) بِعلِىٍّ جَمَلَهْ * ولا تُبارِكْ فى بعيرٍ حَمَـلَهْ

* إلّا علىَّ بن عَدِىٍّ ليس له *

كان فى أيام بنى أمية يميل الى بنى هاشم ثم خرج على المنصور مع محمد بن عبد الله بن الحسن

فأمّا عبدُ الله بن عُمَرَ هـذا الشاعر فكان فى أيّام بنى أُمَيّة يميل إلى بنى هاشمٍ ويَذُمّ بنى أُميّـة ، ولم يكن منهم إليه صُنْعٌ جميلٌ ، فسَلِم بذلك فى أيّام بنى العبّاس ، ثم خرَج على المنصور فى أيّامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن .

فرق هشام بن عبد الملك أموالا ولم يعطه فقال شعرا

أخبرنى الحسن بن علىّ عن أحمد بن زُهَيْرٍ عن مُصْعَبٍ الزُّبَيْرىّ قال :

العَبْلىّ عبدُ الله بن عمرَ بن عبدِ الله بن علىِّ بن عَدِىّ بن ربيعـةَ بن عبد العُزَّى ابن عبـد شَمْسٍ ، ويُكنَى أبا عَدِىٍّ ، وله أخبارٌ كثيرة مع بنى هاشم وبنى أُمَيّـة . وقسَم هشام بن عبد الملك أموالًا وأجاز بجوائز ، فلم يُعْطِه شيئا . فقال :

خَسَّ حَظِّى أنْ كنتُ من عبد شمسٍ * ليتنى كنتُ من بنى مَخْـزُومِ

فأفـوزَ الغـداةَ منهـم بسَهْمٍ * وأَبِيـعَ الأبَ الشريفَ بـلُومِ

استقدمه المنصور واستنشده فغضب عليه فذهب الى المدينة

فلمّا اسْتُخْلِف المنصور كتب إلى السَّرىِّ بن عبـد الله أن يُوَجِّه به اليـه ففعل . فلمّا قدِم عليه قال له : أنشِدْنى ما قلتَ فى قومك ، فاستعفاه . فقال : لا أُعفيك . فقال : أَعطِنى الأمانَ فأعطاه ، فأنشَده :

ما بال عَيْنِـك جائلًا أقذاؤها * شَرِقتْ بعَبْرتِهـا فطال بُكاؤها

(١) فى م وهامش ا : «اكسر» .

حتّى آنتهى إلى قوله :

فبنو أمَيّة خيرُ مَنْ وَطِئ الحَصَى * شَرَفًا وأفضلُ ساسةٍ أمراؤها

فقال له : اخْرُجْ عنّي لا قرّب الله دارَك ! فخرج حتى قدِم المدينةَ، فألفى محمد بن عبد الله بن حسن قد خرج فبايعه .

أخذت حرمه وأمواله فمدح السفاح فأكرمه وردّ إليه ما أخذ منه

٥ أخبرني عمّي عن الكُرَانِيّ عن العُمَرِيّ عن العُتْبيّ عن أبيه قال :

كان أبو عَدِيّ الذى يقال له العَبْلِيّ مجفوًّا فى أيّام بنى مَرْوان وكان منقطعًا إلى بنى هاشم ، فلمّا أفضتِ الدولةُ اليهم لم يُبْقوا على أحدٍ من بنى أُميّة، وكان الأمرُ فى قتلهم جِدًّا إلّا مَنْ هرب وطار على وجهه . فخاف أبو عدىّ أن يقع به مكروه فى تلك الفَوْرة فتوارَى، وأخذ داود بن علىّ حُرَمَه وماله، فهرب حتّى أتى أبا العبّاس

١٠ السفّاح، فدخل عليه فى غُمَار النّاس متنكرًا وجلس حَجْرةً[1] حتى تَقَوّض[2] القوم وتفرّقوا، وبقى أبو العبّاس مع خاصّته . فوثب اليه أبو عَدِيّ فوقف بين يديه وقال :

أَلَا قُلْ للمَنازل بالسِّتَارِ[3] * سُقِيتِ الغَيْثَ من دِمَنٍ قِفَار

فهل لك بَعْدَنا عِلْمٌ بسَلْمَى * وأَتْرابٍ لها شِبهِ الصِّوار[4]

أوانِسُ لا عَوابِسُ جافياتٌ * عن الخُلُق الجميلِ ولا عَوارى

١٥ وفيهنّ آبنةُ القُصَوىِّ[5] سَلْمَى * كَهَمِّ النَّفْسِ مُفْعَمةُ الإزار

١٠٥ / ١٠

---

(١) حجرة : ناحية . (٢) كذا فى الأصول الخطية ؛ يقال : تقوض القوم إذا انقضوا وانصرفوا . وفى ب ، س : « انفض القوم » .

(٣) الستار : اسم لعدّة مواضع . (٤) الصوار (بالكسر و يضم) : القطيع من البقر .

(٥) كذا فى ج . والقصوىّ : نسبة الي قصيّ . وفى سائر الأصول : « سليمى »

٢٠ وهو تحريف .

تلوثُ خِمارَها بِأحمَّ جَعْدٍ * تُضِلُّ الفالياتُ به المَدارِى (١)

بَرَهْرَهةٌ مُنعَّمةٌ نَمَتْها * أبوّتُها إلى الحَسَبِ النُّضارِ (٢)

فدَعْ ذِكْرَ الشبابِ وعهدَ سَلْمى * فمالكَ منهما غيرُ ادِّكار

وأَهْدِ لهاشمٍ غُرَرَ القَوافِى * تَخَلُّها بعلمٍ واختيارِ (٣)

لَعَمْرُكَ إنَّنى ولُزومَ نَجْدٍ * ولا أَلْقَى حِباءَ بنى الخِيارِ (٤)

لَكَالْبادِى لأَبْرَدَ مُسْتَهِلٍّ * بحَوْباءٍ كبطن العَيْرِ عارِ (٥)

سأَرْحَلُ رِحلةً فيها اعْتِزامٌ * وجِدٌّ فى رَواحٍ وابْتِكارِ

إلى أهل الرسول غَدَتْ برَحْلِى * عُذافِرةٌ تَرامَى بالصَّحارِى (٦)

تَؤُمُّ المَعْشَرَ الأَبرارَ تبغى * فَكاكًا للنساء من الإسارِ

أيا أهلَ الرسولِ وصِيدَ فِهْرٍ * وخيرَ الواقفين على الجِمارِ (٧)

أَتُؤْخذ نِسْوتى ويُحازُ مالِى * وقد جاهرتُ لو أَغْنَى جِهارِى

---

(١) تلوث : تلف . والأحم : الأسود . والجعد من الشعر : خلاف السبط وهو ما فيه التواء وتقبض . والفاليات : من فلا الرأس يفلوه و يفليه . والمدارى : جمع مدرى . والمدرى والمدراة : شىء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد . و إضلال المدارى فى الشعر كناية عن كثرته .

(٢) البرهرهة : التارّة التى تكاد ترعد من الرطوبة ، أو هى البيضاء ، وقيل هى الرقيقة الجلد كأن الماء يجرى فيها من النعمة . والنضار هنا : الخالص الذى لم يشبه ما يدنسه .

(٣) تخلها : تخيرها . (٤) الحباء : العطاء .

(٥) البادى : الخارج الى البادية . والأبرد هنا : النمر . ومستهل هنا : رافع صوته . و بطن العير : المعروف أنه يقال للمكان الذى لا خير فيه جوف العير . والحوباء : النفس . وأحسب أن هذه الكلمة هنا محرّفة عما يدل على مكان مقفر . ولعلها « بموماة » .

(٦) العذافرة من الإبل : العظيمة الشديدة .

(٧) الصيد : جمع أصيد ، وهو هنا الذى يرفع رأسه كبرا . يريد سادات فهر وملوكها .

واذْعَرُ أن دُعِيتُ لعبد شمسٍ * وقد أمسكتُ بالحرم الصَّوارِي (١)

بنُصْرة هاشمٍ شَهَرتُ نفسى * بدارى للعِدَا وبغير دارى

بقُرْبَى هاشمٍ وبحقِّ صِهْرٍ * لأحمدَ لفَّه طِيبُ النِّجارِ

ومنزلُ هاشم من عبد شمسٍ * مكانَ الجِيدِ من عُلْيَا الفَقَارِ

٥ فقال له السفّاح : مَنْ أنت ؟ فآنتسب له . فقال له : حقٌّ لعَمْرِى أعرِفه قديما ومَوَدّةٌ لا أجحدها ، وكتب له الى داوُدَ بن علىٍّ بإطلاق مَنْ حبسه من أهله وردِّ أمواله عليه وإكرامه ، وأمر له بنفقة تُبَلِّغه المدينة .

وفد على عبد الله ابن حسن وأجازه هو وابناه وزوجه

أخبرنى أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانىّ قال حدّثنا يحيى بن الحسن العَلَوىّ عن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن قال حدّثنى أبى قال :

١٠ قال سعيد بن عُقْبة الجُهَنىّ : إنّى لعند عبد الله بن الحسن إذ أتاه آتٍ فقال له : هذا رجل يدعوك ، فخرجتُ فإذا أنا بأبى عَدِىّ الأموىّ الشاعر ، فقال : أَعْلِمْ أبا محمد . فخرج اليه عبد الله بن حسن وآبناه وقد ظهرت المُسَوِّدة وهم خائفون ، فأمر له عبد الله بن حسن بأربعمائة دينار وآبناه بينهما بأربعمائة دينار ، وهندُ بنت أبى عُبَيْدة أُمُّهما بمائتى دينار ، فخرج من عندهم بألف دينار .

استنشده عبد الله ابن حسن مما رثى به قومه ثم أكرمه هو وأهله

١٥ وأخبرنى حَرَمِىّ (٢) عن الزُّبَيْر ، وأخبرنى الأخفش عن المُبَرِّد عن المُغِيرة بن محمد المهلَّبىّ عن الزُّبَيْر عن سُلَيمان بن عَيّاش السعدىّ قال :

---

(١) كذا فى الأصول . فإن صح فلعل « الصوارى » جمع « صائرة » ، والأصل « الصوائر » فوقع فيه القلب ، كما يقال « الأوالى » فى « الأوائل » . والصوائر : العاطفة ؛ يقال صار فلان الشىء يصوره وأصاره إذا أماله . وفى حديث عمر وذكر العلماء فقال : تنعطف عليهم بالعلم قلوب لا تصورها الأرحام ، أى لا تميلها .

٢٠ (٢) فى ب ، سـ : «وأخبرنى أحمد بن محمد بن سعيد حرمى ... » ومثله فى حـ إلا أنه وضع فوقه علامة الشطب .

جاء عبد الله بن عمر بن عبد الله العَبْلِىّ[١] الى سُوَيْقَة[٢] وهو طريد بنى العبّاس ، وذلك بعَقِب أيّام بنى أُميّة وابتداء خروج مُلْكهم الى بنى العباس ، فقصده عبدالله والحسن ٱبنا الحسن بُسوَيْقة ، فٱستنشده عبد الله شيئا من شعره فأنشده . فقال له : أريد أن تُنْشِدَنى شيئا مما رثيت به قومَك ، فأنشده :

تقول أُمامةُ لمّا رأتْ[٣] * نُشُوزِى عن المَضْجَعِ الأنْفَسِ

وقِلّةَ نومى على مَضْجَعِى * لدى هَجْعة الأعْيُنِ النُّعَّسِ

أبِى ما عراكَ؟ فقلتُ الهمومُ * عَرَوْنَ[٤] أباكِ فلا تُبْلِسِى[٥]

عَرَوْنَ أباكِ فَحَبَّسْنَهُ * من الذُّلِّ فى شَرِّ ما مَحْبِسِ

لِفَقْدِ العشيرة إذ نالها * سِهامٌ من الحَدَثِ المُبْئِسِ[٦]

رَمَتْها المنونُ بلا نُصَّلٍ[٧] * ولا طائشاتٍ ولا نُكَّسِ[٨]

بأسْهُمِها الخالساتِ النُّفوسَ * متى ما ٱقتضتْ مُهْجةً تَخْلِسِ[٩]

فَصَرْعاهُمُ فى نواحى البِلا * دِ تُلْقَى بأرضٍ ولم تُرْمَسِ[١٠]

---

(١) فى الأصول : « العقيلى » وهو تحريف . (٢) سويقة هنا : موضع قرب المدينة كان يسكنه آل على بن طالب رضى الله عنه . (٣) تقدّم أكثر أبيات هذه القصيدة فى الجزء الرابع من هذه الطبعة (صفحة ٣٣٩ وما بعدها) مع اختلاف فى بعض الكلمات . (٤) فى الأصول هنا : « منعن » . والتصويب من الجزء الرابع . (٥) الإبلاس : اليأس والتحير ، والسكوت من الغم والحزن .

(٦) فى الأصلين المطبوعين تحريف فى هذا الشطر ، وفى الأصول المخطوطة تحريف ونقص . والتصويب من الجزء الرابع . (٧) كذا فى ج . والنصل : جمع ناصل . والناصل من السهام هنا : الذى سقط نصله ؛ والناصل أيضا : ذو النصل . وفى سائر الأصول : « بلا أنصل » . وفى الجزء الرابع : « بلا نكل » . (٨) الذى فى كتب اللغة أنه يقال سهم نكس (بكسر أوّله وسكون ثانيه) وهو الذى ينكس أو يكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله ، والجمع أنكاس . وغريب أن يكون « نكس » (بضم أوّله وتشديد ثانيه) وصفا للسهام . (٩) فى الأصول هنا : « تخنس » والتصويب من الجزء الرابع .

(١٠) لم ترمس : لم تدفن ؛ يقال : رمست الميت وأرمسته إذا دفنته .

كريمٌ أُصيب وأثوابُه * من العار والذّامِ لم تَدْنَسِ
وآخَرُ قد طار خوفَ الرَّدَى * وكان الهُمامَ فلم يُحْسَسِ [١]
فكم غادروا من بَوَاكِى العيو * نِ مَرْضَى ومن صِبْيَةٍ بُؤَّسِ
إذا ما ذكرنَهُمُ لم تَنَمْ [٢] * لحَرّ الهموم ولم تجْلِسِ
٥ يُرَجِّعْنَ مثلَ بُكاء الحَمَا * مِ فى مأتمٍ قَلِقِ المَجْلِسِ [٣]
فذاكِ الذى غالنى فاعْلَمِى * ولا تسأليني فَتَسْتَنْحِسِى [٤]
وأشياءُ قد ضِفْنَنى بالبلاد [٥] * ولستُ لهنّ بمُسْتَحْلِسِ
أفاض المَدامعَ قَتْلَى كُدًى * وقتلَى بكُثْوَةَ [٦] لم تُرْمَسِ
وقتلَى بوَجٍّ وباللَّابَتَيْـ * ـنِ من يَثْرِبٍ خيرُ ما أنْفُسِ
١٠ وبالزَّابِيَيْنِ [٧] نفوسٌ ثَوتْ * وقَتْلَى بنهر أبى فُطْرُسِ [٨]
أُولئك قومٌ تداعتْ بهم [٩] * نوائبُ من زمنٍ مُتْعِسِ

---

(١) رواية هذا البيت فى الجزء الرابع :

وآخر قد دس فى حفرة * وآخر قد طار لم يحسس

أى لم يشعر به لاختفائه .

١٥ (٢) فى الأصول : « اذا ما ذكرتهم » بالتاء . ويرجح أن يكون بالنون قوله « يرجعن » بعد هذا البيت . ومرجع الضمير « بواكى العيون » . ورواية هذا البيت فى الرابع :

إذا عنّ ذكرهم لم ينم * أبوك وأوحش فى المجلس

(٣) فى الأصول : «فلق المجلس» بالفاء . وقلق المجلس : اضطراب من فيه من الحزن .

(٤) يقال : استنحس فلان الأخبار ونحسها وتحسها إذا تندّسها وتجسسها ، واستنحس عنها :
٢٠ طلبها وتتبعها بالاستخبار . ورواية هذا الشطر فى الرابع :

* ولا تسألى بامرئ متعس *

(٥) ضفننى : نزلن بى . والمستحلس للشىء : الملازم له . (٦) فى الأصول هنا : «ببكة» . والتصويب من الجزء الرابع ومعجم البلدان (فى كثوة واللابتين) . وراجع الكلام على هذه المواضع والوقائع فى الجزء الرابع . (٧) فى الجزء الرابع ومعجم البلدان : «وأخرى» . (٨) فى الأصول
٢٥ هنا : «أبى قرطس» وهو تحريف . (٩) فى الرابع : * أولئك قومى أناخت بهم *

أذلتْ قِيادِى لمن رامنى * وألزقتِ الرَّغْمَ بالمَعْطِس(١)

فما أنسَ لا أنسَ قتلاهمُ * ولا عاش بعدهُم مَنْ نَسِى

قال : فلمّا أتى عليها بكى محمد بن عبد الله بن حسن . فقال له عمّه الحسنُ بن حسن ابن علىّ عليهم السلامُ : أتبكى على بنى أُمَيَّة وأنت تُريد ببنى العبّاس ما تريد !. فقال : والله يا عمِّ لقد كنّا نَقَمْنا على بنى أُمَيَّة ما نقمْنا ، فما بنو العبّاس إلّا أقلُّ خوفًا لله منهم ، و إنّ الحُجّةَ على بنى العبّاس لأوجبُ منها عليهم . ولقد كانت للقوم أخلاق ومَكارِمُ وفواضلُ ليست لأبى جعفر . فوثب حسن وقال : أعوذُ بالله من شرّك ، وبعث إلى أبى عَدِىّ بخمسين دينارًا ، وأمر له عبد الله بن حسن بمثلها ، وأمر له كلُّ واحد من محمد و إبراهيم ابنيه بخمسين خمسين ، و بعثتْ اليه أُمُّهما هندُ بخمسين دينارًا ، وكانت منفعتُه بها كثيرة . فقال أبو عَدِىٍّ فى ذلك :

أقام ثَوِيُّ(٢) بيتِ أبى عدىٍّ * بخير منازلِ الجيران جارا

تقوّض بيتُه وجلا(٣) طَرِيدًا * فصادفَ خيرَ دُورِ النّاسِ دارا

و إنّى إن نزلتُ بدار قومٍ * ذكرتُهُمُ ولم أذمُمْ جِوارا

فقالت هند لعبد الله وابنيها منه : أقسمتُ عليكم إلّا أعطيتموه خمسين دينارًا أُخرى فقد أشركنى معكم فى المدح ، فأعطوه خمسين دينارًا أخرى عن هند .

ولى الطائف لمحمد ابن عبد الله ابن حسن ثم فرّ الى اليمن وشعره فى ذلك

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق عن أبى أيُّوبَ المَدِينىّ قال ذكر محمد بن موسى مولى أبى عقيل قال :

(١) الرغم : التراب . والمعطس (كمجلس ومقعد) : الأنف .

(٢) الثوىّ : الضيف . (٣) « تقوّض بيته » ليست فى الأصول الخطية ، وكذا قوله : « و إنى إن نزلت بدار » من الشطر الأوّل فى البيت الثالث . وهو تصويب حسن ، نظن أن المصوّب رجع فيه الى أصل صحيح . جلا عن بلده : خرج .

قدِم أبو عَدِىٍّ العَبْلىُّ الطائفَ والِيًا من قِبَلِ محمد بن عبد الله بن حسن أيّام خروجه على أبى جعفر[1] ومعه أعرابٌ من مُزَيْنَةَ وجُهَيْنَةَ وأَسْلَمَ فأخذ الطائف وأتى محمدَ بن أبى بكر العُمَرىَّ حتى بايع، وكان مع أبى عَدِىّ أحدَ عشرَ رجلًا من ولد أبى بكر الصِّدِّيق، فقَدِمها بين أذان الصُّبْح والإقامة، فأقام بها ثلاثًا، ثم بلغه خروجُ الحسن بن معاوية من مكة[2]، فآستخلف على الطائف عبدَ الملك بن أبى زُهَيْر وخرج ليتلقَّ الحسن بالعَرْج، فركب [الحسنُ][3] البحرَ، ومضى أبو عدىٍّ هاربًا على وجهه الى اليمن. فذلك حين يقول:

هُيِّجْتَ للأَجْزاع حول عِرابِ[4] * وآعتاد قلبكَ عائد الأطرابِ

وذكرتَ عهدَ معَالِمٍ بلِوَى الثَّرَى[5] * هيهاتَ تلك معالمُ الأحبابِ

هيهات تلك معالمٌ من ذاهبٍ * أمسى بحَوْضَى أو بحَقْلِ قِبابِ[6]

قد حلَّ بين أَبارِقٍ[7] ما إنْ له * فيها مِن آخْوانٍ ولا أصحاب

شَطَّتْ نَوَاهُ عن الأليف وساقَه * لِقُرَى يَمَانيةٍ حِمَامُ كِتابِ[8]

يا أُختَ آل أبى عَدِىٍّ أَقْصِرى * وذَرِى الخِضَابَ فما أوانُ خضاب

أتَخَضَّبِينَ وقد تَخَرَّمَ غالبًا[9] * دهرٌ أضَرَّ بها حديدُ الناب

---

(١) فى الأصول: «عن أبى جعفر». (٢) ولى مكة لمحمد بن عبد الله بن حسن وغلب عليها عامل أبى جعفر المنصور. (راجع الطبرى فى حوادث سنة ١٤٥). (٣) التكملة عن أ، م.
(٤) كذا فى الأصول. ولم نجد «عرابا» فى المظان. وإنما الموجود «غراب» (بضم أوله) وهو جبل بناحية المدينة على طريق الشام، وموضع بالشام، وواد باليمامة، وجبل من جبال تهامة.
(٥) فى أ، م: «بلوى السرى». (٦) حوضى وحقل قباب: موضعان.
(٧) الأبارق: جمع أبرق، وهو غلظ فيه حجارة وطين ورمل مختلطة. (٨) شطت: بعدت. والنوى هنا: الوجه الذى تقصده أو القصد لبلد غير البلد الذى أنت فيه مقيم. وحمام كتاب: قدره وقضاؤه. (٩) ظاهر أنه يريد قبيلة.

والحربُ تَعْرُكُ غالبًا بجِرانها[(١)] * وتَعَضُّ وهى حديدةُ الأنيابِ

أم كيف تَفْسُكِ تَسْتَلِذُّ معيشةً * أو تَنْقَعِين لها ألَذَّ شرابِ

أنشد عبد الله بن حسن من شعره فبكى

وذكر العبّاس بن عيسى العُقَيْلىّ عن هارون بن موسى الفَرَوىّ عن سعيد بن عُقْبَة الجُهَنىّ قال : حضرتُ عبدَ الله بن عُمَر المكنىّ أبا عَدِىّ الأموىّ يُنْشِدُ عبد الله بن حسن قولَه :

أفاض المدامعَ قَتْلَى كُدًى * وقَتْلَى بكُثْوَةَ[(٢)] لم تُرْمَسِ

قال : فرأيت عبد الله بن حسن وإنّ دموعه لتجرى على خَدِّه .

قيل إن القصيدة السينية اشترك فيها آخران معه حين أتاهم قتل بنى أمية

وقد أخبرنى محمد بن مَزْيَد عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عدىّ عن أبى سعيد مولى فائد قال :

لمّا أتانا قتلُ عبد الله بن علىٍّ مَنْ قتل من بنى أُمَيَّة كنتُ أنا وفتًى من ولد عثمان وأبو عدىّ العبلىُّ مُتَوارِين فى موضع واحد ، فلَحِقنى من الجَزَع ما يلحق الرجلَ على عشيرته ، ولحق صاحبىَّ كما لحقنى ، فبكينا طويلًا ، ثم تناولنا هذه القصيدةَ بيننا ، فقال كلّ واحد منّا بعضَها غيرَ مُحَصِّلٍ [ما][(٣)] لكلّ واحدٍ منّا فيها ، قال : ثم أنشدَنيها ، فأخذتُها من فيه :

تقولُ أُمامةُ لمّا رأتْ * نُشوزى عن المضجع الأنْفَسِ

كان يكره ما يجرى عليه بنو أمية من سب علىّ وشعره فى ذلك

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا محمد بن زكريّا الغَلَابىّ عن ابن عائشة قال :

---

(١) عركتهم الحرب : دارت عليهم . والجران من البعير : مقدّم عنقه من مذبحه الى منحره ، وقد استعاره الشاعر هنا للحرب . (٢) فى الأصول هنا : « بمكة » . (راجع الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٩٩) . (٣) تكملة يقتضيها سياق الكلام .

كان أبو عدىّ الأموىّ الشاعر يكرَه ما يجرى عليه بنو أُميّة من ذكر علىّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه وسبِّه على المنابر، ويُظهر الإنكارَ لذلك، فشهِد عليه قومٌ من بنى أمية بمكة بذلك ونَهَوْه عنه، فانتقل الى المدينة وقال فى ذلك:

١٠٨/١٠

شَرَّدوا بى عند امتداحى عَلِيًّا * ورأوا ذاك فىَّ داءً دَوِيًّا

فوربِّى لا أبرحُ الدهرَ حتّى * تُخْتَلَى[1] مهجتى بحبِّى عَلِيّا

٥ وبَنِيهِ لحُبِّ أحمدَ إنّى * كنت أحببتهم بحبِّى النبيّا

حُبَّ دِينٍ لا حُبَّ دُنْيا وشَرُّ الـ * ـحبِّ حُبٌّ يكون دُنْياوِيّا

صاغنى الله فى الذُّؤابة منهم * لا زَنيمًا[2] ولا سَنِيدًا دَعِيّا

عَدَوِيًّا خالى صَريحًا وجَدّى * عبدُ شمس وهاشمٌ أَبَوَيّا

١٠ فسواءٌ علىَّ لستُ أُبالى * عَبْشَمِيًّا دُعِيتُ أم هَاشِمِيّا

دخل مع وفود قريش على هشام ابن عبد الملك ومدحه ففضل هشام بنى مخزوم فقال هو شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن العُتْبىّ عن أبيه قال: وفد أبو عدىّ الأموىّ إلى هشامِ بن عبد الملك وقد امتدحه بقصيدته التى يقول فيها:

عبدُ شمسٍ أبوك وهو أبونا * لا نُنَادِيكَ من مكانٍ بعيدِ

١٥ والقراباتُ بيننا واشجاتٌ * مُحْكَمَاتُ القُوَى بحَبْلٍ شديدِ

فأنشده إيّاها، وأقام ببابه مدّةً حتى حضر بابَه وفودُ قُرَيْشٍ فدخل فيهم، وأمر لهم بمال فضّل فيه بنى مخزوم أخوالَه، وأعطى أباعدىّ عطيّةً لم يرضَها، فانصرف وقال:

خَسَّ حَظّى أنْ كنتُ من عبدشمسٍ * ليتنى كنتُ من بنى مخزومِ

فأفوزَ الغداةَ فيهم بسَهْمٍ * وأبيعَ الأبَ الكريم بلُومِ

٢٠ (١) تختلى: تقطع. وأصل الاختلاء قطع الخلى وهو الرطب من الحشيش؛ يقال: خلى الخلى واختلاه اذا قطعه. يريد الشاعر أنه يموت وهو على حبهم. (٢) الزنيم: الدعىّ الملصق بالقوم وليس منهم. وكذلك السنيد.

غَنّى فى البيتين المذكورين فى هذا الخبر اللّذين أولهما :

* عبدُ شمس أبوك وهو أبونا *

ابن جامع ، ولحنُـه ثانى ثقيلٍ بإطلاق الوَتَر فى مجرى الوسطى عن إسحاق ، وأول هذه القصيدة التى قالها فى هشام :

ليلتى من كنودَ بالغَـوْرِ عُودِى * بصَفاء الهوى مِنُ آمّ أَسِـيدِ

ما سمعنا[1] ذاك الهــوى ونَسِينا * عهـدَه فارجعى به ثم زِيدِى

قد تولّى عصرُ الشباب فقيدًا * رُبَّ جارٍ يَبِين غيرَ فقيـد

خَلَقِ الثّوبُ من شَبابٍ ولِبْس[2] * وجديدُ الشّبابِ غيرُ جـديد

فأسْرِعنك[3] الهمومَ حين تداعتْ * بعَـلاةٍ مثـلِ الفَنِيقِ[4] وَخُـودِ

عَنْـتَرِيسٍ[5] تُـوفِى الزِّمامَ بفَعمٍ[6] * مثـلِ جِذْعِ الأشاءة المجـرود

وارْمِ جَـوْزَ[7] الفَـلا بها ثم سُمْها * عَجْـرَفِىَّ النَّـجاءِ بالتوخيـدِ

---

(١) كذا فى الأصول . ولعله : « ما سئمنا » أو ما فى معناه . (٢) اللبس (بالكسر) : ما يلبس . (٣) اسر عنـك الهموم : ألقها عنـك . يقـال : سروت الثـوب وغيره عنى سروا ، وسريتـه تسرية إذا ألقيته عنـك ونضوته . وتداعت هنا : تجمعت وأقبلت .

(٤) كذا فى حـ . وفى بعض الأصول : « العقيق » وفى بعضها : « العتيق » . وهما تحريف . والفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب . شبه ناقته بالفحل فى الضخامة والقوة . والعلاة هنا : الناقة المشرفة الصلبة . والوخود : كثيرة الوخد وهو السرعة فى السير ، وأن يرمى البعير بقوائمه كمشى النعام .

(٥) العنتريس من النوق : الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم الجواد الجريئة . (٦) فى الأصول : « بنعم » . ويريد بالفعم هنا العنق . والأشاءة : النخلة الصغيرة . والمجرود : المقشور .

(٧) جوز كل شىء : وسطه . والفلا : واحدته فلاة ، وهى القفر أو المفازة لا ماء فيها أو الصحراء الواسـعة . وسامه الشىء كلفـه إياه . والنجاء : السرعة . والعجرفة والعجرفية فى السير : السرعة . يريد : كلفها سيرا سريعا لا تقصد فيه لنشاطها . وفى الأصول : « عجرفى النجاد » . وهو تحريف . والتوخيد : حمل الدابة على الوخد وهو ضرب من السير سريع .

وهشامًا خليفة الله فاعمد * واصِرِ مَن مِرَّة القوى الجليد (١)
تلقه مُحكَم القوى أريحيًا (٢) * ذا قِرًى عاجلٍ وسَيْبٍ عتيد
مَلِكًا يشمل الرعيّة منه * بأيادٍ ليست بذات نُمود
أخضرُ الربع والجنابُ خصيبٌ * أفيحُ المستراد (٣) للمستريد
ذكرتْ ناقتى البِطاحَ فحنّت * حين أن وَرَّكتْ (٤) قبور ثمود ٥
قلتُ بعض الحنينِ يا ناقُ سيرى * نحو بَرقٍ دعا لغيثٍ عميد
فأغذّتْ فى السَّيْرِ (٥) حتى أتتكم * وهى قوداءُ فى سَوَاهِمَ قُود
قد براها السُّرَى إليك وسيرى * تحت حَرِّ الظَّهيرةِ الصَّيْخود (٦)
وطَوَى طائدَ العرائك (٧) منها * غَوْلُ بِيدٍ تجتابُها بعد بِيد
وأتتكم حُدْبَ الظُّهور وكانت * مُسْنَماتٍ مَمَرُّها (٨) بالكديد ١٠

(١) كذا فى الأصول . والمرة : قوة الخلق وشدته . (٢) الأريحى : الواسع الخلق المنبسط الى المعروف . والسيب : العطاء . والعتيد : الحاضر المهيأ . (٣) أفيح المستراد للمستريد : واسع المطلب للطالب . واخضرار الربع وخصب الجناب وفيح المستراد يراد به الكرم واتساع الجود .

(٤) كذا فى ح . يقال : ورّك الجبل (بتشديد الراء) إذا جاوزه مثل واركه . وفى سائر الأصول : «وردت» . وقبور ثمود : حيث كانت ديارهم بوادى القرى بين المدينة والشام، وقريتهم كانت تسمى الحجر . وديار ثمود تقع فى طريق الشاعر فى رحيله من الحجاز الى الشام . (٥) أغذت فى السير : أسرعت . والقوداء من الإبل : الطويلة العنق والظهر . والساهمة : الضامرة المتغيرة من السير . ١٥

(٦) الظهيرة الصيخود : الهاجرة الشديدة الحر . (٧) كذا فى ب، س . وفى الأصول الخطية : «صائد العرائك» . والطائد : الثابت . وهو غير واضح، وكذلك صائد العرائك . والعرائك : جمع عريكة وهى السنام أو بقيته . وغول البيد (بفتح الغين) : بعدها . والبيد : جمع بيداء وهى الفلاة . وتجتابها : تقطعها . ٢٠

(٨) الحدب : جمع حدباء وهى من الدواب : التى بدت حراقفها من الهزال . والحرقفة : عظم الحجبة أى رأس الورك . والمسنمات : التى أعظم الكلأ أسنمتها . يقال : سنم البعير يسنم سنما (وزان فرح) فهو سنم، وسنمه الكلأ (بتشديد النون) وأسنمه . وممرها هنا : ظرف . يريد أن الإبل وصلت الى القوم مهزولة وقد كانت سمينة حين مرت بالكديد . والكديد : موضع بالحجاز بين عسفان وأمج .

واطمأنَّتْ(١) أرضَ الرَّصافةِ بالخصْـ * ـبِ ولم تُلْقِ رَحْلَها بالصَّعيدِ
نزلتْ بآمرئٍ يرى الحمدَ غُنْماً * باذلٍ مُتْلِفٍ مُفيدٍ مُعيدِ
بذل العدلَ فى القِصَاص فأضحى * لا يخاف الضعيفُ ظُلْمَ الشديدِ
من بنى النَّضْرِ من ذُرَا مَنْبِتِ النَّضْـ * ـرِ بأوْرَى زَنْد وأكرمِ عودِ
فهو كالقَلْب فى الجوانح منها * واسِطُ سِرِّ جِذْمِها(٢) والعديد
بين مَرْوانَ والوليدِ فبَخْ بَخْ * للكريمِ المَجِيدِ غيرِ الزَّهيدِ
لو جرى الناسُ نحوَ غاية مجدٍ * لِرهانٍ فى المَحْفِلِ المشهودِ
لَعَلَاهُمْ بسابغينِ(٣) من المجـ * ـدِ على الناس طارفٍ وتليدِ
إنّكُمْ مَعْشَرٌ أبى اللهُ إلّا * أنْ تفوزوا بدرها(٤) المحشود
لم يرِ اللهُ مَعْشَرًا من بنى مَرْ(٥) * وانَ أوْلَى بالمُلْكِ والتسويد
قادةٌ سادةٌ ملوكٌ بِحَارٌ * وبهاليلُ للقُروم الصِّيدِ(٦)
أَرْيَحِيُّون ماجدون خِضَمُّو(٧) * نَ حُماةٌ عند آرْبِداد الجُلودِ
يقطَعون النهارَ بالرأى والحَزْ * مِ ويُحْيُون ليلَهم بالسُّجودِ

(١) يريد : نزلت أرض الرصافة مطمئنة بالخصب . فضمن «اطمأن» معنى «نزل» فعداه الى المفعول .

(٢) يقال : وسط فلان قومه وحسبه، ووسط فى قومه وحسبه، إذا حل فى المكان الأكرم منهم . والجذم (بالكسر ويفتح) : الأصل . وسر الجذم : صريحه وخالصه .

(٣) فى ح : «بسامعين» . وأحسب أن صوابه «بسامقين» . والسامق : العالى الطويل .

(٤) فى الأصول : «بدارها» وهو تحريف .

(٥) أى لم ير الله معشرا أولى من بنى مروان بالملك والتسويد .

(٦) البهاليل : جمع بهلول، وهو هنا : السيد الجامع لكل خير . والقروم : جمع قرم (بالفتح) وهو هنا السيد العظيم . والصيد : جمع أصيد، وهو الذى لا يلتفت من زهوه يمينا ولا شمالا . يصفهم بأنهم سادة منسوبون لسادة عظام .

(٧) الأريحى : الواسع الخلق المنبسط الى المعروف . والخضم : السيد الحمول المعطاء، وهذا الوصف خاص بالرجال (عن القاموس) . وار بداد الجلود : تغير لونها من الغضب والشدّة . والربدة : لون الى الغبرة .

أهلُ رِفْدٍ وسُؤْدُدٍ وحَياءٍ * ووَفاءٍ بالوعد والموعودِ
ويَرَوْنَ الجِوارَ من حُرَم اللّـ * ـهِ فما الجارُ فيهم بوحيدِ
لو بمجدٍ نال الخُلودَ قَبِيلٌ * آلَ مَرْوانَ فُزْتُمُ بالخُلودِ
يابنَ خيرِ الأخيارِ من عبدشمسٍ * يا إمامَ الوَرَى وربَّ الجنودِ
٥ عبدُ شمسٍ أبوك وهو أبونا * لا نُناديك من مكانٍ بعيدِ
ثم جدّى الأدْنَى وعمُّكَ شيْخى * وأبو شَيْخك الكريم الجُدودِ
فالقَراباتُ بيننا واشجاتٌ * مُحْكَماتُ القُوَى بحبلٍ شديد
فأثِبْنى ثوابَ مِثْلِكَ مِثْلِى * تَلْقَنى للثّواب غيرَ جَحُودِ
إنّ ذا الجَدِّ مَنْ حَبَوْتَ بوُدٍّ * ليس مَنْ لا تَوَدّ بالمجدودِ
١٠ وبِحَسْبِ امرئٍ من الخير يُرْجَى * كونُه عند ظِلّك الممدود

قصيدة له يندب فيها فرقة بنى أمية

وأمّا قصيدتُه التى أوّلُها :

* ما بالُ عَيْنِكَ جائلاً أقذاؤها *

وهى التى فيها الغناء المذكور ، فإنه قالها فى دولة بنى أُمّية عند اختلاف كلمتهم ووقوع الفتنة بينهم، يندُب بَيْنَهم[1]، وفيها يقول :

١٥ واعتادها ذِكْرُ العَشِيرة بالأَسَى * فصَباحُها نابٍ بها ومَساؤها
شَرِكُوا[2] العِدَا فى أمرهم فتفاقمتْ[3] * منها الفُتُونُ[4] وفُرِّقَتْ أهواؤها
ظَلَّتْ هناكَ وما يُعاتِبُ بعضُها * بعضًا فينفَعَ ذا الرّجاء رجاؤها
إلّا بمُرْهَفَةِ الظُّبَاتِ[5] كأنّها * شُهُبٌ تَقَلَّ إذا هوتْ أخطاؤها

110/10

(١) أى يندب فرقتهم . (٢) كذا فى ا ، م أى أشركوا العدا فى أمرهم . وفى سائر
٢٠ النسخ : « شرك » . (٣) تفاقمت : عظمت واشتدّت . (٤) كذا فى الأصول .
ونحسب أن صوابها « الفتوق » ؛ فان الفتنة ، وهى ما يقع بين الناس من الخلاف والقتال، لا تجمع
على « فتون » . (٥) مرهفة الظبات : السيوف .

وبعُسَّلٍ زُرْقٍ يكون خِضابُها * عَلَقَ النُّحور إذا تَفيضُ دماؤها (١)

فبذا كُمُ أمستْ تَعَاتَبُ بينها (٢) * فلقد خَشِيتُ بأن يُخَمَّ فَناؤها

ما ذا أؤمِّلُ إنْ أُمَيَّةُ وَدّعتْ * وبقاءُ سُكَّان البلادِ بقاؤها

أهلُ الرِّياسةِ والسِّياسةِ والنَّدى * وأُسُودُ حَرْبٍ لا يَخيمُ لِقاؤها (٣)

غيثُ البلادِ هُمُ وهُمْ أُمَراؤها * سُرُجٌ يُضِيءُ دُجَى الظَّلامِ ضِياؤها ٥

فلئِنْ أُمَيَّةُ وَدّعتْ وتَتَايعتْ (٤) * لِغَوايةٍ حَمِيتْ لها خُلَفاؤها

لَيُوَدِّعَنّ من البَرِيَّةِ عِزُّها * ومن البلادِ جَمالُها ورجاؤها

ومن البَلِيّةِ أنْ بَقِيتَ خِلافَهمْ * فَرْداً تَهِيجُك دُورُهم وخلاؤها

لَهْفِي على حرب العَشِيرةِ بينَها * هَلَّا نَهَى جُهّالَها حُلَماؤها

هَلَّا نُهَى تَنْهَى الغَوِيّ عن التى (٥) * يُخْشَى على سُلْطانها غَوْغاؤها ١٠

وتُقًى وأحلامٌ لها مُضَرِيَّةٌ * فيها إذا تَدْمَى الكُلومُ دواؤها (٦)

لمّا رأيتُ الحربَ تُوقَدُ بينَها * ويَشُبُّ نارَ وَقودها إذكاؤها (٧)

نوهتُ بالمَلِكِ المُهَيمِنِ دعوةً * ورَواحُ (٨) نفسى فى البَلاءِ دُعاؤها

---

(١) العسل : الرماح ، وعسلان الرمح : شدّة اهتزازه . والزرقة فى النصال : شدّة صفائها . وصف الشاعر الرماح بالزرقة وهى وصف نصالها . (٢) فى الأصول : «تعاقب» وهو تحريف . ١٥ ويخم : يقضى . (٣) خام : نكص وجبن وضعف . يريد أنهم أسود حرب لا تجبن عند اللقاء .

(٤) فى الأصول : «تتابعت» بالباء الموحدة . والتتايع : التهافت والإسراع الى الشىء . ولا يكون التتايع إلا فى الشر . (٥) كذا ورد هذا الشطر فى ب ، س . وورد فى الأصول الخطية ناقصا هكذا : « ها الغوى عن التى » . وكلمة « ها » ليست فى ح . (٦) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : « دماؤها » وهو تحريف . (٧) كذا فى الأصول الخطية . وإذكاء النار وتذكيتها : إيقادها . ٢٠ وفى ب ، س : «وتشب نار وقودها وذكاؤها» . (٨) الرواح هنا — ومثله الراحة والراح — : الارتياح والاستراحة ، وهو وجدانك روحا وخفة بعد مشقة .

لِيَرُدَّ أُلْفَتَها ويجمعَ أمْرَها * بخيارها خيارُها رُحَماؤها

فأجاب ربِّى فى أُمَيَّةَ دَعْوتِى * وحَمَى أُمَيَّةَ أنْ يُهَدَّ بِناؤها

وحَبَا أُمَيَّةَ بالخلافةِ إنّهم (١) * نُورُ البلادِ وزَيْنُها وبَهاؤها

فبنو أُمَيّةَ خيرُ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى * شَرَفًا وأفضلُ ساسةٍ أُمَراؤها

٥ وهى قصيدةٌ طويلة ٱقتصرتُ منها على ما ذكرتُه .

***

صــــوت

مَهْـلًا ذَرِينى فإنِّى غَالَنى خُلُقى * وقد أَرَى فى بلاد الله مُتَّسَعَا

ما عَضَّنى الدَّهرُ إلّا زادنى كَرَمًا * ولا ٱستكنتُ له إنْ خانَ أوخَدَعَا

١٠ الشعر لأبى جِلْدَةَ (٢) اليَشْكُرِىّ من قصيدةٍ يمدح بها مِسْمَعَ بن مالِكِ بن مِسْمَعٍ ، والغناء لعَلُّوَيَهْ رملٌ بالوسطى عن عمرو .

(١) لم يرد هذا البيت إلا فى ا ، م .

(٢) فى الأصول : « لأبى كلدة » . وراجع الحاشية الأولى من الصفحة التالية .

أخبار أبى جِلْدَةَ ونسبه[1]

نسب أبى جلدة

أبو جِلْدَةَ بن عُبَيْد بن مُنْقِذ بن حُجْرِ بن عُبَيْد الله بن مَسْلَمَةَ بن حُبَيِّب بن عَدِىّ ابن جُشَمَ بن غَنْمِ بن حُبَيِّبِ بن كَعْب بن يَشْكُرَ بن بَكْرِبن وائِلٍ ، شاعرٌ إسلامىٌّ ، من شُعَراء الدَّوْلَة الأُمَوِيّة ، ومن ساكنى الكُوفة . وكان ممن خرَج مع ٱبن الأشْعَث فقتله الحجّاج .

كان من أخص الناس بالحجاج ثم صار من أشدّهم تحريضا عليه حين خرج مع ابن الأشعث وقتل

أخبرنى بخبره فى جُملة ديوان شعره محمدُ بن العبّاس اليزيدىّ وقرأتُه عليه قال حدّثنى عمّى عبدُ الله قال حدّثنى محمدُ بن حَبِيبَ ، وأخبرنى به علىّ بن سُليمان الأخفش أيضا عن الحسن بن الحسن اليشكرىّ عن ٱبن الأعرابىّ قال :

كان أبو جِلْدَةَ اليَشْكُرِىُّ من أخصّ النّاس بالحَجّاج، حتى إنه بعثه و بعث معه عبدَ الله بن شَدّاد بن الهادِى الليثىّ الى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عليه السلامُ، نخطَب الحجّاج منه ابنتَه أُمّ كُلْثوم . ثم خرَج بعد ذلك مع ٱبن الأشعث ، وكان من أشَدِّ الناس تحريضًا على الحجاج . فلمّا أُتِىَ الحجّاجُ برأسه ووُضع بين يديه مكث ينظر اليه طويلًا ثم قال: كم من سِرٍّ أودعتُه فى هذا الرأس[2] فلم يخرُج حتى أُتِيتُ به

(١) فى الأصول : « أبى كلدة » وكذلك ورد فى كل المواضع من هذه الترجمة . والتصويب من كتاب المؤتلف والمختلف لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدىّ (صفحة ٧٨ طبعة مكتبة القدسى بالقاهرة) وشرح القاموس (مادة جلد) وتاريخ الطبرى (القسم الثانى صفحة ١١٠٢) ولسان العرب (فى مادة حور) وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . على أنه يحتمل أن تكون فى هذا الاسم لهجة أخرى تجعل الحرف الأوّل منه مثل الجيم القاهرية والقاف لدى أهل صعيد مصر، فكان رسمها بالكاف فى الأصول إشارة الى هذه اللهجة . (٢) كذا فى الأصول . والمعروف أنه يقال : أودعت كذا كذا . فلعل حرف الجر من زيادات النساخ .

مقطوعا . فلمّا كان يومُ الزّاوية[1] خرج أبو جلدةَ بين الصَّفَّيْنِ ، ثم أقبل على أهل الكوفة فأنشدهم قصيدتَه التى يقول فيها :

فقُلْ للحَوارِيّات[2] يبكين غيرَنا * ولا تَبْكِنا إلّا الكِلابُ النوابحُ

بَكَيْنَ إلينا خَشْيةً أن تُبِيحَها * رِماحُ النَّصارَى[3] والسيوفُ الجوارح

بكينَ لكيما يمنعوهنّ منهمُ * وتأبَى قلوبٌ أضمرتْها الجوانح

ونادَيْننا : أينَ الفِرارُ وكنتمُ * تَغارُونَ أن تبدُو البُرى[4] والوشائحُ

أأسلمتمونا للعَدُوِّ على القَنا * إذا انْتُزِعتْ منها القُرونُ النواطحُ

فما غار منكم غائرٌ لحليلةٍ * ولا عَزَبٌ عَزّتْ عليه المَناكِحُ

قال : فلمّا أنشدهم هذه الأبياتَ أَنِفوا وثاروا فشَدُّوا شَدّةً تضعضعَ لهم عسكرُ الحجّاج ، وثبت لهم الحجّاجُ وصاح بأهل الشأم فتراجعوا وثبتوا ، فكانت الدائرةُ له ، فجعل يقتل الناسَ بَقِيّةَ يومه ، حتى صاح به رجلٌ : والله ياحجّاج لئن كنّا قد أسأنا فى الذنب لَمَا أحسنتَ فى العفو ، ولقد خالفتَ اللهَ فينا وما أطعتَه . فقال له : وكيف ويلَك؟ قال : لأنّ الله تعالى يقول ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ

(١) فى الأصول : « الراوية » بالراء المهملة وهو تصحيف . والزاوية : موضع قرب البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قتل فيها خلق كثير من الفريقين وذلك فى سنة ثلاث وثمانين للهجرة . (٢) فى الأصول : «للجويريات» . والتصويب من كتاب المؤتلف والمختلف ولسان العرب (فى مادة حور) . والحواريات نساء الأمصار ، سمين بذلك لبياضهن وتباعدهن عن قشف الأعراب بنظافتهن . الواحدة حوارية . ويروى : « فقل لنساء المصر » كما فى كتاب المؤتلف والمختلف . (٣) فى اللسان : «جعل أهل الشأم نصارى لأنها تلى الروم وهى بلادها» . (٤) البرى هنا : الخلاخيل ، واحدها برة . والوشائح : جمع لوشاح (بضم أوله وكسره) . وهو أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها . ويجمع الوشاح أيضا على وشح (بضمتين) وأوشحة .

حَتَّى إذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ(١) فَشُدُّوا الوَثَاقَ فإمَّا منًّا بَعْدُ وإمَّا فِداءً حَتّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزارَها﴾ وقد قتلتَ فأثخنتَ حتى تجاوزت الحدّ، فَأْسِرْ ولا تقتُلْ، ثم قال: أَوَآمَنُ. فقال: أَوْلَى لك(٢)! ألَا كان هذا الكلامُ منك قبل هذا الوقت! ثم نادى برفع السيف وأمَّنَ الناسَ جميعا. قال ابن حبيب قال ابن الاعرابىّ: فبلغنى أنّ الحجّاج قال يوماً لجلسائه ما حرَّض علىّ أحدٌ كما حرَّض أبو جلدةَ؛ فإنه نزل على سَرْحةٍ(٣) فى وَسَط عسكرٍ لابن الأشعث ثم نزع سَرَاوِيلَه فوضعه وسلَح فوقه والناسُ ينظرون اليه. فقالوا له: مالكَ ويلك أجُنِنْتَ! ما هذا الفعل! قال: كلُّكم قد فعلتم مثلَ هـذا إلّا أنكم سترتموه وأظهرتُه. فشتموه وحملوا علىّ، فما أنساهم وهو يَقْدُمهم ويرتجز:

نحن جَلَبْنا الخيلَ من زَرَنْجا(٤) * مالكَ ياحجّاجُ مِنّا مَنْجَى
لَتُبعَجَنَّ(٥) بالسيوفِ بَعْجا * أو لَتَفِرَّنَّ(٦) فذاك أَحْجَى

فوالله لقد كاد أهلُ الشام يومئذ يتضعضعون لولا أنّ الله تعالى أيّد بنصره.

قال وقال أبو جِلْدةَ يومئذ:

أيَا لَهْفِى ويا حُزْنِى جميعًا * ويا غَمَّ(٧) الفُؤادِ لِمَا لَقِينا
تركْنا الدِّينَ والدُّنيا جميعاً * وخَلَّيْنا(٨) الحلائلَ والبَنِينا

(١) أثختموهم: غلبتموهم وكثرت فيهم الجراح. (٢) أولى لك: دعاء عليه بمعنى ويل لك.
(٣) السرحة: الشجرة العظيمة.
(٤) زرنج: قصبة سجستان. (٥) فى الأصول: «لنبعجن» بالنون. وقد أثبتناه كما ترى ليكون خطابا للحجاج. والبعج: الشق.
(٦) فى ب، س: «أو لنفرقن بذاك». وفى جـ: أو لتفرن بذاك» ويقرأ «أو لنقرن بذاك» بالنون والقاف. وفى أ، م: «أو لنغرن بذاك» بالنون والغين. وقد أثبتناه كما ترى لأن له معنى يلائم السياق. وأحجى: أجدر وأخلق. (٧) فى الطبرى: «وياحرّ الفؤاد».
(٨) فى الطبرى: «وأسلمنا».

فما كُنّا أناساً أهلَ دينٍ * فنصبِرَ للبلاء إذا بُلِينا[(١)]

ولا كُنّا أناساً أهلَ دُنْيا * فنمنَعَها وإن لم نرجُ دِينا

تركنا دُورَنا لطَغامِ عَكٍّ[(٢)] * وأنْباطِ القُرَى[(٣)] والأشْعَرِينا[(٤)]

ذم من القعقاع ابن سويد بعض ما عامله به فقال فيه شعرا

قال ابن حبيبَ : وكان أبو جِلْدَةَ مع القَعْقاع بن سُوَيْد المِنْقَرى بِسِجِسْتانَ ،

٥ فذمّ منه بعضَ ما عامَله به ، فقال فيه :

ستَعلَمُ أنّ رأيك رأىُ سَوْءٍ * إذا ظِلُّ الإمارة عنك زالا

وراح بنو أبيكَ ولستَ فيهم * بذى ذِكْرٍ[(٥)] يزيدُهم جَمالا

هناك تذكَّرُ الأسلافَ منهم * إذا اللّيلُ القصيرُ عليك طالا[(٦)]

فقال له القَعْقاعُ : ومَتَى يطول علىَّ الليـلُ القصير ؟ قال : إذا نظـرتَ إلى السماء

١٠ مُرَبَّعةً . فلمّا عُزِل وحُبِس أخرج رأسَه ليلةً فنظَر[(٧)]، فإذا هو لا يرى السماء إلا بقدْر

تربيع السِّجْن ، فقال : هذا والله الذى حذّرنيه أبو جلدة .

مدح مسمع بن مالك حين ولى سجستان ورثاه حين توفى

قال : ووَلِىَ مِسْمَعُ بن مالك سِجِسْتانَ ، وكان مُكْثُ أبى جلدةَ بها ، فخرج اليه

فتلقّاه ومدحه بقصيدته التى أوّلها :

بانتْ سُعادُ وأمسى حَبلُها انْقَطَعا * وليتَ وَصْلاً لها من حَبْلِها رَجَعا

١٥ شَطَّتْ بها غُرْبةٌ زَوْراءُ[(٨)] نازحةٌ * فطارتِ النَّفْسُ من وَجْدٍ بها قِطَعا

---

(١) فى الطبرى : « فى البلاء إذا ابتلينا » . (٢) عك : قبيلة . وطغامها : أوغادها .

(٣) فى الأصول : « وأنماط القرى » . والتصويب من الطبرى . والأنباط — ومثله النبط والنبيط — : جيل من الناس كانوا بالبطائح بين العراقين . (٤) الأشعرون : جمع أشعرى (نسبة الى الأشعر وهو أبو قبيلة باليمن) . وحذفت ياء النسب فى الجمع تخفيفا . (٥) فى حـ : « بذى

٢٠ ذخر » . (٦) كذا فى ا ، م . وفى سائر الأصول : « فيهم » . (٧) فى ا ، م : « ينظر » . (٨) شطت : بعدت . وغربة زوراء : بعيدة . ونازحة : بعيدة .

ما قرّتِ العينُ إذ زالتْ[١] فينفعها * طعمُ الرُّقاد إذا ما هاجعٌ هجعا
منعتُ نفسىَ من رَوْحٍ تعيش به * وقد أكونُ صحيحَ الصدْرِ فأنصدعا
غدتْ تلُوم على ما فاتَ عاذلتى * وقبلَ لَوْمِكِ ما أغنيتِ مَنْ مَنَعا
مَهْلًا ذَرِينى فإنّى غالنى[٢] خُلُقِى * وقد أرى فى بلاد الله مُتَّسَعا
نَخْرِى[٣] تليدٌ وما أنفقتُ أَخْلَفَه * سيبُ الإله وخيرُ المال ما نفعا ٥
ما عضّنى الدهرُ إلّا زادنى كَرَماً * ولا آستكنتُ له إنْ خان أوخدعا
ولا تَلِينُ على العِلّاتِ[٤] مَعْجَمتِى[٥] * فى النائبات إذا ما مسّنى طَبَعا[٦]
ولا تُلَيِّنُ من عُودِى غمائزُه[٧] * إذا المُغَمَّزُ منها لانَ أو خضعا
ولا أُخاتِلُ ربَّ البيتِ غَفْلَتَه * ولا أقول لشىءٍ فاتَ ما صنعا
إنّى لأمدح أقواماً ذوى حَسَبٍ * لم يجعلِ اللهُ فى أفواهم قَذَعا[٨] ١٠
الطيِّبين على العِلّات مَعْجَمةً * لو يُعْصَرُ المِسْكُ من أطرافهم نبعا
بنى شِهابٍ بها أَعْنِى وإنّهمُ * لأكرمُ النّاسِ أخلاقاً ومُصْطَنَعا

---

(١) فى الأصول : « اذ زلت » . وزالت : فارقت . (٢) غالنى هنا : حبسنى ؛ يقال : ماغالك عنا ؟ أى ماحبسك عنا . (٣) يحتمل أن يكون « مجدى » .

(٤) على العلات أى على أى حال من يسر أو عسر، وشدّة أو رخاء . (٥) المعجمة : ١٥ القوة والصلابة ؛ يقال : فلان صلب المعجم والمعجمة إذا كان عزيز النفس إذا جرسته وجدته عزيزا صلبا .

(٦) يريد : «إذا ما مسّنى» ، ومرجع الضمير النائبات ، فاضطر، أو إذا ما مسنى شىء منها . والطبع : هنا الضعف والخور . وأصله الوسخ والدنس يغشيان السيف ، ثم استعير فيما يشبه ذلك من الأوزار والآثام وغيرهما من المقابح . (٧) ظاهر أن الغائز هنا جمع غميزة اسم من الغمز بمعنى العصر والتليين . ولم نجد الغمائز بهذا المعنى فيما بين أيدينا من المظان ، وإنما الغميزة العيب ؛ يقال : ليس ٢٠ فى فلان غميزة ولا غميز ولا مغمز ، أى ليس فيه ما يغمز فيعاب به . ويحتمل أن يكون صوابه «مغامزه» جمع « مغمز » بمعنى العصر باليد والتليين . (٨) القذع (بالتحريك) : الفحش من الكلام الذى يقبح ذكره .

قال : فوصله مِسْمَعُ بن مالك وحمله وكساه وولّاه ناشيتكين وكان مكتبه (١) (٢) .

قال : ثم تُوُفّى مِسْمَعُ بن مالك بسجستان، فقال أبو جِلْدة يرثيه :

١١٣
١٠

أقول للنفس تأساءً وتعزية * قد كان من مِسْمَعٍ فى مالكٍ خَلَفُ (٣)

يا مِسْمَعَ الخيرِ مَنْ ندعو إذا نزلتْ * إحدى النوائب بالأقوامِ واختلفوا

٥ يا مِسْمَعًا لِعِراقٍ لا زعيم لها * بمن تُرى يؤمن المُسْتشرِفُ النَّطِفُ (٤)

تلك العيونُ بحيث المصر سادمة * تبكيك إذ غالك الأكفانُ والجُرُفُ (٥)

قد وسّدوك يمينا غير موسدة * و بذل جود لما أودى بك التلف

كنتَ الشِّهابَ الذى يُرْمَى العَدُوّ به * والبَحْرَ منه سِجالُ الجُود تغترفُ

كان ينادم شقيق ابن سليط واستثقل أخاه ثعلبة فهجاه

قال ابن حَبيبَ عن ابن الأعرابى قال :

١٠ كان أبو جِلْدة يُنادم شَقِيق بن سَلِيط بن بُدَيْل السَّدوسى أخا بِسْطام بن سَلِيط، وكان لهما أخٌ يقال له ثَعْلبةُ بن سَلِيط، وكان ثقيلًا بخيلًا مُبغَّضًا، وكان يُطَفِّل عليهم ويُؤذيهم . فقال فيه أبو جِلْدة :

أُحِبُّ على لَذاذتنا شَقِيقًا * وأُبْغِضُ مثلَ ثعلبةَ الثَّقيل (٦)

له غَمٌّ على الجُلَساءِ مُؤذٍ * نَوافِلُه إذا شربوا قليلُ

---

١٥ (١) كذا فى أ، م . وفى ب، س : « ناشتكين » بدون ياء . وفى حـ : « ناشئة كنن » ولم نهتد إلى وجه الصواب فيه . (٢) كذا فى الأصول . ولعل صوابه : « وكان بها مكثه » كما تقدّم نظيره فى أول هذا الخبر . (٣) أحسب أن صوابه :

* قد كان فى مسمع من مالك خلف *

(٤) المستشرف : الظالم . يقال : استشرفه حقه إذا ظلمه . والنطف : المريب . وفى الأصول :
٢٠ « يأمن » ببناء الفعل للفاعل، وهو لا يستقيم به الكلام . (٥) فى هذا البيت والذى بعده كلمات غير واضحة، وأحسب أن فيهما تحريفا، بل كلمات البيت الثانى غير ملتئمة مما يدل على أن فى الشعر نقصا . (٦) فى هذا الشعر إقواء .

فـرّق مسمع مالا فى عشيرته وجفا سائر بكر فقال هو شـعرا فأكرمه وأرضاه

قال ابن حبيبَ عن ٱبن الأعرابى :

وفرّق مِسْمَعُ بن مالك فى عشيرته بنى قيس بن ثَعْلبة عطايا كثيرةً وقرّبهم وجفا سائرَ بطون بكر بن وائلٍ . فقال أبو جِلدة :

إذا نِلْتَ مالًا قلتَ قيسُ عَشيرَتِى * تجـورُ علينا عامدًا فى قضائكا
وإنْ كانتِ الأُخْرى فبكرُ بن وائلٍ * بزَعْمِـكَ يُخْشَى داؤها بـدوائكا[1]
هُنـالكَ لا نَمْشِى الضَّراءَ[2] إليـكمُ * بَنِى مِسْـمَعٍ إنّا هنـاك أولئـكا
عسى دولةُ[3] الذُّهْلَيْنِ يومًا ويَشْكُرٍ * تكُرُّ علينـا سَـبْغةً[4] من عطـائكا

قال : فبعث إليه مِسْمَعٌ فترضّاه ووصَله وفرّق فى سائر بطون بكر بن وائل على جِذْمَيْن ، جذْمٍ يقال له الذُّهْلانِ ، وجِذْمٍ يقال له اللَّهَازم . فالذُّهلانِ : بنو شَيْبانَ بن ثَعْلبة بن يَشْكُرَ بن وائلٍ ، وبنو ضُبَيْعَةَ بن رَبيعـةَ[5] . واللّهازِم : قيسُ بن ثَعْلبة ، وتَيْمُ اللّاتِ بن ثَعْلبة ، وعِجْلُ[6] بن لُجَيْم ، وعنَزةُ[7] بن أَسَد بن رَبيعة . قال الفرزدق :

وأرضَى بحُـكْمِ الحَىِّ بكرِ بن وائلٍ * إذا كان فى الذُّهْلَيْنِ أو فى اللَّهازِمِ

(١) كذا فى الأصول . (٢) الضراء : الشجر الملتف ، ويراد به أيضا الاستخفاء والمكر والخديعة ؛ يقال : فلان يمشى الضراء إذا مشى فيما يواريه عمن يكيده ويختله ، ويقال منه استضريت للصيد إذا ختلته من حيث لا يعلم . يقول الشاعر : هنالك نجاهركم ولا نخاتلكم يا بنى مسمع ، وسنكون هناك ظاهرين يشار إلينا . (٣) الدولة (بالفتح) العقبة فى الحرب ؛ يقال : كانت لنا عليهم الدولة ، والدولة (بالضم) فى المال ؛ يقال : صار الفئ دولة بينهم يتداولونه : مرة لهذا ومرة لهذا ، وقيل : هى فى الحرب وفى المال بالفتح وبالضم . (٤) فى أكثر الأصول : « صبغة » . وفى ح : « سعة » بغير إعجام . والسبغة فى العيش : السعة فيه . (٥) فى النقائض (صفحة ٧٦٤) : « قال الذهلان شيبان بن ثعلبة وذهل بن ثعلبة ، قال واليهم تحلفت الذهلان . قال وبهم سموا ، وهم شيبان وذهل ويشكر وضبيعة بن ربيعة هـذه الأربع القبائل الذهلان » . وفى اللسان مادة ذهل : « وذهل هى من بكر وهما ذهلان كلاهما من ربيعة أحدهما ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة والآخر ذهل ابن ثعلبة بن عكابة » . (٦) فى الأصول : « وتيم اللات بن ثعلبة بن عجل بن لجيم » والتصويب من النقائض . (٧) فى بعض الأصول : « عنترة » وهو تحريف .

قال : وقد دخل بنو قيس بن عُكَابَةَ مع إخوتهم بنى قيس بن ثَعْلبة بن عُكَابة .
وأمّا حَنِيفةُ فلم تدخُلْ فى شىء من هذا لِانقطاعهم عن قومهم باليَمَامة فى وَسَط
دار مُضَر ، وكانوا لاينصرون بَكْرًا ولا يستنصرونهم . فلمّا جاء الإسلامُ ونزل[1]
النَّاسُ مع بنى حَنِيفةَ ومع بنى عِجْلِ بن لُجَيْم فَتَلَهْزَمُوا[1] ودخل معهم حلفاؤهم بنو مازِنِ
٥ ابن جُدَىٍّ بن مالك بن صعبِ[2] بن علىٍّ ، فصاروا جميعا فى اللهازم . وقال موسى بن
جابر الحنفىّ السُّحَيْمىُّ بعد ذلك فى الإسلام :

وجدنا أبانا كان حلّ ببَلْدةٍ * سُوًى[3] بين قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلانَ والفِزْرِ
فلمّا نأَتْ عنّا العشيرةُ كلُّها * أقمْنا وحالَفْنا السيوفَ على الدهر
فما أسلمتْنا بَعْدُ فى يومِ وَقْعةٍ * ولا نحن أغْمَدْنا السيوفَ على وِتْرِ

١٠ وقال ابن حبيبَ عن ابن الأعرابىِّ قال :

كان جاره سيف يشرب و يعربد عليه فهجاه

كان لأبى جِلْدَةَ بسجستان جارٌ يقال له سَيْفٌ من بنى سَعْد ، وكان يشرَب
الخمرَ ويعربِدُ على أبى جلدة ، فقال يهجوه :

قُلْ لذَوِى سَيْفٍ وسَيْفٍ أَلَسْتُمُ * أقَلَّ بنى سعدٍ حَصادًا ومَزْرَعَا
كأنّكُمُ جِعْلانُ دارِ مُقامةٍ[4] * على عَذِرَاتِ[5] الحىِّ أصبحنَ وُقَّعَا
١٥ لقد نال سيفٌ فى سِجِسْتانَ نُهْزَةً * تطاوَلَ منها فوق ما كان إصْبعا
أصابَ الزِّنَا والخمرَ حتّى لقد نَمَتْ * له سُرَّةٌ تُسْقَى الشَّرابَ المُشَعْشَعا[6]

١١٤ / ١٠

---

(١) يحتمل أن يكون جواب «لما» «ونزل الناس» أو «ودخل بعضهم» بزيادة الواو. والواو قد تزاد فى جواب «لما» .
(٢) فى الأصول : «مصعب» . والتصويب من كتب الأنساب.
(٣) يقال : مكان سوى (بضم السين وكسرها) وسواء (بالفتح والمد) إذا كان وسطا فيما بين الفريقين .
٢٠ (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «دار مضامة» وهو تحريف .
(٥) العذرة (بفتح فكسر) : الغائط .
(٦) الشراب المشعشع : الممزوج بالماء .

فلولا هَوانُ الخمرِ ما ذُقتَ طَعْمَها * ولا سُقْتَ إبريقًا بكَفِّك مُتْرَعا[١]

كما لم يَذُقْها أنْ تكونَ عزيزةً * أبوك ولم يُعْرَضْ عليها فيَطْمَعا

وكان مكانَ الكلبِ أو مِنْ ورائه * إذا ما المُغَنِّى لِلَّذاذةِ أسْمَعا

خبره مع القعقاع حين أرجف به فتهدّده بالعزل

قال ابن حبيبَ : وكان أبو جِلْدَةَ قدِ آستعمله القَعْقاعُ بن سُوَيْد حين تولّى سِجِسْتانَ على بُسْتَ والرُّخَّج[٢]، فأرجف النـاسُ بالقعقاع وأرجف به أبو جلدة معهم، وكتب القعقاع اليه يتهدّده ؛ فكتب إليه أبو جِلْدَةَ :

يُهَـدِّدنى القعقاعُ فى غير كُنْهِهِ * فقلتُ له بَكْرٌ اذا رُمْتَنى تُرْسِى

كأنّا وإيّاكُمْ إذَا الحـربُ بيننا * أُسودٌ عليها الزَّعفرانُ مع الوَرْسِ[٣]

تُرَى كمصابيح الدَّيَاجِى وُجُوهنا * إذا ما لَقِينَا والهِـرَقْلِيَّةِ[٤] المُلْسِ

هناك السُّعودُ السانحاتُ جَرَتْ لنا * وتجرِى لكم طيرُ البوارحِ بالنَّحْسِ

وما أنتَ ياقَعْقَاعُ إلّا كمَنْ مضَى * كأنكَ يومًا قد نُقِلتَ الى الرَّمْسِ

أظُنّ بِغالَ الـبُرْدِ تَسْرِى إليكمُ * به غَطَفَانيًّا وإلّا فَمِنْ عَبْسِ

وإلّا فبالبسّالِ يالَكَ[٥] إنْ سَرَتْ * به غيرَ مَغْموزِ القَناةِ ولا نِكْسِ[٦]

فعُمّالُنـا أوْفَى وخـيرُ بَقِيّـةً * وعُمّالُكم أهلُ الخِيانةِ واللَّبْسِ

وما لبنى عَمْـرٍو علىّ هَـوادةٌ * ولا لِلرَّبابِ غيرُ تَعْسٍ من التَّعْسِ

---

(١) ورد هذا البيت والذى بعده فى تكملة شعر الأخطل للأب أنطون صالحانى اليسوعى ، وفيه :

* ولا سفت إبريقا بأنفك مترعا *

والسوف : الشم . (٢) بست (بالضم) : مدينة بين سجستان وغزنين وهراة من نواحى كابل . والرخج : كورة ومدينة من نواحى كابل . (٣) الزعفران : صبغ أصفر . والورس : نبت أصفر يكون باليمن تصبغ به الثياب . (٤) دياجى الليل : حنادسه (ظلماته) كأنه جمع ديجاة . والهرقلية : الدنانير ، نسبة إلى هرقل ملك الروم . (٥) كذا فى ب ، س . وفى أ ، م : «وإلا فيا لستال» . وفى حـ : هكذا : « وإلا بنا لتسال » . ولم نهتد إلى وجه الصواب فيه . (٦) غمز القناة : عصرها وتليينها . وإباء القناة أن تلين للغامز يراد به القوة وعدم الانقياد . والنكس : الضعيف .

قال : فلمّا ٱنتهت هذه القصيدةُ إلى القَعْقاعِ وجّه برسولٍ إلى أبي جِلْدَة، وقال : انظُرْ، فإنْ كان كتَبَ هذا الكتاب بالغَداةِ فٱعْزِلْه، وإنْ كان كتَبه بالليل فأقْرِرْه على عَمَله ولا تعزِلْه ولا تَضْرِبْه . وكان أبو جلدة صاحبَ شرابٍ، فقال للرسول : والله ما كتبتُه إلّا بالعَشِيّ . فسأله البيِّنةَ على ذلك فأتاه بأقوامٍ شهِدوا له بما قال، فأقرّه على عمله وٱنصرَف عنه .

شبب ببنت دهقان فأهدى له ليترك ذكرها

قال ابن حَبِيبَ : ومرَّ أبو جِلْدَةَ بقَصْرٍ من قُصور بُسْتَ ينزِله رجلٌ من الدَّهاقِينِ، فرأى ٱبنته تُشْرِف من أعلَى القصر، فأنشأ يقول :

إنَّ في القَصْرِ ذي الجَبا بَدْرَ تِمٍّ * حَسَنَ الدَّلِّ للفُؤاد مُصِيبَا
ولِعًا بالخَلُوق يأرَجُ[1] منه * ريحُ رَنْدٍ إذا ٱستَقَلَّ مُنِيبَا[2]
يَلْبَس الخزَّ والمَطَارِفَ والقَـ * ـزَّ وعَصْبًا من اليَمانِي قَشِيبَا
ورأيتُ الحبيبَ يُبْرِزُ كَفًّا * ما رآه المُحِبُّ[3] إلّا خَضِيبَا

فبلغ ذلك من قوله الدِّهْقانَ، فأهدى له وبرّه وسأله ألّا يذكر ابنتَه في شعرٍ بعد ذلك .

ضيم فلم يمنعه قومه فهتف بمسمع ابن مالك وآخرين فسعى له قومه

115
10

قال ابن حبيب : ولَحِق أبا جِلْدَةَ ضَيْمٌ من بعض الوُلاة، فهتَف بقومه فلم يقدِروا على منعِه منه ولا معونتِه رهبةً للسُّلْطان، فهتَف بأعلَى صوتِه : يا مِسْمَعَ بن مالك، يا أميرَ بن أحْمَرَ، ثم أنشأ يقول :

ولمّا أنْ رأيتُ سَرَاةَ قومِي * سُكوتًا لا يثوبُ لهم زعيمُ
هتفتُ بمِسْمَعٍ وصَدَى[4] أميرٍ * وقَبْرِ مُعَمَّرٍ تلك القرومُ

---

(١) الخلوق : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران . يأرج : يفيح وينتشر . والرند : شجر طيب الرائحة، وقيل هو العود أو الآس . (٢) استقل هنا : نهض . ومنيبا : راجعا . (٣) كذا في الأصول . وتذكير « الكف » غلط أو لغة قليلة .
(٤) الصدى هنا : جسد الإنسان بعد موته .

قال : فأبكى جميعَ من حضَر ، وقاموا جميعًا إلى الوالى فسألوه فى أمْره حتى كفّ عنه . قال : وأمير بن أحمر رجلٌ من بنى يَشْكُرَ ، وكان سيِّدًا جوادًا ، وفيه يقول زِيَادُ الأعجمُ :

لولا أميرُ هلكتْ يَشْكُرُ * ويَشْكُرُ هلْكَى على كلِّ حالْ

قال ابن الأعرابىّ : كان أميرُ بن أحمرَ واليًا على خُراسانَ فى أيّام مُعاوية .

ومُعَمَّرٌ الذى عناه أبو جِلْدَةَ معمّر بن شُمَيْرِ[1] بن عامرِ بن جَبَلةَ بن ناعِبِ بن صُرَيْمٍ ، وكان أميرَ سِجِسْتانَ ، وكان سيِّدا شريفا .

خطب خليعة بنت صعب فأبت وتزوجت غيره فقال شعرا

وقال : خطَب أبو جِلْدَةَ آمرأةً من بنى عِجْلٍ يقال لها خَليعةُ[2] بنت صَعْبٍ ، فأبتْ أن تتزوّجه وقالت : أنت صُعْلوكٌ فقيرٌ لا تحفَظ مالَك ولا تُلفى شيئًا إلّا أنفقتَه فى الخمر ، وتزوّجتْ غيره . فقال أبو جِلْدَةَ فى ذلك :

صــوت

لمّا خَطَبتُ إلى خَليعةَ[2] نفسَها * قالت خليعةُ ما أرَى لك مالَا

أوْدَى بمالِى يا خَليعُ تكرُّمى * وتَخرُّقِى وتحمُّلِى الأثقالَا

إنّى وَجَدِّك لو شَهِدتِ مَوَاقِفى[3] * بالسَّفْح[4] يوم أُجَلِّلُ الأبطالَا

سَيْفى ، لَسَرَّكِ أنْ تكونى خادمًا * عندى إذا كَرِهَ الكُماةُ نِزالَا

الغناء لإبراهيم المَوْصِلىّ ثانى ثقيلٍ بالوُسْطَى عن الهِشامىّ من كتاب علىّ بن يحيى .

---

(١) فى الأصول : « سمير » بالسين المهملة . والتصويب من كتاب الاشتقاق . (٢) فى ج : « خلية » . وكذا فى الشعر الآتى : « أودى بمالى ياخلى تكرمى » . (٣) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : « مواقعى » . (٤) فى ج : « بالسنح » . والسنح (بالضم) : اسم لعدّة مواضع . وسفح الجبل : أسفله حيث يسفح فيه الماء . ولعل السفح هنا موضع بعينه .

ضرط بين قوم فضحكوا فأكرههم على أن يضرطوا

قال أبو سعيد السُّكَّرى ّ وعُمر بن سعيد[١] صاحب الواقدى ّ :

إنّ أبا جِلْدَة كان فى قريةٍ من قُرَى بُسْت يقال لها الخَيْزُرانُ ومعهم عمرو بن صُوحانَ أخو صَعْصَعة فى جماعةٍ يتحدّثون ويشربون، إذ قام أبو جلدة ليبولَ فضرَط، وكان عظيمَ البطن، فتضاحكَ القومُ منه، فسلّ سيفه وقال : لأضرِبنّ مَنْ لا يضرِط فى مجلسه هذا ضربةً بسيفى، أمِنِّى تضحَكون لا أُمَّ لكم ! فما زال حتّى ضرطوا جميعًا غيرَ عمرو بن صُوحانَ . فقال له : قد علمتَ أنّ عبد القَيْس لا تضرط ولك بدَلَها عشرُ فَسَوات . قال : لاوالله أو تُفصِحَ بها ! فجعل عمرو يجْثِى[٢] ويحنى فلا يقدر عليها، فتركه . وقال أبو جلدة فى ذلك :

أمِنْ ضَرْطةٍ بالخيْزُرانِ ضَرَطْتُها * تَشَدّد منّى دارةً[٣] وتَلِينُ

فما هُوَ إلّا السيفُ أو ضَرْطةٌ لها * يثور دُخَانٌ ساطعٌ وطنينُ

قال : ولعمرو بن صُوحانَ يقول أبو جلدة اليَشْكُرى ّ وطالت صُحْبته إياه فلم يظفر منه بشىء :

صاحبتُ عمرًا زمانًا ثم قلتُ له * الحَقْ بقومك يا عمرُو بنَ صُوحانا

فإنْ صَبَرْت فإنّ الصبرَ مَكْرُمةٌ * وإنْ جَزِعت فقد كان الّذى كانا

هجا زيادا الأعجم لهجوه بنى يشكر

قال ابن سعيد[٤] وحدّثنى أبو صالح قال :

بلغ أبا جلدة أنّ زيادًا الأعجم هجا بنى يَشْكُرَ، فقال فيه :

١١٦ / ١٠

لا تهجُ يَشْكُرَ يا زيادُ ولا تكنْ * غَرَضًا وأنت عن الأذى فى مَعْزِلِ

وٱعلَمْ بأنّهمُ اذا ما حُصِّلوا * خيرٌ وأكرمُ من أبيك الأعزلِ

(١) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : «عمرو بن سعد» ولم نهتد الى الصواب فيه . (٢) جثا : جلس على ركبتيه، وهو كدعا ورمى . (٣) كذا فى الأصول . ولعلها «تارة» أى تتشدّد تارة وتلين أخرى . (٤) كذا فى ح ، ب ، س . وهو عمر بن سعيد، كما ورد فى ح فى الخبر السابق . وفى أ ، م : «قال ابن سعد» . (تراجع الهامشة الأولى من هذه الصفحة) .

لولا زعيمُ بنى المُعَلَّى لم تَبِتْ[(١)] * حتّى نُصَبِّحَكم بجيشٍ جَحْفَلِ
تمشى الضَّرَاءَ[(٢)] رجالُهم وكأنّهم * أُسْدُ العرينِ بكلّ عَضْبٍ مُنْصُلِ[(٣)]
فاحْذَرْ زيادُ ولا تكنْ ذا تُدْرَأٍ[(٤)] * عند الرِّجالِ ونُهْزَةً[(٥)] للخُتَّلِ

مدح سليمان بن عمرو بن مرثد وكان صديقا له

وقال ابن حبيب : كان سليمانُ بن عَمرو بن مَرْثَد البَكْرِىّ صديقًا لأبى جِلدة ، وكان فارسًا شُجاعًا ، وقتله ابن خازِمٍ[(٦)] لشىء بلَغه فأنكره ؛ وفيه يقول أبو جِلْدة :

إذا كنتَ مُرْتادًا نديمًا مُكَرَّرًا * نَمَاه سَرَاةٌ من سَرَاةِ بنى بكرِ
فلا تَعْدُ ذا العَلْيَا سُلَيمانَ عامدًا[(٧)] * تَجِدْ ماجدًا بالجُودِ مُنْشَرِحَ الصدرِ
كريمًا على عِلَّاتِه[(٨)] يبذُل النَّدَى * ويَشْرَبها صهباءَ طَيِّبَةَ النَّشْرِ[(٩)]
مُعَتَّقَةً كالمِسْكِ يُذْهِبُ ريحُها الـ * زُّكامَ وتدعو المرءَ للجُود بالوَفْرِ
وتترك حاسى الكأسِ منها مُرَنَّحًا * يَمِيدُ كما مادَ الأَثِيمُ[(١٠)] من السكرِ
تلوحُ كعَيْنِ الدِّيكِ ينزو حَبَابُها * إذا مُزِجتْ بالماء مثلَ لَظَى الجمرِ
فتلك إذا نادمتُ من آلِ مَرْثَدٍ * عليها نديمًا ظَلَّ يَهْرِفُ[(١١)] بالشِّعْرِ

---

(١) فى جـ : « لم تبت » بالتاء . وفى سائر الأصول : « لم تثب » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ صفحة ٣١٦ (٣) العضب : السيف القاطع . والمنصل (بضم الميم والصاد وبفتح الصاد أيضا) : اسم للسيف . (٤) ذو تدرأ : ذو حفاظ ومدافعة ومنعة . (٥) النهزة الفرصة . والختل : جمع خاتل . والختل : المخادعة فى غفلة . وفى الأصول : « للختل » وظاهر أنه تحريف . (٦) فى الأصول : «ابن حازم» بالحاء المهملة . والتصويب بقلم المرحوم محمد محمود بن التلاميد فى نسخته . ونحسب أنه عبد الله بن خازم الذى كان واليا لخراسان .

(٧) كذا فى أ . وفى سائر الأصول : « عامرا » وهو تحريف . (٨) على علاته أى على حالاته المختلفة من عسر ويسر . (٩) النشر هنا : الرائحة .

(١٠) كذا فى الأصول . ولعله : « كما ماد الأميم » . والأميم والمأموم : الذى أصابت الشجة أم رأسه وهى الدماغ حتى لا يبقى بينها وبين الدماغ إلا جلد رقيق . (١١) الهرف (بالفتح) هنا : الهذيان ، والهرف أيضا : مجاوزة القدر فى الثناء والمدح . وفى بعض الأصول : « يهرق » وهو تصحيف .

يُغَنِّيكَ تاراتٍ وطوراً يَكُرُّها * عليكَ بحَيَّاكَ الإلٰهُ ولا يدرى
تَعَوَّد ألّا يَجْهَلَ الدَّهْرَ عندها * وأن يبذُلَ المعروف فى العُسْرِ واليسر
وإنّ سليمانَ بن عَمْرِو بن مَرْثَدٍ * تَأَلَّى(١) يميناً أنْ يَرِيشَ(٢) ولا يَبْرِى
فهِمّته بَذْلُ النَّدى وٱبْتِنَا العُلا * وضربُ طُلَى(٣) الأبطالِ فى الحرب بالبُتْرِ
٥ وفى الأمْنِ لا ينفكُّ يَحْسُو(٤) مُدَامةً * اذا ما دجا ليلٌ الى وَضَحِ الفَجْر

قال : فلمّا بلغتْ سليمانَ هذه الأبياتُ قال : هجانى أخى وما تعمّد ، لكنه يرى أنّ الناسَ جميعًا يُؤْثِرون الصَّهْباء كما يُؤْثِرها هو ، ويشرَبونها كما يشرَبُها . وبلغ قولُه أبا جلدة فأتاه فٱعتذر اليه ، وحلَفَ أنّه لم يتعمّد بذلك ما يكرَهه ويُنكره . قال : قد علِمتُ بذلك وشَهِدتُ لك به قبل أنْ تعتذر ، وقَبِلَ عُذْرَه .

سأل الحضين بن المنذر شيئا فلم يعطه إياه فهجاه

١٠ وقال ابن حبيب : سأل أبو جلدةَ الحُضَيْن بن المُنْذِرِ الرَّقَاشىّ شيئا فلم يُعْطِه إيّاه ، وقال : لا أُعطيه ما يشرَب به الخمرَ . فقال أبو جِلْدة يهجوه :

يا يومَ بُؤْسٍ طلعتْ شمسُه * بالنَّحْسِ لا فارقتَ رأسَ الحُضَيْنِ
إنّ حُضَيْنًا لم يَزَلْ باخلًا * مُذْ كان بالمعروفِ كَزَّ(٥) اليدَيْنِ

فبلغ الحضينَ قولُ أبى جلدة ، فقال يُجيبه :

١٥ عَضَّ أبو جِلْدَةَ من أُمِّه * مُعْتَرِضًا ما جاوزَ الأَسْكَتَيْنِ(٦)
بَظْرًا(٧) طويلًا غاشيًا(٨) رأسُه * أَعْقَفَ كالمِنْجَلِ ذا شُعْبَتَيْنِ

---

(١) تألّى : حلف . (٢) يقال : رشت فلانا ، إذا قويت جناحه بالإحسان اليه ، فارتاش وتريّش . وبراه : هزله وأضعفه . ومثله قول الشاعر :

فرشنى بخير طالما قد بريتنى * فخير الموالى من يريش ولا يبرى

٢٠ (٣) الطلى (بالضم) : الأعناق . والبتر : جمع بتور ، وهو السيف القاطع . (٤) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : «نحو مدامة» وهو تحريف . (٥) رجل كز اليدين : بخيل . (٦) الأسكتان (بفتح الهمزة وكسرها) : جانبا الفرج وهما قذتاه . (٧) البظر : هنة بين أسكتى المرأة . (٨) كذا فى الأصول . وأحسب أن صوابه «عاسيا» أى شديدا صلبا .

وقال أبو جِلْدَة فى حُضَيْنٍ أيضا :

لَعَمْرُكَ إنِّى يوم أُسْنِدُ حاجتى * إليكَ أبا ساسانَ[1] غيرُ مُسَدَّدِ

فلا عالمٌ بالغَيْبِ مِنْ أين ضَرُّه * ولا خائفٌ بَثَّ الأحاديثِ فى غدِ

فليتَ المَنَايا حَلَّقتْ بى صُروفُها * فلم أَطْلُبِ المعروفَ عند المُصَرِّدِ[2]

فلوكنتَ حُرًّا يا حُضَيْنَ بنَ مُنْذِرٍ * لَقُمْتَ بحاجاتى ولم تَتَبلَّدِ

تَجَهَّمْتَنى خوفَ القِرَى وٱطَّرَحْتنى * وكنتَ قصيرَ الباعِ غير المُقَلَّدِ[3]

ولم تَعْدُ ما قد كنتَ أهلًا لمثْلِه * من اللُّؤْمِ يا بنَ المُسْتَذَلِّ المُعَبَّدِ

تهدده بنو رقاش لهجائه الحضين فقال شعرا

قال : فبلغ أبا جلدة أنّ بنى رَقاشِ[4] تهدّدوه بالقتل لهجائه الحُضَيْن بن مُنْذِرٍ، فقال :

تُهَدِّدُنى جهلًا رَقاشِ وليتَنى * وكلَّ رقاشىٍّ على الأرض فى الحَبْلِ

فِبِاسْتِ حُضَيْنٍ وٱسْتِ أُمٍّ رمتْ به * فبئس مَحَلُّ الضَّيْفِ فى الزَّمنِ المَحْلِ

وإنْ أنا لم أَتْرُكْ رَقاشِ وجَمْعَهُمْ * أذلَّ على وَطْءِ الهَوانِ من النَّعْلِ

فشَلَّتْ يداى وٱتبعتُ سوى الهُدَى * سبيلًا ولا وُفِّقْتُ للخير والفضلِ

عِظامُ الخُصَى ثُطُّ[5] اللِّحَى مَعدِنُ الخَنَا * مَباخِيلُ بالأزوادِ فى الخِصْبِ والأَزْلِ[6]

إذا أَمِنوا ضَرَّاءَ دهرٍ تَعاظَلُوا[7] * عِظالَ الكلابِ فى الدُّجُنَّةِ والوَبْلِ

---

(١) أبو ساسان : كنية الحضين بن المنذر . (٢) التصريد : قلة العطاء .

(٣) كذا فى الأصول ! . (٤) رقاش : مبنية على الكسر مثل حذام وقطام، وبعضهم يجريها مجرى ما لا ينصرف . (٥) ثط : جمع أثط وثط (بالفتح) وهو القليل شعر اللحية . والمعدن اسم مكان من عدن بالبلد يعدن (من بابى ضرب ونصر) عدنا وعدونا أى أقام .

(٦) الأزل : الضيق والشدة . (٧) التعاظل — ومثله العظال والاعتظال والمعاظلة — : الملازمة فى السفاد . ويقال : عظلت الكلاب (من بابى نصر وسمع) إذا ركب بعضها بعضا . والدجنة : الظلمة، والغيم المطبق الريان المظلم . والوبل : المطر الضخم القطر، مثل الوابل .

وإنْ عَضَّهم دهرٌ بنَكْبةِ حادث * فأَخْوَرُ عِيداناً من المَرْخ والأَثْلِ[(١)]

أسُودُ شَرًى وَسْطَ النَّدَى تَعالِبُ[(٢)] * إذا خَطَرتْ[(٣)] حربٌ مَراجِلُها تَغْلِي

شعره فى دهقانة كان يختلف اليها

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال حدّثني محمد بن عبد الله الأصبهانيّ المعروف بالحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو[(٤)] الشيبانيّ عن أبيه قال :

٥ عشِق أبو جِلْدَة اليَشْكُرِيّ دِهْقانةً بِبُسْتَ وكان يختلف إليها ويكون عندها دائماً، وقال فيها :

وكأْسٍ كأنّ المِسْكَ فيها حسوتُها * ونَازَعَنيها صاحبٌ لى مُلَوَّمُ[(٥)]

أغَرُّ كأنّ البَدْرَ سُنَّةُ[(٦)] وَجْهِه * له كَفَلٌ وافٍ وفَرْعٌ ومَبْسِمُ[(٧)]

يُضِيء دُجَى الظَّلْماءِ رَوْنَقُ خَدِّه * ويَنجابُ عنه الليلُ والليلُ مظلمُ

١٠ وثَدْيانِ كالحُقَّيْنِ والمَتْنُ مُدْمَجٌ * وجِيدٌ عليه نَسْقُ دُرٍّ مُنَظَّمُ

وبطنٌ طواه الله طَيًّا ومَنْطِقٌ * رَخِيمٌ ورِدْفٌ نِيطَ بالحَقْوِ مُفْأَمُ[(٨)]

به تَبَلَتْنِي وٱسْتَبَتْنِي وغادرتْ * لَظًى فى فُؤادى نارُها تتضرَّمُ

أَبِيتُ بها أَهْذِى إذا الليلُ جَنَّنِي * وأُصْبِحُ مبهوتاً فما أتكلّمُ

فمَنْ مُبْلِغٌ قومِى الدُّنَا[(٩)] أنّ مُهْجَتِي * تَبِينُ، لئن بانت ألّا تَتَلَوَّمُ[(١٠)]

١٥ وعَهْدِى بها - واللهُ يُصْلِحُ بالَها - * تجودُ على مَنْ يَشْتَهِيها وتُنْعِمُ

فما بالُها ضَنَّتْ علىَّ بوُدِّها * وقلبى لها يا قوم عانٍ مُتَيَّمُ

(١) المرخ والأثل : ضربان من الشجر . (٢) فى الأصول : « وسط الندى وثعالب » بزيادة الواو . (٣) فى أ ، م : « حضرت » . (٤) فى الأصول : « عن أبي عمرو » وهو تحريف . (٥) ملوّم : يلومه الناس كثيرا . (٦) سنة الوجه : دائرته أو صورته

٢٠ أو الجبهة والجبينان . (٧) المبسم (بكسر السين) : الثغر . (٨) نيط بالحقو : علق به . والحقو (بالفتح ويكسر) : الكشح . وردف مفأم : سمين . (٩) القوم الدنا : الأقربون . (١٠) التلوّم : التلبث والانتظار .

قال : فلمّا بلغها الشعرُ سألتْ عن تفسيره ففُسِّر لها . فلما ٱنتهى المُفَسِّر إلى هذين البيتين الأخيرين غَضِبتْ فقالت : أنا زانيةٌ كما زعم ! إنْ كلمته كلمةً أبدًا . أوَكُلّما ٱشتهانى إنسانٌ بذلتُ له نفسى وأنعمتُ من رُوحى(١) إذًا ! أىْ أنا إذًا زانيـة . فصَرمته، فلم يقدِر عليها وعُذِّب بها زمانًا، ثم قال فيها لمّا يئس منها :

١١٨ / ١٠

صحا قلبى وأقصر بعد غَىٍّ * طويلٍ كان فيه من الغَوَانِى
بأنْ قصد السبيلَ فباع جهلًا * برُشْدٍ وٱرتجى عُقْبى الزّمانِ
وخاف الموتَ وٱعتصم ٱبنُ حُجْرٍ(٢) * من الحُبِّ المبرِّح(٣) بالجَنَانِ
وقِدْمًا كان مُعْترِمًا(٤) جَمُوحًا * إلى لَذَّاته سَلِسَ العِنَانِ
وأقلع بعد صَبْوَته وأضحى * طويلَ اللّيلِ(٥) يَهْرِف بالقُرانِ
ويدعو اللهَ مجتهدًا لكيما * ينالَ الفَوْزَ من غُرَفِ الجِنَانِ

قال شعرا فى يزيد ابن المهلب ثم تنصل منه

قال ٱبن حبيبَ قال أبو عُبَيْدَةَ :

كان يزيدُ بن المُهَلَّبِ يُتّهَم بالنِّساء . فقال فيه أبو جِلْدَةَ :

اذا ٱعتكرتْ(٦) ظلماءُ ليلٍ ونَوَّمتْ * عيونُ رجالٍ وٱستلذُّوا المَضَاجعَا
سما نحوَ جارِ البيتِ يَسْتامُ عِرْسَه(٧) * يزيدُ دبيبًا(٨) للمعاناة قابعًا(٩)
وإنْ أمكنتْه جارةُ البيتِ أوْ رنتْ * إليه أتاها بعد ذلك طائعا

(١) كذا فى م . وفى سائر الأصول هكذا : «من رومى» بالميم وهو تحريف . (٢) حجر : من آباء الشاعر . (٣) هـذا الشطر مكانه بياض فى الأصـول الخطية . وهو مثبت هـكذا فى الأصلين المطبوعين . (٤) الاعترام هنا : الشراسة والبطر مثـل . العرام والعرامة . وفى بعض الأصول : « معتزما » بالزاى المعجمة . (٥) كذا فى الأصول . ولعله « طوال الليل » .
(٦) فى الأصول : « اعترکت » وهو تحريف . واعتكار الظلام : اشتداده واختلاطه .
(٧) يستام عرسه : يطلب زوجتـه . (٨) كذا ! (٩) فى الأصـول : « قانعا » بالنون وهو تصحيف . والقبع تغطية الرأس بالليل لريبة ؛ قال الشاعر .

ولا أطرق الجارات بالليـل قابعا * قبوع القرنبى أخطأته مجاحره

أى يدخل رأسه فى ثوبه كما يدخل القرنبى رأسه فى جسمه . والقرنبى : دويبة شبه الخنفساء أو أعظم منها شيئا طويلة الرجل .

فشاعتِ الأبياتُ ورواها الناسُ لقَتادةَ بن مُعْرِب[١] . فقال ابو جِلْدَة :

أبا خالدٍ رُكْنِى ومَنْ أنا عبدُه * لقد غالنى الأعداءُ عمدًا لتغضبا

فإنْ كنتُ قلتُ اللّذْ أتاك به العِدَا * فشَلَّتْ يدى اليُمْنَى وأصبحتُ أَعْضَبا[٢]

ولا زِلتُ محمولًا على بَلِيّةٍ * وأمسيتُ شِلوًا للسِّباع مُتَرَّبا[٣]

٥ فلا تَسْمَعَنْ قولَ العِدَا وتَبَيَّنَنْ * أبا خالدٍ عُذْرًا وإنْ كنتَ مُغْضَبا

سئل عنه البعيث فذكر شعرا لقتادة ابن معرب يهجوه به

وقال ٱبن حبيب : قال رجلٌ للبَعِيثِ : أىُّ رجلٍ[٤] هو أبو جِلْدَةَ ؟ فقال : قَتادةُ بن مُعْرِب أَعْرَفُ به حيث يقول :

إنّ أبا جِلْدَةَ من سُكْرِه * لا يعرِف الحقَّ من الباطِلِ

يزدادُ غَيًّا وٱنْهِماكًا ولا * يسمَع قولَ الناصحِ العاذلِ

١٠ أعيا أبوه وبنو عمِّه * وكان فى الذِّرْوَة مِنْ وائل

فليتَه لم يكُ من يَشْكُرٍ * فبئسَ خِدْنُ الرجلِ العاقلِ

أعْمَى عَن الحقِّ بصيرٌ بما * يعرفه كلُّ فتىً جاهلِ

يُصْبِحُ سَكْرانَ ويُمْسِى كما * أصْبَحَ، لا أُسْقِى مِنَ الوابل

شَدّ رِكابَ الغَىِّ ثم ٱغتدَى * إلى التى تُجْلَبُ من بابِلِ

١٥ فالسِّجْنُ إنْ عاش له مَنْزِلٌ * والسِّجْنُ دارُ العاجزِ الخاملِ

(١) كذا فى الأصول وكتاب الاشتقاق . وورد فى كتاب الشعر والشعراء « مغرب » بالغين المعجمة مضبوطا بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد الراء مكسورة ، وفيه « و يقال مغرب » وضبط بضم فسكون فكسر وفى ب، س فى أخبار زياد الأعجم (ج ١٤ ص ١٠٤ طبعة بلاق) : « مقرب » بالقاف . ولم نهتد لوجه الصواب فيه . وقتادة بن معرب من بنى يشكر . (٢) الأعضب هنا : القصير اليد ، ٢٠ والأعضب : من لا ناصر له ، ومن الغنم : المكسور القرن . (٣) المترب : الملطخ بالتراب .

(٤) فى الأصول : « أتى رجل » وهو تحريف .

شعر له يناقض به قتادة بن معرب

وقال أبو جِلْدَةَ يُجيبه :

قَبُحْتَ لو كنتَ آمرأً صالحًا * تعرِفُ ما الحقَّ من الباطلِ

كَفَفْتَ عن شَتْمِى بلا إحْنَةٍ * ولم تَوَرَّطْ كِفَّةَ الحابلِ[1]

لٰكنْ أبتْ نفسُك فعلَ النُّهَى * والحَزْمِ والنَّجْدةِ والنائلِ

فتحتَ لى بالشَّتْم حتى بَدَا * مكنونُ غِشٍّ فى الحَشَا داخلِ

فٱجْهَدْ وقُلْ لا تَتْرُكْ جاهدًا * شَتْمَ امرئٍ ذى نَجْدةٍ عاقلِ

تَعْذِلُنى فى قَهْوةٍ مُزَّةٍ * دِرْياقةٍ تُجْلَبُ من بابلِ

ولَوْ رآها خَرَّ مِنْ حُبِّها * يَسْجُدُ للشيطانِ بالباطلِ

يا شَرَّ بَكْرٍ كلِّها مَحْتِدًا * ونُهْزَةَ المختلسِ الآكلِ

عِرْضَكَ وَفِّرْهُ ودَعْنِى وما * أهواهُ يا أحْمَقَ من باقلِ[2]

عربد عليه ابن عم له فاحتمله وقال شعرا

قال ابن حبيب : كان أبو جِلْدَةَ يشرب مع ٱبنِ عَمٍّ له من بَكْرِ بن وائل، فسكِر نديمُه فعرْبَد عليه وشتَمَه ، فٱحتمله أبو جِلْدَةَ وسقاه حتّى نام، وقال فى ذلك :

أبَى لِىَ أنْ أَلْحَى نَدِيمِى إذا ٱنتشَى * وقال كلامًا سيِّئًا لى على السُّكْرِ

وَقَارِى وعلْمِى بالشَّرابِ وأهلِه * وما نادمَ القومَ الكرامَ كذِى الحِجْرِ[3]

فلستُ بِلاحٍ لِى نديمًا بِزَلَّةٍ * ولا هَفْوةٍ كانت ونحن على الخمرِ

عَرَكْتُ بجَنْبِى قولَ خِدْنِى وصاحبى * ونحنُ على صَهْباءَ طَيِّبةِ النَّشْرِ[4]

(١) كفة الحابل : حبالته التى يصيد بها . وهى منصوبة على نزع الخافض ، أو على تضمين تورط معنى فعل متعد .

(٢) المعروف فى المثل أنه يقال « أعيا من باقل » . وهو رجل من إياد ، وقيل من ربيعة ، بلغ من عيه أنه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما ، فمر بقوم فقالوا له : بكم اشتريت الظبى ؟ فمد يديه ودلع لسانه يريد أحد عشر ، فشرد الظبى وكان تحت إبطه ، فضرب بعيه المثل .

(٣) ذو الحجر : ذو العقل .

(٤) يقال : عركت ذنبه بجنبى اذا احتملته . والخدن : الصديق . والنشر : الرائحة .

فلمّا تمادى قلتُ خُذْها عَريقةً * فإنّك من قومٍ جَحاجِحةٍ زُهْرِ
فما زِلْتُ أَسْقِيهِ وأشرب مثلَ ما * سَقيتُ أخى حتّى بَدَا وَضَحُ الفجرِ[1]
وأيقنتُ أنّ السُّكْرَ طارَ بلُبِّهِ * فأغرقَ فى شَتْمِى وقال وما يَدْرى
ولاكَ لِسانًا كان إذْ كان صاحيًا * يقلّبه فى كلِّ فَنٍّ من الشِّعْرِ

شعر له وقد دعا رجلا من قومه للشراب فأبى

٥ أخبرنى محمد بن مَزْيَدٍ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثانِ قال :

كان أبو جِلْدَةَ اليَشْكُرِىّ قد خرج إلى تُسْتَرَ[2] فى بَعْثٍ، فشرِب بها فى حانةٍ مع رجلٍ من قومه كان ساكنًا بها . ثم خرج عنها بعد ذلك وعاد إلى بُسْتَ والرُّخَّج وكان مكتبُه[3] هناك، فأقام بها مدّة، ثمّ لقِى بها ذلك الرجلَ الذى نادمه بتُسْتَرَ ذاتَ يومٍ، ١٠ فسلّم عليه ودعاه إلى منزله ، فأكلا ، ثم دعا بالشّراب ليشرَبا ، فآمتنع الرجلُ وقال : إنّى قد تركتُها لله . فقال أبو جِلْدَةَ وهو يشرَب :

ألَا رُبَّ يومٍ لى ببُسْتَ وليلةٍ * ولا مِثْلَ أيّامى المَوَاضِى بتُسْتَرِ
غَنيتُ بها أَسْقِى سُلَافَ مُدامةٍ * كريمَ المُحَيَّا مِنْ عَرانينِ يَشْكُرِ
نُبَادِرُ شُرْبَ الراحِ حتّى نَهُرَّها[4] * وتَتْرُكَنا مثلَ الصَّرِيعِ المُعَفَّرِ
١٥ فذلك دهرٌ قد تولّى نعيمُه * فأصبحتُ قد بُدِّلْتُ طولَ التَّوَقُّرِ
فراجعنى حِلْمِى وأصبحتُ منهجَ ال[5] * شّراب وقِدْمًا كنتُ كالمتحيِّرِ
وكل أوانِ[6] الحق أبصرتُ قَصْدَه * فلستُ وإن نُهِّيتُ عنه بمُقْصِرِ

---

(١) كذا فى كتاب الشعر والشعراء . ووضح الفجر : بياض الصبح . وفى الأصول : «واضح الفجر» .
(٢) تستر : مدينة بخوزستان . (٣) لعله : «وكان مكثه هناك» كما تقدّم نظيره
٢٠ فى صفحة ٣١٣ سطر ١٢ (٤) هرّه : كرهه . (٥) كذا ! . ولعل صوابه «منهج السبيل» أى أصبحت واضحا طريق الذى أسلكه وقد كنت قديما كالمتحير ؛ يقال نهج الطريق وأنهج إذا وضح وبان . (٦) فى الأصول الخطية : «وقل أوان الحق» . ولم نوفق للصواب فيه .

سأرْكُضُ فى التَّقْوَى وفى العِلْمِ بعدَما * ركضتُ إلى أمر الغَوِىِّ المُشَهَّرِ
وبالله حَوْلِى وٱحْتِيالى وقُوّتى * ومَنْ عنده عُرْفِى الكثيرُ ومُنْكَرِى

مر به مسمع بن مالك فوثب إليه وقال فيه شعرا

أخبرنى محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا محمد بن الحارث المدائنىّ قال : مرّ مِسْمَعُ بن مالكٍ بأبى جِلْدَةَ، فوثَب اليه وأنشأ يقول :

يا مِسْمَعُ بنَ مالكٍ يا مِسْمَعُ * أنت الجوادُ والخطيبُ المِصْقَعُ
* فٱصنَعْ كما كان أبوك يَصْنَعُ *

١٢٠ / ١٠

فقال له رجلٌ كان جالسًا هناك : إنْ قبِل منك والله يا أبا جِلدةَ ناكَ أُمَّه. فقال له : وكيف ذلك ويحك ؟ قال : لأنك أمرتَه أن يصنَع كما كان أبوه يصنع !.

مدح مقاتل بن مسمع طمعا فى مثل ما كان مسمع يعطيه فلما ردّه هجاه

وقال أبو عمرو الشَّيْبانىّ : كان مِسْمَعُ بن مالك يُعطى [أبا جلدةَ، فقال فيه] (١) :

يسعَى أُناسٌ لكَيْما يُدْرِكوكَ ولو * خاضُوا بِحارَك أو ضَحْضَاحَها غَرِقوا (٢)
وأنت فى الحرب لا رَثُّ القُوَى بَرِمٌ * عند اللِّقاءِ ولا رِعْديدةٌ فَرِقُ (٣)
كُلُّ الخِلالِ الَّتى يسعَى الكرامُ لها * إنْ يمدَحوكَ بها يومًا فقد صدَقوا (٤)
ساد العِراقَ فحالُ الناسِ صالحةٌ (٥) * وسادَهم وزمانُ الناسِ مُنْخَرِقُ
لا خارجىٌّ ولا مُسْتَحْدَثٌ شَرَفًا * بل مجدُ آلِ شِهابٍ كان مذ خُلِقوا

(١) هذه الزيادة ليست فى الأصول الخطية. (٢) الضحضاح : الماء القليل القعر.

(٣) رث القوى : ضعيفها. والبرم هنا : الضجر المملول. والرعديدة : الجبان يرعد عند القتال جبنا. والفرق : الفزع الشديد الخوف.

(٤) فى الأصول : « ليمدحوك » ولا يستقيم بها الكلام. (٥) كذا فى جـ. وهو يريد أن الممدوح ساد العراق فصلحت حال الناس بسيادته وكان حالهم حين ساده فى اضطراب وفوضى. وفى سائر الأصول : « وحال الناس » بالواو.

قال : ثم مدح مُقاتِلَ بن مِسْمَع طمعاً فى مثل ما كان مِسْمَعٌ يُعطيه ، فلم يلتفت اليه وأمر أن يُحْجَب عنه . فقيل له : تعرّضتَ لِلسان أبي جِلْدة وخُبْثه . فقال : ومَنْ هو الكلبُ ! وما عسى أن يقول قبحه الله وقبح مَنْ كان منه ! فَلْيَجْهَدْ جَهْدَه . فبلغ ذلك من قوله أبا جِلْدة فقال يهجوه :

قَرَى ضَيْفَه الماءَ القراحَ ابنُ مِسْمَعٍ * وكان لئيماً جارُه يتذلّل
فلمّا رأى الضيفُ القِرَى غيرَ راهنٍ (١) * لديه تولّى هارباً يتعلّل
يُنادِى بأعلَى الصوتِ بَكْرَبْنَ وائِلٍ * ألَا كُلُّ مَن يرجو قِراكم مُضَلَّلُ
عَميدُكُمُ هَرَّ الضيوفَ فما لكم * ربيعةُ (٢) أمسى ضيفُكم يتحوّل
وخِفتُمْ بأنْ تَقْروا الضيوفَ وكنتمُ * زماناً بِكُمْ يَحْيَا الضَّريكُ المُعَيَّلُ (٣)
فما بالُكُمْ بالله أنتم بَخِلْتُمُ * وقصّرتُمُ والضيفُ يُقْرَى ويُنْزَلُ
ويُكْرَمُ حتّى يُقْتَرَى (٤) حين يَقْتَرِى * يقول إذا ولّى جميلاً فيُجْمِل
فَهَلّا بنى بَكْرٍ دَعُوا آلَ مِسْمَعٍ * ورَأْيَهُمُ لا يَسْبِقِ الخيلَ مُحْثَلُ (٥)
ودُونَكُمُ أضيافَكُمْ فتحدّبُوا * عليهمْ ووَاسُوهُمْ فذلك أجمل

---

(١) غير راهن : غير حاضر . (٢) ربيعة : من بطون بكر بن وائل . (٣) فى ح : « المفيل » بالفاء . وفى سائر الأصول : « المقيل » بالقاف . والمعيل : ذو العيال . والضريك : الفقير السيء الحال .

(٤) اقترى الأولى : تتبع ، واقترى الأخرى : أضاف ؛ يقال : اقترى فلان الضيف ، مثل قراه . يقول : إن من حق الضيف أن يكرم ما دام ثاويا ، فاذا رحل وجب أن تتبعه الكرامة حيث حل ؛ كما قال الآخر :

ونكرم جارنا ما دام فينا * ونتبعه الكرامة حيث سارا

وهذا البيت ليس فى ح .

(٥) فى الأصول : «محتل» بالمثناة ، ولم نجد لها معنى . والمحثل (بالمثلثة) : الضاوى الدقيق السيء الغذاء ؛ يقال أحثلت الصبي إذا أسأت غذاءه ، وأحثله الدهر : أساء حاله .

ولا تُصْبِحُوا أُحْدوثةً مثلَ قائلٍ[(١)] * به يَضرِبُ الأمثالَ مَنْ يَتمَثَّلُ
إذا ما التقى الرُّكْبانُ يوماً تذاكروا * بَنِي مِسْمَعٍ حتّى يُحَمُّوا[(٢)] ويَثقُلوا
فلا تَقْرَبُوا أبياتَهم إنّ جارَهُمْ * وضَيْفَهمُ سِيّانِ أنّى تَوَسّلوا
هُمُ القومُ غَرَّ الضيفَ منهم رُوَاؤُهُمْ * وما فيهمُ إلّا لئيمٌ مُبَخَّلُ
فلَوْ ببنى شَيْبَانَ حَلَّتْ رَكائبى * لكان قِراهُمْ راهناً[(٣)] حين أَنْزِلُ
أُولئكَ أَوْلَى بالمكارمِ كلِّها * وأَجْدَرُ يوماً أن يُوَاسُوا ويُفْضِلوا
بنى مِسْمَعٍ لا قرَّب اللهُ دارَكم * ولا زال واديكم من الماء يُمْحِلُ
فلم تَدْعُوا الأبطالَ بالبِيضِ والقَنَا * إذا جعلتْ نارُ الحُروبِ تَأَكَّلُ

(١) كذا ! . (٢) حم فلان : أصابته الحمى .
(٣) فى بعض الأصول : « واهنا » بالواو ، وهو تحريف . والراهن : الحاضر .

أخبار عَلُّوَيْهْ ونسبه

نسب علويه وأصله

١٢١ / ١٠

هو علىّ بن عبد الله بن سَيْف[١] . وكان جَدُّه من السُّغْد[٢] الذين سباهم الوليد ابن عثمان بن عَفّان[٣] وآسترقّ منهم جماعةً آختصّهم بخِدْمته، وأعتق بعضَهم، ولم يُعْتِق الباقين فقتلوه . وذكر آبن خُرْدَاذْبه ، وهو ممن لا يحصَّل قولُه ولا يُعْتَمَد عليه، أنّه من أهل يَثْرِبَ مولى بنى أُمَيَّة، والقولُ الأوّل أصحّ .

٥

مهارته فى الغناء والضرب وبعض أخلاقه ونشأته وسبب وفاته

ويُكْنَى عَلُّوَيْهْ أبا الحسن . وكان مغنّيا حاذقا، ومؤدِّبا محسنا، وصانعا متفنّنًا، وضاربا متقدِّما، مع خِفّة رُوح، وطِيب مُجالسة، ومَلاحةِ نوادرَ. وكان إبراهيم الموصلىّ علّمه وخرّجه وعُنِى به جدًّا، فبرَع وغنّى لمحمد الأمين، وعاش إلى أيّام المتوكِّل، ومات بعد إسحاق الموصلىّ بمُدَيْدَةٍ يسيرة . وكان سببُ وفاته أنّه خرج به جَرَبٌ، فشكاه إلى يحيى آبن ماسَوَيْهِ ، فبعَث إليه بدواءٍ مُسْهِلٍ وطِلَاء ، فشرِب الطِّلاء وآطّلَى بالدواء المُسْهِل، فقتله ذلك . وكان إسحاق يتعصّب له فى أكثر أوقاته على مُخارِق . فأمّا التقديمُ والوصفُ فلم يكن إسحاقُ يرى أحدًا من جماعته لها[٤] أهلًا ، فكانوا يتعصّبون عليه لإبراهيم بن المَهْدىّ، فلا يَضُرّه ذلك مع تقدُّمه وفَضْلِه .

١٠

---

(١) كذا فى كل الأصول ومختصر الأغانى لابن منظور . وكتب المرحوم الأستاذ الشنقيطى بهامش نسخته « يوسف » بدل « سيف » . (٢) السغد : ناحية كثيرة المياه والبساتين والأشجار بها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند، وربما قيل فيها «الصغد» بالصاد . ويقال لسكان تلك الناحية سغد . (٣) كذا فى ح ومختار الأغانى ونهاية الأرب . وفى سائر الأصول : « سباهم عثمان بن الوليد زمن عثمان بن عفان » وهو تحريف . والمعروف فى كتب التاريخ أن الذى فتح تلك النواحى سنة ٥٦ هـ هو سعيد بن عثمان بن عفان . (٤) فى الأصول الخطية : « لها » .

١٥

رأى إسحاق الموصلى فيه وفى مخارق

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال : قلت لأبى : أيّما أفضلُ عندك مُخارِقٌ أو عَلُّويَهْ ؟ فقال : يا بُنىّ عَلُّويَهْ أعْرفُهما فهمًا بما يخرج من رأسِه وأعْلمُهما بما يُغنّيه و يُؤدّيه، ولو خُيِّرتُ بينهما مَنْ يُطارح جَوارىّ أوشاورنى مَنْ يَسْتنصحنى لمَـا أشرتُ إلّا بعلُّويَهْ؛ لأنه كان يؤدّى الغناء، وصنع صنعةً مُحْكَمَةً. ومُخارِقٌ بِتَمكُّنِه من حلْقه وكثرة نَغَمِه لا يُقْنَع بالأخذ منه؛ لأنه لا يؤدّى صوتًا واحدًا كما أخذه ولا يغنّيه مرّتين غِناءً واحدًا لكثرة زوائده فيه . ولكنّهما إذا آجتمعا عند خليفةٍ أو سُوقةٍ غَلب مخارقٌ على المجلس والجائزةِ لِطيبِ صوته وكثرة نَغَمِه .

حدّثنى جَحْظةُ قال حدّثنى أبو عبد الله بن حمدون قال حدّثنى أبى قال : اِجتمعتُ مع إسحاق يومًا فى بعض دُور بنى هاشم، وحضر عَلُّويَهْ فغنَّى أصواتًا، ثم غنَّى من صَنْعته :

صــوت

ونُبِّئْتُ ليلَى أرسلتْ بشفاعةٍ * إلىّ فهـلَّا نَفْسُ[1] ليلى شَفِيعُها

— ولحنه ثانى ثقيل — فقال له إسحاق: أحسنتَ والله يا أبا الحسن! أحسنتَ ماشئتَ! . فقام علّويَهْ من مجلسه فقبّل رأس إسحاق وعينيه وجلس بين يديه وسُرّ بقوله سرورًا شديدا، ثم قال : أنت سيدى وابنُ سيِّدى ، وأستاذى وآبنُ أستاذى ، ولى إليك حاجةٌ . قال : قل ، فوالله إنى أبلُغ فيها ما تُحِبّ . قال : أيّما أفضلُ عندك

(١) هلا التى للتحضيض يليها الفعل؛ ولذلك تأوّل النحو يون هـذا البيت ، فقيل هو على تقـدير « كان » التى اسمها ضمير الشأن، و جملة « نفس ليلى شفيعها » خبرها . وقيل « نفس ليلى » فاعل لفعل محذوف ، والتقدير فهلا شفعتْ نفس ليلى ، و يكون شفيعها خبرا لمحـذوف ، والتقدير : هى شفيعها أى نفسها شفيعها . على أن بعض النحو يين يجيز مجىء الجمل الاسمية بعد أدوات التحضيض مستدلا بهذا البيت .

أنا أو مخارق ؟ فإنى أُحِبُّ أن أسمع منك فى هذا المعنى قولًا يُؤْثَر ويَحكيه عنك مَنْ حضر، فتُشَرِّفنى[1] به . فقال إسحاق : مامنكم إلّا مُحسِنٌ مُجمِلٌ، فلا تُرِدْ أن تَرى فى هذا شيئا . قال : سألتُك بحقّى عليك وبتربية أبيك وبكلّ حقٍّ تعظِّمه إلّا حكمتَ . فقال : وَيْحَكَ ! والله لو كنتُ أَستجيز أن أقولَ غيرَ الحق لقلتُه فيما تُحِبّ، فأمّا إذ أبيتَ إلّا ما ذكرتَ فهاكَ ما عندى : فلو خُيِّرتُ أنا مَنْ يُطارح جوارىَّ أو يغنِّينى لَمَا آخترتُ غيرَك، ولكنّا إذا غنّيتُما بين يَدَىْ خليفةٍ أو أميرٍ غلبتَك على إطْرابه واستبدّ عليك بجائزته . فغضِب علّويه وقام وقال : أُفٍّ من رضاك ومن غضَبك ! .

شاع له صوت كان الناس يظنونه لاسحاق

حدّثنى جعفر بن قُدامةَ قال حدّثنى علىّ بن يحيى المنجِّم قال :

قَدِمتُ مِنْ سُرَّ مَنْ رَأَى قَدْمةً إلى بَغْدادَ، فلقِيتُ أبا محمد إسحاقَ بن إبراهيم الموصلىّ، فجعل يسألنى عن أخبار الخليفة وأخبار الناس حتّى آنتهى إلى ذكر الغِناء، فقال : أىَّ شىء رأيتَ الناسَ يستحسونه فى هذه الأيّام من الأغانى ، فإنّ الناس ربما لهِجوا بالصوت بعد الصوت؟ فقلت : صوتًا من صَنْعتك . فقال : أىّ شئ هو؟ فقلت :

صوت

أَلَا يا حَمَامَىْ قصرِ دُورانَ[2] هِجْتُما * بِقَلْبِي الهوَى لَمّا تَغَنَّيْتُما لِيا

وأَبْكَيْتُمانى وَسْطَ صَحْبِي ولم أَكُنْ * أُبالِي دموعَ العينِ لو كنتُ خاليا

فضحِك وقال : ليس هذا لى، هذا لعَلّويه ، ولقد لَعَمرِى أحسنَ فيه وجوّد ماشاء .

لحن علّويه فى هذين البيتين ثانى ثقيلٍ بالوسطى .

(١) فى ب ، س : « فشرفنى به » . (٢) دوران : موضع خلف جسر الكوفة كان به قصر لاسماعيل القسرى أخى خالد بن عبد الله القسرى أمير الكوفة . (عن معجم البلدان لياقوت) .

أتاه بعض أصحابه فأطعمهم وغناهم ألحانا له

حدّثنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن عمرو قال حدّثنى أحمد بن محمد بن عبدالله الأبزارىّ قال :

أتيتُ علّويه يومًا بالعشىّ ، فوجدتُ عنده خاقانَ بن حامدٍ وعبدَ الله بن صالح صاحبَ المُصلَّى ، وكنتُ حملتُ معى قفصَ فراريجَ كَسْكَرِيّةٍ[1] مُسَمَّنة وجِرابَىْ دقيقٍ سَميذٍ[2] ، فسلّمتُه إلى غلامه ، و بعث[3] إلى بِشرِ بن حارثةَ : أَطْعِمْنا ماعندك ، فلم يزَلْ يُطعمنا فَضَلاتٍ حتى أدرك طعامُه ، ثم بعث إلى عبد الوهّاب بن الخَصيب بن عمرو بخضر ، وقُدِّم الطعامُ فأكل وأكلْنا أكلَ مُعَذِّرِين[4] ، ثم قال : إنّى صنعتُ البارحةَ لحنًا أعجبنى ، فاسمعوه وقولوا فيه ماعندكم ، وغنّانا فقال :

صـــوت

هَزِئتْ عُمَيْرةُ أنْ رأتْ ظهرى انْحَنَى * وذُؤابتى[5] عُلّتْ بماء خِضابِ

لا تَهزئى منّى عُمَيْرُ فإنّنى * مَحْضٌ كريمٌ شيبتى وشَبابى

— لحنُ عُلّويه فى هذين البيتين من الثقيل الثانى بالوسطى — فقلنا له : حسنٌ والله جميلٌ يا أبا الحسن ، وشربنا عليه أقداحًا[6] . ثم استُؤذن لعَثْعَثٍ غلام أحمد بن يحيى ابن مُعاذ ، فأذِن له ، ومع عَثْعَث كتابٌ من مولاه أحمد بن يحيى : سمعتُ يا سيِّدى منك صوتًا عند أمير المؤمنين (يعنى المعتصم) ، فأُحِبّ أن تتفضّل وتطرحه على عبدك عثعث . وهو :

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «دسكرية» وهو تحريف . والفراريج الكسكرية : منسوبة الى كسكر ، وهى كورة كانت بين البصرة والكوفة ، وكانت قصبتها « واسط » .

(٢) السميذ (بالدال و بالذال ، و بالمعجمة أفصح) : الحوّارَى ، وهو خالص الدقيق بعد استخراج مافيه من نخالة .

(٣) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « و بعثت » .

(٤) المعذرون هنا : المقصرون الذين لم يبالغوا فى الأكل.

(٥) فى جـ : « وذوائبى » .

(٦) زاد فى جـ هنا : « يومنا » .

صــوت

فواحَسْرتَا لم أَقضِ منكِ لُبانةً * ولم أَتَمَتَّعْ بالجِوارِ وبالقُربِ
يقولون هذا آخرُ العهدِ منهمُ * فقلتُ وهذا آخِرُ العهدِ من قلبي

لحنُ علّويه فى هذا الشعر ثقيلٌ أول ، وهو من مقدَّم أغانيه وصدورها . وأول
٥ هذا الصوت :

ألا يا حَمَامَ الشِّعْب شِعْبِ مُوَرِّقٍ[1] * سقتكَ الغَوادِى من حمامٍ ومن شِعْبِ

قال : وإذَا مع حُسَين[2] رُقْعةٌ من مولاه : سَمِعتُك يا سيِّدى تُغنِّى عند الأمير
أبى إسحاقَ إبراهيمَ بن المَهْدِىّ :

أَلَا يا حَمَامَىْ قصرِ دُورانَ هِجْتُمَا * بقلبى الهَوَى لَمَّا تَغَنَّيْتُما لِيَا

١٠ أُحِبُّ أنْ تطرَحه على عبدك حُسين . قال : فدعا بغلامٍ له يُسَمَّى عَبْدَ آل فطرحه
عليهما حتى أحكماه ثم عرَضاه عليه حتّى صحّ لهما . فما أعلمُ أنّه مرَّ لنا يومٌ يقاربُ
طِيبَ ذلك اليومِ وحُسْنَه .

123/10

وصف الواثق له

حدّثنى جعفر بن قُدَامةَ قال حدّثنى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :
سمعتُ أبى يقول سمعت الواثق يقول : عَلُّويه أَصَحُّ الناسِ صَنْعةً بعد إسحاق ،
١٥ وأطيبُ الناس صوتًا بعد مُخَارِق ، وأضربُ الناسِ بعد زَرْزَرٍ ومُلَاحظ ، فهو
مُصَلِّى كُلِّ سابقٍ قادرٍ ، وثانِى كُلِّ أوّلَ واصلٍ مُتَقَدِّمٍ . قال: وكان الواثقُ يقول:
غِناءُ عَلّويه مثلُ نَقرِ الطَّسْتِ يبقَى ساعةً فى السمع بعد سُكوته .

خطأ اسحاق لحنا غناه عند المعتصم فردّ هو عليه

نسختُ من كتاب أبى العبّاس بن ثَوَابَةَ بخطّه : حدّثنى أحمد بن إسماعيل أبو حاتم
قال حدّثنى عبد الله بن العبّاس الربيعىّ قال :

٢٠ (١) الرواية فيما تقدم (ج ٦ ص ٢٩٥ من هذه الطبعة) : « شعب مراهق » .
(٢) لم يتقدّم لحسين هذا ذكر فى القصة .

اِجتمعتُ يومًا بين يَدَيِ المعتصم وحضر إسحاقُ الموصلىُّ، فغنّى عَلُّويه :

لِعَبْـدَةَ دارٌ ما تكلِّمنا الدارُ * تلوح مَغانِيها كما لاح أَسْطَارُ[1]

فقال إسحاق : أخطأتَ فيه، ليس هو هكذا . فغضب علّويه وقال : أُمٌّ مَنْ أخذنا عنه هكذا زانيةٌ[2] . فقال إسحاق : وشَتَمَنا قبحه الله، وسكت وبانَ ذلك فيه . قال : وكان عَلُّويه أخذه من أبيه[3] .

٥

كان أعسر وعوده مقلوب الأوتار

حدّثنى عمّى قال حدّثنا هارون بن مُخَارِق قال :

كان علّويه أعسرَ وكان عُودُه مقـلوبَ الأوتار : البَمُّ أسـفل الأوتار كلّها، ثم المَثْلَثُ فوقه، ثم المَثْنَى، ثم الزِّير، وكان عـُودُه إذا كان فى يدِ غيره مقلوباً على هذه الصفة، و إذا كان معه أخذه باليمنَى وضرب باليسرَى، فيكونُ مستوياً فى يده ومقلوباً فى يد غيره .

١٠

كان بينه وبين ابن أخته الخلنجى القاضى منازعة فغنى بشعره للأمون فعزله عن القضاء

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال كان الخَلَنْجىُّ[4] القاضى، واسمه عبد الله [بن محمد][5]، ابنَ أخت علّويه المغنِّى، وكان تيّاهًا صَلِفًا، فتقلّد فى خلافة الأمين قضاء الشَّرْقية[6]، فكان يجلِس إلى أُسطوانة من أساطين المسجد فيستند إليها بجميع جَسَده ولا يتحرّك، فإذا تقدّم اليه الخَصْمانِ أقبل عليهما بجميع جسده وترك الاستناد حتّى يَفْصِلَ بينهما ثم يعود لحاله . فعمَد بعض المُجّان إلى رُقْعةٍ من الرِّقاع التى يُكْتَبُ فيها الدّعاوَى فألصقها

١٥

---

(١) الأسطار : جمع سطر وهو الخط من الكتابة . وتشبيه آثار الديار بخطوط الكتّاب مستفيض فى الشعر العربى . (٢) فى الأصول هنا : « ... هكذا فى روايته » . والتصويب مما تقدّم فى الأغانى (ج ٥ ص ٣٥١ من هذه الطبعة) . (٣) زاد فى جـ هنا : « يعنى من أبى إسحاق وهو ابراهيم الموصلى » بالمداد الأحمر، مما يدل على أنه من وضـع قارىء للنسخة، فأثبتت هذه الزيادة فى ب، س .

(٤) فى الأصـول ما عدا جـ : « الخليجى » وهو تصحيف . (٥) زيادة من مختصر الأغانى . (٦) الشرقية هنا : محلة بالجانب الغربى من بغداد .

٢٠

فى موضع ذَنَبِتِه[١] بالدِّبْق[٢] ومَكَّن[٣] منها الدبْق . فلمّا تقدّم إليه الخصوم وأقبل عليهم بجميع جسده كما كان يفعل ٱنكشف رأسُه و بقيتِ الذنبةُ موضعَها مصلوبةً ملتصقةً، فقام الخَلَنْجِىّ مُغْضَبًا وعلِم أنّها حيلةٌ وقعتْ عليه، فغطّى رأسَه بطَيْلَسانِه وقام فانصرف وتركها مكانَها، حتى جاء بعضُ أعوانه فأخذها . وقال بعض شعراء ذلك

٥ العصر فيه هذه الأبيات :

إنّ الخَلَنْجىّ من تَتَايُهِهِ * أثقلُ بادٍ لنا بطَلْعَتِهِ

ما إنْ لِذِى نَخْوَةٍ مُنَاسَبَةٌ[٤] * بين أَخَاوِينِه وقَصْعَتِه

يُصالح الخصمَ مَنْ يُخَاصِمُه * خوفاً من الجَوْرِ فى قَضِيَّتِه

لو لم تُدَبِّقْهُ كَفُّ قانِصِهِ[٥] * لطارَ تِيهًا[٦] على رَعِيَّتِه

١٠ قال : وشُهِرَتِ الأبياتُ والقِصّةُ ببَغْدادَ، وعمِل له علُّوَيْهِ حكايةً أعطاها للزفّانين[٧] والمُخَنَّثين فأحرجوه فيها، وكان علُّويه يُعاديه لمنازعةٍ كانت بينهما ففضحه، وٱستعفى الخلنجىُّ من القضاء ببغدادَ وسأل أن يُوَلَّى بعضَ الكُوَرِ البعيدةِ، فوُلِّىَ جُنْدَ دِمَشْقَ أو حِمْصَ . فلمّا وَلِىَ المأمونُ الخلافةَ غنّاه علُّويه بشعر الخَلَنْجِىِّ فقال :

١٢٤ / ١٠

بَرِئتُ مِنَ الإسْلامِ إنْ كان ذا الّذى * أتاكَ به الواشُون عنّى كما قالوا

---

١٥ (١) كذا فى مختصر الأغانى . وفى الأصول : «ذنبته» وكذلك فى الموضع الآتى . وظاهر أنها كانت من غطاء الرأس . (٢) الدبق : الغراء . (٣) كذا فى مختصر الأغانى . وفى الأصول : «بالدبق وتمكن منها . فلما تقدّم الخ» . (٤) كذا فى الأصول الخطية . وفى ب ، س : «مناشبة» بالشين المعجمة . والأخاوين : جمع خوان (بضم أوله وكسره) وهو ما يؤكل عليه الطعام .

(٥) فى ب ، س : «قابضه» وهو تصحيف . والتدبيق : صيد الطائر بالدبق وهو الغراء يلزق بجناح

٢٠ الطائر فيصاد به . يقال : دبقه (من باب ضرب) ودبقه (بالتضعيف) . (٦) فى الأصول : «منها» . والتصويب من مختصر الأغانى . (٧) الزفانون : الرقاصون .

ولكنّهم لمّا رأوكِ غَرِيَّةً[1] * بهجْرِى تَوَاصَوْا بالنميمةِ وٱحتالوا

فقد صِرْتِ أُذْنًا للوُشاةِ سميعةً * ينالون من عِرْضِى وإن شئتِ مانالوا

فقال له المأمون : مَنْ يقول هذا الشعر ؟ فقال : قاضى دِمَشْقَ . فأمر المأمون بإحضاره، فكُتِب الى صاحب دِمَشْق بإشخاصه فأُشْخِص، وجلَس المأمون للشُّرْب وأحضر عَلُّويه، ودعا بالقاضى فقال له : أَنْشِدْنى قولَك : ٥

بَرِئتُ من الإسلامِ إن كان ذا الذى * أتاكِ به الواشون عنى كما قالوا

فقال له : يا أمير المؤمنين هذه أبياتٌ قلتُها منذ أربعين سنةً وأنا صبىّ، والذى أكرمك بالخلافةِ وورّثك ميراثَ النبوة ما قلتُ شعرًا منذ أكثر من عشرين سنةً إلّا فى زُهْدٍ أو عتابِ صديق . فقال له : ٱجْلِسْ فجَلَس، فناوله قَدَح نبيذِ التمر أو الزَّبيب . فقال : لا والله يا أميرَ المؤمنين ما أعرِف شيئًا منها . فأخذ القَدَحَ ١٠ من يده وقال : أمَا والله لو شرِبتَ شيئا من هذا لضربتُ عنقك ، وقد ظننتُ أنّك صادقٌ فى قولك كلِّه، ولكن لا يتولّى لى القضاءَ رجلٌ بدأ فى قوله بالبراءة من الإسلام، ٱنصرِف الى منزلك. وأمر عَلّويه فغيّر الكلمة وجعل مكانها "حُرِمْتُ مُنَاىَ منكِ" .

ضربه الأمين بوشاية ابن الربيع ثم تقرّب بذلك إلى المأمون فلم ير منه ما يحب

حدّثنى جعفر بن قُدامةَ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال : ١٥

كان عَلُّويه يغنّى بين يدىِ الأمين، فغنّى فى بعض غِنائه :

ليتَ هندًا أنجزتْنا ما تَعِدْ * وشَفَتْ أنْفُسَنا ممّا تَجِدْ

وكان الفضلُ بن الربيع يطعَن عليه ، فقال للأمين : إنّما يُعَرِّض بك ويستبطئ المأمونَ فى محاربته ، فأمَر به فضُرِب خمسين سوطًا وجُرّ برجله ، وجفاه مدّةً،

[1] غرية : مولعة . وفى الطبرى (القسم الثالث صفحة ١١٥٠) : « سريعة * الى » . ٢٠

حتى ألقى نفسه على كَوْثَرٍ فترضّاه له ورُدّ إلى خدمته، وأمر له بخمسة آلاف دينار. فلمّا قدِم المأمون تقرّب اليه بذلك، فلم يقع له بحيث يُحِبّ[1]، وقال له: إنّ المَلِكَ بمنزلة الأسَد أو النار، فلا تتعرّض لِما يُغضبه، فإنه ربّما جرى منه ما يُتلفك ثم لا تقدِر بعد ذلك على تلافى ما فرَط منه[2]، ولم يُعطه شيئا.

غضب الأمين على إبراهيم الموصلى بعد موته لتقديم اسم المأمون عليه فى شعره وترضاه ابنه إسحاق

٥ ومثل هذا من فعل الأمين، ما حدّثنى به محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى أبى قال:

دخلتُ على الأمين فرأيتُه مُغْضَبًا كالحًا، فقلتُ له: ما لأمير المؤمنين — تمّم الله سرورَه ولا نغّصه[3] — أراه كالحائر؟ قال: غاظنى أبوك الساعةَ لا رحمه الله! والله لو كان حيا لضربتُه خمسمائة سوط، ولولاك لنبَشْتُ الساعةَ قبرَه وأحرقتُ ١٠ عِظامه. فقمتُ على رِجلى وقلت: أعوذُ بالله من سُخْطك يا أميرَ المؤمنين! ومَنْ أَبِى وما مقدارُه حتّى تغتاظ منه! وما الذى غاظك فلعلّ له فيه عُذرا؟ فقال: شدّةُ محبّته للمأمون وتقديمُه إيّاه علىّ حتّى قال فى الرشيد شعراً يقدّمه فيه علىّ وغنّاه فيه، وغُنِّيته الساعةَ فأورثنى هذا الغيظ. فقلتُ: والله ما سمعتُ بهذا قطُّ ولا لأبى غِناءٌ إلّا وأنا أرويه، ما هو؟ فقال: قوله:

١٥ أبو المأمونِ فينا والأمينِ * له كَنَفانِ من كَرَمٍ ولِينِ

١٢٥/١٠

فقلت له: يا أمير المؤمنين لم يُقدِّم المأمونَ فى الشعر لتقديمه إيّاه فى المُوالاة، ولكنّ الشعر لم يَصِحّ وزنه إلّا هكذا. فقال: كان ينبغى له إذ لم يَصِحّ الشعرُ إلّا هكذا أن يَدَعه إلى لعنة الله. فلم أزَلْ أُداريه وأرفُق به حتى سكَن. فلمّا قدِم المأمون سألنى عن هذا الحديث فحدّثته به، فجعل يضحك ويعجب منه.

٢٠ (١) فى الأصول: «ولم» بالواو. (٢) فى ب، س: «منك» وهو تحريف.
(٣) فى جـ، ب، س: «ولا نقصه» بالقاف.

مدحه عبد الله بن طاهر

حدّثنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

سمعتُ أبى يقول : لو خُيِّرتُ لونًا من الطّعام لاأزيد عليه غيرَه لاخترتُ الدُّرَّاجة[١]؛ لأنّى إن زدتُ فى خَلِّها صارتْ سِكْبَاجة[٢]، و إنْ زدتُ فى مائها صارت إسْفِيدباجة[٣]، وإنْ زدتُ فى تَصْبِيرِها بل فى تَشْبِيطها صارتْ مُطَجَّنة[٤]. ولو ٱقتصرتُ على رجل واحد لَمَا ٱخترتُ سوى عَلُّويه؛ لأنه إنْ حدّثنى ألهانى، و إنْ غنّانى أشجانى، و إنْ رجعتُ إلى رأيه كفانى.

حضر عند سعيد ابن عجيف فأكرمه ثم طالبه عجيف

حدّثنى عمى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى محمد بن محمد الأَبْزارىّ قال :

كنتُ عند سَعيد بن عُجَيْف أنا وعبدُالوهّاب بن الخَصيب وعبدُ الله بنُ صالح صاحبُ المُصَلَّى، إذ دخل عليه حاجبه فقال له : عَلُّويَهْ بالباب، فأْذن له فدخل. فقال له : لا تَحْمَدْنى فإنّى لم يَجئنى رسولُ رجلٍ اليومَ ، فعرضت إخوانى جميعًا على قلبى فلم يَقَعْ عليه غيرُك . فدعا له ببِرْذَونٍ ادْهَمَ بسَرْجِه ولِجامه فأهداه إليه، وجلسنا نَشرَب وعلُّويه يغنِّى . فلمّا تَوَسّطْنا أمرَنا جاء رسولُ عُجَيْف[٥] يطلُبه فى منزله، فقالوا له : هو عند ٱبنه سَعيد . فأتاه الرسولُ فقال له : أَجِبِ الأميرَ . فقلنا : هذا شئٌ ليس فيه حِيلةٌ . وقد جاء الرسول وهو يغنِّى :

(١) الدراج (بالضم) : ضرب من طير العراق أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر، على خلقة القطا إلا أنه ألطف . وجعله الجاحظ من أقسام الحمام لأنه يجمع فراخه تحت جناحيه كما يجمع الحمام .
(٢) السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل ، معرب "سكبا" مركب من "سك" أى خل ، ومن "با" أى طعام . (عن كتاب الألفاظ الفارسية المعربة) . (٣) الاسفيدباجة : لون من الطعام يتكون من البصل والزبدة ومن أشياء أخرى . (عن القاموس الفارسى الانكليزى لاستنجاس) . و يبدو أن هذا التعريف لا يتفق مع ما يدل عليه سياق العبارة هنا ، فانه يدل على أنها تصير ضربا من الحساء .
(٤) مطجنة : مقلوة بالطاجن . (٥) هو عجيف بن عنبسة أحد رجالات دولة بنى العباس ومن قواد المعتصم . (راجع الطبرى طبعة أوربا القسم الثالث صفحة ١١٦٦ — ١١٦٨ و ١٢٥٦ — ١٢٥٨ و ١٢٦٤ — ١٢٦٦) .

صـــوت

ألم ترأنى يومَ جوّ سُوَيقةٍ[(١)] * بكيتُ فنادتنى هُنيدةُ ماليا

فقلتُ لها إنّ البكاء لراحةٌ * به يَشتفِى مَنْ ظَنّ أنْ لا تَلاقيا

— لحنُ علّويه فى هذا رملٌ . والشعرُ للفرزدق — قال : فقام علّويه ثم قال : هُوَ ذا ، أمضى إلى الأمير فأُحدِّثه بحديثنا وأستأذنه فى الانصراف بوقتٍ يكون فيه فضلٌ لكم . فانصرف بعد المغرب ومعه جامٌ ، فيه مِسْكٌ وعشرةُ آلاف درهمٍ ومَنِيّانِ[(٢)] فيهما رماطونٌ[(٣)] ، فقال : جئتُ أشرَب عندكم ، وآخُذه[(٤)] وأنصرف الى إنسانٍ له عندى أيادٍ (يعنى علىَّ بن مُعاذٍ أخا يحيى بن مُعاذ) . فلم يَزَلْ عندنا حتّى همّ بالانصراف . فلمّا رأيت ذلك فيه قمتُ قبلَه فأتيتُ منزلَ علىّ بن مُعاذ ، فقيل له : ابن الأبزارىّ بالباب . فبعث إلىّ : إنْ أردتَ مَضاءَ فخُذْه (يعنى غلامًا كان يغنّى) ، فقلتُ له : لست أريده ، إنّما أُريدك أنت ، فأذِن لى فدخلتُ . فقال : ألك حاجةٌ فى هذا الوقت ؟ فقلت : الساعةَ يجيئك علّويه . فقال : وما يُدريك ؟ فحدّثته بالحديث . ودخل علّويه ، فقال لى : ما جاء بك إلى هاهنا ؟ فقلتُ[(٥)] : ما كنتُ لأدَعَ بقيّةَ ليلتى هذه تضيع ، فما زال يُغنّينا ونشرَب حتى نام الناس ثم انصرفنا .

فضله عمرو بن بانة على نفسه

حدّثنى جعفر بن قُدامةَ قال حدّثنا هارون بن مُخارِق قال حدّثنى أبى قال :

---

(١) جوّ سويقة : من جواء الصمان . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) المنى : مكيال يكيلون به السمن وغيره . وتثنيته منوان ومنيان ، والأوّل أعلى ، وجمعه أمناء . وبنو تميم يقولون منّ (بتشديد النون) ومنان وأمنان . (٣) كذا فى ح . وأحسب أن الصواب : « فيهما رساطون » . والرساطون : ضرب من الشراب يتخذ من الخمر والعسل ، رومى معرب . وفى سائر الأصول : « فيهما رمان » . وظاهر أنه تحريف . (٤) مرجع الضمير ما كان معه من الجام وما نسق عليه .

(٥) فى الأصول : « فقال » وسياق الكلام يأباه .

قلت لعمرو بن بانة : أيّما أجودُ صَنْعتُك أم صنعةُ علّويَه ؟ فقال : صنعةُ علّويه، لأنه ضاربٌ وأنا مُرتَجِلٌ . ثم أطرق ساعةً وقال : لا أَكْذِبك يا أبا المُهنّا والله ما أحسِنُ أن أصنع مثل صنعةِ علّويَه :

١٢٦ / ١٠

فواحسرتَا لم أَقضِ منكِ لُبانةً * ولم أتمتّعْ بالجوارِ و بالقُرْبِ

ولا مثلَ صنعتِه : ٥

هَزِئتْ أُميمةُ أنْ رأتْ ظهرى ٱنحنَى * وذُؤابتى عُلّتْ بماء خضابِ

ولا مثلَ صنعته :

أَلَا يا حمامَىْ قصرِ دُورانَ هِجْتُما * لقلبى الهوَى لمّا تَغنّيْتُما لِيَا

وقد مضتْ نسبة هذه الأصوات .

غنى فى شعر هجى به علىّ بن الهيثم فأغرى الفضل بن الربيع به الأمين حتى ضربه ثم رضى عنه

حدّثنى جَحْظةُ قال حدّثنى أحمد بن الحسين بن هشام أبو عبد الله قال حدّثنى ١٠ أحمد بن الخليل بن هشام قال :

كان بين علّويه و بين علىّ بن الهَيْثَم جَوْنَقَا شرٌّ فى عَرْبدةٍ وقعتْ بينهما بحضرة الفضل ابن الربيع وتمادَى الشرّ بينهما، فغنّى علّويه فى شعرٍ هجاه به أبو يعقوب[1] فى حاجةٍ، فهجاه وذكر أنه دَعىٌّ، وكان جَوْنَقَا يدّعى أنّه من بنى تَغْلِب، فقال فيه أبو يعقوب :

يا علىَّ بنَ هَيْثَمٍ يا جَوْنَقَا * أنت عندى من الأَراقِم[2] حَقّا ١٥

عربىٌّ وجَدُّه نَبَطىٌّ ! * فَدَبَنْقَا[3] لِذَا الحديث دبنْقا

(١) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهى الشاعر المعروف بالخريمى . نزل بغداد وأصله من خراسان من أبناء السغد، وكان متصلا بخريم بن عامر المرى وآله فنسب إليه . وقيل : كان اتصاله بعثمان ابن خريم . وكان عثمان هذا قائدا جليلا وسيدا شريفا . ومن شعر الخريمى :

رسا بالصغد أصل بنى أبينا * وأفرعنا بمرو الشاهجان ٢٠

وكم بالصغد لى من عم صدق * وخال ماجد بالجوزجان

وكان شاعرا مجيدا من شعراء الدولة العباسية، توفى سنة ٢٠٠ هـ . (٢) الأراقم هنا : حىّ من تغلب .

(٣) يظهر أن هذه الكلمة نبطية، وكذلك كلمة "شفقا" الآتية .

قد أصابتك فى التقرّب عينٌ * فاستنارت لشبهها الفلك برقا[1]
وإذا قال إننى عربىٌّ * فانتهره وقل له أنت شفقا

—ولحُرَيمى فيه أهاجٍ كثيرةٌ نَبَطية— فغنّى علّويه لحنًا صنعه فى هذه الأبيات بحضرة الأمين، وكان الفضل بن الربيع حاضرًا فقال: يا أميرَ المؤمنين علىُّ بن الهيثم كأبى، وإذا استخفّ به فإنّما استخفّ بى. فقال الأمين: خُذوه، فأخذوه وضُرب ثلاثين دِرّةً، وأمر بإخراجه. فطرح علّويه نفسه على كَوْثر فاستصلح له الفضلَ ابن الربيع، وترضّى له الأمينَ حتى رضِى عنه ووهب له خمسة آلاف دينار.

ادعى أنه لو شاء جعل الغناء كالجوز فرد عليه إسحاق بما أخجله

حدّثنى جعفر بن قُدامةَ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى مُخارِق قال: غَنّى علّويه يومًا بحضرة الواثق هذا الصوت:

مَن صاحبَ الدّهرَ لم يَحمَدْ تَصَرُّفَه * عَنًا[2] وللدّهر إحلاءٌ وإمرارُ

—ولحنه ثقيلٌ أوّل— فاستحسنه الواثق وطرِب عليه. فقال علّويه: والله لو شئتُ لجعلت الغِناء فى أيدى الناس أكثرَ من الجَوْز، وإسحاق حاضرٌ بين يديِ الواثق، فتضاحَك ثم قال: يا أبا الحسن، إذًا تكون قيمتُه مثلَ قيمة الجَوْز، ليتَك إذْ قَلَّلْتَه[3] صنعتَ شيئًا، فكيف إذا كثّرته! . فخجِل علّويه حتى كأنّما ألقمه إسحاق حجرًا، وما انتفع بنفسه يومئذ.

ترك موعد المأمون ليذهب الى عريب ثم غناه بما صنعاه فاستظرفه

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولى قال حدّثنى عبد الله بن المعتزّ قال حدّثنى عبد الله الهشامى قال:

(١) كذا ورد هذا الشطر فى ب، س. وفى جـ: «فشاب لها العلك برقا». وفى أ، م: «فسارب العلك برقا». وكل ذلك غير واضح ولا مستقيم. (٢) فى جـ، ب، س: «عنى». وفى أ، م: «عينا». والظاهر أنه العناء (بالمد) وهو النصب والمشقة، فقصره الشاعر.

(٣) فى الأصول: «ليتك إذا قاته ... ... فكيف إذا كسرته» وهو تحريف.

قال لى علّويه : أمرنا المأمونُ أنّ نُباكره لنصطبح ، فلقينى عبد الله بن إسماعيل المَراكبىّ مولى عَريبَ ، فقال : أيها الظالم المعتدى أمَا ترحَم ولا ترِقّ ، عريبُ هائمةٌ من الشّوق إليك تدعو الله وتستحكمه عليك وتحلُم بك فى نومها فى كلّ ليلة ثلاثَ مرّات .

١٢٧ / ١٠

قال علّويه : فقلت أمّ الخلافةِ زانيةٌ ، ومضيتُ معه . فحين دخلتُ قلت : آستوثِقْ من الباب ، فأنا أعْرَفُ الناسِ بفضول الحُجّاب ، فإذا عريبُ جالسةٌ على كرسىٍّ تطبُخ ثلاثَ قُدور من دَجاجٍ . فلمّا رأتْنى قامت فعانقتْنى وقبّلتنى وقالت : أىَّ شىء ٥ تشتهى ؟ فقلت : قِدْرًا من هذه القدور ، فأفرغتْ قِدْرًا بينى و بينها فأكلْنا ، ودعتْ بالنَّبيذ فصبّتْ رِطلًا فشَرِبتْ نِصْفَه وسقتْنى نصفَه ، فما زِلتُ أشرَب حتى كِدتُ أنْ أسكَرَ . ثم قالت : يا أبا الحسن ، غنّيتُ البارحةَ فى شعرٍ لأبى العتاهِيةِ أعجبنى ، أفتسمَعُه منّى وتُصْلِحُه ؟ فغنّتْ : ١٠

صوت

عَذيرِى مِنَ الإنسانِ لا إنْ جَفَوْتُه * صَفَا لى ولا إنْ صِرْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ
و إنّى لَمشتاقٌ الى ظِلِّ صاحبٍ * يَرُوقُ و يصفُو إن كَدِرتُ عليه

فصيّرناه مجلسًا ، وقالت : قد بقى فيه شىء ، فلم أزَلْ[(١)] أنا وهى حتى أصلحناه . ثم قالت : وأحِبّ أن تغنّى أنت فيه أيضا لحنًا ، ففعلتُ . وجعلنا نشرَب على التّحنين مَليًّا . ١٥ ثم جاء الحُجّاب فكسروا الباب وآستخرجونى ، فدخلتُ إلى المأمون فأقبلتُ أرقُص من أقصى الإيوان وأُصفِّق وأُغنّى بالصوت ، فسمِع المأمون والمغنُّون ما لم يعرِفوه فآستظرفوه ، وقال المأمون : آدْنُ يا علّويه ورُدَّه[(٢)] ، فردَدته عليه سبعَ مرّات . فقال لى فى آخرها عند قولى :

* يروق و يصفو إن كدرت عليه * ٢٠

(١) فى الأصول : «لم أزل» بدون الفاء.
(٢) يقال : ردّ القول تردادا إذا كرره ، مثل ردّده.

يا عَلُّويه خُذ الخلافةَ وأعطِنى هذا الصاحبَ .

لحنُ عَرِيبَ فى هذا الشعر رَمَلٌ . وفيه لعلّويه لحنان : ثانى ثقيلٍ، وماخُورىّ .

سمع منه إبراهيم ابن المهدى صوتين فحسده

وقال العَتَّابىّ حدّثنى أحمد بن حَمْدون قال :

غاب عنّا علّويه مدّةً ثم صار إلينا . فقال له إبراهيم بن المهدىّ : ما الذى أحدثتَ

٥ بعدى من الصَّنْعة يا أبا الحسن؟ قال : صنعتُ صوتين . قال : فهاتِهما إذًا ؛ فغنّاه :

صـــوت

أَلَا إنّ لى نَفْسَيْنِ نفسًا تقولُ لى * تَمَتَّـعْ بليـلَى ما بدالك لِينُها

ونفسًا تقول آستَبْقِ وُدَّكَ واتَّئِدْ * ونَفْسَكَ لا تَطْرَحْ على مَنْ يُهِينُها

ـــ لحن علّويه فى هذين البيتين خفيف ثقيل ـــ قال : فرأيتُ إبراهيم بن المهدىّ قد كاد

١٠ يموت من حسده وتغيّر لونُه ، ولم يدرِ ما يقول له ؛ لأنه لم يجدْ فى الصوت مَطْعنًا ،

فعدَل عن الكلام فى هذا المعنى وقال : هذا يدُلّ على أنّ ليلَى هـذه كانت من لِينها

مثلَ المُوم[1] بالبَنَفْسَج ، فسكت علّويه . ثم سأله عن الصوت الآخر ، فغنّاه :

صـــوت

إذا كان لى شَيْئان يا أُمَّ مالكٍ * فإنّ لِجارى منهما ما تَخَيَّرَا

١٥ وفى واحدٍ إنْ لم يَكُنْ غيرُ واحدٍ * أراه له أهلًا إذا كان مُقْتِرا

ـــ والشعر لحاتمٍ الطائىّ . لحنُ علّويه فى هذين البيتين أيضًا خفيفُ ثقيلٍ . وقد

رُوى أنّ إبراهيم الموصلىّ صنعه ونحله إيّاه ، وأنا أذكر خبرَه بعَقِبِ هذا الخبر ـــ قال

أحمد[2] بن حمدون : فأتى والله بما برّز على الأول وأوفى عليه ، وكاد إبراهيم يموت غيظًا

---

(١) المومُ هنا : الشمع . (٢) فى الأصول هنا : « إبراهيم بن حمدون » وهو تحريف .

١٢٨
١٠

وحسدًا لمنافسته فى الصَّنْعة وعجزِه عنها . فقال له : وإن كانت لك آمرأتان يا أبا الحسن حبوتَ جارَك منهما واحدةً؟! فخجل علّويه وما نطق بصوتٍ بقيّة يومه.

وحدّثنى عمّى عن علىّ بن محمد عن جَدّه حَمْدون هذا الخبر، ولفظُه أقلّ من هذا .

نحله إبراهيم الموصلى صوتا فلم يظهره إلا أيام المأمون

فأمّا الخبر الذى ذكرتُه عن علّويه أنّ إبراهيمَ الموصلىّ نحلَه هذا الصوت، فحدّثنى جَحْظةُ قال حدّثنى آبنُ المكىّ المُرْتَجِل وهو محمد بن أحمد بن يحيى قال حدّثنى علّويه قال :

قال إبراهيم الموصلىّ يومًا : إنّى قد صنعتُ صوتًا وما سمِعه منّى أحدٌ بعدُ، وقد أحببتُ أن أنفعَك وأرفع منك بأنْ أُلقيه عليك وأهَبَه لك، وواللهِ ما فعلتُ هذا بإسحاق قطُّ وقد خصصتُك به، فآنتحِلْه وآدّعِه، فلستُ أنسُبه إلى نفسى وستكْسِب به مالًا . فألقَى علىَّ قولَه :

إذا كان لى شيئانِ يا أمَّ مالكٍ * فإنّ لجارى منهما ما تخيّرا

فأخذتُه وآدّعيته وسترتُه طولَ أيّام الرشيد خوفًا من أن أُتَّهَم فيه وطولَ أيّام الأمين حتى حدَث عليه ما حدث . وقدِم المأمون من خُراسانَ وكان يخرج إلى الشمّاسيّة[1] دائمًا يتنزّه، فركبتُ فى زلّالٍ[2] وجئتُ أتْبَعه، فرأيتُ حَرّاقة علىّ بن هشام، فقلتُ للملّاح : اطْرحْ زلّالِى على الحَرّاقة ففعل، وآستُؤذِن لى فدخلتُ وهو يشرب مع الجوارى — وما كانوا يحجُبون جَواريَهم فى ذلك الوقت ما لم يَلِدْنَ — فإذا بين يديه مُتيَّم وبَذْلُ [من] جَوارِيه، فغنّيته الصوتَ فآستحسنه جِدًّا وطرِب عليه وقال : لمن هذا؟ فقلتُ : هذا صوتٌ صنعتُه وأهديته لك، ولم يسمَعه أحدٌ قبلَك، فآزداد به

(١) الشماسية هنا : من ضواحى بغداد . (٢) الزلال : ضرب من الزوارق .

٥ ١٠ ١٥ ٢٠

عجبًا وطَرَبا وقال لها: خُذِيه عنه (١)، فألقيتُه عليها حتى أخذتْه، فسُرّ بذلك وطِب، وقال لى: ما أجِدُ لك مُكافأةً على هذه الهديّة إلّا أن أتحوّل عن هذه الحَرّاقة (٢) بما فيها وأُسَلّمه إليك أجمَع. فتحوّل الى أخرى، وسُلِّمتِ الحَرّاقةُ بخزانتها وجميع آلاتها إلىّ وكلِّ شىء فيها، فبِعتُ ذلك بمائةٍ وخمسين ألفَ درهمٍ واشتريتُ بها ضَيْعتى الصالحيّة.

غنى المأمون لحنا فى بيت لم يعرفه أحد ثم عرف بعد

حدّثنى جَحْظةُ قال حدّثنى ابن المكىّ المرتجل عن أبيه قال قال (٣) إسحاقُ بن حُمَيدٍ كاتبُ أبى الرازىّ، وحدّثنى به عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى حسّان بن محمد الحارثىّ عن إسحاق بن حُمَيْدٍ كاتبِ أبى الرازىّ قال:

غنّى علّويه الأعسرُ يومًا بين يَدَيِ المأمون (٤):

تَخَيَّرتُ من نَعْمانَ عُودَ أَراكةٍ * لهندٍ فمَنْ هٰذا يُبَلِّغه هِنْدَا

فقال المأمون: أُطلبوا لهذا البيت ثانيًا فلم يُعْرَف، وسأل كلَّ مَنْ بحضرته من أهل الأدب والرُّواة والجُلَساء عن قائل هذا الشعر فلم يعرفه أحدٌ. فقال إسحاق بن حُميد: لمّا رأيتُ ذلك عُنِيتُ بهذا الشعر وجَهَدتُ فى المسألة وطلبته ببغدادَ عند كلّ متأدِّب وذى معرفةٍ فلم يَعْرِفه. وقلّد المأمون أبا الرازىّ كُوَرَ دِجْلةَ وأنا أَكتُب له، ثم نقله إلى اليَمامة والبَحْرَين. قال إسحاق بن حُمَيْد: فلمّا خرجنا ركبت مع أبى الرازىّ فى بعض اللّيالِى على حِمارة (٥)، فآبتدأ الحادى يحدو بقصيدةٍ طويلةٍ، وإذا البيتُ الذى كنت أطلُبه، فسألتُه عنها فذكر أنها للمُرَقِّش الأكبر، فحَفِظْتُ منها هذه الأبيات:

---

(١) الخطاب لاحدى الجاريتين. (٢) كذا فى نهاية الأرب. وفى الاصول: «وقال مالى ما أجد لك ...». (٣) فى الأصول: «كان» وهو تحريف.

(٤) زيد فى ج هنا: «قال». وفى سائر الأصول «فقال». وظاهر أنه لا مقتضى لهذه الكلمة هنا.

(٥) فى ج: «... فى بعض الليالى قبة على حمارة».

خَلِيلَىَّ عُوجَا بارك الله فيكما * وإنْ لم تكُنْ هندٌ لأرضكما قَصْدَا

وقُولَا لها ليس الضَّلَالُ أجازَنا * ولكنّنا جُزْنا لِنَلْقاكُمُ عَمْدَا

١٢٩ / ١٠

تَخَيّرتُ من نَعْمانَ عودَ أراكةٍ * لهندٍ فمَنْ هذا يبلّغه هندَا

وأنطيتُه[1] سيفى لكيما أُقيمَه * فلا أوَدًا فيه ٱستبنتُ ولا خَضْدَا[2]

سَتُبْلِغُ هندًا إنْ سَلِمْنا قلائصٌ[3] * مَهَارِى يُقَطِّعن الفَلاةَ بنا وَخْدَا

٥

فلمّا أنخنا العيسَ[4] قد طار سيرُها * إليهم وجدْناهم لنا بالقِرَى حَشْدَا[5]

فناولتُها المِسْواكَ والقلبُ خائفٌ * وقلتُ لها يا هندُ أهلكْتِنا وَجْدَا

فمدّتْ يدًا فى حُسْنِ دَلٍّ تَنَاوُلًا * إليه وقالتْ ما أرى مثلَ ذا يُهْدَى

وأقبلتُ كالمُجتازِ أدّى رسالةً * وقامتْ تجُرّ المِيسَنَانِىَّ[6] والبُرْدَا

تَعَرَّضُ للحىّ الذين أريدهم[7] * وما ٱلتمست إلّا لِتقتُلَنِى عَمْدَا

١٠

فما شِبْهُ هندٍ غيرُ أدماءَ[8] خاذلٍ * من الوَحْشِ مُرْتاعٍ مُرَاعٍ طَلًا فردا

(١) أنطى: لغة فى أعطى. يريد أنه عرض العود على السيف ليقيم به أوده، فلم يستبن فيه أودا ولا كسرا.

(٢) فى الأصول: «ولا حصدا» بحاء وصاد مهملتين. وهو تصحيف. والخضد: كسر العود من غير أن يبين. (٣) قلائص: جمع قلوص. والقلوص من الابل: الشابة. والمهارى (بفتح الراء وكسرها): جمع مهرية، نسبة الى مهرة بن حيدان، حىّ من العرب.

١٥

(٤) العيس من الابل: البيض يخالط بياضها شقرة، واحدها أعيس وعيساء.

(٥) الحشد (بالفتح، ومثله الحشد بالتحريك): الجماعة المحتشدون.

(٦) الميسنانى: ضرب من الثياب منسوب الى ميسان، وهى كورة من كور دجلة بسواد العراق بين البصرة وواسط، والنسبة اليها «ميسانى» على القياس، و«ميسنانى» بزيادة نون.

(٧) كذا فى الأصول. ولعل صوابه: «أديرهم» أى أداورهم وأحارفهم.

٢٠

(٨) الأدمة فى الظباء والنوق: لون مشرب بياضا. والخاذل من الظباء: التى تخلف عن صواحبها وتنفرد، أو أقامت على ولدها. ومراع: وصف من راعاه يراعيه إذا حفظه أو رعى معه. والطلا هنا: ولد الظبية.

قال : فكتب بها إلى المأمون فاستُحْسِنَتْ و رُوِيتْ، وأمر علّويه فصنَع فى البيتين الأوّلين منها غناء يُشبه (١) .

أغانى علّويه فى هذه الأبيات : اللحن الأوّل (٢) فى قوله :

* تخيّرت من نَعمانَ عودَ أراكةٍ *

٥ غَنّاه عَلُّويه وليس اللحن له، اللحن لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصر. ولحنُه الثانى الذى أَمره أنْ يصنعه فى :

* خَليليّ عُوجَا بارك الله فيكما *

رمـلٌ .

دفـع الى المعتصم رقعة فى أمر رزقه ثم غناه بشـعر لابن هرمة

حدّثنى جعفر بن قُدَامةَ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال :

١٠ عرَض عَلُّويه على المعتصم رُقْعةً فى أمر رِزْقه و إقطاعه وهو يشرَب دفَعها اليه من يده، فلمّـا أخذها آندفع علّويه يغنّى :

صـــوت

إنّى آسْتحيتُكَ أنْ أفُوهَ بحاجتى * فإذا قـرأتَ صحيفتى فَتَفهَّـمِ

وعليـكَ عهـدُ الله إنْ خبّرتَه * أحدًا ولا أظهـرتَه بِتَكلُّـمِ

١٥ فقرأ المعتصم الرُّقعة وهو يضحَك، ثم وقَّع له فيها بمـا أراد .

الشعر لأبن هَرْمةَ كتَب به إلى بعض آل أبى طالبٍ وهو إبراهيم بن الحسن يطلُب منـه نبيذًا وقد خرج هو وأصحابُه الى السَّيالةِ (٣) ، فكتَب إليـه البيتَ الأوّل على ما رويناه، والثانى غيّره المغنُّون، وهو :

(١) كذا فى الأصول الخطية . وفى الكلام حذف . ولعل تقديره : «يشبه اللحن الأول» وهو اللحن
٢٠ الذى فى قوله : * تخيرت من نعمان عود أراكة * وفى ب، سـ «شبه أغانى علوية ... » .
وظاهر أن « أغانى علوية فى هذه الأبيات » عنوان لما بعده .

(٢) فى ب ، سـ : « واللحن الأول ... » بزيادة الواو .

(٣) السيالة : أرض يطؤها طريق الحاج؛ قيل هى أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة .

وعليك عهدُ الله إنْ أعلمتَه * أهلَ السَّيالةِ إنْ فعلتَ و إنْ لم

فلمّا قرأ الرُّقعة قال : علىّ عهدُ الله إنْ لم أُعْلِمْ به عاملَ السَّيالةِ . [وكتب إلى عامل السَّيالة [1]] : إنّ ابن هَرْمةَ وأصحاباً له سُفهاء يشربون بالسَّيالة ، فاركَبْ إليهم ، حتّى تأخذهم ، فركِب إليهم ونَذِروا به [2] ، فهرَب ، وقال يهجو إبراهيم :

كتبتُ إليكَ أستهدِى نَبِيذًا [3] * وأُدْلى بالمَوَدّةِ والحقوقِ
فخَبّرْتَ الأميرَ بذاكَ جهلًا [4] * وكنتَ أخا مُفاضَحةٍ ومُوقِ [5]

حدّثنى بذلك الحرمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبير . وقد ذكرتُه فى أخبار ابن هرْمة [6] . والغناءُ لعبادِلَ .

١٣٠ / ١٠

حدّثنى جعفر بن قُدامةَ قال حدّثنى موسى بن هارون الهاشمىّ قال حدّثنى أبى قال :

غنى هو ومخارق معرّضين بفرس كميت للمعتصم فاعطاهما غيره

كنتُ واقفًا بين يدىِ المعتصم وهو جالسٌ على حَيْرِ الوَحْشِ [7] والخيل تُعْرَض عليه وهو يشرب و بين يديه علّويه ومُخارق يغنّيان ، فعرِض عليه فرسٌ كُمَيْتٌ أحمر ما رأيتُ مثلَه قطُّ ، فتغامز علّويه ومُخارق ، وغنّاه علّويه :

وإذا ما شَرِبوها وآنتشَوْا * وَهَبُوا كلّ جَوادٍ وطِمِرّْ [8]

(١) التكملة من الأغانى فيما تقدّم (جـ ٦ ص ٩٨ من هذه الطبعة) . وقد وردت هذه القصة هناك منسوبة إلى « حسن بن حسن بن على » وقد كتب هناك بأن هذه القصة لا يمكن أن تكون مع حسن ابن حسن لتقدّم عصره على عصر ابن هرمة ، بل الصحيح أنها كانت مع ابنه إبراهيم . (راجع الحاشية الثانية من تلك الصفحة) . (٢) نذر به : علم به . (٣) الرواية فيما تقدّم : «بالجوار وبالحقوق» . (٤) الرواية فيما تقدّم : «غدرا» . (٥) الموق هنا : الحمق فى غباوة .

(٦) لم يذكره فى أخبار ابن هرمة ، وإنما ذكره فى أخبار «عبادل» . (جـ ٦ ص ٩٨ وما بعدها من هذه الطبعة) . (٧) لم أقف على هذا الموضع . ومن معانى الحير فى اللغة البستان .

(٨) الطمرّ من الخيل : الجواد .

فتغافلَ عنه . وغنّاه مُخارِقُ :

يَهَبُ البِيضَ كالظِّباءِ وجُرْدًا[1] * تحت أجْلالِها وعِيسَ الرِّكابِ

فضحِك ثم قال : ٱسكُتا يا ٱبْنَيِ الزّانيتين ، فليس يملِكه والله واحدٌ منكما . قال : ثم دار الدَّوْرُ، فغنَّى علّويه :

٥ وإذا ما شرِبوها وٱنتشَوْا * وَهَبُوا كلَّ بِغالٍ وحُمُرْ

فضحِك وقال : أمّا هذا فنعَمْ، وأمَر لأحدِهما ببَغْلٍ وللآخَرِ بحِمار .

اجتمع مع أصحاب له عند زلبهزة ومعهم هاشمى حصلوا منه بحيلة على مال

حدّثنى عمِّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن محمد الأبزارىّ قال :

كنّا عند زلبهزة[2] النخّاس ، وكانت عنده جاريةٌ يقال لها خِشْفُ ٱبتاعها من علّويه ،

١٠ وذلك فى شهر رمضانَ ، ومعنا رجلٌ هاشمىّ من ولد عبد الصّمد بن علىّ يقال له عبدُ الصمد ، وإبراهيم بن عمرو بن نهبون وكان يحبّها ، فأعطَى بها زلبهزة أربعةَ آلاف دينار فلم يبِعْها منه ، وبقِيتْ معه حتى تُوُفِّيتْ ، فغنّتنا أصواتًا كان فيها :

أشارتْ بطَرْفِ العين خِيفةَ أهلِها * إشارةَ محزونٍ ولم تَتَكَلَّمِ

فأيقنتُ أنّ الطَّرْفَ قد قال مَرْحبًا * وأهلًا وسهلًا بالحبيبِ المُسَلِّمِ[3]

١٥ وأبرزتُ طَرْفى نحوَها لأُجيبَها * وقلتُ لها قولَ ٱمرئٍ غيرِ مُعجِمِ[4]

هنيئًا لكم قَتْلِى وصَفْوُ مودّتى * وقد سِيطَ[5] فى لحمى هواكِ وفى دمى

— الغناء لٱبن عائشة ثقيلٌ أوّل عن الهشامىّ — قال : فلما وثبنا لِلاٌنصراف قال لنا وقد اشتدّ الحرّ : أقِيموا عندى . فوجّهتُ غلامًا معى وأعطيتُه دينارًا وقلتُ له ٱبْتَعْ

(١) الجرد من الخيل : القصيرات الشعر، وهو مدح فيها ، الواحد أجرد وجرداء . وعيس الركاب : النوق البيض .

٢٠ (٢) كذا ورد هذا الاسم فى الأصول . وورد فى مختصر الأغانى مرة «زلبهدة» ، ومرة «زلهدة» . ولم نهتد لوجه الصواب فيه .
(٣) فى هامش أ : « المتيم » رواية أخرى .

(٤) المعجم : الذى لا يفصح فى كلامه . وفى ح ، ب ، س : «غير مفحم» والمفحم هنا : العيي .

(٥) سيط : خلط ومزج ؛ يقال : ساط الشىء يسوطه إذا ضرب به فخلط بعضه ببعض .

فَرَارِيجَ بعشرة دراهم وثلجًا بخمسة دراهم وعَجِّلْ، فجاء بذلك فدفعه الى زلبهزة وأمره بإصلاح الفراريج ألوانًا، وكتبتُ إلى علّويه فعرّفته خبرنا، فجاءنا وأقام، وأفطرنا عند زلبهزة، وشرب منّا مَنْ كان يستجيز الشرابَ، وغنّى علّويه لحنًا ذكر أنه لابن سُرَيْج ثقيلُ أوّل، فاستغرب(١) به الجماعةُ، وهو:

صــــوت

يا هندُ إنّ الناسَ قد أفسدوا * وُدَّكِ حتى عــزّنى المَطْلَبُ
يا ليتَ مَنْ يسعَى بنا كاذبًا * عاشَ مُهانًا فى أذًى يَتْعَبُ
هَبِيهِ ذنبًا كنتُ أذنبتُه * قد يغفر اللهُ لِمَنْ يُذْنِبُ
وقد شَجَانى وجرتْ دَمْعتى * أنْ أرسلتْ هندٌ وهى تَعْتِبُ:
ما هكذا عاهدتنا(٢) فى مِنًى * ما أنتَ إلّا ساحرٌ تَخْلُبُ
حلفتَ لى بالله لا نَبْتَغِى * غيرَكِ ما عشتِ ولا نَطْلُبُ(٣)

قال: وقام عبدُ الصمد الهاشمىّ ليبولَ. فقال علّويه: كلُّ شىء قد عرفتُ معناه: أمّا أنت فصديقُ الجماعةِ، وهذا يتعشّق هذه، وهذا مولاها، وأنا ربّيتها وعلّمتها، وهذا الهاشمىّ أيْشٍ معناه!. فقلتُ لهم: دعُونى أُحُكُّه(٤) وآخذ لزلبهزة منه شيئا. فقال: لا والله ما أُريد. فقلت له: أنت أحمقُ، أنا آخذ منه شيئا لا يستحى القاضى من أَخْذه. فقال: إنْ كان هكذا فنعمْ. فقلت له: إذا جاء عبدُ الصَّمد فقُلْ لى: ما فعَلَ الآجُرُّ الذى وعدتَنى به، فإنّ حائطى قد مال وأخاف أن يقع، ودَعْنى والقِصّةَ.

(١) فى ب، س: «فاستعذبه». (٢) فى أ، م: «عاهدتنى».
(٣) ورد هذ الشطر فى جـ محرّفا هكذا: * غير ما عشت ولا تطلب *
وأحسب أنه محرّف عن رواية فيه تكون هكذا:
... ... لا تبتغى * غيرى ما عشت ولا تطلب
(٤) أحكه، يريد: أحتك به وأتعرض له.

فلمّا جاء الهاشمىّ قال لى زلبهزة ما أمرتُه به ، فقلتُ : ليس عندى آجُرٌّ، ولكن آصبِرْ[1] حتّى أطلُب لك من بعض أصدقائى ، وجعلتُ أنظر إلى الهاشمىّ نَظَر مُتَعرِّض به . قال الهاشمى : يا غلامُ دواةً ورُقْعةً ، فأحضر ذلك . فكتَب له بعشرة آلاف آجُرّة إلى عامل له ، وشربنا حتّى السَّحَر وآنصرفنا . فجئتُ برُقْعته إلى الآجُرّىّ ثم قلتُ : بكم تَبِيعه الآجُرَّ؟ فقال : بسبعة وعشرين درهمًا الألفَ . قلت : فبِكم تشتريه منّى؟ قال : بنُقْصان ثلاثة دراهم فى الألف . فقلتُ : فهاتِ ، فأخذتُ منه مائتين وأربعين درهمًا ، وآشتريتُ منها نبيذًا وفاكهةً وثلجًا ودَجَاجًا بأربعين درهمًا ، وأعطيتُ زلبهزة مائتى درهم وعرّفته الخبر ، ودعونا علّويه والهاشمىّ ، وأقمنا عند زلبهزة ليلتَنا الثانية . فقال علّويه : نَعَمْ ! آلآن صار للهاشمىّ عندكم موضعٌ ومعنًى .

هو مصلى كل سابق فى الصنعة والضرب وطيب الصوت

أخبرنى جحظةُ قال حدّثنى أحمد بن حمدون قال حدّثنى أبى قال :

قال لنا الواثق يومًا : مَنْ أحذقُ الناس بالصَّنْعة؟ قلنا إسحاق . قال : ثم مَنْ؟ قلنا : علّويه . قال : فمَنْ أضربُ الناس ؟ قلنا : ثَقِيفٌ[2] . قال : ثم مَنْ ؟ قلنا : علّويه . قال : فمَنْ أطيبُ الناس صوتًا ؟ قلنا : مُخارق . قال ثم مَنْ؟ قلنا : علّويه . قال : آعترفتم له بأنه مُصلّى كلِّ سابقٍ ، وقد جمع الفضائلَ كلَّها وهى متفرّقةٌ فيهم ، فما ثَمّ ثانٍ لهذا الثالث[3] .

غنى المأمون فى دمشق بما أساءه فغضب عليه وشتمه

وحدّثنى جَحْظةُ قال حدّثنى محمد بن أحمد المكىّ المُرْتَجِل قال حدّثنى أبى قال : دخلتُ إلى عَلّويه أعوده مِن عِلة آعتلّها ثم عُوفى منها ، فجرى حديثُ المأمون ، فقال لى : كِدْتُ — عَلِم الله — أذهَب دَفْعةً ذاتَ يومٍ وأنا معه لولا أنّ الله تعالى

(١) فى الاصول : « اصبر لى » بزيادة « لى » . وليست فى مختصر الأغانى .

(٢) فى الأصول هنا : « ثقف » والتصويب مما تقدّم فى الأغانى (ج ٥ ص ٣٥٢ من هذه الطبعة) . (٣) فى الأصول الخطية : « فها ثم ثان لهذا الثالث ... » . وظاهر أن فى هذه العبارة تحريفا .

سلمنى ووهب لى حِلْمَه . فقلت : كيف كان السبب فى ذلك ؟ فقال : كنتُ معه لمّا خرج الى الشأم ، فدخلْنا دِمَشْق فطُفْنا فيها ، وجعل يطوف على قصور بنى أُمَيّة ويَتَّبع[1] آثارَهم ، فدخل صَحْنًا من صُحونهم ، فإذا هو مفروشٌ بالرُّخَام الأخضر كلُّه وفيه بِرْكةُ ماء يدخُلها ويخرج منها من عينٍ تَصُبّ اليها ، وفى البِرْكة سمكٌ ، وبين يديها بستانٌ على أربع زواياه[2] أربعُ سَرَوَاتٍ[3] كأنّها قُصّتْ بمِقراض من التفافها أحسنُ ما رأيتُ من السَّرْو[4] قَطُّ قَدًّا وقَدْرا . فآستحسن ذلك، وعزم على الصَّبُوح، وقال : هاتوا لى الساعةَ طعامًا خفيفًا، فأُتِى بِبَزْماوَرْدٍ[5] فأكل، ودعا بشرابٍ، وأقبل علىّ وقال : غَنِّنى ونَشِّطْنى ، فكأنّ الله عزّ وجلّ أنسانى الغناء كلَّه إلّا هذا الصوتَ :

لو كان حَوْلِى بنو أُمَيّةَ لَمْ * تَنْطِقْ رجالٌ أراهُمُ نَطَقُوا

فنظر إلىّ مُغْضَبًا وقال : عليكَ وعلى بنى أُمَيّةَ لعنةُ الله ! ويلَكَ ! أَقُلتُ لك سُؤْنِى أو سُرَّنى ! ألم يكن لك وقتٌ تذكُرُ فيه بنى أُمَيّة إلّا هذا الوقتَ تعرِّض بى ! . فتحيّلتُ عليه وعلمتُ أنّى قد أخطأتُ[6]، فقلتُ : أتلومُنى على أنْ أذكر بنى أُمَيّة ! هذا مولاكم زِرْياب[7] عندهم يركَب فى مائتى غُلامٍ مملوكٍ له ، ويملِك ثلاثمائة ألف

(١) أصله يتتبع (بتاءين)، فأدغمت التاء فى التاء . (٢) فى الأصول : «أربعة زواياه» . والتصويب من مختصر الأغانى . (٣) السروة : واحدة السرو، وهوضرب من الشجر حسن الهيئة قويم الساق . (٤) فى ج ، ب ، س : «من السروات» . (٥) فى أكثر الأصول : « فأتى به بين ماء وورد » . وفى ج : « فأتى بين ماورد » . والتصويب من مختصر الأغانى والأغانى فيما تقدّم (جزء ٤ صفحة ٣٥٣ من هذه الطبعة) . والبزماورد : طعام يتخذ من اللحم المقلى بالزبد والبيض . وفى شفاء الغليل : «زماورد معرّب ، والعامة تقول بزماورد ، وليس بغلط ، لأنه [كلمة] فارسية ، كما هو مسطور فى لغاتهم ، وهو الرقاق الملفوف باللحم ... » . (٦) فى ب ، س : «غلطت» .

(٧) يريد أن زريابا وهو علىّ بن نافع المغنى مولى بنى العباس ذهب إلى الأندلس فأكرمه الأمويون هناك . (راجع الحاشية الأولى من صفحة ٣٥٤ جزء ٤) .

دينارٍ وهَبوها له سوى الخيل والضِّياع والرَّقيق، وأنا عندكم أموت جوعاً . فقال : أوَلم يكنْ لك شيءٌ تذكِّرني به نفسَك غيرَ هذا ! فقلتُ : هكذا حضَرني حين ذكرتُهم . فقال : اعْدِلْ عن هذا وتَنَبَّهْ على إرادتي . فأنساني الله كلَّ شيء أحسِنه إلّا هذا الصوتَ :

٥ الحَيْنُ ساق إلى دِمَشْقَ ولم أَكُنْ * أرضى دِمَشْقَ لِأهلِنا بَلَدَا

فرماني بالقَدَح فأخطأني فآنكسر القدحُ ، وقال : قُمْ عنِّي الى لعنة الله وحرِّ سَقَر، وقام فركِب . فكانت والله تلك الحالُ آخِرَ عهدي به، حتى مرِض ومات (١) . قال: ثم قال لي : يا أبا جعفر كَمْ تُرَاني أُحْسِن ! أُغَنِّي ثلاثةَ آلافِ صوت، أربعةَ آلاف صوت، خمسةَ آلاف صوت، أنا والله أُغَنِّي أكثرَ من ذلك، ذهب عِلمِ الله كلُّه

١٠ حتى كأنِّي لم أعْرِفْ غيرَ ما غنَّيتُ . ولقد ظننتُ أنه لو كانت لي ألفُ رُوحٍ مانجتْ منه واحدةٌ منها، ولكنه كان رجلًا حليما، وكان في العُمْر بقيَّة .

نسبة هذين الصوتين المذكورين في الخبر

صـــوت

لو كان حولي بنو أميَّــةَ لم * تَنْـطِقْ رجالٌ أراهُمُ نَطَقُوا

١٥ مِنْ كلِّ قَرْمٍ مَحْضٍ ضرائبُه * عن مَنْكِبَيْه القميصُ يَنخرِق (٢)

الشعر لعبد الله بن قيس الرُّقَيات . والغناء لمَعْبَد، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشاميّ أنه لآبن سُرَيْج . وذكر ابن خُرْدَاذْبَه أنّ فيه لدُكَيْنِ بن عبد الله بن عَنْبَسة بن سعيد بن العاصي لحنًا من الثقيل الأوّل ، وأنّ دُكَيْناً مدنيٌّ كان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان .

---

٢٠ (١) الذى فى الجزء الرابع أنه غضب عليه عشرين يوما ، فكلمه فيه عباس أخو بحر، فرضى عنه ووصله بعشرين ألف درهم . (٢) انخراق القميص عن الشخص فيه قولان : أحدهما أنه إشارة الى جذب العفاة له . والآخر أنه يؤثر بجيد ثيابه فيكسوها غيره و يكتفى هو بمعاوزها .

صـــوت

الحَـنِينُ ساقَ إلى دِمَشْقَ وما * كانت دمشــقُ لأهلِنا بَلَدَا
قادتْكَ نَفْسُك فآستقدتَ لها[1] * وأُرِيتَ[2] أمرَ غَوايةٍ رَشَــدَا

لعُمَرَ الوادىّ فى هذا الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن ابن المكىّ. قال: وفيه ليعقوب الوادىّ رملٌ بالبِنصر. ٥

اعترض على خضابه فأجاب

حدّثنى عمّى قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال سمعتُ الحسن بن وَهْبٍ الكاتبَ يحدّث:

أنّ علّويه كان يَصطبح فى يوم خِضابه مع جواريه وحُرَمه، ويقول: أجعل صَبُوحى فى أحسن ما يكون عند جَوارىَّ. فقيل له: إنّ ابن سِيرِينَ كان يقول: لا بأْسَ بالخِضاب مالم تُغرَّرْ به امرأةٌ مسلمةٌ. فقال: إنّما كُرِه لئلّا يَتَصنّعَ به لمن ١٠ لا يعرفه من الحرائر فيتزوّجها على أنه شابٌّ وهو شيخ، فأمّا الإماء فهنّ مِلْكى، وما أُريد أنْ أغُرّهنّ.

قال الحسن: فتعالَلَ علّويه على المعتصِم ثلاثةَ أيّامٍ متواليــة وآصطبح فيها، فدعانى، وكان صوتُه على جَوارِيه فى شعر الأخطل:

١٣٣ / ١٠

كأنّ عَطّارةً[3] باتتْ تُطِيفُ به * حتى تَسَرْبَلَ مثلَ[4] الوَرْسِ وٱنْتَعَلَا[5] ١٥

فقال لى: كيف رويتَه؟ فقلتُ له: قرأتُ شعرَ الأخطلِ[6] وكان أعلمَ النّاسِ به، كان يختار «تَسَرْوَلَ» ويقول: إنما وصف ثورا دخل رَوْضَةً فيها نُوّارٌ أصفرُ فأثّر

(١) فى أكثر الأصول: «فأمنت نفسك فاستعذت لها». وفى ﺟ: «نامتك نفسك فاستعذت لها». والتصويب من مختصر الأغانى. (٢) فى مختصر الأغانى: «ورأيت».
(٣) فى الأصول: «عنظارة» والتصويب من كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب. ٢٠
(٤) كذا فى منتهى الطلب. وفى الأصول: «ماء الورس». (٥) فى الأصول ماعدا ﺟ: «وابتلعا» وهو تحريف. (٦) ظاهر أنه يريد: «قرأت شعر الأخطل على فلان وكان أعلم الناس به ... الخ» فسقط اسم من قرأ عليه من النساخ.

فى قوائمه وبطنه فكان كالسَّراويل، لا أنّه صار له سِرْبالٌ . ولو قال : « تسربل »
أيضًا لم يكن فاسدًا، ولكنّ الوجه « تسرولَ » .

مدح إسحاق لحنا له

أخبرنى جعفر بن قُدامةَ قال حدّثنى علىّ بن يحيى المنجِّم قال :

قَدِمتُ من سُرَّ مَنْ رأى قَدْمةً بعد طُول غَيبة، فدخلتُ إلى إسحاق الموصلىّ،
٥ فسلّم علىّ وسألنى خبرى وخبر الناس حتّى انتهينا إلى ذكر الغناء، فسألنى عمّا يتشاغل[1]
الناس من الأصوات المُسْتجادة[2] . فقلتُ له : تركتُ الناسَ كلَّهم مُغْرَمين بصوتٍ
لك . قال : وما هو ؟ فقلتُ :

* ألَا ياحَمامَىْ قَصرِ دُورانَ هِجْتُما *

فقال : ليس ذلك لى، ذاك لعَلّويه . وقد لَعَمْرى أحسنَ فيه وجَوّد ماشاء .

قال المأمون أبياتا فغناه فيها فوصله

١٠ أخبرنى جعفر بن قُدامةَ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعىّ قال
حدّثنى علّويه قال :

خرج المأمون يومًا ومعه أبياتٌ قد قالها وكتبها فى رُقْعة بخطّه، وهى :

صوت

خرجْنا إلى صَيْد الظِّباءِ فصادَنى * هناك غزالٌ أدعجُ العَيْنِ أحْوَرُ
١٥ غزالٌ كأنّ البدرَ حلّ جبينَه * وفى خدّه الشِّعْرَى المنيرةُ تَزْهَرُ
فصاد فُؤادى إذْ رمانى بِسَهْمِه * وسهمُ غزالِ الإنْسِ طَرْفٌ ومِحْجَرُ

---

(١) كذا فى ب، س . و « يتشاغل » فعل لازم فالكلام به غير مستقيم . وفى ج هكذا : « يتشام » وفى أ، م هكذا : « يتشاءم » . وقد تقدم هذا الخبر نفسه فى صفحة ٣٣٥ وفيه : « فقال أى شىء رأيت الناس يستحسنونه فى هذه الأيام من الأغانى ... الخ » . (٢) فى ج : « المستجدة » .

فيا مَنْ رأى ظبيًا يَصيدُ ومَنْ رأى * أخا قَنَصٍ يُصْطَادُ قَهْرًا ويُقْسَرُ

قال : فغنّيته [فيها][١]، فأمر لى بعشرة آلاف درهم .

قال أبو القاسم جعفر بن قُدامةَ : لحنُ علّويه فى هذا الشعر ثقيلٌ أوّل ابتداؤه نشيد .

غنى فى مجلس الرشيد بما أغضبه عليه

أخبرنى محمد بن مَزْيَدٍ قال حدّثنى حمّاد عن أبيه قال : غنّيتُ الرشيدَ يومًا :

همَا فَتاتانِ لَمّا يَعْرِفَا خُلُقَ * وبالشّبابِ على شَيْبِي يُدِلّانِ

فطرِب وأمر لى بألف دينار . فقال له ابنُ جامع — وكان أحسدَ الناس — : اِسمَعْ غناء العُقلاء ودَعْ غناء المجانين — وكنتُ أخذتُ هذا الصوتَ من مجنون بالمدينة كان يُجيده — ثم غنّى قولَه :

ولقد قالتْ لأترابٍ لها * كالمَهَا يَلْعَبْنَ فى حُجْرتِها

خُذْنَ عنى الظِّلَّ لا يَتْبَعُني * وغدتْ تسعَى إلى قُبّتِها

فطرِب وأمر له بألف وخمسمائة دينار . ثم تغنّى وَجْهُ القَرْعَةِ :

يَمْشُون فيها بكلِّ سابغةٍ * أحْكِمَ فيها القَتيرُ والحَلَقُ[٢]

فاستحسنه وشرِب عليه وأمَر له بخمسمائة دينار . ثم تغنّى علّويه :

وأرى الغَوانِيَ لا يُواصِلْنَ آمرأً * فَقَدَ الشّبابَ وقد يَصِلْنَ الأمْرَدَا

فدعاه الرشيد وقال له : ياعاضَّ بَظْر أمّه ! تُغَنّى فى مدح المُرْدِ وذمِّ الشِّيب وسِتارتى منصوبةٌ وقد شِبْتُ ! كأنّك إنّما عرّضتَ بى ! ثم دعا بمَسْرورٍ فأمَره أن يأخذ بيده فيُخْرِجه فيضربَه ثلاثين دِرّةً ولا يردّه إلى مجلسه ، ففعل ذلك ، ولم ينتفع الرشيد يومئذ بنفسه ولا آنتفعنا به بقيّةَ يومنا ، وجفا علّويه شهرًا فلم يأذَنْ له حتّى سألناه فأذِن له .

١٣٤ / ١٠

(١) زيادة يقتضيها السياق .
(٢) الدرع السابغة : التى تجر فى الأرض أو على الكعبين لطولها وسعتها . والقتير : مسامير الدرع .

نسبة هذه الأصوات التى تقدّمت

صوت

هما فتاتانِ لمّا يَعرِفا خُلُقِى * وبالشّبابِ على شَيْبى يُدِلّانِ
كُلُّ الفَعَالِ الّذى يفعلنه حَسَنٌ * يُضْنِى فؤادى ويُبْدِى سِرَّ أشجانى
٥ بَلِ آحْذَرَا صَوْلةَ من صَوْلِ شَيْخكما * مَهلًا عنِ الشَّيْخِ مهلًا يافتاتانِ

لم يَقَعْ إلىّ شاعِرُه . فيه لابن سُرَيْج ثانى ثقيلٍ بالسبّابة فى مَجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لآبن سُرَيج رملٌ بالبِنصر عن عمرو . وفيه لسليمان المُصَاب رملٌ كان يغنّيه ، فدسّ الرشيد إليه إسحاقَ حتّى أخذه منه، وقيل : بل دسّ عليه آبنَ جامع .

خبر أخذ إسحاق صوتا من سليمان المصاب

أخبرنى جعفر بن قُدامةَ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

١٠ دعانى الرشيدُ لمّا حجّ، فقال : صِرْ إلى موضع كذا وكذا من المدينة ؛ فإنّ هناك غلامًا مجنونًا يغنّى صوتًا حسنًا، وهو :

هُما فتاتانِ لمّا يعرِفا خُلُق * وبالشبابِ على شيبى يُدِلّانِ

وله أمٌّ، فصِرْ إليها وأقِمْ عندها وآحتَلْ حتّى تأخذه . فجئتُ أستدلّ حتّى وقفت على بيتها، فخرجتْ إلىّ فوهبتُ لها مائتى درهم، وقلتُ لها : أريد أن تحتالى على آبنِكِ
١٥ حتّى آخُذَ منه الصوتَ الفلانىّ . فقالت : نَعَمْ، وأدْخلتنى دارَها، وأمرتْنى فصَعِدتُ الى عِلّيّة لها، فما لَبِثتُ أنْ جاء آبنها فدخل . فقالت له : يا سليمانُ فدتْك نفسى! أُمُّك قد أصبحتِ اليومَ خاثِرةً مُغْرَمةً(١)، فاحِبّ أن تغنّى ذلك الصوتَ :

* هما فتاتان لمّا يعرفا خُلُقِى *

فقال لها : ومتى حدَث لك هذا الطّرَب ؟ قالت : ما طَرِبتُ ولٰكنّنى أحببتُ
٢٠ أن أتفرّج من همٍّ قد لحِقنى . فآندفع فغنّاه، فما سمعتُ أحسنَ من غِنائه . فقالت

(١) خاثرة : ثقيلة النفس غير طيبة ولا نشيطة . والمغرمة هنا : المصابة بألم يلازمها ويلح عليها .

له أمّه : أحسنتَ ! فديتُك ! فقد والله كشفتَ عنّى قِطعةً من همّى ، فأسألُك أن تُعيدَه . قال : والله مالى نَشاطٌ ، ولا أشترى غَمّى بفَرَحك . فقالتْ : أعِدْه مرّتين ولك درهمٌ صحيحٌ تشترى به ناطِفًا[1] . قال : ومن أين لكِ درهم؟ ومتى حدَث لكِ هذا السخاء ؟ فقالت : هذا فضولٌ لا تحتاج اليه ، وأخرجتْ إليه درهمًا فأعطته إيّاه ، فأخذه وغنّاه مرّتين ، فدارَ لى وكاد يَسْتَوِى . فأومأتُ إليها من فوقُ أن تستزيده . فقالتْ : يابُنَىّ بحقّى عليك إلّا أعدتَه . فقال : أظُنّ أنك تُريدين أن تأخُذيه فتَصِيرى مغنّية . فقالت : نَعَمْ ! كذا هو . قال : لا ! وحقّ القبرِ لا أعدتُه إلّا بدرهم آخر . فأخرجتْ له درهمًا آخر ، فأخذه وقال : أظنُّك والله قد تَزَنْدَقْتِ وعَبدت الكَبْش فهو ينقُد لكِ هذه الدراهمَ ، أوْ قد وجدتِ كنزًا . فغنّاه مرّتين ، وأخذتُه واستوى لى . ثم قام فخرج يعدو على وجهه . فجئتُ الى الرشيد فغنّيته به وأخبرتُه بالقصّة ، فطرِب وضحِك وأمر لى بألف دينار ، وقال لى : هذه بَدَلُ مائتى الدِّرهم[2] .

صـــوت

ولقـــد قالتْ لأترابٍ لهـا * كالمَهَـا يَلعبْنَ فى حُجْرتِهـا

خُذْنَ عنّى الظِّلّ لا يتبَعنى * وعَدَتْ سَـعْيًا الى قُبّتهـا

لم يُصِـبْها نَكَدٌ فيما مَضَى * ظَبْـيةٌ تختـالُ فى مشيتها

فى هذه الأبيات رملٌ بالبِنصر ذكر الهشامىّ أنه لابن جامع المكىّ ، وذكر ابن المكىّ أنه لابن سُرَيْج . وهو فى أخبار ابن سريج وأغانيه غير مُجَنَّس .

(١) الناطف : ضرب من الحلوى يقال له القبيطى . (٢) فى الأصول : « بدل المائتى درهم » بتعريف المضاف وتنكير المضاف اليه ، ولم يقل به أحد من النحويين . ومذهب البصريين فى مثل هذا إدخال الألف واللام على الثانى ، نحو * ثلاث الأثافى والديار البلاقع * وجوز الكوفيون تعريف الجزأين فى العدد اذا كان مضافا نحو الخمسة الأثواب .

صـــوت

يمشون فيها بكلّ سابغةٍ * أُحْكِم فيها القَتِيرُ والحَلَقُ
تعرف إنصافَهُمْ إذا شَهِدوا * وصَبْرَهم حين تَشْخَص الحَدَقُ[1]

الغناء لابن مُحْرِز، خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامىّ وحبش .

٥

صـــوت

يَجْحَدْنَنى دَيْنى[2] النهارَ وأقتضى * دَيْنى إذا وَقَذ[3] النُّعاسُ الرُّقَّدا
وأرى الغوانى لا يُواصِلْن امرأً * فَقَدَ الشبابَ وقد يَصِلْن الأمْرَدا

الشعر للأعْشَى . والغناء لمَعْبَدٍ، خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

*
* *

١٠

صـــوت

أيَّةُ حالٍ يا ابنَ رامينِ * حالُ المُحِبِّينَ المساكينِ
تركتَهم مَوْتَى وما مُوِّتوا * قد جُرِّعوا منك الأمَرِّينِ[4]
وسِرْتَ فى رَكْبٍ على طِيَّةٍ[5] * رَكْبٍ تَهامٍ ويَمانِينِ
يا راعىَ الذَّوْدِ لقد رُعْتَهم * وَيْلَك من رَوْعِ المُحِبِّينِ

١٥ الشعر لإسماعيلَ بن عَمَّارٍ الأسَدىّ . والغناء لمحمد بن الأشْعَث بن بَجْوة الزُّهْرىّ الكوفىّ، ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ مطلق فى مجرى الوسطى، عن الهشامىّ وأحمد بن المكىّ .

---

(١) يقال : شخص بصر فلان إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف . وشخوص الحدق هنا كناية عن الفزع وشدة الخوف فى الحرب . (٢) فى شعر الأعشى : * يلوينني دينى النهار وأجتزى * ولىّ الدين : مطله . (٣) وقذ : صرع وغلب . (٤) يقال : لقى منه الأمرين

٢٠ (على صيغة الجمع) أى الدواهى، ويقال أيضا : لقيت منه الأمرين (على صيغة المثنى) . وقد كسرت نون جمع المذكر السالم فى هذه القصيدة والتى بعدها للشعر أو هى لغة . (٥) الطية : النية أى الوجه والقصد الذى تنتويه وتريده .

نسبُ إسماعيلَ بنِ عمّار وأخبارُه

نسب إسماعيل ابن عمار

هو إسماعيلُ بن عَمّارِ بن عُيَيْنة بن الطُّفَيْل بن جَذِيمَةَ بن عَمْرِو بن خَلَف بن زَبّان بن كَعْبِ بن مالكِ بن ثَعْلبَةَ بن دُودانَ بن أسَدِ بن خُزَيْمَةَ. أخبرنى بذلك علىّ بن سليمانَ الأخفشُ عن السُّكّرىّ عن ٱبن حبيبَ.

من مخضرمى الدولتين وكان ينزل الكوفة

٥ وإسماعيل بن عَمّارٍ شاعرٌ، مُقِلٌّ، مُخَضْرَمٌ من شعراء الدولتين الأُمَوِيّة والهاشميّة. وكان ينزِل الكوفةَ.

كان ممن يختلف الى ابن رامين وجواريه

قال ابن حبيبَ: كان فى الكوفة صاحبُ قِيانٍ يقال له ٱبْنُ رَامِينَ، قَدِمها من الحجاز، فكان مَنْ يسمع الغِناء و يشرَب النبيذَ يأتُونه ويُقيمون عنده: مثلُ يحيى بن زِيادٍ الحارثىّ، وسُراعة بن الزَّنْدَبُوذ، ومُطِيع بن إيَاس، وعبد الله بن العبّاس المفتون، ١٠ وعَوْنٍ العِبَادىّ الحِيرِىّ، ومحمد بن الأشعث الزُّهْرِىّ المغنِّى. وكان نازلاً فى بنى أسَدٍ فى جِيران إسماعيل بن عمّار، فكان إسماعيلُ يغشَاه و يشرَب عنده. ثم ٱنتقل من جِواره الى بنى عائذ[الله](١)، فكان إسماعيل يزوره هناك على مَشَقّة لبُعْدِ ما بينهما. وكان لٱبن رامين جَوارٍ يقال لهن سَلّامةُ الزرقاء، وسَعْدَةُ، ورُبَيْحَة، وكُنّ من أحسن الناس غِناء، واشترى بعد ذلك محمد بن سليمان سلّامةَ الزرقاء التى يقول فيها ١٥ محمد بن الأشعث:

١٣٦ / ١٠

أمسى لِسَلّامةَ الزرقاءِ فى كَبِدى * صَدْعٌ مُقِيمٌ طَوَالَ الدّهرِ والأبَدِ
لا يستطيعُ صَنَاعُ القومِ يَشْعَبُه * وكيف يُشْعَبُ صَدْعُ الحُبِّ فى كَبِدِ(٢)

---

(١) عائذ الله: حىّ من العرب. (٢) فى بعض الأصول: «فى كبدى».

قصيدة له فى جوارى ابن رامين

وفى جَوَارِيه يقول إسماعيل بنِ عمّار :

هَـلْ مِنْ شِـفَاءٍ لِقلبٍ لَجَّ محزونِ * صَبَا(١) وصَبَّ إلى رِئْم آبن رامـينِ
إلى رُبَيْحَـةَ إنّ الله فَضّلها * بحُسْنِهـا وسَمَاعٍ(٢) ذى أفانـينِ
وهاجَ قلبِي منها مَضْحَكٌ حسنٌ(٣) * ولَثْغَةٌ بعـدُ(٤) [فى] زَايٍ وفى سينِ
نَفْسِى تأبَّى لكمْ إلّا طَوَاعيـةً * وأنتِ تأبَيْنَ(٥) لُؤْمًا أنْ تُطيعينِى ٥
وتلك قِسْمَةُ ضِيزَى(٦) قد سمعتِ بها * وأنت تَتْلِينَها(٧) ماذاك فى الدِّينِ
إنْ تُسْعِفينِى بذاك الشىء أرضَ به * وإنْ ضَنَنْتِ به عنِّى فَزَيِّـنِى(٨)
أنتِ الطبيبُ لداءٍ قـد تلبَّس بى * من الجوَى فَآنفِثِى فى فِىَّ وآرْقِينى
نَعَمْ شِفاؤكِ منهـا أن تقولَ لهـا * أضْنَيْتِنِى يوم دَيْرِ اللُّج(٩) فَآشْـفِينى
يا ربِّ إنَّ آبنَ رَامينٍ له بَقَرٌ(١٠) * عِينٌ وليس لنا غيرُ(١١) البراذينِ ١٠

(١) فى أ ، م : «صب يصيب» . وفى سائر الأصول : « صب يغيب » . وقد أثبتناه كما ورد فى الأصول فى ذكر خبر سلامة الزرقاء وخبر محمـد بن الأشعث (جزء ١٣ صفحة ١٢٩ طبعة بلاق) . وصبا يصبو : مال إلى الجهل والفتوة . والصبابة : الشوق ، وقيل : رقته وحرارته ؛ يقال : صب فلان يصب (وزان فرح) صبابة فهو صب اذا عشق . (٢) السماع هنا : الغناء ، وكل ما التذته الأذن من صوت حسن سماع . (٣) فى ح : «قلبك» . (٤) فى الأصول : «بعد رائى» ، وقد أثبتناه ١٥ هكذا لاستقامة الوزن والمعنى به ، وتكون لثغتها فى أحرف الصفير، فتنطق بالزاى ذالا ، و بالسين ثاء . وأحرف الصفير الزاى والسين والصاد . (٥) الرواية فيما يأتى : « وأنت تحمين أنفا » .
(٦) قسمة ضيزى : جائرة . ولم تنون « قسمة » هنا للشعر . (٧) تتلينها : تتبعينها وتعملين بها .
(٨) فى أكثر الأصول هنا : «فعيننى» . وفى ح : «فيعنينى» . والتصويب مما سيأتى فى الأغانى (فى ذكر خبر سلامة الزرقاء، وخبر محمد بن الأشعث) . وكان اسماعيل بن عمار كتب إلى سعدة بهذه الأبيات ، فردّت ٢٠ عليه : « حاشاك من أن أزنيك ، ولكنى أسير إليك فأغنيك وألهيك وأرضيك» . (٩) كذا فى ح : وفى سائر الأصول : « دير الملح » وهو تحريف . ودير اللج : بالحيرة ، بناه أبو قابوس النعمان بن المنذر فى أيام ملكه ، ولم يكن فى ديارات الحيرة أحسن منه بناء ولا أنزه موضعا . (١٠) الرواية فيما يأتى : «يا رب ما لابن رامين» . (١١) فى الأصول هنا : «إلا البراذين» . والتصويب مما سيأتى .

لو شئتَ أعطيتَه مالًا على قَدَرٍ * يرضى به منك غيرَ الرَّبْرَب العِين[1]

لا أَنْسَ سَعْدَةَ والزَّرْقاءَ يومَ هُما * باللُّجِّ شَرْقِيَّهُ فوق الدَّكاكينِ[2]

يُغَنِّيانِ ابْنَ رامينٍ على طَرَبٍ * بالمَسْجَحِيِّ[3] وتشبيبِ المحِبِّينِ

أذاك أَنْعَمُ أم يومٌ ظَلِلتُ به * فِراشِيَ الوَرْدُ فى بُسْتانِ شُورِينِ[4]

يَشْوِى لنا الشيخُ شُورِينٌ دَوَاجِنَه * بالجَرْدَناجِ[5] وسُحّاجِ الشقابينِ[6]

نُسْقَى طِلاءً[7] لِعِمْرانٍ[8] يُعَتِّقُه * يَمْشِى الأَصِحَّاءُ منه كالمجانينِ

يُزِلُّ[9] أقدامنا من بعد صِحّتها * كأنّها ثِقَلًا يُقْلَعْنَ من طينِ

نمشى وأرجلُنا مطويّةٌ شَلَلًا[10] * مَشْىَ الإِوَزِّ التى تأتى من الصينِ

أو مَشْىَ عُمْيانِ دَيْرٍ[11] لا دليلَ لهم * سِوَى العِصِىِّ إلى يوم السَّعانينِ

(١) فى حـ ، ب ، س : « عين الربرب العين » . وفى أ ، م : « إلا الربرب العين » . وهما تحريف . والرواية فيما يأتى : « غير الخرد العين » . والربرب : القطيع من بقر الوحش . والعين : الواسعة العيون ، واحدتها عيناء . يريد جواريه اللاتى يشبهن بقر الوحش فى سعة العيون .

(٢) الدكاكين : جمع دكان ، وهو بناء يسطح أعلاه للجلوس عليه ، وهو المصطبة .

(٣) فى الأصول هنا : « للمسجحى بتشتيت المحبين » . والتصويب مما سيأتى . والمسجحى : الغناء المنسوب لابن مسجح . (٤) كذا ورد هذا الاسم فى الأصول هنا . وورد فى خبر سلامة الزرقاء ومحمد بن الأشعث فيما سيأتى : « سورين » بالسين المهملة . (٥) الجردناج : الشواء المكبوب على الجمر أو الطابق بعد كبسه فى مياه عطرة وأفاويه أو طبخه فيها نصف طبخة . وأصله فارسى . (٦) كذا فى ب ، س فى خبر سلامة الزرقاء فيما سيأتى من الأغانى . وفى أكثر الأصول هنا « شجاج الشعانين » وفى بعضها : « شجاج السقانين » . والشقابين : جمع شقبان (بالتحريك) وهو طير نبطى . أما « سحاج » فأحسب أن صوابها « سحاح » (بضم السين وتشديد الحاء) جمع ساح بمعنى سمين . والمذكور فى كتب اللغة أن جمع « ساح » سحاح (بضم السين وكسرها ، وبتخفيف الحاء) . (٧) الرواية فيما سيأتى : « شرابا » . وفى معجم ما استعجم للبكرى (فى دير اللج) : « يسق شرابا كلون النار عتقه » . ومرجع الضمير فى « يسق » ابن رامين فى البيت قبله .

(٨) ذكر المؤلف فيما سيأتى أنه « يعنى عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله » .

(٩) فى الأصول المخطوطة : « ينزل » . وفى ب ، س : « تنزل » . ومرجع الضمير فى « يزل » الشراب فى البيت قبله . والرواية فيما سيأتى ومعجم ما استعجم :

نمشى اليها بطاء لا حراك بنا * كأن أرجلنا يقلعن من طين

(١٠) الرواية فيما يأتى : « عوج مطارحها » بدل : « مطوية شللا » . وفى معجم ما استعجم : « عوج مواقعها » (١١) فى الأصول هنا : « عميان عم » . والتصويب مما سيأتى ومعجم ما استعجم .

فى فِتيةٍ من بنى تَيمٍ لهوتُ بهم * تَيمِ بن مُرّةَ لا تَيمِ العَدِيِّينِ (١)
حُمْرُ الوُجوهِ كأنّا من تَحَشُّمنا * حسناءُ شمطاء وافتْ من فِلَسْطِين (٢)
ما عائذُ الله لولا أنتِ من شَجَنى * ولا آبنُ (٣) رامينَ لولا ما يُمَنِّينى
فى عائذ الله بيتٌ ما مررتُ به * إلّا وُجِئْتُ (٤) على قلبى بسِكّين
٥ يا سَعْدةُ القَيْنةُ (٥) الخضراءُ أنتِ لنا * أُنْسٌ لأنّك فى دار آبن رامين
ما كنتُ أحسَبُ أنّ الأُسْدَ تُؤْنِسنى (٦) * حتى رأيتُ اليك القلبَ يدعونى
لولا رُبَيْحةُ ما استأنستُ ما عَمَدتْ (٧) * نفسى اليك ولو مُثِّلتِ من طين (٨)

باع ابن رامين سلامة فى حجه فقال هو شعرا

قال: وحجّ آبن رامينَ وحجّ بجَوارِيه (٩) معه، وكان محمد بن سليمان إذ ذاك على الحجاز، فآشترى منه سَلّامةَ الزَّرْقاء بمائة ألِف درهم. فقال إسماعيل بن عمّار:

١٠ أيةُ حالٍ يا آبنَ رَامينِ * حالُ المُحِبِّين المساكينِ
تركتَهم مَوْتَى وما مُوِّتوا * قد جُرِّعوا منك الأَمَرِّين

١٣٧/١٠

(١) هكذا ورد هذا الشطر الأخير فى أكثر الأصول. ومكانه فى ح «حينا ... من فلسطين». وفى ح: «تجشمنا» بالجيم بدل «تحشمنا» بالحاء. (٢) فى ح: «ما عابد الله». وفى سائر الأصول: «يا عائذ الله». وعائذ الله: حىّ من العرب انتقل الى جوارهم ابن رامين ١٥ مع جواريه كما تقدّم. ورواية هذا البيت فيما سيأتى:

ما عائذ الله لى إلف ولا وطن * ولا ابن رامين لولا مايمنينى

(٣) فى الأصول: «لولا ابن رامين». (٤) وجئت: ضربت.
(٥) كذا فى ب، س فيما سيأتى. وفى الأصول هنا: «يا أسد القبة». والخضراء: يريد السوداء، وكانت سعدة كذلك. (٦) أحسب أن صوابه: «أن السود تؤنسنى» فان سعدة ٢٠ كانت سوداء. (٧) كذا ورد هذا الشطر فيما سيأتى. ومكان هذا الشطر فى أ، م هنا بياض. وفى ح: «لولا ... نسبت ما بقيت». وفى ب، س هنا:

* لولاك تؤنسنى بالقرب ما بقيت *

وهى جميعا غير واضحة.
(٨) فيما سيأتى: «وقد مثلت فى طين». (٩) هكذا فى الأصول!.

وسِرْتَ فى ركبٍ على طِيَّةٍ * رَكْبٍ تهامٍ ويمانينِ
حججتَ بيتَ الله تبغى به الـ ـبرَّ ولم ترْثِ لمحزونِ
يا راعىَ الذَّوْدِ لقد رُعْتَهُمْ * وَيْلَكَ من رَوْعِ المحبِّينِ
فرّقتَ قوماً لا يُرَى مِثْلُهم * ما بين كُوفانٍ(1) إلى الصِّينِ

مات له ابن فرثاه

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا السكّرىّ عن محمد قال :

كان لإسماعيل بنِ عمّارٍ ابنٌ يقال له مَعْنٌ فمات، فقال يرثيه :

يا مَوْتُ مالكَ مُولَعًا بِضِرارِى * إنِّى عليكَ وإنْ صَبرْتُ لزارى(2)
تعـدو علىّ كأنّنى لك واترٌ * وأؤول منكَ كما يؤولُ فِرارى(3)
نَفْسُ البعيدِ إذا أردتَ قريبةٌ * ليستْ بناجيـةٍ مع الأقـدارِ(4)
والمرءُ سوف وإنْ تطاولَ عُمْرُه * يوماً يصيرُ لحُفْـرة الحَفّـارِ
لمّـا غَلَا عَظْـمٌ(5) به فكأنّه * من حسن بِنْيَتِه قَضِيبُ نُضارِ(6)
فجعتنى بأعزّ أهـلِى كُلِّهـم * تعـدو عليـه عَدْوَةَ الجبّار
هَـلّا بنفسى أو ببعض قرابتى * أوقعتَ أوْ ما كنتَ للمُختـار(7)
وتركتَ ربتى التى مِنْ أجلِهـا * عِفتُ الجهادَ وصِرْتُ فى الأمصارِ(8)

(1) كوفان : الكوفة، وكوفان أيضا : قرية بهراة . (2) يقال : فلان زار على فلان إذا كان عاتبا ساخطا غير راض . وفى الأصول : « إنى إليك » . (3) فى ح : « قرارى » بالقاف . (4) يحتمل أن يكون « من الأقدار » . (5) فى الأصول : « لما علا عظمى به » وهو تحريف . يقال غلا بالجارية والغلام عظم، وذلك فى سرعة شبابهما وسبقهما لداتهما . وكل ما ارتفع فقد غلا وتغالى . (6) النضار هنا : الأثل الطويل المستقيم الغصون . (7) كذا فى الأصـول ! . (8) كذا فى الأصول . وأحسب أن صوابه : « وتركت زينتى ... » والزينـة ابنه . وهـذا إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ المال والبنون زينـة الحياة الدنيا ﴾ .

رفض أن يكون عاملا لما رأى العمال يعذبون وشعره فى ذلك

أخبرنى علىّ بن سليمان قال حدّثنى السكرىّ عن محمد بن حبيب قال :

قال رجلٌ من بنى أَسَدٍ كان وَجْهًا[1]، لإسماعيلَ بنِ عمّار : هلمّ أركبْ معك إلى يوسفَ بن عُمَر، فإنه صديق، حتى أكلّمه فيك يستعملُك على عملٍ تنتفع به . فقال له إسماعيل : دَعنِى حتى يحول الحول . فنظر إسماعيلُ إلى عُمّال يوسف

٥ يُعذَّبون، فقال فى ذلك :

رأيتُ صَبيحةَ النَّيْروزِ أمرًا * فظيعًا عن إمارتهم نَهانِى

فَرَرتُ من العِمالةِ بعد يحْيَى * وبعد النَّهْشَلىّ أبى أبَانِ

وبعد الزور وآبن أبى كَثيرٍ * وفيقدِ أشْجَعٍ وأبى بِطَانِ

فخَابِ بها أبا عُثمانَ غيرى * فما شأنُ الإمارةِ لى بشَانِ

١٠ أحاذِرُ أنْ أُقَصِّر فى خَراجى * إلى النَّيْروزِ أو فى المِهْرَجانِ

أُعَجَّلُ إنْ أتى أجلى بوقتٍ * وحَسْبِى بالمُجَرِّحةِ المَتانِ[2]

فما عُذْرِى إذا عَرَّضتُ ظهرى * لألفٍ من سِياطِ الشّاهجانِ[3]

تُعَدُّ ليوسفٍ عدًّا صحيحًا * ويحفظها عليه الجالدانِ

وأُسْحَبُ فى سَراويلِى بقَيْدِى * إلى حَسّانَ مُعْتَقَلَ اللِّسانِ

١٥ فمنهم قائلٌ بُعْدًا وسُحْقًا * ومنهم آخرانِ يُفَدِّيانِ[4]

كفانى من إمارتهم عَطَائى * وما أُحْذِيتُ[5] من سَبَقِ الرِّهانِ

---

(١) الوجه من الناس : سيد القوم مثل الوجيه . (٢) فى الأصول : «بالمحرجة المثان» . ويريد بالمجرّحة المتان السياط الشديدة التى تقطع جلد من يضرب بها . والشاعر يريد بهذا الاخبار الإشفاق والخوف . (٣) الشاهجان : هى مرو الشاهجان، كانت قصبة خراسان وأشهر مدنها .

٢٠ (٤) فى بعض الأصول «يعذبان» وهو تصحيف . (٥) أحذيت : أعطيت . وهذا البيت ساقط من أ ، م . وفى الأصول التى ورد فيها : «وما أحذمت» وفى بعضها «وما أخذمت» . وقد أثبتناه بما يستقيم به المعنى ولا يبعد كثيرا عن رسم الأصول . والسبق (بالتحريك) : ما يجعل من المال رهنا على المسابقة بين الخيل وغيرها . وأحسب أنه يريد ما يعطاه جوائز على إجادته فى شعره وسبقه الشعراء .

كفانى ذاك منهم ما بَقِينا[(١)] * كما فيما مَضَى لى قد كفانى

١٣٨ / ١٠

شعره فى بوبة وصيفة عبد الرحمن ابن عنبسة

وقال ابن حبيبَ فى الإسناد الذى ذكرناه : إنه كانت لعبد الرحمن بن عَنْبَسة ابن سعيد بن العاصى وصيفةُ مغنية يؤدِّبها و يَصْنعها[(٢)] لِيُهْدِيها الى هشام بن عبد الملك يقال لها بُوبة . فقال فيها إسماعيل بن عمّار :

بُوبَ حُيِّيتِ عن جليسِكِ بُوبَا * مُخطئًا فى تحيّتى أو[(٣)] مصيبا

ما رأينا قتيلَ حىٍّ حبا القـا * تلَ بالوِتْرِ أنْ يكونَ حبيبا

غيرَ ماقد رُزِقْتِ يابُوبَ منِّى * فهنيئًـا وإنْ أتيتِ عجيبا

غيرَ مَنٍّ به عليك وإنْ كُنْـ * ـتُ بقدْرِ القِيَانِ طَبًّا[(٤)] طبيبا

بنتُ عَشرٍ أديبةٌ فى قُرَيْش * نَجْ فأَكْرِمْ بهـم أبًا ونَسِيبا

أُدِّبتْ فى بنى أميّـةَ حتّى * كَمَلتْ فى حُجورهم تأديبا

قال : ثم أهداها ٱبنُ عنبسةَ إلى هشام . فقال إسماعيلُ بن عمّار :

ألَا حُيِّيتِ عنّا ثُـمَّ سَـقْيًا لكِ يا بُوبَه

وأَكْرِمْ بكِ مُهْـداةً * وأَحْبِبْ بكِ مَطْلوبه

ووَاهًا لكِ من بِكْرٍ * وواهًـا لكِ مثقوبَه

وواهًا لك مُلْقـاةً * وواهًا لك مكبوبه

لقد عاينَ مَنْ يَلْقـا * كِ من حُسْنِك أعجوبه

ويا وَيْلِى ويا عَوْلِى * فنفسى الدَّهْرَ مكروبه

(١) فى أ، م : «ماتهيّا» . (٢) صنع الجارية : ربّاها وأحسن تغذيتها .
(٣) فى الأصول «أم» . (٤) الطب : الخبير الحاذق بعمله، ومثله الطبيب .

على هَيْفاءَ حَوْراء[1] * على جَيْداءَ رُعْبوبه

إذا ضاجَعها المَوْلَى * فقد أدركَ محبوبه

هجاؤه لجارية له كان يبغضها

قال ابن حبيبَ فى هذه الرواية: كان لإسماعيلَ بنِ عمّار جاريةٌ قد ولَدتْ منه، وكانت سيئةَ الخُلق قبيحةَ المَنْظَر، وكان يُبغِضها وتُبغضه، فقال فيها:

٥ بُليتُ بزَمَّرْدةٍ[2] كالعَصَا * ألَصَّ وأخبثَ من كُنْدُش[3]

تُحِبّ النساءَ وتأبَى الرجالَ * وتمشى مع الأَسْفَهِ الأَطْيَش

لها وجهُ قِرْدٍ[4] إذا ازَّيَّنتْ[5] * ولونٌ كبَيْضِ القَطَا الأَبْرَش[6]

ومِن فوقِهِ لِمّةٌ جَثْلةٌ[7] * كمثلِ الخوافى مِنَ المَرْعَش

---

(١) هيفاء: دقيقة الخصر. وحوراء: شديدة بياض العين مع شدّة السواد واستدارة الحدقة.

١٠ وجيداء: طويلة الجيد. والرعبوبة — ومثلها الرعبوب —: الشطبة التارّة أو هى البيضاء الناعمة.

(٢) زمّردة: لغة فى «زنمردة» قلبت النون ميما وأدغمت فى الميم. وتروى أيضا بفتح الزاى وكسر الميم، وبكسر الزاى وفتح الميم. والزنمردة: المرأة التى تشبه الرجال خلقا وخُلقا. والكلمة فارسية معربة. وشبهها بالعصا لقلة لحمها وهزالها. وقد نسب أبو تمام هذه القصيدة فى ديوان الحماسة للغطمش الحنفى. (٣) كندش: لقب لص منكر كان معروفا عنـدهم، وقيل إنه العقعق،

١٥ وذكر بعضهم أنه الفارة. (راجع شرح التبريزى على الحماسة). والعقعق: طائر على قدر الحمامة، على شكل الغراب وجناحاه أطول من جناحى الحمامة، وهو ذو لونين أبيض وأسود، طويل الذنب. وفى طبعه الزنا والخيانة، ويوصف بالسرقة والخبث، والعرب تضرب به المثل فى جميع ذلك. (عن حياة الحيوان للدميرى فى كلامه على العقعق). (٤) ويروى: «لها شعر قرد». (٥) أصله «تزينت» فقلبت التاء زايا وأدغمت فى الزاى، فلما سكن الأول اجتلبت همزة الوصل. (٦) البرش والبرشة:

٢٠ لون مختلف: نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو غير ذلك. (٧) وردت هذه الكلمة فى الأصول محرفة. والتصويب من الحماسة، وقد صححها كذلك المرحوم الشنقيطى فى نسخته. واللمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن. وفى الحماسة: * لها جمة فوقها جثلة * والجمة من الشعر: دون اللمة فى الطول. والجثلة: الكثيرة الملتفة. والخوافى من الريش: ما تخفى اذا ضم الطائر جناحيه. والمرعش (بفتح أوّله وثالثه، وبعضهم يضم أوّله): جنس من الحمام أبيض يحلق فى الهواء. وقال أبو العلاء: عنى بالمرعش

٢٥ النسر الذى قد هرم. وقد اعتمدنا فى شرح بعض هذا الشعر على شرح التبريزى للحماسة.

وبطنٌ خَوَاصِرُه كالوطَا (١) * ب زادَ على كَرِشِ الأكْرَشِ
وإنْ نَكَهتْ كِدتُ من نَتْنِها (٢) * أخِرُّ على جانِبِ المَفْرَشِ
وثَدْىٌ تدلَّى على بطنِها * كقِرْبةِ ذى الثَّلَّةِ المُعْطِشِ (٣)
وفَخْذانِ بينَهما بَسْطةٌ (٤) * اذا ما مشت مِشْيةَ المُنْتَشِى (٥)
وساقٌ يُخَلْخِلُها خاتَمٌ * كساق الدَّجاجةِ أو أحْمشُ (٦)
وفى كلِّ ضِرْسٍ لها أَكْلَةٌ (٧) * أصَلُّ من القبرِ ذى المَنْبَشِ (٨)
ولمّا رأيتُ خَوَا (٩) أنفِها * وفِيها وإصْلالَ (١٠) ما تحتشِى
إلى ضاىٍ مثلِ ظِلْفِ الغَزالِ (١١) * أشَدَّ اصفرارًا من المِشْمِشِ

(١) الوطاب : جمع وطب (بالفتح)، وهو سقاء اللبن يتخذ من جلد الجذع فما فوقه . والأكرش : عظيم البطن . (٢) نكه (من بابى ضرب ومنع) : تنفس على أنف آخر .

(٣) الثلة (بالفتح) : القطعة من الغنم . والمعطش : الذى عطشت غنمه . ورواية الشطر الأول فى الحماسة :
* وثدى يجول على نحرها * يصفها بعظم الثدى . ويحتمل أن يريد أن ثديها طويل و إن كانت خالية ، فقد وصفه بالطول والتشنج . (عن شرح الحماسة) . (٤) فى الأصول : « بطشة » والتصويب بقلم المرحوم الشنقيطى . وفى الحماسة : * وفخذان بينهما نفنف * والنفنف هنا : المهواة بين الشيئين . (٥) المنتشى : السكران .

(٦) فى هذا البيت إقواء ؛ لأن المعنى على تقدير أو هى أحمش . ورواية البيت فى الحماسة :
وساق مخلخلها حمشة * كساق الجرادة أو أحمش
والحموشة : الدقة ، يقال : ساق حمشة (بالفتح) وحميشة وحمشاء أى دقيقة . والمخلخل : موضع الخلخال من الساق . وأنث الخبر — على رواية الحماسة — لاضافة المخلخل الى ضمير الساق ، والساق مؤنثة .
(٧) الأكلة (بفتح أوّله وكسر ثانيه ، وسكن هاهنا للشعر) : داء يقع فى العضو فيأتكل منه .
(٨) أصلّ : أنتن . وفى الأصول : «أضل» بالضاد المعجمة . والتصويب بقلم الأستاذ المرحوم الشنقيطى . (٩) كذا فى حـ . والخواء (بالمد) : الهواء بين الشيئين . وقصره الشاعر هنا للشعر . ووردت هذه الكلمة فى سائر الأصول محرفة بين «خدا» و« حذا » .
(١٠) الإصلال : مصدر أصل اللحم إذا أنتن ؛ يقال : صل اللحم وأصل . وما تحتشيه هنا : ما تضعه من القطن ونحوه فى فرجها لتحبس به دم الحيض . (١١) يريد فرجها .

فَرَرتُ مِنَ البيتِ من أجلها * فِرار الهَجينِ من الأعمش (١)

وأبرَدُ من ثَلجِ ساتِيدَمَا (٢) * إذا راح كالعُطُبِ (٣) المُنْفَش (٤)

وأرسَحُ (٥) من ضِفْدِعٍ عَثَّةٍ (٦) * تَنِقُّ على الشَّطِّ من مَرْعَش (٧)

وأوسَعُ من باب جِسْرِ الأمير * تَمُرُّ المَحَامِلَ لم تَخْدِش

٥ فهذِى صِفَاتِي فلا تَأْتِها (٨) * فقد قلتُ طَرْدًا لها كَشْكِشى (٩)

هجا جارا له بنى مسجدا قرب داره

وقال ابن حبيب : كان فى جِوارِ إسماعيل بن عمّار رجلٌ من قومه ينهاه عن السُّكْر وهجاء الناس ويعذُله، وكان إسماعيل له مُغْضِبا . فبنى ذلك الرجلُ مسجدًا يُلاصِق دارَ إسماعيل وحسَّنه وشيَّده، وكان يجلِس فيه هو وقومُه وذوو التستُّر والصلاح منهم عامَّةَ نهارِهم، فلا يقدِر إسماعيل أن يشرَب فى داره ولا يدخُل إليه ١٠ أحدٌ ممن كان يألَفه من مغنٍّ أو مغنِّية أو غيرِهما من أهل الرِّيبة . فقال إسماعيل يهجوه — وكان الرجل يتولّى شيئا من الوُقوف للقاضى بالكوفة — :

بَنَى مسجدًا بُنْيانُه من خِيانةٍ * لَعَمْرِى لَقِدْمًا كنت غيرَ مُوَفَّقِ

كصاحبةِ الرُّمّانِ لمّا تَصَدَّقَتْ * جَرَتْ مَثَلًا للخائن المتصدِّق

يقولُ لها أهلُ الصَّلاح نصيحةً * لكِ الوَيْلُ لا تَزْنِى ولا تَتَصدَّقِ

١٥ (١) كذا فى الأصول ! . (٢) ساتيدما : جبل متصل من بحر الروم الى بحر الهند . (٣) العطب (بضمتين ويسكن ثانيه) : القطن . (٤) الذى فى كتب اللغة أنه يقال : نفشت الصوف والقطن ونفشته (بتشديد الفاء) اذا ندفته . (٥) فى الأصول : «وأرشح» بالشين المعجمة . والتصويب بقلم المرحوم الشنقيطى . والرسح : قلة لحم الفخذين والعجز . (٦) كذا فى ح . والعثة (بالعين المهملة) : المحقورة والضئيلة الجسم . وفى سائر الأصول : ٢٠ «غثة» بالغين المعجمة . والغثة : الرديئة . (٧) مرعش : مدينة بين الشام و بلاد الروم . (٨) فى الأصول : «فلا تأبها» بالباء الموحدة . (٩) فى الأصول : «كشكش» بدون الياء . والكشكشة هنا : الهرب . يريد : فقلت لها اذهبى .

استعدى على غاضرى كلف رهطه الطواف

وقال ابن حبيب: وُلِّى العَسَس[(١)] رجلٌ غاضرىٌّ، فأخذ بنى مالكٍ وهم رهطُ إسماعيل ابن عمّار بأن كانوا معه، فطافوا الى الغداة. فلمّا أصبح غدا على الوالى مُسْتعدِياً على الغاضرىّ. فقال له الوالى — وكان رجلاً من هَمْدَانَ —: ماذا صنع بك؟ فأنشأ يقول:

عسَّ بنا ليلته كُلَّها * ما نحن فى دُنْيا ولا آخِرَهْ
يأمُر أشياخَ بنى مالكٍ * أن يحرُسوا دون بنى غاضِرَهْ
واللهُ لا يرضَى بذا كائنًا * من حُكْم هَمْدَانَ الى الساهِره[(٢)]

قال فقال له الوالى: قَدْ لَعَمْرِى صَدَقتَ، ووظَّف على سائر البطون أنْ يطوفوا مع صاحب العَسَس فى عشائرهم ولا يتجاوزوا قبيلةً الى قبيلةٍ، ويكون ذلك بنَوائب[(٣)] بينهم.

كان منقطعا إلى خالد بن خالد بن الوليد فلما مات رثاه

وقال ابن حبيب: كان إسماعيل بن عَمّار منقطعًا الى خالد بن خالد بن الوليد بن عُقْبَةَ بن أبى مُعَيْط، وكان إليه مُحْسِنًا، وكان يُنادمه. فوَلِى خالدُ بنُ خالدٍ عملاً للوليد ابن يزيد بن عبد الملك فخرج إليه، وكان إسماعيل عليلاً فتأخّر عنه، ثم لم يَلْبَثْ خالد أنْ مات فى عمله، فورد نَعْيُه الكوفة فى يوم فِطْرٍ. فقال إسماعيل بن عمّار يرثيه:

ما لِعَيْنِى[(٤)] تَفِيضُ غيرَ جَمُودِ[(٥)] * ليس تَرْقا ولا لها من هُجُودِ
فإذا قَرّتِ العيونُ آستهلّتْ * فإذا نِمْنَ أُولِعتْ بالسُّهود
ألِنَعْىِ ابنِ خالدٍ خالدِ الخَيْ * ـرات فى يوم زِينةٍ مشهود

---

(١) العسس: جمع أو اسم جمع لعاس، وهم طوّافو الليل لحراسة الناس والكشف عن أهل الريبة.
(٢) كذا فى الأصول. والساهرة فى اللغة: الأرض أو وجهها، وقيل هى الفلاة، وقيل هى الأرض التى لم توطأ، وقيل هى أرض يجدّدها الله يوم القيامة، وبهذه الأقوال فسر قوله تعالى: ﴿فاذا هم بالساهرة﴾.
(٣) نوائب: جمع نيابة بمعنى نوبة؛ فانه يقال جاءت نوبة فلان، وجاءت نيابة فلان.
(٤) فى الأصول: «ما لعين» بدون ياء المتكلم.
(٥) عين جمود: لا تدمع. ورقوء الدمع: جفافه وانقطاعه. والهجود: النوم.

سَنَحتْ لى يومَ الخميسِ غداةَ الـ * ـفِطْرِ طيرٌ بالنَّحْسِ لا بالسُّعود

فتعيَّفتُ(١) أنهنّ لأمـرٍ * مُفْظِعٍ مّا جَرَيْنَ فى يومِ عيـدِ

فنعتْ خالدَ بنَ أرْوَى وجَلَّ الـ * ـخطبُ فِقْدانُ خالدِ بن الوليدِ

١٤٠ / ١٠

سعى به عثمان بن درباس فهجاه فاستعدى عليه السلطان فحبسه

وقال ابن حبيبَ : كان لإسماعيل بن عمّار جارٌ يقال له عثمان بن دِرْباس، فكان يُؤذيه ويسعَى به الى السلطان فى كلّ حال، ثم سعى به أنّه يذهَب مذهبَ الشُّراة(٢)، فأُخِذ وحُبِس . فقال يهجوه :

مَنْ كان يحسُدنى جارى ويَغْبِطنى * مِن الأنامِ بعثمانَ بنِ دِرْباسِ

فقـرَّب الله منـه مثـلَه أبدًا * جارًا وأبْعَـدَ منه صالحَ النّـاسِ

جارٌ له بابُ ساجٍ(٣) مُغْلَقٌ أبـدا * عليـه من داخلٍ حُرَّاسُ أحْرَاسِ(٤)

عَبْدٌ وعبـدٌ وبنْتاه وخادمُه * يدعُون مثلَهـمُ ما(٥) ليس من ناس

صُفْرُ الوجوهِ كأنَّ السُّلَّ خامَرَهُمْ * وما بهم غيرَ جَهْدِ الجوعِ من باس

له بَنُونَ كأطْباءٍ(٦) مُعَلَّقـةٍ * فى بطنِ خِـنزيرةٍ فى دار كَنَّاسِ

إن يُفْتَحِ البابُ عنهـم بعد عاشرةٍ * تظنُّهم خرجوا من قَعْرِ أرماس(٧)

فليتَ دارَ ابنِ دِرْباسٍ مُعَلَّقةٌ * بالنَّجْـمِ بين سَـلَاليمٍ وأمْرَاسِ(٨)

فكان آخِرَ عَهْدِى منهـمُ أبدًا * وابتعتُ دارًا بغِلْمـانى وأفراسى

---

(١) عيافة الطير : زجرها ، وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وممرها وأصـواتها فتسعد أو تتشأم . والذى فى كتب اللغـة التى بين أيدينا أنه يقـال عاف الطير يعيفها عيافة . أما « تعيف » فلم نجـدها إلا فى هذا الشعر .   (٢) الشراة : الخوارج .   (٣) الساج هنا : ضرب من الشجر ينبت ببلاد الهند و يعظم جدا ، وخشبه أسود رزين لا تكاد الأرض تبليه .

(٤) حراس وأحراس : كلاهما جمع لحارس .   (٥) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «من» بدل «ما» . يريد أن الحراس يستعينون بمثلهم من الكلاب عددا .   (٦) الأطباء : حلمات الضرع لذى الخف والظلف والحافر والسبع ، واحدها طبى (بالكسر و يضم) .

(٧) الأرماس : القبور .   (٨) الأمراس : الحبال ، واحدها مرس (بالتحريك) .

قال : وقال فيه أيضًا :

لَيْتَ بِرْذَوْنِي وبَغْلِي * وجَـوَادِى وحِمَارِى
كُنَّ فى الناس وأبْدِلْـ * ـتُ غدًا جارًا بجار
جارِ صِدْقٍ بآبْنِ دِرْبا * سٍ وإلّا بِعْتُ دارِى
فتبَـدَّلتُ بـه مِنْ * يَمَنٍ أو من نِزَارِ
بَدَلًا يَعْـرِف ما اللّـ * ـهُ وما حَـقُّ الجِوَارِ
لو تبَـدَّلتُ سِـواهُ * طاب ليـلِى ونَهارِى
وآسْتَرَحْنا من بَلَايا * هُ صغارٍ أو كِبارِ
لو جَزَيْناهُ بهـا كُنّـ * ـا جميعا فى بَجَارِ(١)
أو سكتْنا كان ذُلًّا * داخلًا تحت الشِّعارِ(٢)

قال : فلمّا قال فيه الشعرَ استعدَى عليـه السُّلْطانَ ، وذكَر أنه من الشُّراة ، وأنّهم مجتمعون عنـده ، وأنّه من دُعاة عبـد الله بن يحيي(٣) وأبى حَمْزةَ المُختار . فكتب من السجن الى ابن أخٍ له يُقال له مُعَانٌ :

كتب الى ابن أخيـه شعرا من الحبس فأجابه

أبْلِـغْ مُعَانًا عنِّى وإخوتَه * قولًا وما عالِمٌ كمَنْ جَهِلَا
بأنّنى والمُصَـبِّحات مِنًى * يعدُون طَوْرًا وتارةً رَمَلَا
لخائفٌ(٤) أنْ يكونَ وُدُّكُمُ * إيّاىَ بعد الصفاء قد أفَلَا

---

(١) بجار : اسم للفجور، وهو معرفة مبنى على الكسر مثل حذام وقطام . (٢) الشعار من الثياب : ما يلى البشرة . ودخول الذل تحت الشعار كناية عن الاتصاف به . (٣) هو عبد الله ابن يحيي الكندى أحد بنى عمر بن معاوية من حضرموت، خرج فى أيام مروان بن محمـد هو وأبو حمزة المختار بن عوف الأزدى ثم السلمى من أهل البصرة، وتبعهم جماعة، فغلبوا على اليمن والحجاز، ثم قتلوا أخيرا . (راجع الأغانى جزء ٢٠ صفحة ٩٧ وما بعدها من طبعة بلاق، ففيه تفصيل لخروجهم ومقتلهم) .

(٤) وقعت اللام هنا فى خبر «أن» المفتوحة الهمزة، وهو شاذ .

أئن عرانى دهرى بنائبة * أصبح منها الفؤادُ مشتعلا
حاولتم الصُّرْمَ أو لعلّكمُ * ظننتمُ ما أصابنى جَللا
لا تُغفلونا بنى أخى فلقدْ * أصبحتُ لا أبتغى بكم بَدَلا
تمسَّكوا بالّذى امتسكتُ به * فإنّ خيرَ الإخوانِ مَنْ وَصَلا

١٤١
١٠

٥ قال : فكتب اليه ابنُ أخيه :

يا عمِّ عُوفيتَ من عذابِهمُ النُّـ * ـكْرِ وفارقتَ سِجْنَهم عَجِلا
كتبتَ تشكو بنى أخيك وقد * أرسلَ مَنْ كان قبلنا مَثَلا
«ابْدَأْهُمُ بالصُّراخِ ينْهزِموا»[1] * فأنت يا عمِّ تبتغى العِلَلا
زعمتَ أنّا نرى بلاءك فى * دارِ بلاءٍ مُكَبَّلًا جَللا
١٠ يا عمِّ بئس الفِتْيانُ نحن إذًا * أمّا وفى رِجْلك الكُبُولُ فلا
علىَّ إنْ كنتَ صادقًا حِجَجٌ * للبيتِ عامِينَ حافيًا رَجُلا
بُعِّدَ عنك الهمومُ فارْجُ من الـ * ـلّهِ خَلاصًا وأحْسِنِ الأمَلا

أطلقه الحكم بن الصلت من السجن وشعره فيه حين عزل

قال : ثمّ وَلِىَ الحكمُ بن الصَّلْتِ فأطلقه وأحسنَ إليه ، فلم يزَلْ يشكُره ويمدحه . ثم عُزِلَ الحكمُ بعد ذلك ، فقال إسماعيل فيه :

١٥ تباركَ اللهُ كيف أَوْحشتِ الـ * ـكوفةُ أنْ[2] لم يكُنْ بها الحَكَمُ
الحَكَمُ العَدْلُ فى رعيّتِه الـ * ـكاملُ فيه[3] العفافُ والفَهَمُ

(١) أصل هذا المثل : « ابدأهم بالصراخ يفروا » . أصله أن يكون الرجل قد أساء الى الرجل فيتخوف لائمة صاحبه فيبدؤه بالشكاية والتجنى ليرضى عنه بالسكوت . يضرب للظالم يتظلم ليسكت عنه .
(٢) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « إذ لم يكن » . (٣) فى جـ : « منه » .

فأصبح القصرُ والسَّريرانِ والـ * ـمِنْبَرُ(١) كالكل(٢) من أبٍ(٣) يَتَمُ(٤)

يُذْرِى عليه السريرُ عَبْرَتَه * والمِبْتَرُ المَشْرَفىُّ يَلْتَدِمُ(٥)

والناسُ من حُسْنِ سيرةِ الحَكَمِ بْـ * ـنِ الصَّلْتِ يبكون كُلَّما ظُلِموا

مثلُ السَّكارَى فى فَرْطِ وَجْدِهِمُ * إلّا عَدُوًّا عليه يَتَّهِمُ

يومَ جَرَى طائرُ النُّحوسِ لهم * يُنْزَعُ منه القِرْطاسُ والقَلَمُ ٥

فأرغَمَ اللهُ حاسِديهِ كما * أرغمَ هُودَ(٦) القرودِ إذْ زَعِمُوا

فى سَبْتِهِم يوم ناب خَطْبهُمُ * واللهُ مِمَّنْ عصاهُ ينتقمُ

إنّا إلى الله راجِعون أمَا * لِلنّاسِ عهدٌ يُوفَى ولا ذِمَمُ

حَوْلٌ علينا ، وليلتانِ لنا * من لَذّةِ العيش ، بئسما حَكَمُوا

لا حُكْمَ إلا لله يُظْهِرُه * يَقْضِى لِضِيزائها(٧) التى قسَموا ١٠

ماذا تُرَجِّى من عَيْشِها مُضَرٌ * إنْ كان من شأنِها الّذى زعموا

(١) فى الأصول : « القبر » . ولعل ما أثبتناه أقرب كلمة يستقيم بها المعنى مع قربها فى الرسم مما فى الأصول . (٢) ما ورد فى البيت الذى يليه يرجح أن يكون « المبتر » وهو السيف .

(٣) كذا فى الأصول . ولعله : « فالكل » على ما فى هذا من ضعف . (٤) اليتم (بالتحريك) : لعله مصدر وصف به هنا . (٥) المشرفىّ من السيوف : المنسوب الى ١٥ المشارف وهى قرى من أرض اليمن ، وقيل : من أرض العرب تدنو من الريف . واللدم والالتدام : ضرب المرأة صدرها أو وجهها من الحزن . (٦) الهود : اليهود . وهود القرود : هم أهل القرية التى كانت حاضرة البحر ، وكانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا و يوم لا يسبتون لا تأتيهم ، وكان محرما عليهم الصيد أو العمل فى يوم السبت . فلما أخذوا يعدون فى السبت وعتوا عما نهوا عنه ، قال لهم الله : كونوا قردة خاسئين . وأرغم الله فلانا : أذله . ورغم فلان ، أو رغم أنف فلان : ذل . ٢٠ وفى بعض الأصول : « إذ زعموا » . (٧) الضيزى : القسمة الجائرة غير العدل . وهى مقصورة ، ومدها الشاعر هنا للضرورة .

ذم ولاية خالد القسرى

وقال ابن حبيب : سمع إسماعيل بن عمّار رجلًا يُنْشِدُ أبياتاً للفرزدق يهجو بها عُمَر ابن هُبيْرَةَ الفَزَارىّ لمّا وَلِىَ العراقَ و يعجب من ولايته إيّاها ، وكان خالدُ القَسْرىّ قد وَلِى فى تلك الأيّام العراقَ، فقال إسماعيل : أَعْجَبُ واللهِ مما عجِب منه الفرزدقُ من ولاية ابن هُبَيرَة، [وهو](١) ما لستُ أراه يُعْجَبُ منه، ولايةُ خالدٍ القَسْرىّ وهو مُخَنَّثٌ دَعِىٌّ ابن دعىّ، ثم قال :

عَجِبَ الفرزدقُ من فَزارةَ أنْ رأى * عنها أُمَيّةَ بالمَشارِقِ تَنْزِعُ
فلقدْ رأى عَجَبًا وأحْدِثَ بعده * أمرٌ تطيرُ له القلوبُ وتفزَع
بَكتِ المنابرُ من فَزارةَ شَجْوَها * فالآنَ من قَسْرٍ تَضِجّ وتجزع
فملوكُ خِنْدِفَ أضْرَعونا(٢) للعِدَا * لِلّهِ درُّ مُلوكِنا ما تَصْنَع
كانوا كقاذفةٍ بَنِيها ضَلّةً * سَفَهًا وغيرُهم تُرَبُّ وتُرْضِع

١٤٢ / ١٠

أخبرنى حبيبُ بن نَصْرٍ المُهَلَّبىُّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا عبد الله بن سعيد بن أسيد العامرىّ قال حدّثنى محمد بن أَنَسٍ الأَسَدىُّ قال :

شعر له فى عينه وقلبه

جلستُ إلى إسماعيل بن عمّار، و إذا هو يفتِل أصابعَه متأسِّفا، فقلتُ : عَلامَ هذا التأسّف والتلهّف ؟ فقال :

عيناىَ مشئومتان وَيْحَهما * والقلبُ حَرّانُ مُبْتَلًى بهما
عرّفتاه الهوى لِظُلْمهما * ياليتَنى قبلَ ذا عَدِمتُهما
هُما إلى الحَيْن دلّتا وهما * ذَلَّ(٣) على مَنْ أُحِبُّ دمعُهما
سأعْذِرُ القلبَ فى هواه وما * سَبَّبَ كلَّ البلاءِ غيرُهما

(١) زيادة يقتضيها سياق الكلام . (٢) أضرعونا : أذلونا وأخضعونا .
(٣) ذل الدمع : هان . وفى بعض الأصول : « دلا » وهو تحريف .

شعر للأعشى وشرحه

صوت

فكَعْبةُ نَجْرانَ حَتْمٌ عليـ * ـك حتَّى تُنَاخِى بأبوابِها
نَزورُ يزيدَ وعبدَ المَسِيح * وقَيْسًا هُمُ خيرُ أربابِها
وشاهِدُنا الجُلُّ[1] والياسَمِيـ * ـنُ والمُسْمِعاتُ بقُصّابِها[2]
وبَرْبَطُنا[3] دائمٌ مُعْمَلٌ * فأىُّ الثلاثةِ أزْرَى بها
إذا الحِبَراتُ[4] تَلَوَّتْ بهم * وجَرُّوا أسافلَ هُدّابها
فلمَّا التقَيْنا على آيةٍ[5] * ومَدَّتْ إلىَّ بأسبابها

عَروضُه من المُتقارِب . الشعرُ للأعشى يمدَح بنى عبد المَدَانِ الحارثيِّين من بنى الحارث بن كَعْب . والغناءُ لحُنَيْن، خفيفُ ثقيل بالوسطى فى مَجراها عن إسحاق .

---

(١) ويروى : « وشاهدنا الورد » كما فى شعر الأعشى . والجل (بالضم و يفتح) : الورد أبيضه وأحمره وأصفره ، واحده جلة .

(٢) سيذكر المؤلف فيما بعد أن القصاب الأوتار . وقال أبو العباس ثعلب — فى شرحه لديوان الأعشى صفحة ١٢١ من طبعة مطبعة آدلف هلز هوسن سنة ١٩٢٧ م — « قصاب جمع قاصب وهو الزامر . أبو عبيدة : قصابها أوتارها ، وأصله من القصب ، ويقال للزامر قاصب ، وما زال يقصب ... » . وقد تقدمت هذه الأبيات (جزء ٦ ص ٢٩٩ من هذه الطبعة) . فراجع ما كتب على هذه الكلمة هناك .

(٣) البربط (وزان جعفر) : العود . والكلمة فارسية معرّبة . قيل : شبه بصدر البط . و « بر » : الصدر . وفى شعر الأعشى « ومزهرنا » . والمزهر : العود أيضا .

(٤) فى الأصول : « إذا الخيرات فلوت بهم » . والتصويب من شعر الأعشى ومسالك الأبصار (جزء أوّل صفحة ٣٥٩ من طبعة دار الكتب المصرية) . (والحبرات بكسر الحاء وفتحها) : ضرب من برود اليمن منمر .

(٥) فى الأصول : « على آلة » . والتصويب من شعر الأعشى . والآية : العلامة ، كما فسرها بذلك أبو العباس ثعلب . وجواب "لما" فى البيت الذى بعده ، وهو :

بذلنا لها حكمها عندنا * وجادت بحكمى لأهلى بها

وذكر يونس أنّ فيه لحنًا لمالك ، وزعم عمرو بن بانة أنّه خفيفُ ثقيلٍ . وزعم أبو عبد الله الهشامىّ أنّ فيه لابن المكّىّ خفيفَ رملٍ بالوسطى أوّلُه :

* تُنازِعنى إذ خلتْ بُرْدَها[1] *

ومعه باقى الأبيات مخلَّطةً مقدّمةً ومؤخّرةً . والكعبةُ التى عنَاها الأعشى ها هنا يقال إنها بِيعةٌ بناها بنو عبد المَدَان على بناء الكعبة ، وعظّموها مُضاهاةً للكعبة ، وسمّوها كعبةَ نَجْرانَ ، وكان فيها أساقفةٌ يُقيمون ، وهم الذين جاءوا إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى المُبَاهلة ، وقيل : بل هى قُبّة من أَدَمٍ سمّوها الكعبةَ ، وكان إذا نزل بها مستجيرٌ أُجير ، أو خائفٌ أَمِن ، أو طالبُ حاجةٍ قُضِيتْ ، أو مسترفدٌ أُعْطى ما يُريده . والمُسْمِعاتُ : القِيانُ . والقُصّاب : أوتار العِيدان . وقال الأصمعىّ : قلت لبعض الأعراب : أَنشِدْنى شيئًا من شعرك . قال : كنتُ أقول الشّعر وتركتُه . فقلت : ولم ذاك ؟ قال : لأنّنى قلت شعراً وغنَّى فيه حَكَمٌ الوادىّ وسمعتُه فكاد يذهَل عقلى ، فآليتُ ألّا أقولَ شعراً ، وما حرّك حَكَمٌ قُصّابَه إلّا توهّمتُ أنّ الله عزّ وجلّ مُخْلِدى بها[2] فى النّار .

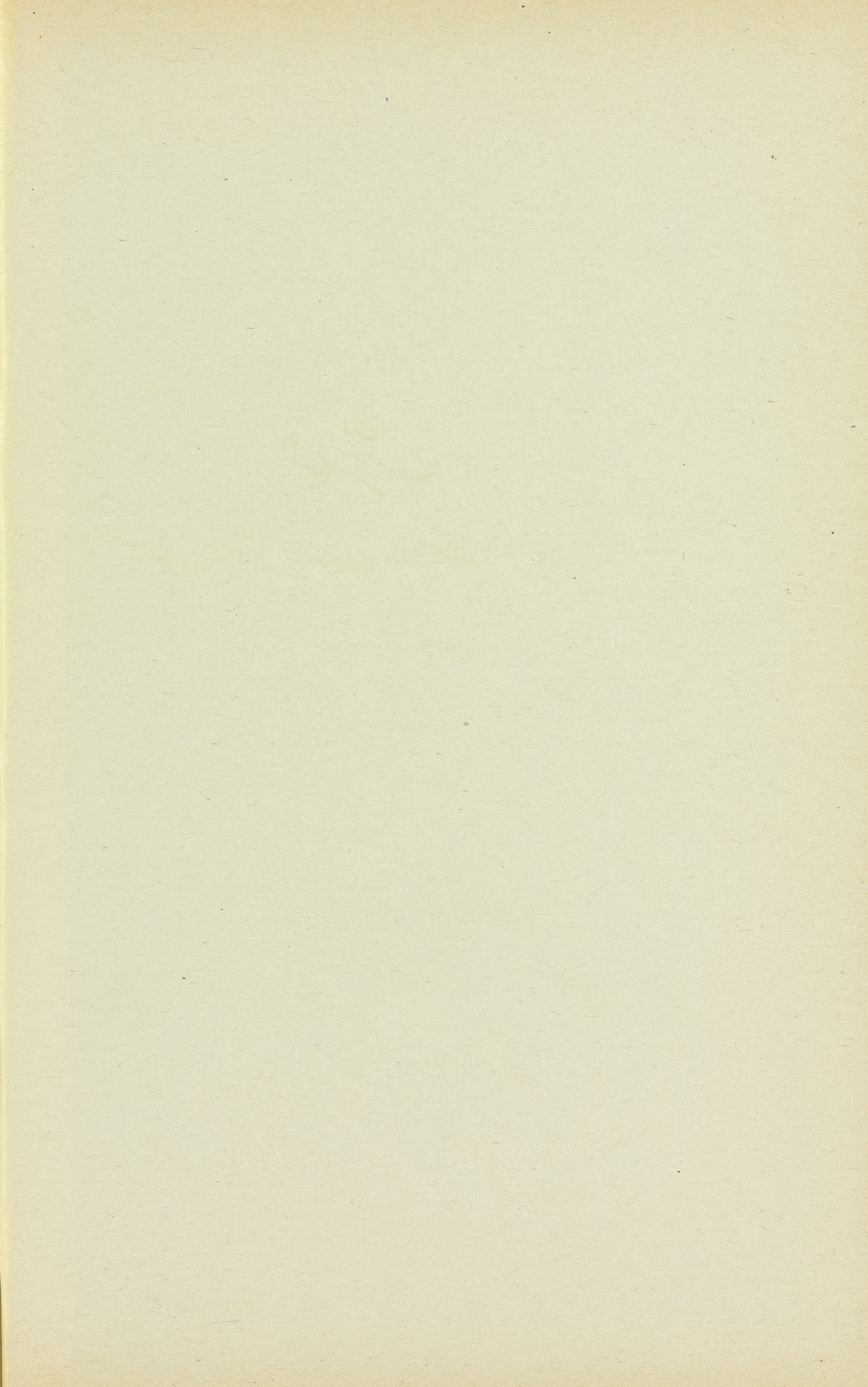
---

(١) تمام البيت : * مفضلة غير جلبابها *
وهو وارد فى شعر الأعشى قبل قوله : « فلما التقينا ... » .

(٢) لعل صوابه « به » أى الشعر الذى غنى فيه ، أو أنث الضمير باعتبار أنه قصيدة .

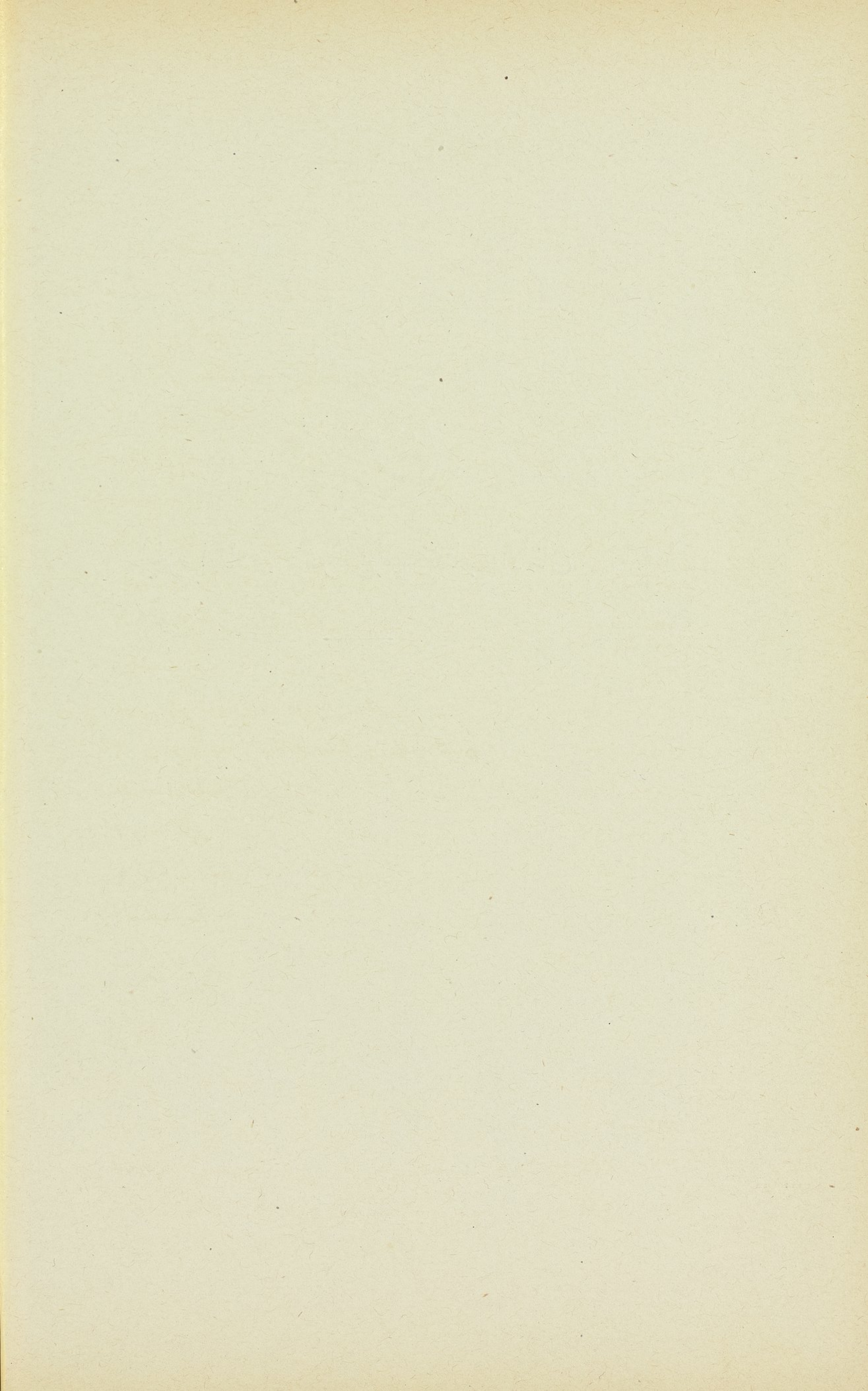
* * *

تم الجزء الحادى عشر ، ويليه الجزء الثانى عشر
وأوّله :
أخبار الأعشى وبنى عبد المدان وأخباره مع غيرهم



فهرس

الجزء الحادى عشر من كتاب الأغانى



تراجـــم هــذا الجـــزء

فهـــــرس الشـــــعراء

(ا)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

فهـــرس رجال الســـند

(ب)

(ت)

(ث)

فهـــرس المغنين

فهرس رواة الألحان

فهـــرس الأعـــلام

(ا)

(ب)

(ح)

(خ)

(س)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

فهرس الأمم والقبائل والأرهاط والعشائر ونحوها

(ا)

(غ)

(ل)

(م)

فهرس أسماء الأماكن

فهـــرس أسماء الكتب

(ن)

فهرس القوافي

صدرالبيت	قافيته	بحره	ص : س
وإنَّ	نارُ	بسيط	٦ : ٩
مهفهفٌ	محتقَرُ	«	٢٥ : ١٢
إنّى	الخَبَرُ	«	٦١ : ١٥
خفَّ	غِيَرُ	«	٦٤ : ١٣
الآكلونَ	الجَمَرُ	«	٦٦ : ١
شُمُسٌ	قَدَروا	«	٦٧ : ١١ ، ٦٨ : ٤
كأنها	أثرُ	«	١٧٣ : ١٥
مَنْ	وإمرارُ	«	٣٤٥ : ١٠
ياحارِ	ضارى	«	١٠٢ : ١٠
لا تأمننَّ	بأسيارِ	«	١١٢ : ١٨
كم	ونجّارِ	«	٢٣٥ : ٢
أما	صدرى	وافر	١٥٤ : ٤
لعمرُكَ	الحمارِ	«	٢٠٠ : ١
ألا	قفارِ	«	٢٩٥ : ١٢
أقامَ	جارا	«	٣٠٠ : ١١
ونكرم	سارا	«	٣٣١ : ٢٠
يا بغلُ	نذورُ	كامل	٢٦١ : ٣
خلعوا	لا تظهرُ	«	٢٧١ : ٢٠
أبنى	يتمرمرُ	«	٢٧٢ : ١
بل	أحرارا	«	٩٠ : ١
نحنُ	مشهورا	«	٢٤١ : ٤
ولقد	المطيرِ	مجزوء الكامل	١٤ : ١٠
إنّى	النجرِ	رجز	٥٣ : ٥
أشقرُ	تعقرِ	«	١٤٣ : ١٢
والرفع	الظهرا	«	٢٩ : ٢٣
مَنْ	الشجرْ	«	٥٦ : ٤
أنا	والشرّ	رجز	١٤٠ : ٩
قد	الخبرْ	رمل	٨٤ : ١٢ ، ١٨٥ : ١٤
حيثما	وقرْ	«	٢٢٠ : ١١
رُبَّ	مضرْ	«	٢٦٨ : ١١
وإذا	وطمرْ	«	٣٥٢ : ١٤
وإذا	وحمرْ	«	٣٥٣ : ٥
ليتَ	وحمارى	مجزوء الرمل	٣٧٦ : ٢
عسَ	آخرهْ	سريع	٣٧٤ : ٥
فإنّ	المنبرِ	متقارب	٢٥١ : ٥ ، ٢٥٣ : ٤
جُدلت	ناظرهْ	«	٧٢ : ١٦
فإنْ	الضّفارا	«	١٨٠ : ١١

(س)

صدرالبيت	قافيته	بحره	ص : س
يهدّدنى	تُرسى	طويل	٣١٨ : ٧
فليتَ	عابسا	«	٢٥٧ : ٥
مَنْ	درباسِ	بسيط	٣٧٥ : ٧
يسائلنى	خمسُ	وافر	٢٦٧ : ٩
ظلّت	أمسِ	كامل	١٤٤ : ٧
يا ليتَ	المرسوسُ	رجز	١٤٤ : ١٣
لا أحدُ	بالعروس	«	١٦٥ : ١٧
اجعل	وممسى	«	١٦٨ : ٧
أقدم	الخُمُسْ	سريع	١٤٦ : ١٢
يا خليلىَّ	نُعاسا	خفيف	٢٧٠ : ٣
تقولُ	الأنفسِ	متقارب	٢٩٨ : ٥ ، ٣٠٢ : ١٥

(ش)

صدرالبيت	قافيته	بحره	ص : س
بليتُ	كُندُش	متقارب	٣٧١ : ٥
يريدُ	عائشة	«	٢٥٨ : ٨

(م)

فهـــــرس أنصاف الأبيات

مرتبـــة حسب أوائل كلماتها

(ا)

(ث)

(ف)

(و)

فهـــرس أيام العـــرب

فهـــرس الأمثـــال

فهـــرس الموضــــوعات

أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها

نسب عمرو بن شأس وأخباره
فى هذا الشعر وغيره

ذكر ليلى ونسبها وخبر توبة ابن الحمير معها وخبر مقتله

ذكر الأقيشر وأخباره

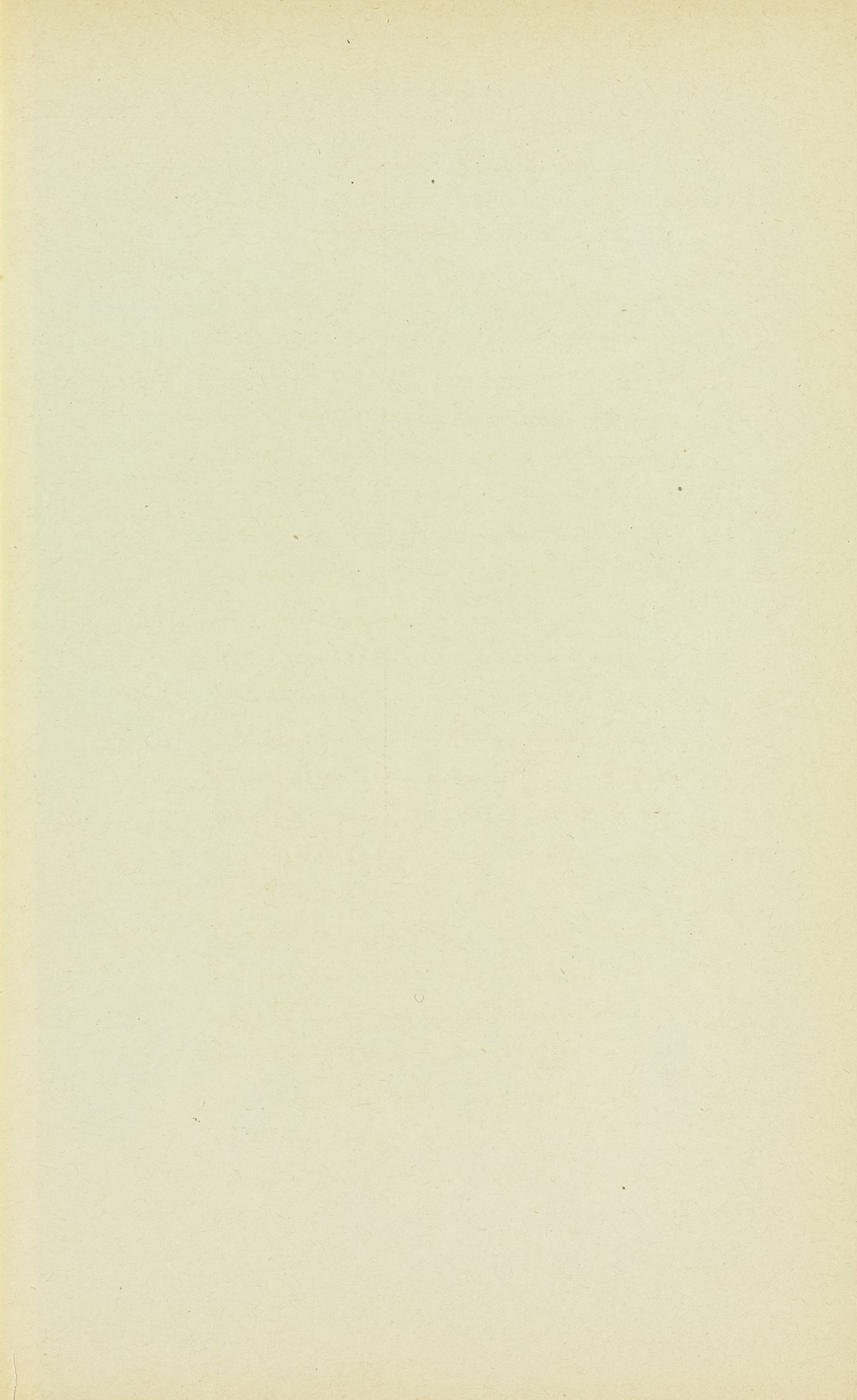
أخبـار ابن الغريزة ونسبه

أخبار أعشى بنى تغلب ونسبه

أخبار أبى النضير ونسبه

أخبـار العبلى ونسبه

نسب إسماعيل بن عمار وأخباره



استدراكات

صفحة	سطر	
٧٦	١٧	وردت هذه الجملة : « نشد زهير بن جذيمة الناس، فانقطع ذكره ... الخ » وكتب عليها فى الحاشية الخامسة من هذه الصفحة : « يريد سأل الناس » . وقد وردت هذه الجملة هكذا كما أثبتناها فى أكثر الأصول . وفى ا ، م : « نشد زهير بن جذيمة الناس ما نشدهم » . ويحتمل أن يكون صوابه : « نشد زهير بن جذيمة شأسا، فانقطع ذكره ... الخ » .
٨٥	٢	فى هذا السطر وما بعده وردت هذه الجملة : « وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصيّة بن خفاف السُّلمى امرأة زهير بن جذيمة وهى أمُّ ولده. فمرّ بها أخوها الحارث ابن عمرو..الخ » . وكذلك ورد هذا النسب فى صفحة ٨٩ فى السطر الثالث عشر . ويخيل إلينا أن هذا من خطأ النساخ أو الرواة، فإن هذا النسب هو نسب الخنساء تماضر بنت عمرو أخت صخر وصاحبة المراثى فيه . والخنساء قد حضرت الإسلام . وبين الإسلام وعصر زهير بن جذيمة أكثر من مائة سنة . فلا يمكن أن تكون الخنساء زوجا وأم ولد لزهير بن جذيمة . وإذًا فتماضر امرأة زهير ابن جذيمة غير تماضر الخنساء .
		وفى صفحة ٩٢ فى رواية الأصمعى فى السطر العاشر : « فجاء أخو امرأة زهير وكانت امرأته فاطمة بنت الشريد السلمية ... الخ » . ويخيل إلينا كذلك أنها تماضر بنت الشريد المتقدمة لا فاطمة بنت الشريد كما جاء فى الأصول . فمن شعر ورقاء بن زهير :
		فياليتنى من قبل أيام خالد * ويوم زهير لم تلدنى تماضر
١١٦	٩	ورد هذا البيت :
		«ابنا حُلاكة باعانى بلا ثمنٍ * وباع ذو آل هِزّان بما باعا»

صفحة	سطر	
		« ذو » هنا زائدة كالصلة . قال الأزهرى : « وسمعت غير واحد من العرب يقول: كنا بموضع كذا وكذا مع ذى عمرو، وكان ذو عمرو بالصّمّان، أى كنا مع عمرو، وكان عمرو . و «ذو» كالصلة عندهم» . قال : وهو كثير فى كلام قيس ومن جاورهم . قال الكميت :
		إليكم ذوى آل النبىّ تطلعت * نوازع من قلبى ظماء وألبب
		أى إليكم آل النبىّ .
١١٦	١٣	ورد هذا البيت :
		«هَمّتْ عكابةُ أن تضيمَ لُجَيْماً * فأبتْ لُجَيْمٌ ما تقول عكابهْ»
		وكتب فى الحاشية الثانية على كلمة «لجيم» : « لجيم اسم القبيلة بضم اللام وفتح الجيم وسكون الياء، وبهذا لا يتزن الشعر . فلعل الشاعر تصرّف فيه فشدّد الياء » .
		والواقع أن الشعر بسكون الياء متزن، ويكون فيه القطع، وهو فى الضروب والأعاريض أن يحذف الآخر الساكن ويسكن المتحرك قبله من الجزء الذى فى آخره وتد مجموع، فمتفاعِلُنْ تصير هاهنا متفاعِلْ بسكون اللام .
١١٧	٦	ورد هذا البيت :
		«لحىِّ الأَنْكَدِينَ وحىِّ عَبْسٍ * وحىِّ نَعامة وبنى غُدانِ»
		وضبطت فيه كلمة «الأنكدين» بكسر الدال وفتح النون على أنه جمع . وصوابه « الأنكَدَيْنِ » بفتح الدال وكسر النون على أنه مثنى . والأنكدان : مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، ويربوع بن حنظلة . (انظر شرح القاموس مادة نكد) .
١٢٤	١٤	وردت هذه الكلمة : « ويوم قتله » وقد وردت هكذا فى جميع الأصول . وهو تحريف صوابه : «ويوم جبلة» كما هو ظاهر .
١٤٣	٥	ورد هذا البيت :
		« شتان هذا والعناق والنومْ * والمضجع البارد فى ظل الدَّوْمْ »

صفحة	سطر	
		وقد ورد كذلك فى جميع الأصول . وصوابه : « فى الظل الدوم » أى الدائم . وقد روى فى اللسان مادة دوم : « والمشرب البارد والظل الدوم » .
١٥٦	١٥	ورد هذا البيت : « تخذ إبلا إن العتاب كما ترى ✱ على خذم ثم آرم للنصر جعفرا » وضبطت كلمة « خذم » بفتحتين . وعلق عليها فى الحاشية الثامنة من هذه الصفحة : « الخذم بالتحريك السرعة فى السير » . والصواب ضبطه بفتح الخاء وكسر الذال . وهو فرس مرداس بن أبى عامر كما فى القاموس وشرحه مادة « خذم » والشعر له .
١٧٧	١٥	ورد فى هذه الصفحة وما بعدها أن مصعب بن الزبير وعبد الله ابن عبد الرحمن بن أبى بكر وسعيد بن العاص طلبوا إلى عزة الميلاء أن تنظر لهم خطيباتهم ، وأن عزة سألتهم عمن خطبوا ، فقال مصعب ابن الزبير : عائشة بنت طلحة ، وقال سعيد بن العاص : عائشة بنت عثمان ، وقال عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر : أم القاسم بنت زكريا بن طلحة . وأن عزة ذهبت إلى الفتيات فوصفتهن ، فوصلها الرجال والنساء وتزوّجوهنّ . والواقع أن الذى تزوّج عائشة بنت طلحة هو ابن خالها عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبى بكر ، وهو أبو عذرها ، وأبو أولادها ، وتوفى عبد الله وهى عنده (راجع صفحة ١٨٠ وما بعدها من هذا الجزء) فلعله وقع فى الأسماء فى هذا الخبر تقديم وتأخير .
١٧٩	١٩	وردت هذه الجملة : « الردّة : القبح مع شىء من الجمال » . وهو تعريف لبعض اللغويين كما فى لسان العرب . وخير منه وأبين أن يقال : « الردّة : بعض القبح . أى أن يكون الوجه جميلا وفيه عيب يرد البصر » .
١٩٢	١٦و١٧	ورد هذان البيتان : إذا المال لم يوجب عليك عطاءه ✱ صنيعة تقوى أو صديق توامقه منعت و بعض المنع حزم وقوة ✱ فلم يفتلتك المال إلا حقائقه

صفحة سطر

وشرح البيتين أبو الفرج . ومما جاء فى شرحه : «و يفتلتك» أى يخرجه من يدك وقبضتك وقد ورد هذان البيتان فى اللسان (مادة فلذ) « صنيعة قربى » « ولم يفتلذك » وفى الكامل للمبرد ص ٢٠١ طبع أوربا : «بخلت و بعض البخل» ... «فلم يفتلذك» قال فى اللسان : وافتلذت له قطعة من المال افتلاذا اذا اقتطعته . وافتلذته المال أى أخذت من ماله فلذة . ثم استشهد بهذين البيتين ونسبهما لكثير وقال المبرد فى الكامل : «الشعر لنصيب ؛ وقيل لكثير . والأول أثبت» .

٢٠٠ ١ و ٢ ورد هذان البيتان :

«لعمرك ما خشيت على عدىّ * رماحَ بنى مقيِّدة الحمارِ
ولكنى خشيت على عدىّ * رماح الجن أو إياك حارِ»

فرماح الجن : الطاعون . وأما مقيدة الحمار فقد ذكر المؤلف بسنده أنه لقب تماضر امرأة من كنانة و إحدى بنى فراس بن غنم ، وأن ابنيها عمرا وعميرا ابنى حذار اشتركا فى قتل عدىّ أحد ملوك غسان وابن أخت الحارث بن أبى شمر الغسانى ، فقالت فاختة بنت عدىّ هذا الشعر فى أبيها .

وفى لسان العرب (مادتى رمح وحمر) أن مقيدة الحمار الحرّة ؛ لأن الحمار الوحشى يعتقل فيها فكأنه مقيد . قال النابغة :

أواضع البيتِ فى سوداء مُظلمةٍ * تقيِّد العَيْرَ لا يسرى بها السارى

وأن بنى مقيدة الحمار العقارب ؛ لأن العقارب تألف الحرّة وأكثر ما تكون فيها . و رماح العقارب شولاتها ، ثم ذكر هذين البيتين كما أنشد ثعلب شاهدا على ذلك .

وفى أساس البلاغة (مادة رمح) : « وأصابته رماح الجن : الطاعون ... وأنشد الجاحظ :

لعمرك ما خشيت على أُبَىٍّ * رماحَ بنى مقيِّدة الحمارِ
ولكني خشيت على أبىّ * رماحَ الجنّ أو أنزال جار

صفحة	سطر	
		الأنزال : أصحاب الحمر دون الخيل » . وكذلك ورد « أبيّ » بدل « عدى » فى لسان العرب . والتفاسير التى فسر بها اللغويون هذين البيتين مخالفة كل المخالفة لما ورد فى الأغانى مرويا بسنده .
٢٠٦	١٤	وردت هذه الكلمة : « بشعب كذا » وكتب فى الحاشية الثامنة من هذه الصفحة : « كذا فى مختار الأغانى . وفى الأصول : بشعب كذا وكذا . ولا معنى لتكرار هذه الكلمة» . والصواب أنها تكرر فيقال : « بشعب كذا وكذا » كما ورد فى الأصول. لأن هذه الكلمة كما يكنى بها عن العدد يكنى بها عن غير عدد كما جاء فى الحديث أنه يقال للعبد يوم القيامة أتذكر يوم كذا وكذا فعلت فيه كذا وكذا .
٢٠٨	١٢	ورد هذا البيت :

« وأشرف بالقوز اليفاع لعلّنى * أرى نار ليلى أو يرانى بصيرُها»

وعلق عليه فى الحاشية الرابعة من هذه الصفحة : «وظاهر أنه يريد بالبصير ليلى» . والذى فى لسان العرب (مادة بصر) فى شرح البيت : « قال ابن سيده يعنى كلبها لأن الكلب من أحدّ العيون بصرا » .

صفحة	سطر	
٢١٨	١٦	وردت كلمة : « رهط قومه » . وقد وردت هكذا فى جميع الأصول : والصواب « رهط توبة » كما هو ظاهر .
٢٢٢	٣	ورد هذا الاسم « مزرع بن عمرو بن همام » ويلاحظ أنه مر فى صفحة ٢١٨ سطر ١٤ « مزرع بن عبد الله بن همام بن مطرف ابن الأعلم» . وقد روى عنه فى الموضعين أبو عبيدة . ولم نقف على ما يرجح أىّ الوضعين أصح .
٢٣٥	٣	ورد هذا البيت :

«وتوب للخصم إن جاروا وإن عدلوا * و بدّلوا الأمر نقضا بعد إمرار»

وعلقنا عليه فى الحاشية الأولى : «كذا فى مختار الأغانى . وفى الأصول : « و إن عندوا » وهو تحريف» . وهذه الرواية ليست تحريفا ؛ إذ الكلام بها مستقيم .

صفحة	سطر	
٢٦٠	٣	ورد هذا البيت : «من الفتيات الغرّ من أرض بابل * إذا شفها الحانى من الدَّنّ كبرا» وعلق فى الحاشية الثالثة من هذه الصفحة على كلمة «شفها» : «كذا فى الأصول !» . ونرى أن هذه الكلمة محرفة عن «شنها» أو «سنها» بالشين المعجمة أو بالسين المهملة أى صبّها .
٢٨٤	٦	وصفحة ٢٨٦ فى السطر الأول ورد هذا البيت : «ويَفرح بالمولود من آل برمك * بُغاةُ الندى والسيفِ والرمحِ والنصلِ» بجرّ السيف وما عطف عليه ، لأن الشطر الأخير فى البيت الذى بعده : ولا سيّما إن كان من ولد الفضلِ والصواب أن يضبط السيف وما عطف عليه بالرفع . وصواب الشطر الأخير من البيت الذى بعده : ولا سيّما إن كان والدَه الفضلُ والتصويب من كتاب نهاية الأرب جزء ٤ صفحة ٣٥٤ طبع الدار .
٢٩٣	٨	وردت جملة «وأمه من بنى عبد شمس» وعلقنا عليها فى الحاشية الرابعة من هذه الصفحة : «كذا فى الأصول . وجملة وأمه من بنى عبد شمس غير واضحة» . ويحتمل أن يكون المراد أن أم العبلى من عبد شمس ، فوضع النساخ هذه الجملة فى موضع جعلها غير واضحة .
٣٣٧	١٤	فى هذا السطر وما بعده وردت هذه الجملة : «علويه أصح الناس صنعة بعد إسحاق ، وأطيب الناس صوتا بعد مخارق ، وأضرب الناس بعد ربرب وملاحظ ، فهو مصلى كل سابق قادر ، وثانى كلّ أول واصل متقدِّم» وهى هكذا فى جميع الأصول . وصوابها : «... ... وأضرب الناس بعد زلزل وملاحظ ... وثانى كل أول ، وأصْلُ كلِّ متقدِّم» . والتصويب من كتاب نهاية الأرب جزء ٥ صفحة ١٠ طبع الدار .

صفحة	سطر	
٣٤٤	١٤	وردت كلمة « فهجاه » فى جميع الأصول . وهى نابية والكلام مستغن عنها .
٣٦٦	٥	وردت كلمة «الشقابين» . وكتب عليها فى الحاشية السادسة من هذه الصفحة : «الشقابين : جمع شقبان بالتحريك، وهو طير نبطى» . ويحتمل أن يكون «الشفانين» بالفاء ، جمع شفنين (بكسر الشين) وهو — كما فى حياة الحيوان للدميرى — متولد بين نوعين مأكولين، وعدّه الجاحظ فى أنواع الحمام، وبعضهم يقول الشفنين هو الذى تسميه العامة اليمام .
٣٧٠	٨	ورد هذا البيت : «غير منّ به عليك وإن كنـ * ـتُ بقدر القيان طبًّا طبيبا» هكذا بالقاف المثناة . وقد وردت هكذا فى جميع الأصول ويحتمل احتمالا قويا أن يكون : « بغدر القيان » بالغين المعجمة .

كَمُلَ طبع ''الجزء الحادى عشر من كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى''
بمطبعة دار الكتب المصرية فى يوم الخميس ١٥ رجب سنة ١٣٦٣
(٦ يوليه سنة ١٩٤٤) م

محمد نديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٢٤/١٩٣٦/٢٣٠٠)

إصلاح خطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢١٠	١٧	همّام ابن مُطَرِّف	همّام بن مُطَرِّف
٢٢١	١٧	والضرع بالكسر	والضرع بفتح فكسر
٢٢٦	٦	سنلقَوْن	ستلقَوْن
٢٣٣	٣	مُهْلِب	مُلْهِب
٢٤٢	٥	أحدُ	أَحَدُ
٢٥٠	٥	ليحيي ابن واصل	ليحيي بن واصل
٢٥٢	٤	قُلَيب ابن عمرو	قُلَيْب بن عمرو
٢٥٣	١٥	الشّابّ	السّابّ
٢٥٥	فى الهامش	فى طلحة الفياض	فى زكريا بن طلحة الفياض
٢٧٢	«	قرظة	يقظة
٢٧٢	٨	أىُّ شيء	أىَّ شيء
٢٧٥	٦	بالِحْمل	بالحَمْلِ
٣١٠	٧	عبد الله	عبيد الله
٣٢٦	٢	أنا زانية كما زعم ! إن كلمته كلمة أبدا	أنا زانية كما زعم إن كلمته كلمة أبدا !
٣٣٣	١٠	يحيي ابن ماسويه	يحيي بن ماسويه
٣٥٧	١٦	عبد الله بن قيس الرقيات	عبيد الله بن قيس الرقيات
٣٧٤	٦	دون بنى غاضرة	دور بنى غاضرة

إصلاح خطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩	١٥	لوزان	لوذان
١١	٩	ويفاحم	وبفاحِمٍ
٤٠	١٨	فَرِتَنَا	فَرتْنَى
٦١	١٨	محمدُ بن عمير	محمدَ بن عمير
٨٣	٢٢	كتاب نسب الخيل	كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها لابن الأعرابى
٩١	١	ضِلَعُ	ضَلْعُ (الضلع بالفتح هنا : الميل)
٩١	٢١	وفلته عن كذا	وفتله عن كذا
١٠٠	٧	ومِخلَبِ	ومِخْلَب
١٢١	فى الهامش	الإطناية	الإطنابة
١٢٧	٨	فأطلَقَ عنه	فأطْلِقْ عنه
١٣٠	٧	هُزْلًا	هُزْلًا
١٣٠	٩ و ١٠	المصيفة	المَضِيقة
١٤٨	١	حسان بن عامر بن الجون	حسان بن عمرو بن الجون
١٥٨	٦	النَّكُظُ الجهد	النَّكْظُ : الجهد
١٧٥	١٤	قَدْ آزْمَعُوا	قَدَ آزمَعُوا
١٧٦	٣	الحسن بن يحيى	الحسين بن يحيى
٢٦٩	١٠	الحسن بن يحيى	الحسين بن يحيى
١٧٦	٧	وَضَمَةُ	وَضْمَةُ
٢٠٤	١٠	ابن علىّ أبو المغيرة	ابن علىّ بن المغيرة